مناظرة حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية

دار النشر باللغات الأجنبية
بكين

مناظرة حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية

دار النشر باللغات الأجنبية
بكين ١٩٦٥

طبع في جمهورية الصين الشعبية

المحتويات

المعلومات الاضافية

اقتراح حول الخط العام
للحركة الشيوعية العالمية

رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ردا على
رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المؤرخة
في يوم ٣٠ مارس (آذار) عام ١٩٦٣
(١٤ يونيو "حزيران" عام ١٩٦٣)

الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي
أيها الرفاق الأعزاء :

لقد درست اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني الرسالة الموجهة اليها من قبل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي والمؤرخة في يوم ٣٠ مارس (آذار) عام ١٩٦٣ .

ان جميع الذين تهمهم وحدة المعسكر الاشتراكي ووحدة الحركة الشيوعية العالمية يهتمون أشد الاهتمام بمحادثات الحزبين الصيني والسوفياتي ويأملون أن تساعد محادثاتنا على ازالة الخلافات وتعزيز الوحدة وأن تخلق ظروفا ملائمة لعقد اجتماع لممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية في مختلف البلدان .

انه لواجب مقدس مشترك على الأحزاب الشيوعية والعمالية في كل البلدان أن تصون وتعزز وحدة صفوف الشيوعية العالمية . ان الحزبين الصيني والسوفياتي يتحملان مسؤولية أعظم ازاء وحدة كل المعسكر الاشتراكي ووحدة كل الحركة الشيوعية العالمية ، وعليهما بالطبع أن يبذلا جهودا أكبر في هذا الصدد .

توجد الآن سلسلة من الخلافات المبدئية الهامة في صفوف الشيوعية العالمية . ولكن مهما تكن هذه الخلافات خطيرة علينا أن نتذرع بصبر كاف لنلتمس طرقا لازالتها حتى نوحد قوانا ونعزز نضالنا ضد عدونا المشترك .

وتتطلع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، مدفوعة بهذه الرغبة الصادقة ، الى محادثات الحزبين الصيني والسوفياتي التي ستحل قريبا .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي قد طرحت بشكل متسلسل في رسالتها المؤرخة في ٣٠ مارس (آذار) وجهات نظرها حول القضايا التي في حاجة الى المناقشة في المحادثات بين الحزبين الصيني والسوفياتي ، وعرضت بصفة خاصة قضية الخط العام للحركة الشيوعية العالمية . ونود في رسالتنا هذه أن نعبر أيضا عن وجهات نظرنا حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية وبعض القضايا المبدئية المتعلقة به ونقدمها كاقتراح لنا .

ونأمل أن يؤدي هذا العرض لوجهات النظر الى التفاهم المتبادل بين حزبينا ويساعد على المناقشة نقطة نقطة وبصورة مفصلة في المحادثات .

ونأمل أيضا أن يساعد ذلك الأحزاب الشقيقة في البلدان المختلفة على معرفة وجهات نظرنا ويساعد على تبادل الآراء بشكل كامل في اجتماع عالمي للأحزاب الشقيقة .

١ ــ ان الخط العام للحركة الشيوعية العالمية يجب أن يكون مطابقا للنظرية الماركسية اللينينية الثورية حول المهمة التاريخية للبروليتاريا ، ولا يجب أن ينحرف عنها .

ان اجتماعي موسكو في عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦٠ قد أقرا التصريح والبيان على التوالي بعد تبادل كامل للآراء ووفقا لمبدأ الوصول الى الاجماع عن طريق المشاورات . وقد وضحت هاتان الوثيقتان الخصائص المميزة لعصرنا والقوانين المشتركة للثورة الاشتراكية و البناء الاشتراكي ، ووضعتا الخط المشترك لجميع الأحزاب الشيوعية والعمالية . ان التصريح والبيان

يشكلان البرنامج المشترك للحركة الشيوعية العالمية .

حقا ، لقد ظهرت خلال السنوات الأخيرة في صفوف الشيوعية العالمية خلافات حول فهم تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ والموقف منهما . والقضية الأساسية هنا هي : قبول أو عدم قبول المبادىء الثورية التي وردت في التصريح والبيان . وفي التحليل النهائي هي مسألة قبول حقيقة الماركسية اللينينية العامة أم لا ، وهي الاعتراف بالأهمية العامة لطريق ثورة أكتوبر أم لا ، وهي قبول حقيقة أن الشعوب التي لا تزال تعيش تحت النظام الاستعماري والرأسمالي والتي تشكل ثلثي سكان العالم لا تزال في حاجة الى القيام بالثورة أم لا ، وهي قبول حقيقة أن الشعوب التي أصبحت تسير في طريق الاشتراكية والتي تشكل ثلث سكان العالم لا تزال في حاجة الى السير بثورتها الى النهاية أم لا ؟

لقد أصبح واجبا ملحا لا غنى عنه للحركة الشيوعية العالمية الراهنة أن تذود بحزم عن المبادىء الثورية لتصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ .

وفقط بالاتباع الحازم للتعاليم الثورية للماركسية اللينينية وللطريق المشتركة لثورة اكتوبر ، يمكن أن تفهم المبادىء الثورية الواردة في التصريح والبيان فهما صحيحا ويتخذ تجاهها موقف صحيح .

٢ — ما هي المبادىء الثورية للتصريح والبيان ؟ يمكن ان تلخص كالآتي :

يا عمال العالم اتحدوا ، يا عمال العالم وشعوبه المضطهدة وأممه المضطهدة اتحدوا ، وعارضوا الاستعمار ورجعيي مختلف البلدان ، وناضلوا في سبيل السلم العالمي والتحرر الوطني والديمقراطية الشعبية والاشتراكية ، ودعموا ووسعوا المعسكر الاشتراكي ، وسيروا بالثورة

البروليتارية العالمية خطوة خطوة الى النصر الكامل ، وأقيموا عالما جديدا خاليا من الاستعمار والرأسمالية ونظام استغلال الانسان للانسان .

هذا في نظرنا هو الخط العام للحركة الشيوعية العالمية في المرحلة الراهنة .

٣ — ان الخط العام هذا ينطلق من الوضع العالمي الواقعي ككل ومن التحليل الطبقي للتناقضات الأساسية في العالم المعاصر كما هو موجه ضد الاستراتيجية العالمية المعادية للثورة لدى الاستعمار الأميركي .

وان الخط العام هذا هو خط لتنظيم الجبهة المتحدة الواسعة التي يكون المعسكر الاشتراكي والبروليتاريا العالمية قلبها والتي تعارض الاستعمار ورجعيي مختلف البلدان برئاسة الولايات المتحدة ، وهو خط لتعبئة الجماهير بصورة جريئة ولتوسيع القوى الثورية وكسب قوى الوسط وعزل القوى الرجعية .

وان الخط العام هذا هو خط لشن النضالات الثورية بحزم من قبل شعوب مختلف البلدان وللسير بالثورة البروليتارية العالمية الى النهاية ، وهو أيضا خط لمناهضة الاستعمار وصيانة السلم العالمي بأكثر صورة فعالة .

واذا حدد الخط العام للحركة الشيوعية العالمية من جانب واحد بأنه هو « التعايش السلمي » و« المباراة السلمية » و« الانتقال السلمي » فان ذلك نقض للمبادىء الثورية الواردة في تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ ، وتخل عن المهمة التاريخية للثورة البروليتارية العالمية ، وانحراف عن التعاليم الثورية للماركسية اللينينية .

ان الخط العام للحركة الشيوعية العالمية يجب أن يعكس القانون العام

لتطور تاريخ العالم . ان النضالات الثورية لدى البروليتاريا والشعوب في مختلف البلدان سوف تسير عبر مراحل مختلفة ، وستكون لها خصائصها المميزة ، ولكنها سوف لا تتخطى القانون العام لتطور تاريخ العالم . وان هذا الخط العام يجب أن يوضح الاتجاه الأساسي للنضالات الثورية لدى البروليتاريا والشعوب في مختلف البلدان .

عندما يضع كل حزب شيوعي أو عمالي خطه المحدد وسياساته المحددة ، يكون في أرقى درجات الأهمية أن يلتزم بمبدأ ربط الحقيقة العامة للماركسية اللينينية بالممارسة العملية المحددة للثورة والبناء في بلده الخاص .

٤ ـ ان نقطة الانطلاق في تحديد الخط العام للحركة الشيوعية العالمية هي التحليل الطبقي المحدد للسياسات والاقتصاديات العالمية ككل ، ولواقع الظروف العالمية ، ويعني ذلك التحليل الطبقي المحدد للتناقضات الأساسية في العالم المعاصر .

اذا تجنب المرء التحليل الطبقي المحدد وأمسك بظواهر سطحية معينة جزافا وتوصل الى نتائج ذاتية لا أساس لها فانه لا يستطيع أبداً أن يتوصل الى نتائج صحيحة فيما يتعلق بالخط العام للحركة الشيوعية العالمية بل سينزلق حتما الى طريق مغايرة تماما عن طريق الماركسية اللينينية .

ما هي التناقضات الأساسية في العالم المعاصر ؟ يرى الماركسيون اللينينيون دائما أن هذه التناقضات الأساسية هي :

التناقض بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الاستعماري ؛

التناقض بين البروليتاريا والبرجوازية في البلدان الرأسمالية ؛

التناقض بين الأمم المضطهَدة والاستعمار ؛

التناقضات فيما بين البلدان الاستعمارية وفيما بين الجماعات الرأسمالية الاحتكارية .

ان التناقض بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الاستعماري هو تناقض بين نظامين اجتماعيين مختلفين جوهريا هما الاشتراكية والرأسمالية، ولا شك أن هذا التناقض حاد جدا . ولكن الماركسيين اللينينيين يجب ألا يعتبروا التناقضات في العالم مجرد تناقض بين المعسكرين الاشتراكي والاستعماري لا غير .

لقد تغير ميزان القوى العالمية ، وأصبح بصورة متزايدة في صالح الاشتراكية والشعوب والأمم المضطهَدة في العالم ، وليس في صالح الاستعمار ورجعيي البلدان المختلفة قطعا . ومع ذلك فالتناقضات المذكورة آنفا ما زالت قائمة موضوعيا .

ان هذه التناقضات والنضالات الناتجة عنها متداخلة بعضها بالبعض ويؤثر بعضها في البعض الآخر . ولا يمكن للمرء أن يمحو أي تناقض من هذه التناقضات الأساسية أو أن يضع تناقضا محل كل التناقضات الأخرى كما يشاء .

ومن المحتم أن تؤدي هذه التناقضات الى ثورات الشعوب ، تلك الثورات التي بامكانها وحدها حل هذه التناقضات .

٥ — ان الآراء الخاطئة الآتية والمتعلقة بقضية التناقضات الأساسية في العالم المعاصر ينبغي أن تدحض :

(أ) الرأي الذي يمحو المحتوى الطبقي للتناقض بين المعسكرين الاشتراكي والاستعماري ولا ينظر الى هذا التناقض باعتباره تناقضا بين دول تحت ديكتاتورية البروليتاريا ودول تحت ديكتاتورية الرأسماليين

الاحتكاريين ؛

(ب) الرأي الذي يعترف فقط بالتناقض بين المعسكرين الاشتراكي والاستعماري بينما يهمل أو يقلل من أهمية التناقضات بين البروليتاريا والبرجوازية في العالم الرأسمالي ، وبين الأمم المضطهدة والاستعمار ، وفيما بين البلدان الاستعمارية ، وفيما بين الجماعات الرأسمالية الاحتكارية ، والنضالات التي تثيرها هذه التناقضات ؛

(ج) الرأي القائل بأن التناقض بين البروليتاريا والبرجوازية في العالم الرأسمالي يمكن أن يحل بدون ثورة بروليتارية في كل بلد من البلدان ، وبأن التناقض بين الأمم المضطهَدة والاستعمار يمكن أن يحل بدون ثورة من قبل الأمم المضطهَدة ؛

(د) الرأي الذي ينكر أن تطور التناقضات الكامنة في العالم الرأسمالي المعاصر لا بد أن يؤدي الى وضع جديد تنجرّ فيه البلدان الاستعمارية الى صراع حاد ، ويؤمن بأن التناقضات فيما بين البلدان الاستعمارية يمكن أن تسوى أو حتى يمكن ازالتها عن طريق « اتفاقيات دولية فيما بين الرأسماليين الاحتكاريين الكبار » ؛

(هـ) الرأي القائل بأن التناقض بين النظامين العالميين الاشتراكي والرأسمالي سوف يختفي بصورة أوتوماتيكية خلال « المباراة الاقتصادية » ، وبأن التناقضات الأساسية الأخرى في العالم ستتلاشى بصورة أوتوماتيكية أيضا مع تلاشي التناقض بين هذين النظامين وبأن « عالما لا حروب فيه » وعالما جديدا يتصف بـ « التعاون في جميع الوجوه » سيظهر الى الوجود .

واضح أن الآراء الخاطئة هذه لا بد أن تؤدي الى سياسات خاطئة

وضارة ومن ثم تجلب النكسات والخسائر من هذا النوع أو ذاك على قضية الشعوب والاشتراكية .

٦ – لقد طرأ تغير جذري منذ الحرب العالمية الثانية على ميزان القوى بين الاستعمار والاشتراكية . والدلالة الرئيسية على هذا التغير هي أن العالم الآن لم يعد عالما فيه بلد اشتراكي واحد فقط بل ظهر فيه عدد من البلدان الاشتراكية التي تشكل المعسكر الاشتراكي الجبار ، وأن الشعوب التي اتخذت طريق الاشتراكية الآن لم يعد تعدادها قرابة مائتي مليون نسمة بل بلغ ألف مليون أو ثلث سكان العالم .

ان المعسكر الاشتراكي هو وليد نضالات البروليتاريا العالمية وشغيلة العالم . وانه ملك لشعوب البلدان الاشتراكية كما هو ملك للبروليتاريا العالمية وشغيلة العالم .

ان المطالب المشتركة لدى شعوب بلدان المعسكر الاشتراكي والبروليتاريا العالمية وشغيلة العالم هي في الأساس أنه يجب على الأحزاب الشيوعية والعمالية في المعسكر الاشتراكي

أن تلتزم بالخط الماركسي اللينيني وتتبع سياسات ماركسية لينينية صحيحة في الداخل والخارج ؛

أن تدعم ديكتاتورية البروليتاريا والتحالف بين العمال والفلاحين تحت قيادة البروليتاريا ، وتسير بالثورة الاشتراكية الى أمام حتى النهاية في الميادين الاقتصادية والسياسية والايديولوجية ؛

أن تطور روح المبادرة والخلق لدى الجماهير الشعبية الغفيرة ، وتنهض بالبناء الاشتراكي بصورة مخططة ، وتطور الانتاج ،

وتحسن معيشة الشعب ، وتعزز الدفاع الوطني ؛
أن تدعم وحدة المعسكر الاشتراكي على أساس الماركسية اللينينية ، وتؤيد البلدان الاشتراكية الأخرى على أساس الأممية البروليتارية ؛
أن تعارض السياسات العدوانية والحربية التي يتبعها الاستعمار ، وتدافع عن السلم العالمي ؛
أن تعارض السياسات المعادية للشيوعية والشعب والثورة ، التي يتبعها الرجعيون في جميع البلدان ؛
أن تساعد النضالات الثورية التي تخوضها الطبقات والأمم المضطهَدة في العالم بأسره .

ان انجاز هذه المطالب هو واجب الأحزاب الشيوعية والعمالية في بلدان المعسكر الاشتراكي تجاه شعوبها وتجاه البروليتاريا والشغيلة في العالم .

وبانجاز هذه المطالب فان المعسكر الاشتراكي سيؤثر تأثيرا حاسما في تقدم التاريخ البشري .

ولهذا السبب بالذات يحاول المستعمرون والرجعيون دائما وبكل وسيلة التأثير في السياسات الداخلية والخارجية لبلدان المعسكر الاشتراكي وتقويض المعسكر الاشتراكي وتمزيق وحدة البلدان الاشتراكية وخاصة وحدة الصين والاتحاد السوفياتي . وانهم يحاولون دائما التسلل الى البلدان الاشتراكية والقيام بالأعمال الهدامة فيها ويداعبهم الأمل المغرور في تحطيم المعسكر الاشتراكي .

ان مسألة ما هو الموقف الصحيح تجاه المعسكر الاشتراكي هي مسألة مبدئية هامة جدا تواجه جميع الأحزاب الشيوعية والعمالية .

تقوم الأحزاب الشيوعية والعمالية الآن في ظروف تاريخية جديدة بتنفيذ الواجب الأممي البروليتاري واجب الوحدة والنضال . وعندما كان في العالم بلد اشتراكي واحد فقط وعندما كان هذا البلد معرضا لعداء وتهديد كل المستعمرين والرجعيين لاتباعه الحازم الخط الماركسي اللينيني الصحيح والسياسات الماركسية اللينينية الصحيحة ، كان المحك لاختبار الأممية البروليتارية لكل حزب شيوعي هو ما اذا كان يدافع بحزم عن هذا البلد الاشتراكي الوحيد أم لا ؟ أما الآن وقد أصبح في العالم معسكر اشتراكي يتكون من ثلاثة عشر بلدا : ألبانيا والاتحاد السوفياتي وجمهورية ألمانيا الديمقراطية وبلغاريا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والصين وجمهورية الفيتنام الديمقراطية وكوبا وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ومنغوليا وهنغاريا ، فالمحك لاختبار الأممية البروليتارية لكل حزب شيوعي في هذه الظروف هو ما اذا كان يدفع بحزم أم لا عن المعسكر الاشتراكي كله ، وما اذا كان يدافع أم لا يدافع عن وحدة بلدان هذا المعسكر كلها على أساس الماركسية اللينينية ، وما اذا كان يدافع أم لا يدافع عن الخط الماركسي اللينيني والسياسات الماركسية اللينينية التي يجب أن تسير عليها البلدان الاشتراكية .

واذا لم يتبع أي فرد الخط الماركسي اللينيني الصحيح والسياسات الماركسية اللينينية الصحيحة ولم يدافع عن وحدة المعسكر الاشتراكي ، بل خلق ، على النقيض من ذلك ، التوتر والانقسامات في داخل المعسكر الاشتراكي الى حد اتباع سياسات المحرفين اليوغوسلافيين ، وحاول تصفية

المعسكر الاشتراكي أو ساعد البلدان الرأسمالية على مهاجمة البلدان الاشتراكية الشقيقة ، اذن فهو يخون مصالح البروليتاريا العالمية كلها ومصالح شعوب العالم بأسره .

واذا اتبع أي فرد خطى الآخرين ودافع عن الخط الانتهازي الخاطىء والسياسات الانتهازية الخاطئة التي يتبعها بلد اشتراكي معين ، بدل التمسك بالخط الماركسي اللينيني الصحيح والسياسات الماركسية اللينينية الصحيحة التي يجب على البلدان الاشتراكية أن تتبعها ، ودافع عن سياسة الانقسام بدل التمسك بسياسة الوحدة ، اذن فقد شط عن الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية .

٧ ــ لقد حل المستعمرون الأميركيون بالافادة من الوضع عقب الحرب العالمية الثانية محل الفاشست الألمانيين والايطاليين واليابانيين وحاولوا اقامة أمبراطورية عالمية ضخمة لا مثيل لها من قبل . وكانت الأهداف الاستراتيجية للاستعمار الأميركي دائما هي العدوان والسيطرة على المنطقة الوسطى الواقعة بين الولايات المتحدة والمعسكر الاشتراكي ، واخماد ثورات الشعوب والأمم المضطهَدة ، والسير للقضاء على البلدان الاشتراكية ووضع جميع الشعوب والبلدان في العالم ، بما فيها حلفاء الولايات المتحدة ، تحت استعباد وسيطرة الرأسمال الاحتكاري الأميركي .

ومنذ الحرب العالمية الثانية ظل المستعمرون الأميركيون يروجون للحرب ضد الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي . ولهذه الدعاية جانبان : بينما يستعد المستعمرون الأميركيون فعلا لمثل هذه الحرب يستخدمون هذه الدعاية أيضا كستار دخاني لتغطية اضطهادهم للشعب الأميركي ولتوسيع عدوانهم على بقية العالم الرأسمالي .

وقد جاء في بيان عام ١٩٦٠ :

« ان الاستعمار الأميركي قد أصبح أكبر مستثمِر عالمي : »

« وان الولايات المتحدة الأميركية هي الحصن الرئيسي للحكم الاستعماري المعاصر . »

« وان الاستعمار الأميركي هو القوة الرئيسية للعدوان والحرب . »

« وان سير الأحداث العالمية في السنوات الأخيرة قد أتى بالكثير من الدلائل الجديدة على كون الاستعمار الأميركي هو الملاذ الرئيسي للرجعية العالمية والدرك الدولي وعدو شعوب العالم بأسره . »

ان الاستعمار الأميركي يدفع سياساته العدوانية والحربية في كل أرجاء العالم ، ولكن النتيجة ستكون حتما على نقيض ما يريد وستكون فقط تعجيل يقظة الشعوب في كل البلدان ودفع ثوراتها الى أمام .

وهكذا وضع المستعمرون الأميركيون أنفسهم في موضع المعارضة لشعوب العالم أجمع وأصبحوا مطوقين بهذه الشعوب . ان البروليتاريا العالمية يجب ويمكنها أن توحد جميع القوى التي يمكن توحيدها وتستفيد من التناقضات الداخلية في معسكر العدو وتؤسس أوسع جبهة متحدة ضد المستعمرين الأميركيين وأتباعهم .

ان الطريق الواقعي الصحيح هو أن يكون مصير الشعوب والبشرية رهنا على وحدة ونضال البروليتاريا العالمية وعلى وحدة ونضال الشعوب في كل البلدان .

وعلى النقيض من ذلك فان عدم التمييز بين الأعداء من جانب وبين الأصدقاء وأنفسنا من الجانب الآخر وتعليق مصير الشعوب والبشرية على التعاون مع الاستعمار الأميركي فان ذلك معناه حرف الناس الى طريق

الضلال . وهذا وهم قد دحضته وقائع السنوات القلائل الماضية .

٨ ــ ان مناطق آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية الواسعة هي المناطق التي تتجمع فيها مختلف أنواع التناقضات في العالم المعاصر ، والاستعمار أضعف ما يكون سيطرة في هذه المناطق ، وهي مراكز عواصف الثورة العالمية التي تسدد الآن الضربات المباشرة الى الاستعمار .

ان الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية في هذه المناطق وحركة الثورة الاشتراكية العالمية هما التياران التاريخيان العظيمان في عهدنا الحاضر .

ان الثورة الوطنية الديمقراطية في هذه المناطق هي جزء هام من الثورة البروليتارية العالمية المعاصرة .

ان النضالات الثورية المعادية للاستعمار التي تخوضها شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية تدك وتقوض أسس سيطرة الاستعمار والحكم الاستعماري القديم والجديد بقوة وهي الآن قوة جبارة لصيانة سلام العالم .

لذلك وبمعنى خاص ، فان قضية الثورة البروليتارية العالمية برمتها تدور على النضالات الثورية لدى شعوب هذه المناطق ، التي تشكل الأغلبية العظمى من سكان العالم .

لذلك فان النضالات الثورية المعادية للاستعمار التي تخوضها شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ليست قطعا أمرا ذا مغزى اقليمي ولكنها أمر ذو أهمية عامة بالنسبة الى قضية الثورة البروليتارية العالمية بأكملها .

ان أشخاصا معينين الآن يذهبون الى حد انكار المغزى العالمي العظيم للنضالات الثورية المعادية للاستعمار التي تخوضها شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، وبحجة تحطيم الحواجز القومية واللونية

والجغرافية يحاولون بكل ما في وسعهم محو الخط الفاصل بين الأمم المضطهَدة والمضطهِدة وبين البلدان المضطهَدة والمضطهِدة وكبت النضالات الثورية لشعوب هذه المناطق . وهذا في واقع الأمر خدمة لحاجات الاستعمار ولخلق « نظرية » جديدة لتبرير حكم الاستعمار في هذه المناطق وترويج سياسات حكمه الاستعماري القديم والجديد . ان هذه « النظرية » في واقع الأمر لا تسعى لتحطيم الحواجز القومية واللونية والجغرافية بل تسعى للابقاء على حكم « الأمم المتفوِقة » على الأمم المضطهَدة . فطبيعي ومعقول جدا اذن أن تقابل هذه « النظرية » الخداعة بالرفض من قبل شعوب هذه المناطق .

ان الطبقة العاملة في كل بلد اشتراكي وفي كل قطر رأسمالي عليها أن تضع فعلا موضع التنفيذ الحقيقي الشعارين النضاليين شعار « يا عمال العالم اتحدوا ! » وشعار « يا عمال العالم وأممه المضطهَدة اتحدوا ! » ، وعليها أن تدرس الخبرة الثورية لدى شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، وأن تؤيد هذه الشعوب بحزم في نشاطاتها الثورية وتعتبر قضية تحررها أعظم مساندة تعتمد عليها ومتفقة رأسا مع مصالحها . ذلك هو الطريق الفعال الوحيد لتحطيم الحواجز القومية واللونية والجغرافية وذلك وحده هو الأممية البروليتارية الحقيقية .

ان الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية الأوروبية والأميركية لا يمكن أن تحرر نفسها ان لم تتحد مع الأمم المضطهَدة وان لم تتحرر تلك الأمم . لقد أصاب لينين عندما قال :

ان الحركة الثورية في البلدان المتقدمة تصبح فعلا أكذوبة

محضة اذا لم يتحد عمال أوروبا وأميركا في نضالهم ضد الرأسمال اتحادا وثيقا تاما مع مئات ومئات الملايين من عبيد « المستعمَرات » الذين يضطهدهم الرأسمال (١) .

ان اشخاصا معينين في صفوف الشيوعية العالمية يذهبون الآن الى اتخاذ موقف سلبي أو موقف الازدراء أو موقف الانكار تجاه نضالات الأمم المضطهَدة من أجل التحرر . وهم في الحقيقة يحمون مصالح الطبقة الرأسمالية الاحتكارية ويخونون مصالح البروليتاريا وينحطون فيصبحون اشتراكيين — ديمقراطيين .

والموقف الذي يتخذ تجاه النضالات الثورية لدى الشعوب في بلدان آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية هو مقياس هام لتمييز الذين يريدون الثورة عمن لا يريدونها ، ولتمييز الذين يدافعون حقا عن السلم العالمي عن الذين يعينون قوى العدوان والحرب .

٩ — تواجه الأمم والشعوب المضطهَدة في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية المهمة الملحة مهمة محاربة الاستعمار وأتباعه .

ان التاريخ ألقى على عواتق الأحزاب البروليتارية في هذه المناطق رسالة مجيدة هي أن ترفع عاليا راية معارضة الاستعمار ومعارضة الحكم الاستعماري القديم والجديد وتحقيق الاستقلال الوطني والديمقراطية الشعبية ، وأن تقف في مقدمة الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية ، وأن تكافح من أجل مستقبل اشتراكي .

---

(١) لينين : « المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية » .

ان أقساما واسعة جدا من السكان في هذه المناطق ترفض أن تصير عبيدا للاستعمار ، ولا تشتمل هذه الأقسام فقط على العمال والفلاحين والمثقفين والبرجوازيين الصغار وحسب بل تشتمل أيضا على البرجوازيين المحليين الوطنيين وحتى بعض الملوك والأمراء والارستقراطيين الوطنيين .

على البروليتاريا وحزبها أن يثقا بقوة الجماهير الشعبية وأن يتحدا قبل كل شيء مع الفلاحين وأن يؤسسا تحالفا وطيدا بين العمال والفلاحين . ومما هو ذو أهمية من الدرجة الأولى بالنسبة للأفراد الطليعيين من البروليتاريا أن يعملوا في مناطق الريف ويساعدوا الفلاحين على تنظيم أنفسهم ويرفعوا وعيهم الطبقي وعزة النفس القومية والثقة بالنفس .

وينبغي للبروليتاريا وحزبها أن يوحدا على أساس التحالف بين العمال والفلاحين جميع الفئات التي يمكن توحيدها وأن ينظما جبهة متحدة واسعة ضد الاستعمار وأتباعه . ومن أجل تعزيز وتوسيع هذه الجبهة المتحدة من الضروري أن يحتفظ الحزب البروليتاري باستقلاله الايديولوجي والسياسي والتنظيمي وأن يصر على قيادة الثورة .

على الحزب البروليتاري وجماهير الشعب الثورية أن تتعلم كيف تتقن النضال بجميع أشكاله بما في ذلك النضال المسلح . عليها أن تهزم القوة المسلحة المعادية للثورة ، بالقوة المسلحة الثورية كلما لجأ الاستعمار وأتباعه الى القمع المسلح .

ان البلدان الوطنية التي كسبت استقلالها السياسي حديثا لا تزال تواجه المهمات الشاقة لتوطيد الاستقلال السياسي ، وتصفية القوى الاستعمارية والرجعية المحلية ، وانجاز الاصلاح الزراعي والاصلاحات

الاجتماعية الأخرى ، وتطوير اقتصادها الوطني وثقافتها الوطنية : انه لذو أهمية عملية وحاسمة بالنسبة لهذه البلدان أن تكون على حذر وتحارب سياسات الحكم الاستعماري الجديد التي يسير عايها الحكام المستعمرون القدامى للحفاظ على مصالحهم وخاصة عليها أن تحذر وتحارب الحكم الاستعماري الجديد الأميركي .

وفي بعض هذه البلدان تواصل البرجوازية المحلية الوطنية الوقوف بجانب جماهير الشعب في النضال ضد الاستعمار والحكم الاستعماري ، وتتخذ اجراءات معينة في صالح التقدم الاجتماعي . وهذا يتطلب من الحزب البروليتاري أن يقدر الدور التقدمي الذي تلعبه البرجوازية المحلية الوطنية تقديرا وافيا وأن يعزز الاتحاد معها .

وبازدياد حدة التناقضات الاجتماعية الداخلية والصراع الطبقي العالمي أخذ البرجوازيون وخاصة البرجوازيون الكبار في بعض البلدان المستقلة حديثا يميلون الى الاستعمار أكثر فأكثر ، ويعتمدون عليه ، ويتبعون سياسات معادية للشعب والشيوعية والثورة . وهذا يتطلب من الحزب البروليتاري أن يعارض بحزم هذه السياسات الرجعية .

وان البرجوازية بصفة عامة في هذه البلدان ذات طبيعة مزدوجة : فعندما يجري تشكيل الجبهة المتحدة مع البرجوازية ينبغي للحزب البروليتاري أن يتبع سياسة الاتحاد والنضال في آن واحد . وينبغي أن يتبع سياسة الاتحاد مع البرجوازية طالما كانت تميل نحو التقدمية ومعادية للاستعمار والاقطاع ، ولكن ينبغي أن ينتهج سياسة النضال ضد ميولها الرجعية ، ميول المصالحة والتواطء مع الاستعمار والقوى الاقطاعية .

وفيما يختص بالمسألة القومية فان نظرة الحزب البروليتاري الى العالم هي الأممية لا القومية . وفي النضال الثوري يؤيد الحزب البروليتاري القومية التقدمية ويعارض القومية الرجعية . ويجب عليه دائما أن يرسم خطا فاصلا واضحا بين نفسه وبين القومية البرجوازية ولا ينبغي له أبدا أن يقع أسيرا لها .

جاء في بيان عام ١٩٦٠ :

ان الشيوعيين يفضحون محاولات الجناح الرجعي من البرجوازية اظهار المصالح الأنانية لهذه الطبقة على أنها مصالح الأمة جمعاء ، وهم يفضحون الاستخدام الديماغوجي من جانب بعض السياسيين البرجوازيين ، للشعارات الاشتراكية من أجل الهدف نفسه . . .

واذا أصبحت البروليتاريا ذيلا للاقطاعيين والبرجوازيين في الثورة ، فانه لا يمكن أن يحقق نصر حقيقي كامل للثورة الوطنية الديمقراطية بل وحتى اذا تحقق نوع من النصر فانه من غير الممكن أيضا أن يوطد ذلك النصر .

وفي مجرى النضالات الثورية التي تخوضها الأمم والشعوب المضطهَدة يجب على الحزب البروليتاري أن يضع برنامجه الخاص به الذي هو كليا ضد الاستعمار والرجعية المحلية ومن أجل الاستقلال الوطني والديمقراطية الشعبية ، وعليه أن يعمل مستقلا بين الجماهير ويوسع بلا انقطاع القوى التقدمية ويكسب القوى الوسطى ويعزل القوى الرجعية ؛ وبذلك فقط يمكنه أن يسير بالثورة الوطنية الديمقراطية الى النهاية ويوجه الثورة الى طريق الاشتراكية .

١٠ ـ في البلدان الاستعمارية والرأسمالية فان الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا هما ضروريتان لحل تناقضات المجتمع الرأسمالي حلا كاملا .

وفي سبيل انجاز هذا الواجب يجب على الحزب البروليتاري تحت الظروف الراهنة أن يقود الطبقة العاملة والشغيلة الآخرين بصورة نشطة في النضالات لمعارضة الرأسمال الاحتكاري وللدفاع عن الحقوق الديمقراطية ولمعارضة خطر الفاشستية ولتحسين ظروف المعيشة ولمعارضة توسيع الاستعمار للتسلح واستعداداته للحرب ولصيانة السلم العالمي ولتأييد النضالات الثورية التي تقوم بها الأمم المضطهَدة تأييدا نشطا .

وفي البلدان الرأسمالية التي يسيطر عليها الاستعمار الأميركي أويحاول السيطرة عليها ، ينبغي على الطبقة العاملة وجماهير الشعوب أن توجه هجومها بصورة رئيسية الى الاستعمار الأميركي ، وأيضا الى الطبقة الرأسمالية الاحتكارية والقوى الرجعية المحلية الأخرى التي تخون المصالح الوطنية .

ان النضالات الجماهيرية الواسعة النطاق في البلدان الرأسمالية خلال السنوات الأخيرة أظهرت أن الطبقة العاملة والجماهير الكادحة الأخرى في هذه البلدان أصبحت في يقظة جديدة . ونضالاتها التي توجه الضربات الى الرأسمال الاحتكاري والرجعية قد فتحت آفاقا مشرقة للقضية الثورية في بلدانها ، كما أنها تشكل مساندة قوية للنضالات الثورية التي تخوضها شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ولبلدان المعسكر الاشتراكي .

ان الأحزاب البروليتارية في البلدان الاستعمارية أو الرأسمالية

يجب عليها أن تحتفظ باستقلالها الايديولوجي والسياسي والتنظيمي في قيادة النضالات الثورية . وفي نفس الوقت عليها أن توحد جميع القوى الممكن توحيدها وأن تقيم جبهة متحدة واسعة ضد الرأسمال الاحتكاري وضد السياسات الاستعمارية للعدوان والحرب .

وأثناء قيادة النضالات المباشرة قيادة فعالة ، ينبغي للشيوعيين في البلدان الرأسمالية أن يربطوا هذه النضالات بالنضال من أجل المصالح الطويلة الأمد والعامة ، ويعلموا الجماهير بروح ثورية ماركسية لينينية ، ويرفعوا دون انقطاع وعيها السياسي ويضطلعوا بالواجب التاريخي للثورة البروليتارية . وان لم يفعلوا ذلك ، وان اعتبروا الحركة المباشرة كل شيء وحددوا تصرفاتهم تبعا لكل حالة منفردة وحصروا أنفسهم في الأحداث اليومية وضحوا بمصالح البروليتاريا الأساسية ، فان ذلك هو الاشتراكية — الديمقراطية قلبا وقالبا .

ان الاشتراكية — الديمقراطية هي اتجاه ايديولوجي برجوازي . وقد أشار لينين منذ وقت بعيد الى أن الأحزاب الاشتراكية — الديمقراطية هي فرق سياسية للبرجوازيين وعميلتهم في حركة الطبقة العاملة وسندهم الاجتماعي الرئيسي . يجب على الشيوعيين في كل وقت أن يرسموا خطا فاصلا واضحا بين أنفسهم وبين الأحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية حول القضية الأساسية للثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا ، ويصفّوا النفوذ الايديولوجي للاشتراكية — الديمقراطية في الحركة العمالية العالمية وفي وسط شغيلة العالم . ولا شك أبدا أنه يجب على الشيوعيين كسب الجماهير الواقعة تحت نفوذ الأحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية وكسب العناصر اليسارية والوسطى في داخل الأحزاب الاشتراكية ـ

الديمقراطية ، تلك العناصر التي ترغب في معارضة الرأسمال الاحتكاري المحلي وسيطرة الاستعمار الأجنبي ، وأن يتحدوا معها في النشاطات الواسعة المشتركة للنضال اليومي لدى حركة الطبقة العاملة وللنضال من أجل صيانة السلم العالمي .

من أجل قيادة البروليتاريا والشغيلة الآخرين في الثورة يجب على الأحزاب الماركسية اللينينية أن تكون بارعة في النضال بجميع أشكاله وأن تستبدل بسرعة شكلا بآخر عندما تتغير ظروف النضال . ولا يمكن لطليعة البروليتاريا أن تبقى مانعة لا تغلب في جميع الظروف الا اذا برعت في جميع أشكال النضال - السلمي والمسلح ، العلني والسري ، الشرعي وغير الشرعي ، البرلماني والجماهيري الخ .. وانه لخطأ أن يرفض استعمال شكل النضال البرلماني والأشكال الشرعية الأخرى للنضال ، في الوقت الذي يجب فيه أن تستعمل ويمكن أن تستعمل . ولكن اذا انحط حزب ماركسي لينيني وأصبح مفتونا بالبرلمانية والقانونية وحصر النضال في الحدود التي يسمح بها البرجوازيون فان ذلك سيؤدي حتما الى نبذ الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا .

١١ – وبخصوص مسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يجب على الحزب البروليتاري أن ينطلق من موقف الصراع الطبقي والثورة وأن يرتكز على التعاليم الماركسية اللينينية الخاصة بالثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا .

ان الشيوعيين يفضلون دائما احداث الانتقال الى الاشتراكية بالوسائل السلمية . ولكن هل يمكن جعل الانتقال السلمي مبدأ استراتيجيا عالميا جديدا للحركة الشيوعية العالمية ؟ قطعا لا .

ان الماركسية اللينينية ترى دائما أن المسألة الأساسية لجميع الثورات هي مسألة سلطة الدولة . وقد ورد بوضوح في تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ ان « اللينينية تعلم ، والتجربة التاريخية تثبت ، أن الطبقات المسيطرة لا تتخلى عن الحكم طوعا . » ان الحكومة الهرمة لا تسقط أبدا من تلقاء نفسها حتى في زمن الأزمة ، ما لم تدفع . وهذا قانون عام للصراع الطبقي .

وقد أشار ماركس ولينين في ظروف تاريخية محددة الى امكانية التطور السلمي للثورة . ولكن التطور السلمي للثورة ، كما قال لينين ، هو « فرصة استثنائية نادرة في تاريخ الثورات » .

وفي الواقع لم توجد بعد في تاريخ العالم سابقة واحدة في الانتقال السلمي من الرأسمالية الى الاشتراكية .

ويقول أشخاص معينون : لم تكن هناك سابقة عندما تنبأ ماركس بأن الاشتراكية ستحل حتما محل الرأسمالية ، فلماذا لا يمكننا ان نتنبأ بانتقال سلمي من الرأسمالية الى الاشتراكية رغم عدم وجود سابقة ؟

ان هذا التشبيه تشبيه سخيف . وحلل ماركس ، مستخدما المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، تناقضات المجتمع الرأسمالي واكتشف القوانين الموضوعية لتطور المجتمع البشري وتوصل الى نتيجة علمية ، بينما الأنبياء الذين يعلقون كل آمالهم على « الانتقال السلمي » ينطلقون من المثالية التاريخية ويمحون أهم التناقضات الأساسية للمجتمع الرأسمالي ويناقضون التعاليم الماركسية اللينينية حول الصراع الطبقي ، ثم يتوصلون الى نتيجة ذاتية لا أساس لها . فكيف يمكن لهؤلاء الناس الذين يناقضون الماركسية أن يجدوا أية مساعدة من ماركس ؟

واضح لكل فرد أن البلدان الرأسمالية تعزز الآن جهاز الدولة وبخاصة أجهزتها العسكرية . والغرض الرئيسي من ذلك هو قمع الشعب في بلادها ذاتها .

ان الحزب البروليتاري لا ينبغي له أبدا أن يبني تفكيره وسياساته الموضوعة للثورة وجميع أعماله على افتراض أن الاستعمار والرجعيين سيقبلون تحولا سلميا .

يجب على الحزب البروليتاري أن يعد نفسه لاحتمالين - بينما يعد لتطور سلمي للثورة ، يجب عليه أيضا أن يعد اعدادا كاملا لتطور غير سلمي للثورة . يجب على الحزب البروليتاري أن يركز على العمل الشاق عمل تجميع القوة الثورية حتى يكون على استعداد لانتزاع النصر عندما تنضج الشروط للثورة ، أو لتسديد ضربات قوية الى المستعمرين والرجعيين عندما يشنون هجوما مفاجئا أو هجوما مسلحا .

واذا لم ينجز الحزب البروليتاري هذه الاعدادات فانه سيشل الارادة الثورية لدى البروليتاريا ويجرد نفسه من السلاح ايديولوجيا ويقع في حالة سلبية تماما هي عدم الاستعداد من الناحية السياسية والتنظيمية ، والأمر الذي يؤدي الى دفن قضية الثورة البروليتارية .

١٢ - ان جميع الثورات الاجتماعية في مراحل التاريخ البشري المختلفة هي حتمية تاريخية وتخضع لقوانين موضوعية مستقلة عن ارادة الانسان . وفضلا عن ذلك فان التاريخ قد دل على أنه ما من ثورة أحرزت النصر بدون تعرجات وتضحيات .

ان واجب الحزب البروليتاري هو أن يحلل على أساس النظرية

الماركسية اللينينية الظروف التاريخية المحددة ، ويضع الاستراتيجية والتاكتيك الصحيحين ، ويقود الجماهير الشعبية الى تخطي الصخور الخفية ويتجنب التضحيات غير اللازمة حتى يحقق الهدف خطوة فخطوة . هل يمكن تجنب التضحيات كليا ؟ لم يكن الأمر هكذا بالنسبة لثورات العبيد ، وثورات الأقنان ، والثورات البرجوازية ، أوالثورات الوطنية كما لم يكن الحال كذلك بالنسبة للثورات البروليتارية . وحتى ولو كان الخط المرشد للثورة صحيحا فانه من المستحيل وجود ضمان كامل لانعدام النكسات والتضحيات في مجرى الثورة . وطالما تم الالتزام بالخط الصحيح فان الثورة لا بد أن تنتصر في النهاية . ان التخلي عن الثورة بحجة تجنب التضحيات هو في الحقيقة مطالبة الشعوب بأن تبقى مستعبَدة أبدا ، وأن تصبر على آلام وتضحيات لا حد لها .

ان أبجدية الماركسية اللينينية تعلمنا أن مخاض ثورة أخف بكثير من ألم المجتمع القديم المزمن . وقد أصاب لينين حين قال : « وحتى اذا كان مجرى الحوادث سلميا الى أقصى درجة فان النظام (الرأسمالي) الحاضر يفرض دائما وحتما على الطبقة العاملة تضحيات لا تحصى . » (١)

وكل من يظن أنه يمكن القيام بالثورة فقط عندما يكون كل شيء سهلا طيعا وفقط عندما يوجد ضمان مسبق لانعدام التضحيات والفشل هو ليس ثوريا قطعا .

مهما كانت الظروف صعبة وكيفما كانت التضحيات جمة

---

(١) لينين : « صراع آخر » .

والفشل الذي قد تتكبده الثورة كبيرا ، فانه يجب على الثوريين البروليتاريين أن يعلموا الجماهير بروح الثورة ، وأن يرفعوا عاليا راية الثورة ، لا أن يتخلوا عنها .

اذا أقدم الحزب البروليتاري على الثورة بصورة طائشة قبل نضوج الظروف الموضوعية فان ذلك يكون مغامرة « يسارية » . واذا لم يجرؤ الحزب البروليتاري على قيادة الثورة وانتزاع سلطة الدولة عندما تكون الظروف الموضوعية ناضجة ، فان ذلك يكون انتهازية يمينية .

وحتى في الأيام العادية عندما يقود الحزب البروليتاري الجماهير للقيام بالنضال اليومي ، عليه أن يعد ويحضر صفوفه والجماهير الشعبية ايديولوجيا وسياسيا وتنظيميا من أجل الثورة ويدفع النضالات الثورية حتى لا تفوته الفرصة لقلب سلطة الرجعية واقامة سلطة دولة جديدة عندما تكون ظروف الثورة ناضجة . والا فان الحزب البروليتاري ستفوته الفرصة في انتزاع نصر الثورة رغم نضوج الظروف الموضوعية .

على الحزب البروليتاري أن يتمسك بالمبادىء تمسكا حازما ، كما يجب عليه أن يكون مرنا ، وعليه في بعض الأحيان أن يساوم مساومة ضرورية تخدم مصالح الثورة . ولكن لا ينبغي له أبدا أن يتخلى عن السياسات القائمة على المبدأ وعن هدف الثورة بحجة المرونة والمساومات الضرورية .

على الحزب البروليتاري أن يقود الجماهير الشعبية الى شن النضالات ضد الأعداء ، ويجب عليه أن يعرف كيف يستفيد من التناقضات الموجودة بين هؤلاء الأعداء . ولكن الغرض من الاستفادة من تلك التناقضات هو تسهيل الوصول الى هدف نضالات الشعب الثورية ،

لا لتصفية هذه النضالات .

لقد أثبتت وقائع لا تحصى أنه حيثما وجد حكم الاستعمار والرجعية الأسود فان الشعب الذي يشكل أكثر من تسعين بالمائة من السكان سيهب ثائرا عاجلا أو آجلا .

واذا عزل الشيوعيون أنفسهم عن المطالب الثورية لدى الجماهير فانهم سيفقدون حتما ثقة الجماهير بهم ، وسيقذف بهم التيار الثوري الى المؤخرة .

واذا سارت الجماعة القيادية في أي حزب من الأحزاب على خط غير ثوري وحولت الحزب الى حزب اصلاحي فان الماركسيين اللينينيين في داخل الحزب وخارجه سيحلون محل تلك الجماعة ويقودون الشعب للقيام بالثورة . واذا لم يحدث هذا فان الثوريين البرجوازيين سيتقدمون لقيادة الثورة ، وسيفقد الحزب البروليتاري قيادتها . وعندما تخون البرجوازية الرجعية الثورة وتقمع الشعب فان خطا انتهازيا سيسبب خسائر مفجعة غير لازمة للشيوعيين والجماهير الثورية .

واذا انزلق الشيوعيون في طريق الانتهازية فانهم سيصبحون وطنيين برجوازيين ويصبحون ذيولا للمستعمرين والبرجوازيين الرجعيين .

هنالك أشخاص معينون يزعمون أنهم قدموا أعظم مساهمات خلاقة للنظرية الثورية منذ وفاة لينين وأنهم وحدهم المصيبون ؛ ولكن المشكوك فيه جدا هو : هل فكروا حقا في الخبرة الشاملة لكل الحركة الشيوعية العالمية ؟ هل اعتبروا حقا مصالح وهدف ومهام الحركة البروليتارية العالمية ككل ؟ هل لديهم فعلا خط عام للحركة الشيوعية العالمية مطابق للماركسية اللينينية ؟

لقد كسبت الحركة الشيوعية العالمية وحركة التحرر الوطني خلال السنوات القلائل الماضية كثيرا من التجارب والدروس . هناك تجارب تستحق تمجيد الناس ، وهناك تجارب تحزن الناس . وعلى الشيوعيين والثوريين في جميع البلدان أن يفكروا ويدرسوا بجد هذه التجارب ، تجارب النجاح وتجارب الفشل ، حتى يستخلصوا من ذلك نتائج صحيحة ودروسا نافعة .

١٣ ـ ان البلدان الاشتراكية تؤيد وتساعد النضالات الثورية التي تخوضها الشعوب والأمم المضطهَدة في العالم قاطبة كما أن هذه النضالات الثورية تؤيد وتساعد البلدان الاشتراكية .

ان حركات التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية والحركات الثورية لدى شعوب البلدان الرأسمالية سند قوي للبلدان الاشتراكية . انه لخطأ تماما أن ينكر ذلك .

والموقف الوحيد الذي ينبغي للبلدان الاشتراكية أن تتخذه ازاء النضالات الثورية لدى الشعوب والأمم المضطهَدة هو موقف عطف حار وتأييد نشط ، ولا ينبغي لها اطلاقا أن تتخذ ازاءها موقف عدم اكتراث أو موقف أنانية قومية أو موقف عصبية أمة كبيرة .

قال لينين : « ان التحالف مع الثوريين في البلدان المتقدمة ومع الشعوب المضطهَدة ضد أي من المستعمرين وجميعهم هو السياسة الخارجية للبروليتاريا . » (١) كل من يعجز عن ادراك هذه النقطة ويعتبر التأييد والمعونة التي تقدمها البلدان الاشتراكية للشعوب والأمم

---

(١) لينين : « السياسة الخارجية للثورة الروسية » .

المضطهَدة عبأ أو احسانا فهو سائر في اتجاه مضاد للماركسية اللينينية والأممية البروليتارية .

ان تفوق النظام الاشتراكي ومنجزات البلدان الاشتراكية في البناء يلعبان دور القدوة والالهام للشعوب والأمم المضطهدة .

ولكن دور القدوة والالهام هذا لا يمكن أبدا أن يحل محل النضالات الثورية لدى الشعوب والأمم المضطهَدة . ولا يمكن لأي شعب أو أمة مضطهَدة أن تتحرر الا بنضالها الثوري الحازم .

بالغ أشخاص معينون في تقدير دور المباراة السلمية وحدها بين البلدان الاشتراكية والبلدان الاستعمارية محاولين وضع المباراة السلمية محل النضالات الثورية لدى جميع الشعوب والأمم المضطهَدة . وطبقا لتبشيرهم يخيل للمرء أن الاستعمار سينهار من تلقاء نفسه خلال هذه المباراة السلمية ، وأن الأمر الوحيد الذي ينبغي لجميع الشعوب والأمم المضطهَدة أن تفعله هو الانتظار في هدوء لحدوث هذا . فهل يوجد بين هذا ووجهات النظر الماركسية اللينينية أي شيء مشترك ؟

وقد اخترع أشخاص معينون فضلا عن ذلك عبارة غريبة هي أن الصين وبعض بلدان اشتراكية أخرى تريد « اثارة حروب » وترويج الاشتراكية بواسطة « الحروب بين الدول » . ان مثل هذه العبارة ليست سوى افتراءات استعمارية ورجعية كما جاء في بيان عام ١٩٦٠ . اذا تحدثنا بصراحة فان غرض أولئك الذين يرددون هذه الافتراءات هو تغطية حقيقة أنهم يعارضون الثورات لدى شعوب وأمم العالم المضطهَدة ويعارضون مساندة الآخرين لهذه الثورات .

١٤ ـ لقد قيل الكثير في السنوات الأخيرة حول قضية الحرب

والسلم . ووجهات نظرنا وسياساتنا حول هذه القضية معروفة لدى كل العالم ، ولا يمكن لأي شخص أن يشوهها .

ولكن من المؤسف أنه رغما من أن أشخاصا معينين في الحركة الشيوعية العالمية يتحدثون كثيرا عن حبهم العظيم للسلم وكراهيتهم للحرب ، الا أنهم لا يرغبون حتى في احراز فهم قليل للحقيقة البسيطة الواضحة التي عرضها لينين بشأن قضية الحرب .

قال لينين :

« يبدو لي أن الشيء الأساسي الذي ينسى عادة والذي لم يلق الانتباه الملائم حول قضية الحرب ، مما أدى الى اثارة كثير من الجدال — وبودي أن أقول انه جدال عقيم يائس ولا غرض منه — هو أن الناس ينسون المسألة الجوهرية التي هي الطابع الطبقي للحرب ، ولماذا نشبت الحرب ، وما هي الطبقات التي تشن الحرب ، والظروف التاريخية والظروف الاقتصادية التاريخية التي سببت الحرب » (١) .

وفي نظر الماركسيين اللينينيين فان الحرب هي امتداد للسياسة بطرق أخرى ، وان كل حرب لا يمكن أن تنفصل عن النظام السياسي والنضالات السياسية التي تسببها . واذا حاد المرء عن هذا الرأي الماركسي اللينيني العلمي الذي أثبته كل تاريخ الصراع الطبقي في العالم فلا يمكنه أن يفهم أبدا لا مسألة الحرب ولا مسألة السلم .

---

(١) لينين : « الحرب والثورة » .

هناك أنواع مختلفة للسلم وأنواع مختلفة للحرب . وينبغي للماركسيين اللينينيين أن يكونوا على فهم واضح : من أي نوع ذلك السلم ؟ ومن أي نوع تلك الحرب المعنية ؟ ان الخلط بين الحروب العادلة والحروب غير العادلة بلا تمييز ومعارضة كل الحروب ، ماهو الا موقف المسالمين البرجوازيين وليس موقف الماركسيين اللينينيين .

يقول أشخاص معينون ان الثورات ممكنة كليا بدون حرب . فأي نوع من الحرب يقصدون ـ أحرب تحرر وطني أم حربا ثورية أهلية ، أم حربا عالمية ؟

ان كانوا يقصدون حرب تحرر وطني أو حربا ثورية أهلية ، فان هذا القول هو في الحقيقة معارضة للحروب الثورية وللثورة .

وان كانوا يقصدون حربا عالمية فيتضح أن ذلك تصويب نحو هدف لا وجود له . ورغما من أن الماركسيين اللينينيين أشاروا ، بناء على أساس تاريخ الحربين العالميتين ، الى ان الحروب العالمية لا بد أن تؤدي الى الثورة ، الاأنه ما من ماركسي لينيني قال أو سيقول بأن الثورة يجب أن تكون عن طريق الحرب العالمية .

يتخذ الماركسيون اللينينيون ازالة الحرب كمثل أعلى لهم ويؤمنون بأن الحرب يمكن ازالتها من الوجود .

ولكن كيف تمكن ازالة الحرب ؟

هكذا كان رأي لينين :

« . . . ان هدفنا هو اقامة النظام الاشتراكي للمجتمع ، ذلك النظام الذي بالقضاء على تقسيم البشرية الى طبقات وبالقضاء

على استغلال الانسان للانسان واستغلال أمة لأمة أخرى ، سيقضي حتما على كل امكانية للحرب » (١) .

يقول بيان عام ١٩٦٠ بكل وضوح أيضا : « ان انتصار الاشتراكية في العالم كله يزيل نهائيا الأسباب الاجتماعية والقومية لنشوب أية حرب . »

ومع ذلك يرى أشخاص معينون الآن فعلا أنه من الممكن تحقيق « عالم بلا أسلحة ولا قوات مسلحة ولا حروب » عن طريق « نزع السلاح الكامل الشامل » ، بينما نظام الاستعمار واستغلال الانسان للانسان لا يزال قائما ، ان هذا وهم محض .

ان أبجدية الماركسية اللينينية تخبرنا أن القوات المسلحة هي الجزء الأساسي من جهاز الدولة ، وان ما يسمى بعالم بلا أسلحة ولا قوات مسلحة ، لا يمكن الا أن يكون عالما بلا دول . لقد قال لينين :

« انه فقط بعد أن تجرد البروليتاريا البرجوازية من سلاحها يصبح في مقدورها ، دون خيانة رسالتها التاريخية العالمية ، القاء جميع الأسلحة الى كومة المهملات . ولا شك أن البروليتاريا سوف تفعل ذلك . ولكن فقط بعد الايفاء بهذا الشرط ولا قبل ذلك بالتأكيد » (٢) .

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) لينين : « البرنامج الحربي للثورة البروليتارية » .

ما هي الحقائق الواقعة في عالم اليوم ؟ هل هناك دالة حتى ولو كانت صغيرة تبرهن على أن البلدان الاستعمارية برئاسة الولايات المتحدة على استعداد لانجاز نزع السلاح الكامل الشامل ؟ أليست كلها على انفراد ومجتمعة منغمسة في توسيع السلاح الكامل الشامل ؟

لقد كان رأينا دائما أنه من أجل فضح ومعارضة توسيع التسلح والاستعدادات الحربية لدى المستعمرين ، من الضروري وضع اقتراح نزع السلاح العام . وفضلا عن ذلك فمن الممكن اجبار الاستعمار على قبول اتفاقية ما حول نزع السلاح عن طريق النضال المشترك من قبل بلدان المعسكر الاشتراكي وشعوب كل العالم .

واذا اعتبر المرء نزع السلاح الكامل الشامل الطريق الأساسي للسلم العالمي ، ونشر الوهم القائل بأن الاستعمار سوف يتخلى عن أسلحته من تلقاء نفسه ، وحاول تصفية النضالات الثورية لدى الشعوب والأمم المضطهَدة بحجة نزع السلاح ، فما غرضه من ذلك سوى خداع شعوب العالم عن عمد ومساعدة المستعمرين في سياساتهم العدوانية والحربية .

من أجل التغلب على الفوضى الفكرية القائمة الآن في حركة الطبقة العاملة العالمية حول قضية الحرب والسلم ، نعتبر أن استنتاجات لينين التي نبذها المحرفون المعاصرون يجب أن تعاد الى مكانها لمصلحة معارضة السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية ولمصلحة صيانة السلم العالمي .

تطالب شعوب العالم قاطبة بمنع نشوب حرب عالمية جديدة . ومن الممكن منع نشوب حرب عالمية جديدة .

والسؤال الآن : ما هو الطريق لتحقيق السلم العالمي ؟ وفقا لوجهة النظر اللينينية فان السلم العالمي يمكن أن يكسب فقط بنضالات الشعوب في جميع البلدان ، لا باستجداء المستعمرين من أجله . ان السلم العالمي يمكن أن يصان بصورة فعالة فقط بالاعتماد على تطور قوى المعسكر الاشتراكي ، وعلى النضالات الثورية لدى البروليتاريا والشغيلة في كل البلدان ، وعلى النضالات التحررية لدى الأمم المضطهَدة ، وعلى نضالات جميع الشعوب والبلدان المحبة للسلم .

هذه هي السياسة اللينينية . وأي سياسة مناقضة لهذه سوف لا تؤدي قطعا الى سلم عالمي ، بل سوف تزيد أطماع المستعمرين وتزيد خطر الحرب العالمية .

وخلال السنوات الأخيرة ظل أشخاص معينون ينشرون القول بأن شرارة واحدة من حرب تحرر وطني أو من حرب ثورية شعبية سوف تؤدي الى حريق عالمي يحطم كل البشرية . ولكن ما هي الحقائق الواقعة ؟ على النقيض مما يقوله هؤلاء الأشخاص فان حروب التحرر الوطني والحروب الثورية الشعبية التي وقعت منذ الحرب العالمية الثانية لم تؤد الى حرب عالمية . ان انتصار هذه الحروب الثورية قد أضعف بصورة مباشرة قوى الاستعمار وعزز بصورة عظيمة القوى التي تمنع المستعمرين من شن حرب عالمية والتي تصون السلم العالمي . ألم تدل هذه الحقائق على سخف ذلك القول ؟

١٥ ــ ان تحريم وتدمير الأسلحة النووية بصورة كاملة واجب هام في النضال لصيانة السلم العالمي . ويجب علينا أن نبذل أقصى جهودنا لهذا الغرض .

ان الأسلحة النووية ذات قوة تدميرية لا شبيه لها ، الأمر الذي جعل المستعمرين الأميركيين يسيرون منذ أكثر من عشرة أعوام على سياستهم الابتزازية النووية لتحقيق طمعهم في استعباد شعوب كل البلدان وفي السيطرة على العالم .

ولكن عندما يهدد المستعمرون البلدان الأخرى بالأسلحة النووية يعرضون الشعوب في بلدانهم نفسها للتهديد نفسه ، وهكذا يثيرون شعوبهم لمعارضة الأسلحة النووية ومعارضة السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية . وفي نفس الوقت بينما يداعب المستعمرين أملهم المغرور باهلاك خصومهم بالأسلحة النووية يعرضون في الحقيقة أنفسهم لخطر الهلاك .

ان امكانية تحريم الأسلحة النووية كائنة فعلا . ولكن اذا أجبر المستعمرون على قبول اتفاقية حول تحريم الأسلحة النووية فانه قطعا لا « لحبهم للبشرية » ، بل لضغط شعوب العالم ولأجل مصالحهم الحيوية .

وعلى النقيض مما يفعله المستعمرون تعتمد البلدان الاشتراكية على القوة العادلة لدى الشعوب وعلى سياساتها الصحيحة ، كما هي ليست بحاجة اطلاقا الى المقامرة بالأسلحة النووية على المسرح العالمي . ان امتلاك البلدان الاشتراكية للأسلحة النووية هو فقط بغرض الدفاع عن نفسها ولمنع الاستعمار من اثارة حرب نووية .

وفي نظر الماركسيين اللينينيين فان الشعوب هي صانعة التاريخ . ان الانسان في الوقت الحاضر كما كان في الماضي هو العامل الحاسم في تطور التاريخ وفي الحياة الواقعية ؛ ان الماركسيين اللينينيين يعيرون

أهمية لدور التغير التكنولوجي ، ولكن من الخطأ تحقير دور الانسان والمبالغة في دور التكنولوجيا .

ان ظهور الأسلحة النووية لا يوقف تقدم التاريخ البشري ولا ينقذ النظام الاستعماري من مصيره المحتوم ، كما أن ظهور جميع التكنيك الجديد في الماضي لم يكن بوسعه انقاذ النظم القديمة من مصيرها المحتوم .

ان ظهور الأسلحة النووية لم يكن بامكانه وليس بوسعه أن يحل التناقضات الأساسية في العالم المعاصر ، ولم يكن بامكانه وليس بوسعه أن يغير قانون الصراع الطبقي ، ولم يكن بامكانه وليس بوسعه أن يغير طبيعة الاستعمار والرجعية .

لذلك لا يمكن القول بأنه مع ظهور الأسلحة النووية فان امكانية وضرورة الثورات الاجتماعية والوطنية قد زالتا ، أو أن المبادىء الأساسية للماركسية اللينينية وخاصة المبادىء الخاصة بالثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا والخاصة بالحرب والسلم قد فات أوانها وتحولت الى « عقائد » بالية .

١٦ ــ ان لينين هو الذي قدم الاستنتاج القائل بأنه من الممكن للبلدان الاشتراكية أن تتعايش سلميا مع البلدان الرأسمالية . ومن المعروف جدا أنه بعد صد الشعب السوفياتي العظيم التدخل المسلح الأجنبي ، كان الحزب الشيوعي السوفياتي والحكومة السوفياتية تحت قيادة لينين ثم ستالين تتبعان بثبات سياسة التعايش السلمي ، وانهما أجبرا على شن حرب دفاعية عندما هوجم الاتحاد السوفياتي من قبل المستعمرين الألمانيين .

ان جمهورية الصين الشعبية ظلت تتمسك منذ تأسيسها بسياسة التعايش السلمي مع البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، وانها هي التي ابتكرت المبادىء الخمسة للتعايش السلمي .

غير أنه منذ سنوات قليلة ادعى أشخاص معينون فجأة بأن سياسة لينين للتعايش السلمي هي « اكتشاف عظيم » توصلوا اليه وزعموا أن لهم حق احتكار تفسير هذه السياسة . واعتبروا « التعايش السلمي » كتابا سماويا مليئا بالأسرار يحتوي على كل شيء ويعزون اليه كل نجاح كسبته شعوب العالم بالنضال . وأكثر من ذلك يصفون كل من لا يوافقون على تشويههم لآراء لينين بأنهم يعارضون التعايش السلمي وبأنهم أناس يجهلون تماما لينين واللينينية ، وبأنهم خوارج يستحقون الموت حرقا .

كيف يمكن للشيوعيين الصينيين أن يوافقوا على هذا الرأي وذلك التصرف ؟ كلا ! انه هذا لمستحيل .

ان مبدأ لينين حول التعايش السلمي واضح ومفهوم جدا لكل انسان عادي . ان التعايش السلمي يقصد به العلاقات بين البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ولا ينبغي لأي انسان أن يؤوّله حسبما يريد . ولا ينبغي أبدا أن يمد فيطبّق على العلاقات بين الأمم المضطهَدة والمضطهِدة ، وبين البلدان المضطهَدة والمضطهِدة ، أو بين الطبقات المضطهَدة والمضطهِدة ، ولا ينبغي أبدا أن يوصف بأنه هو المحتوى الرئيسي للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية فضلا عن الزعم بأن التعايش السلمي هو طريق البشرية الى الاشتراكية . والسبب في ذلك هو أن ممارسة التعايش السلمي بين البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية

المختلفة أمر لا يسمح للبلدان التي تمارس التعايش السلمي ولا يمكنها أبدا ، أن تمس ولو شعرة من الأنظمة الاجتماعية للبلدان التي تتعايش معها سلميا . اما الصراع الطبقي والنضال من أجل التحرر الوطني والانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية في البلدان المختلفة فأمر آخر . وتلك كلها نضالات ثورية حادة نضالات حياة وموت ، تهدف الى تغيير الأنظمة الاجتماعية . ولا يمكن أبدا أن يحل التعايش السلمي محل النضالات الثورية لدى الشعوب . والانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية في أي بلد يمكن تحقيقه فقط عبر الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا في ذلك البلد .

وخلال تطبيق سياسة التعايش السلمي لا يمكن تفادي النضالات بين البلدان الاشتراكية والبلدان الاستعمارية في الميادين السياسية والاقتصادية والايديولوجية ، ولا يمكن اطلاقا وجود « تعاون شامل لجميع الجوانب » .

من الضروري للبلدان الاشتراكية أن تجري مفاوضات من هذا النوع أو ذلك مع البلدان الاستعمارية . ومن الممكن التوصل الى اتفاقيات معينة ، عبر المفاوضات بالاعتماد على السياسات الصحيحة لدى البلدان الاشتراكية وعلى ضغط الجماهير الشعبية في البلدان المختلفة . غير أن المساومات الضرورية بين البلدان الاشتراكية والبلدان الاستعمارية لا تتطلب من الشعوب والأمم المضطهَدة أن تفعل نفس الشيء فتساوم مع الاستعمار وأتباعه . ولا ينبغي لأي فرد في أي وقت أن يطالب باسم التعايش السلمي الشعوب والأمم المضطهَدة بأن تتخلى عن نضالاتها الثورية .

ان تطبيق البلدان الاشتراكية سياسة التعايش السلمي ملائم لكسب جو سلمي عالمي للبناء الاشتراكي وملائم لكشف سياسات الاستعمار العدوانية والحربية وملائم لعزل قوى الاستعمار العدوانية والحربية . ولكن اذا كان الخط العام للسياسة الخارجية للبلدان الاشتراكية قاصرا على التعايش السلمي فمن المحال سواء معالجة العلاقات بين البلدان الاشتراكية فيما بينها أو العلاقات بين البلدان الاشتراكية وبين الشعوب والأمم المضطهَدة معالجة صحيحة . ولذلك من الخطأ جعل التعايش السلمي الخط العام للسياسة الخارجية للبلدان الاشتراكية .

في رأينا أن الخط العام للسياسة الخارجية للبلدان الاشتراكية يجب أن يحتوي على الآتي : تطوير علاقات الصداقة والمساعدة المتبادلة والتعاون بين بلدان المعسكر الاشتراكي بما يتماشى مع مبدأ الأممية البروليتارية ؛ والسعي الى تحقيق التعايش السلمي على أساس المبادىء الخمسة مع البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ومعارضة سياسات الاستعمار العدوانية والحربية ؛ وتأييد ومساعدة النضالات الثورية التي تقوم بها جميع الشعوب والأمم المضطَهدة . وهذه الأوجه الثلاثة متداخلة ولا يمكن فصلها عن بعضها ، ولا يمكن ترك أي وجه منها .

١٧ ـ بعد استيلاء البروليتاريا على السلطة يستمر الصراع الطبقي بصفته قانونا موضوعيا مستقلا عن ارادة البشر ، لفترة تاريخية طويلة جدا . غير أنه يختلف فقط عن شكله الذي كان قبل الاستيلاء على السلطة .

لقد أشار لينين عدة مرات بعد ثورة أكتوبر الى :

(أ) ان المستغلين الذين أطيح بهم عن الحكم يحاولون

دائما بألف طريق وطريق استرداد « الجنة » التي حرموا منها .

(ب) ان عناصر رأسمالية جديدة تتولد دائما وتلقائيا في جو البرجوازية الصغيرة .

(ج) ان المنحلين السياسيين والعناصر البرجوازية الجديدة قد تظهر في صفوف الطبقة العاملة وبين موظفي المنظمات الحكومية ، نتيجة النفوذ البرجوازي وانتشار جو البرجوازية الصغيرة المفسد .

(د) ان الظروف الخارجية لاستمرار الصراع الطبقي في داخل القطر الاشتراكي هي الحصار الذي تفرضه الرأسمالية العالمية ، وتهديد المستعمرين بالتدخل المسلح ، والنشاطات الهدامة التي يقومون بها بغرض احداث التحول السلمي .

لقد برهنت الحياة على صحة هذه النتائج التي توصل اليها لينين .

منذ عشرات السنين أو منذ فترات أطول ، بعد تحقيق التصنيع الاشتراكي والتعاون الزراعي ، يستحيل القول بأن بلدا اشتراكيا سيخلو من تلك العناصـر التي شجبها لينين مرارا ، مثل الذين يعتمدون على البرجوازية ، والطفيليين ، والمضاربين ، والغشاشين ، والمتعطلين ، والصعاليك المتمردين ، ومختلسي أموال الدولة ؛ كما يسحيل القول بأن بلدا اشتراكيا لم يعد بحاجة الى أداء الواجب الذي وضعه لينين ، واجب تصفية « هذا المرض المعدي وهذا الطاعون وهذه القرحة التي ورثتها الاشتراكية عن الرأسمالية » ، أو ان بلدا اشتراكيا يمكنه التخلي عن هذا الواجب .

ان البلد الاشتراكي يتطلب فترة تاريخية طويلة جدا حتى يمكنه أن يحل خطوة فخطوة مسألة من سينتصر ـ هل الاشتراكية أم الرأسمالية ؟

ان الصراع بين طريق الاشتراكية وطريق الرأسمالية يتخلل هذه الفترة التاريخية بأكملها . ويرتفع هذا الصراع وينخفض كالأمواج ، وأحيانا يصبح صراعا حادا للغاية . وهناك أشكال مختلفة ومتنوعة من النضال .

لقد ذكر تصريح موسكو لعام ١٩٥٧ بحق أن « الاستيلاء على الحكم ليس ، بالنسبة للطبقة العاملة سوى بداية الثورة ، لا نهايتها » .

ان انكار وجود الصراع الطبقي في فترة ديكتاتورية البروليتاريا وانكار ضرورة اكمال الثورة الاشتراكية حتى آخرها في الجبهات الاقتصادية والسياسية والايديولوجية هو أمر خاطىء ، لا ينطبق على الواقع الموجود كما هو نقض للماركسية اللينينية .

١٨ ـ لقد كان رأي ماركس ولينين معا أن الفترة التي تسبق وجود مرحلة المجتمع الشيوعي الأرقى ، هذه الفترة بكاملها هي فترة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، فترة ديكتاتورية البروليتاريا . وفي هذه الفترة الانتقالية تمر ديكتاتورية البروليتاريا أي الدولة البروليتارية بعملية ديالكتيكية ، هي تأسيس وتدعيم وتقوية ثم زوال تدريجي .

لقد وضع ماركس هذه المسألة في « النقد التحليلي لبرنامج غوتا » على النحو التالي :

> « بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الشيوعي تقع فترة الانتقال الثوري من الأول الى الثاني . وتقابل هذه أيضا فترة انتقال سياسي لا تكون فيها الدولة الا الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا » (١) .

---

(١) « مؤلفات ماركس وأنجلز الكاملة » .

كثيرا ما أكد لينين نظرية ماركس العظيمة حول ديكتاتورية البروليتاريا ، وحلل تطور هذه النظرية خاصة في مؤلفه البارز « الدولة والثورة » حيث كتب :

« ... ان الانتقال من المجتمع الرأسمالي – المتطور نحو الشيوعية – الى مجتمع شيوعي ، مستحيل دون « فترة انتقال سياسي » والدولة في هذه الفترة لا يمكن الا أن تكون الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا » (١) .

وأضاف يقول :

ان جوهر تعاليم ماركس حول الدولة قد تملكه فقط الذين فهموا أن ديكتاتورية طبقة واحدة ضرورية لا لكل مجتمع طبقي بصورة عامة وللبروليتاريا التي ألقت بالبرجوازية وحسب ، بل لكل الفترة التاريخية التي تفصل ما بين الرأسمالية و « المجتمع اللاطبقي » أي الشيوعية (٢) .

كما ورد سابقا فان استنتاجات ماركس ولينين الأساسية هي أن ديكتاتورية البروليتاريا سوف تستمر حتما طوال الفترة التاريخية بأكملها أي فترة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، أي أنها تستمر خلال جميع تلك الفترة قبل ازالة جميع الفوارق الطبقية ودخول مجتمع لاطبقي – هو مرحلة أرقى للمجتمع الشيوعي .

---

(١) « مؤلفات لينين الكاملة » .
(٢) نفس المصدر السابق .

ماذا يحدث اذا أعلن في منتصف الفترة أن ديكتاتورية البروليتاريا لم تعد ضرورية ؟

ألا يعارض هذا تعاليم ماركس ولينين الخاصة بدولة ديكتاتورية البروليتاريا معارضة أساسية ؟

أ ولايسمح هذا بتطور « هذا المرض المعدي وهذا الطاعون وهذه القرحة التي ورثتها الاشتراكية عن الرأسمالية » ؟

ان هذا سيقود ، بمعنى آخر ، الى نتائج في أقصى درجات الخطورة ويجعل أي انتقال الى الشيوعية أمرا خارجا عن الموضوع .

هل يمكن وجود « دولة كل الشعب » ؟ وهل يمكن وضع « دولة كل الشعب » محل دولة ديكتاتورية البروليتاريا ؟

ان هذه المسألة ليست مسألة تتعلق بالشئون الداخلية الخاصة ببلد معين ، ولكنها تختص بقضية أساسية ذات أثر مباشر على حقيقة الماركسية اللينينية العامة .

في رأي الماركسيين اللينينيين أنه لا توجد دولة يقال انها لاطبقية أو دولة فوق الطبقات . وطالما ظلت الدولة دولة لا بد أن يكون لها طابع طبقي ؟ وطالما بقيت الدولة لا يمكن أن تكون دولة « لكل الشعب » . وحالما يصبح المجتمع دون طبقات لا يعد للدولة فيه وجود .

اذن ما الذي يسمى بـ « دولة كل الشعب » ؟

ان كل شخص له المام بأبجدية الماركسية اللينينية يعرف أن ما يسمى بـ « دولة كل الشعب » ليس شيئا جديدا . فلقد سمت الشخصيات الممثلة للبرجوازية دائما الدولة البرجوازية بـ « دولة كل الشعب » أو بـ « دولة تكون فيها السلطة في يد جميع الشعب » .

قد يقول أشخاص معينون ان مجتمعهم أصبح مجتمعا دون طبقات . ولكننا نقول : كلا ! فهناك طبقات وصراعات طبقية في جميع البلدان الاشتراكية دون استثناء .

طالما وجدت بقايا الطبقات المستغلة القديمة التي تحاول الرجوع ، وطالما كانت عناصر برجوازية جديدة تتولد بصورة دائمة ، وطالما وجد الطفيليون والمضاربون والمتعطلون والصعاليك المتمردون ومختلسو أموال الدولة وأشباههم ، فكيف يمكن القول انه لا توجد طبقات وصراعات طبقية ؟ وكيف يمكن القول انه لم تعد أي حاجة لديكتاتورية البروليتاريا ؟

تعلمنا الماركسية اللينينية أنه بالاضافة الى كبت الطبقات المعادية فان المهام التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا يجب أن تتضمن معالجة العلاقات بين الطبقة العاملة والفلاحين معالجة صحيحة أثناء بناء الاشتراكية ، وتدعيم تحالفهم السياسي والاقتصادي ، وخلق الظروف الملائمة لازالة الفوارق الطبقية بين العامل والفلاح بصورة تدريجية .

على أساس القاعدة الاقتصادية لمجتمع اشتراكي نجد أن الفوارق بين ملكية كل الشعب والملكية الجماعية موجودة في جميع البلدان الاشتراكية دون استثناء ، كما توجد أيضا ملكية خاصة . ان ملكية كل الشعب والملكية الجماعية هما نوعان من الملكية ونوعان من علاقات الانتاج في المجتمع الاشتراكي . والعمال في المؤسسات التي يملكها كل الشعب ، والفلاحون في المزارع التي تملك بصورة جماعية ينتمون الى نوعين مختلفين من الشغيلة في المجتمع الاشتراكي . وعليه فان الفوارق الطبقية بين العامل والفلاح موجودة في جميع البلدان الاشتراكية

دون استثناء . وسوف لا تختفي هذه الفوارق حتى يتم الوصول الى المرحلة الأرقى للشيوعية . ان التطور الاقتصادي في جميع البلدان الاشتراكية في الوقت الحاضر مازال بعيدا وبعيدا عن التطور الاقتصادي في المرحلة الأرقى للشيوعية حيث يطبق مبدأ « لكل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » . ولهذا فان القضاء على الفوارق الطبقية بين العامل والفلاح سوف يستغرق وقتا طويلا وطويلا جدا . وما لم يتم القضاء على هذه الفوارق الطبقية يستحيل القول بأنه لا طبقات في المجتمع أو انه لم تعد هنالك حاجة لديكتاتورية البروليتاريا .

هل يحاول المرء بتسمية الدولة الاشتراكية بـ« دولة كل الشعب » وضع النظرية البرجوازية حول الدولة مكان النظرية الماركسية اللينينية الخاصة بالدولة ؟ هل يحاول المرء وضع دولة ذات طبيعة مختلفة مكان دولة ديكتاتورية البروليتاريا ؟

اذا كان هذا هو المقصود لا يعد ذلك الا ارتدادا تاريخا عظيما . ان تحلل النظام الاجتماعي في يوغوسلافيا درس خطير .

١٩ – ترى اللينينية أنه على حزب البروليتاريا أن يظل موجودا مع ديكتاتورية البروليتاريا في البلدان الاشتراكية . وحزب البروليتاريا لا يمكن الاستغناء عنه خلال كل الفترة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا . والسبب هو أنه لا بد لديكتاتورية البروليتاريا من أن تناضل ضد أعداء البروليتاريا والشعب ، وأن تعيد تكوين الفلاحين وغيرهم من صغار المنتجين ، وأن تدعم بصورة مستمرة صفوف البروليتاريا ، وأن تبني الاشتراكية ، وأن تحقق الانتقال الى الشيوعية . ولا شيء من هذه يمكن فعله دون قيادة حزب البروليتاريا .

هل يمكن وجود « حزب كل الشعب » ؟ وهل يمكن وضع « حزب كل الشعب » مكان الحزب الذي هو طليعة البروليتاريا؟

ان هذه المسألة ليست أيضا قضية تمس الشئون الداخلية لأي حزب معين ، ولكنها تختص بمسألة أساسية ذات أثر مباشر على حقيقة الماركسية اللينينية العامة .

في رأي الماركسيين اللينينيين ، لا يوجد شيء يقال انه حزب سياسي لاطبقي أو فوق الطبقات . وجميع الأحزاب السياسية ذات طابع طبقي . والروح الحزبية هي التعبير المركّز للطبيعة الطبقية .

حزب البروليتاريا هو الحزب الوحيد القادر على تمثيل مصالح كل الشعب . ويمكنه ذلك بوجه التحديد لأنه يمثل مصالح البروليتاريا وتتركز فيه أفكارها وعزيمتها . وبوسعه أن يقود جميع الشعب لأنه بمقدور البروليتاريا أن تحرر نفسها في النهاية فقط بتحرر كل البشرية ، ولأن هذا الحزب قادر على معالجة القضايا وفقا لطبيعة ولبروليتاريا وتبعا لمصالحها الحاضرة والمستقبلة ، ولأنه مخلص الى درجة غير محدودة للشعب ويتصف بروح التضحية بالنفس ، وعلى ذلك ، كانت مركزيته الديمقراطية ونظامه الحديدي . ومن المستحيل دون حزب كهذا الحفاظ على ديكتاتورية البروليتاريا وتمثيل مصالح الشعب كله .

ماذا يحدث اذا أعلن في منتصف الطريق قبل دخول المرحلة الأرقى للمجتمع الشيوعي أن حزب البروليتاريا قد أصبح « حزب كل الشعب » واذا أنكرت طبيعته الطبقية البروليتارية ؟

ألا يعارض هذا تعاليم ماركس ولينين الخاصة بحزب البروليتاريا معارضة جذرية ؟

أ ولا ينزع هذا عن البروليتاريا وجميع الشغيلة سلاحها التنظيمي والايديولوجي ؟ أ ولا يعد مساويا للمساعدة على اعادة الرأسمالية ؟

أ ولا يعد الحديث عن أي انتقال الى المجتمع الشيوعي في مثل هذه الظروف ك « السير جنوبا بدفع المركبة الى جهة الشمال » ؟

٢٠ ـ لقد خرق أشخاص معينون خلال السنوات القلائل الماضية تعاليم لينين التي لا تتجزأ حول العلاقات المتداخلة بين القادة والحزب والطبقة والجماهير ، وأثاروا مسألة « مكافحة عبادة الفرد » . ان هذا أمر خاطىء وضار .

ان نظرية لينين حول هذا الموضوع هي كما يلي :

(أ) الجماهير تنقسم الى طبقات ؛

(ب) غالبا ما تقود الطبقات أحزاب سياسية ؛

(ج) الأحزاب السياسية ، كقانون عام ، توجهها جماعات ثابتة نوعاما ، تتشكل من أكثر الأفراد هيبة ونفوذا وخبرة والذين يختارون لاحتلال أكثر المناصب مسئولية ويسمون بالقادة .

قال لينين : « كل هذه أمور أبجدية . »

ان حزب البروليتاريا هو مركز قيادة البروليتاريا في الثورة والنضال . وعلى كل حزب بروليتاري أن يمارس المركزية على أساس الديمقراطية وأن يؤسس قيادة ماركسية لينينية قوية ، قبل أن يصبح طليعة منظمة ذات قوة كفاحية . ان اثارة قضية « مكافحة عبادة الفرد » هي في حقيقة الأمر وضع القادة في موضع المعارضة للجماهير وتحطيم القيادة الموحدة التي تقوم على أساس المركزية الديمقراطية في داخل الحزب وتحليل قوة الحزب النضالية وتفتيت صفوفه .

لقد نقد لينين الأفكار الخاطئة التي تضع القادة في موضع المعارضة للجماهير . وأسماها بأفكار « سخيفة للغاية وبليدة » .

لا يستحسن الحزب الشيوعي الصيني دائما المبالغة في دور الفرد ، ودعا وتمسك بممارسة المركزية الديمقراطية في داخل الحزب ودعا الى ربط القيادة بالجماهير ، باعتبار أن القيادة الصحيحة تعرف كيف تبلور آراء الجماهير .

بينما يكافح بعض الأشخاص بصخب ما يسمى بـ « عبادة الفرد » يبذلون في الحقيقة جهدهم للاضرار بسمعة الحزب البروليتاري وديكتاتورية البروليتاريا ؛ وفي نفس الوقت يبالغون الى درجة عظيمة في الدور الذي يلعبه أفراد معينون ، ويحاولون القاء جميع الأخطاء على أكتاف الآخرين ، ويدعون أن جميع المدح والثناء من حقهم .

وأكثر خطورة من هذا أن أشخاصا معينين يتدخلون بصورة فظة تحت ستار « مكافحة عبادة الفرد » في الشئون الداخلية للأحزاب الشقيقة والبلدان الشقيقة الأخرى ، ويجبرون الأحزاب الشقيقة الأخرى على تغيير قياداتها بغرض فرض خطهم الخاطىء على هذه الأحزاب . فما كل هذا اذا لم يكن عصبية الأمة الكبيرة والانعزالية والانقسامية ؟ وما كل هذا ان لم يكن نشاطات هدامة ؟

لقد حان الوقت للقيام بدعاية جادة وشاملة لتعاليم لينين التي لا تقبل التجزئة فيما يتعلق بالصلات المتداخلة بين القادة والحزب والطبقة والجماهير .

٢١ ــ العلاقات بين البلدان الاشتراكية هي علاقات دولية من نوع جديد . والعلاقات بين البلدان الاشتراكية ، سواء كانت هذه

البلدان كبيرة أم صغيرة وسواء كانت متقدمة اقتصاديا أكثر أم أقل تقدما ، يجب أن تكون على أساس المساواة التامة ، والاحترام التام لوحدة الأراضي وللسيادة الوطنية والاستقلال ، وعدم التدخل في الشئون الداخلية لكل منها ؛ كما يجب أن تكون أيضا على أساس مبدأ التأييد المتبادل والمساعدة المتبادلة ، المتفق مع الأممية البروليتارية .

على كل بلد اشتراكي أن يعتمد في الأساس على نفسه لبناء نفسه .

وعلى كل بلد اشتراكي بناء على ظروفه المحددة أن يعتمد أولا وقبل كل شيء على عمل شعبه الجاد وذكائه ، وأن يستخدم جميع مصادره الممكن استخدامها الى أقصى الحدود بصورة مخططة ، وأن يفيد الى أقصى درجات الافادة من جميع طاقاته في البناء الاشتراكي ، وهكذا فقط يمكنه بناء الاشتراكية بصورة فعالة وأن يطور اقتصاده بصورة سريعة .

هذا هو الطريق الوحيد أمام كل بلد اشتراكي لتقوية منعة المعسكر الاشتراكي قاطبة ، ولزيادة القوى التي تساعد القضية الثورية لدى البروليتاريا العالمية . وعليه فمراعاة مبدأ الاعتماد أساسا على النفس في البناء هي التطبيق المحدد للأممية البروليتارية .

اذا انطلق أي بلد اشتراكي من مصالحه الجزئية فقط وطالب من جانب واحد بأن تخضع البلدان الشقيقة الأخرى لحاجياته واستخدم حجة معارضة ما يسمى بـ« العمل على انفراد » و « القومية » بغرض منع البلدان الشقيقة الأخرى من تطبيق مبدأ الاعتماد أساسا على جهودها الخاصة في بنائها ومن تطوير اقتصادها بصورة مستقلة أو حتى ذهب الى درجة مباشرة الضغط الاقتصادي على البلدان الشقيقة الأخرى ،

فما كل هذه اذن غير مظاهر تدل على الأنانية القومية .

من الضروري تماما للبلدان الاشتراكية ممارسة المساعدة والتعاون والتبادل في ميدان الاقتصاد . ومثل هذا التعاون الاقتصادي يجب أن يكون على أساس مبادىء المساواة التامة والنفع المتبادل والمساعدة الرفاقية المتبادلة .

وما انكار هذه المبادىء الأساسية وفرض ارادة المرء الخاصة على الآخرين تحت ستار « تقسيم العمل على نطاق عالمي » أو « التخصص» والتغول على استقلال وسيادة البلدان الشقيقة الأخرى والاضرار بمصالح شعوبها سوى عصبية الأمة الكبيرة .

انه مما لا يقبله العقل أن يتبع المرء في العلاقات بين البلدان الاشتراكية سياسة كسب الربح لنفسه على حساب الآخرين ، هذا العمل الذي هو صفة من صفات العلاقات بين البلدان الرأسمالية أو أن يتمادى الى درجة اتخاذ « الاندماج الاقتصادي » و « السوق المشتركة » اللتين أنشأتهما الجماعات الرأسمالية الاحتكارية بغرض الاستيلاء على الأسواق وتقاسم الأرباح ، كأمثلة على البلدان الاشتراكية أن تتبعها في المساعدة والتعاون المتبادلين بينها في ميدان الاقتصاد .

٢٢ ـ لقد وضع تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ المبادىء المرشدة للعلاقات بين الأحزاب الشقيقة . وهذه هي مبادىء الوحدة والتضامن المتبادل والمساعدة المتبادلة ومبدأ الاستقلال والمساواة ومبدأ الوصول الى الاجماع عن طريق المشاورة ـ كل هذه المبادىء تقوم على أساس الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية .

اننا نلاحظ أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في

رسالتها بتاريخ ٣٠ مارس (آذار) تقول انه لا توجد « أحزاب كبيرة وأخرى تابعة » في الحركة الشيوعية ، وان جميع الأحزاب الشيوعية مستقلة ومتساوية ، وانه عليها أن تبني جميعا علاقاتها على أساس الأممية البروليتارية والمساعدة المتبادلة .

انه من صفات الشيوعيين الحميدة أن تنطبق أفعالهم على أقوالهم . ان الطريق الوحيد الصحيح لصيانة وتقوية الوحدة بين الأحزاب الشقيقة هو التمسك بصورة صادقة وليس نقض مبدأ الأممية البروليتارية ، والالتزام حقا بالمبادىء المرشدة في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة وليس تحطيمها ، وان يلتزم المرء هكذا لا بالكلمات وحسب ولكن أهم من ذلك بالأفعال .

اذا كان مبدأ الاستقلال والمساواة مقبولا في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة فيصبح من غير المسموح به اذن لأي حزب من الأحزاب أن يضع نفسه فوق الأحزاب الأخرى ، وأن يتدخل في شئونها الداخلية ، وأن يسير على أسلوب النظام الأبوي الاقطاعي في علاقاته معها .

واذا قبل القول بأنه ما من « كبار » و « تبع » في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة ، فمن غير المسموح به اذن فرض برنامج وقرارات وخط حزب معين ، على الأحزاب الشقيقة الأخرى باعتبارها « البرنامج المشترك » للحركة الشيوعية العالمية .

واذا قبل مبدأ الوصول الى الاجماع عن طريق المشاورة في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة ، يجب اذن على المرء ألا يؤكد « من يقف في جانب الأغلبية » أو « من يقف في جانب الأقلية » ، فيعتمد على ما ما يسمى بأغلبية بغرض فرض خطه الخاطىء وتطبيق سياسات انعزالية

وانقسامية .

واذا تم الاتفاق على أن الخلافات بين الأحزاب الشقيقة يجب أن تحل عن طريق المشاورات الحزبية الداخلية فلايسمح بأن تهاجَم الأحزاب الشقيقة الأخرى علنا وبالاسم في مؤتمر يعقده حزب ينتمي اليه المرء أو في مؤتمر أي حزب آخر ، وفي خطابات قادة الأحزاب وفي القرارات والبيانات الخ . . ناهيك عن أن تمَد الخلافات الايديولوجية بين الأحزاب الشقيقة الى محيط العلاقات بين الدول .

ان رأينا هو أنه في الظروف الراهنة التي توجد فيها خلافات في صفوف الشيوعية العالمية يكون من الأهمية الخاصة تأكيد الالتزام الدقيق بالمبادىء المرشدة في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة كما وردت في التصريح والبيان .

فيما يتعلق بالعلاقات بين الأحزاب الشقيقة والبلدان الشقيقة تحتل العلاقات السوفياتية الألبانية مركزا بارزا في الوقت الحاضر . ومسألة العلاقات بين الحزب السوفياتي والألباني ، والعلاقات بين البلدين هي مسألة ما هو الطريق الصحيح لمعاملة حزب شقيق وبلد شقيق ؟ وما اذا وجب الالتزام بالمبادىء المرشدة في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة والبلدان الشقيقة التي وضعت في التصريح والبيان أم لا ؟ ان حل هذه القضية حلا صحيحا هو أمر ذو أهمية مبدئية في صيانة وحدة المعسكر الاشتراكي ووحدة الحركة الشيوعية العالمية .

ان معاملة حزب العمل الألباني الماركسي اللينيني الشقيق هي أمر من الأمور . ومعاملة طغمة المحرفين اليوعوسلاف المرتدة عن الماركسية اللينينية هي أمر آخر تماما . وهذان الأمران المختلفان

اختلافا أساسيا من حيث الطبيعة لا يجب وضعهما على قدم المساواة بأي حال من الأحوال .

لقد قلتم في رسالتكم « اننا لا نفقد الأمل في احتمال تحسين العلاقات بين الحزب الشيوعي السوفياتي وحزب العمل الألباني » . ولكنكم في نفس الوقت تواصلون هجومكم على الرفاق الألبانيين زاعمين أنهم يمارسون ما تسمونه بـ « النشاطات الانقسامية » . من الواضح جدا أن هذا يناقض نفسه بنفسه كما أنه لا يساعد بأي حال من الأحوال على حل مسألة العلاقات السوفياتية الألبانية .

من الذي ارتكب أعمالا انقسامية في العلاقات السوفياتية الألبانية ؟ من الذي مد الخلافات الايديولوجية بين الحزبين السوفياتي والألباني الى العلاقات بين الدولتين ؟

من الذي كشف علنا أمام العدو الخلافات بين الحزبين السوفياتي والألباني وبين البلدين ؟

من الذي دعا علنا الى احداث تغيير في قيادة الحزب الألباني والدولة الألبانية ؟

ان جميع هذه الأسئلة سهلة وواضحة للعالم قاطبة .

هل من المعقول ألا يكون الرفاق القياديون في الحزب الشيوعي السوفياتي يشعرون حقا بمسئوليتهم تجاه حقيقة أن العلاقات السوفياتية الألبانية قد تدهورت الى هذه الدرجة الخطيرة ؟

اننا نعبر مرة أخرى عن أملنا المخلص أن يراعي الرفاق القياديون في الحزب الشيوعي السوفياتي المبادىء المرشدة في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة والبلدان الشقيقة وأن يبادروا بالسعي الى ايجاد طريق فعال

لتحسين العلاقات السوفياتية الألبانية .

وبالاختصار ، فان مسألة معالجة العلاقات بين الأحزاب الشقيقة والبلدان الشقيقة هي مسألة يجب أن ينظر اليها نظرة جدية للغاية . والالتزام الدقيق بالمبادىء المرشدة في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة والبلدان الشقيقة هو الطريق الوحيد لتوجيه أقوى ردع الى التشنيعات المشابهة التي يطلقها المستعمرون والرجعيون حول « يد موسكو » .

ان الأممية البروليتارية مطلوبة من كل الأحزاب دون استثناء كبيرة كانت أم صغيرة ، في الحكم أم خارج الحكم ، غير أن الأحزاب الكبيرة والأحزاب التي في الحكم تتحمل بصفة خاصة مسئولية ثقيلة في هذا الصدد . ان سلسلة من الأحداث المؤلمة التي وقعت في المعسكر الاشتراكي في الفترة الأخيرة قد أضرت لا بمصالح الأحزاب الشقيقة المعينة وحسب ، بل بمصالح الجماهير الشعبية الواسعة في بلدانها أيضا . وهذا يبرهن بصورة مقنعة على أن البلدان الأكبر والأحزاب الأكبر عليها أن تتذكر دائما وصية لينين القائلة بأنه لا يجب أبدا ارتكاب خطأ عصبية الأمة الكبيرة .

يقول رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي في رسالتهم ان « الحزب الشيوعي السوفياتي لم يتخذ أبدا ولن يتخذ أي خطوة قد تؤدي الى بذر العداوة بين شعوب بلادنا تجاه الشعب الصيني الشقيق أو أية شعوب أخرى » . وهنا لا نود العودة وسرد الحوادث العديدة غير السارة التي وقعت في الماضي . الا أن رغبتنا هي أن يلتزم رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي التزاما دقيقا بهذا القول في أعمالهم في المستقبل .

خلال السنوات القلائل الماضية باشر أعضاء حزبنا وشعبنا أعظم

درجة من ضبط النفس في وجه سلسلة من الحوادث الخطيرة التي ناقضت المبادىء المرشدة في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة والبلدان الشقيقة ، وبالرغم من الصعوبات والخسائر العديدة التي فرضت علينا . لقد مرت روح الأممية البروليتارية لدى الشيوعيين الصينيين والشعب الصيني بتجربة قاسية .

ان الحزب الشيوعي الصيني مخلص دائما ودون أدنى تردد للأممية البروليتارية ويتمسك بمبادىء تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ المرشدة للعلاقات بين الأحزاب الشقيقة والبلدان الشقيقة ويدافع عنها ، ويصون ويدعم وحدة المعسكر الاشتراكي ووحدة الحركة الشيوعية العالمية .

٢٣ ـ بغرض تنفيذ البرنامج المشترك للحركة الشيوعية العالمية الذي اتفقت عليه الأحزاب الشقيقة بالاجماع ، يجب شن نضال لا مساومة فيه ضد جميع أنواع الانتهازية التي هي انحراف عن الماركسية اللينينية .

يذكر التصريح والبيان أن التحريفية أو بمعنى آخر الانتهازية اليمينية ، هي الخطر الأساسي في الحركة الشيوعية العالمية . والتحريفية اليوغوسلافية هي ممثلة للتحريفية المعاصرة .

وجاء في البيان على وجه الخصوص :

لقد شجبت الأحزاب الشيوعية بالاجماع الشكل اليوغوسلافي للانتهازية العالمية الذي هو تعبير مركز عن « نظريات » المحرفين المعاصرين .

واستمر البيان يقول :

ان قادة رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف ، بعد أن خانوا الماركسية اللينينية التي أعلنوا أنها أصبحت بالية فات أوانها ، قابلوا بيان الأحزاب الشيوعية وأحزاب العمال الصادر عام ١٩٥٧ ببرنامجهم التحريفي الخاص المعادي للينينية . وقد جعلوا رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف تخاصم الحركة الشيوعية العالمية جمعاء ، وفصلوا بلادهم عن المعسكر الاشتراكي ، وجعلوها تابعة « للمساعدة » المزعومة من جانب المستعمرين ، من أميركيين وغيرهم ...

ويواصل البيان القول :

ويقوم المحرفون اليوغوسلاف بتصرفات هدامة ضد المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية . وبحجة ممارسة سياسة على هامش الكتل ، يبذل المحرفون اليوغوسلاف نشاطا يلحق الضرر بوحدة جميع القوى وكافة الدول المسالمة .

وعليه يصل البيان الى النتيجة الآتية :

ومن الواجب الضروري للأحزاب الماركسية اللينينية دائما ، فضح القادة المحرفين اليوغوسلاف والكفاح بقوة وعزم لصيانة الحركة الشيوعية وحركة العمال من أفكارهم المعادية للينينية .

والمسألة الموضوعة هنا هي مسألة مبدئية هامة في الحركة الشيوعية العالمية .

لقد حدث حتى منذ وقت قريب أن صرحت طغمة تيتو علنا بأنها تثابر على اتخاذ برنامجها التحريفي وموقفها المعادي للماركسية

اللينينية – موقف معارضة التصريح والبيان .

لقد صرف الاستعمار الأميركي وشركاؤه في منظمة حلف شمال الأطلسي عدة آلاف ملايين الدولارات الأميركية لرعاية طغمة تيتو منذ فترة طويلة . وبالالتحاف بثوب « الماركسية اللينينية » ورفع راية « بلد اشتراكي » ، ظلت طغمة تيتو تحطم الحركة الشيوعية العالمية والقضية الثورية لدى شعوب العالم خادمة كفصيلة خاصة للاستعمار الأميركي .

ومما لا أساس له مطلقا ومجاف للحقائق القول بأن يوغوسلافيا تبدي « اتجاهات محددة ايجابية » وبأنها « بلد اشتراكي » وأن طغمة تيتو هي « قوة معادية للاستعمار » .

ان أشخاصا معينين يحاولون الآن ادخال الطغمة اليوغوسلافية التحريفية الى العائلة الاشتراكية الكبيرة وصفوف الشيوعية العالمية ، وهذا معناه تمزيق الاتفاق الذي أقر بالاجماع في اجتماع عام ١٩٦٠ الذي عقدته الأحزاب الشقيقة تمزيقا علنيا وهذا أمر يستحيل السماح بحدوثه .

لقد برهنت حقيقة أن الاتجاه الايديولوجي التحريفي قد غمر الحركة العمالية العالمية كما برهنت خبرات ودروس الحركة الشيوعية العالمية العديدة في السنوات القلائل الماضية ، بصورة كاملة ، على صحة النتيجة التي جاءت في التصريح والبيان والقائلة بأن التحريفية هي الخطر الرئيسي في الحركة الشيوعية العالمية الراهنة .

ومع ذلك طفق أشخاص معينون يقولون علنا ان الجمود العقائدي وليس التحريفية هو الخطر الرئيسي ، أو ان الجمود العقائدي لا يقل

خطرا عن التحريفية الخ . . فأي نوع من المبادىء يدل عليه كل هذا ؟

على الماركسيين اللينينيين الثابتين وعلى الأحزاب الماركسية اللينينية الحقيقية أن تضع المبادىء في المحل الأول . عليها ألا تتاجر بالمبادىء فتستحسن شيئا ما اليوم ، وشيئا آخر غدا ، وتدعو لأمر ما اليوم ، ولآخر غدا .

ان الشيوعيين الصينيين سوف يواصلون مع جميع الماركسيين اللينينيين شن نضال لا مساومة فيه ضد التحريفية المعاصرة بغرض صيانة نقاء الماركسية اللينينية والموقف المبدئي للتصريح والبيان .

وبينما يكافح الشيوعيون ضد التحريفية التي هي الخطر الرئيسي في الحركة الشيوعية العالمية عليهم أيضا مكافحة الجمود العقائدي .

كما جاء في تصريح عام ١٩٥٧ ، على الأحزاب البروليتارية « أن تتسمك تمسكا حازما بمبادىء الجمع بين الحقيقة العامة للماركسية اللينينية والتطبيق العملي الملموس للثورة وللبناء في بلدانها . »

وهذا يعني :

من الضروري من جانب في جميع الأوقات الالتزام بحقيقة الماركسية اللينينية العامة . وان لم يفعل هذا فسيقود الى ارتكاب أخطاء انتهازية يمينية أو أخطاء تحريفية .

ومن الجانب الآخر من الضروري دائما الانطلاق من الواقع والحفاظ على الصلات الوثيقة بالجماهير وتلخيص خبرة النضال الجماهيري بصورة دائمة ، واجراء العمل المستقل لاستنباط وتطبيق السياسات والتاكتيكات الملائمة للظروف المحددة في البلاد . وان لم يفعل المرء هذا واذا نقل بصورة ميكانيكية سياسات وتاكتيكات حزب

شيوعي آخر وخضع خضوعا أعمى لارادة الآخرين المفروضة عليه أو قبل دون تحليل برنامج وقرارات حزب شيوعي آخر باعتبارها خطه ، سوف يرتكب أخطاء الجمود العقائدي .

ان بعض الناس ينقضون الآن هذا المبدأ الأساسي الذي تم تأكيده منذ وقت بعيد في التصريح . وبحجة « تطوير الماركسية اللينينية تطويرا خلاقا » يلقون جانبا بحقيقة الماركسية اللينينية العامة . وبالاضافة لهذا يسمون وصفاتهم المعزولة عن الواقع والجماهير والتي هي من نتاج تخيلاتهم الذاتية يسمونها « حقائق ماركسية لينينية عامة » ويجبرون الآخرين على قبول هذه الوصفات دون قيد أو شرط .

وهذا هو السبب الذي نتجت عنه ظواهر خطيرة عديدة في الحركة الشيوعية العالمية الراهنة .

٢٤ ـ ان التجربة البالغة الأهمية التي جنتها الحركة الشيوعية العالمية هي أن تطور الثورة وانتصارها يرتكزان على وجود حزب بروليتاري ثوري .

لا بد من وجود حزب ثوري .

لا بد من وجود حزب ثوري مبني على أساس النظرية الثورية والأسلوب الثوري للماركسية اللينينية .

لا بد من وجود حزب ثوري يعرف كيف يمزج بين حقيقة الماركسية اللينينية العامة وبين الأعمال المحددة للثورة في بلاده .

لا بد من وجود حزب ثوري يعرف كيف يربط القيادة ربطا وثيقا بالجماهير الواسعة من الشعب .

لا بد من وجود حزب ثوري يثابر على الحقيقة ويصلح الأخطاء

ويعرف كيف يباشر النقد والنقد الذاتي .

مثل هذا الحزب الثوري فقط بوسعه أن يقود البروليتاريا والجماهير الواسعة من الشعب لهزيمة الاستعمار وعملائه ويكسب النصر التام في الثورة الوطنية الديمقراطية ويكسب الثورة الاشتراكية .

واذا لم يكن الحزب حزبا بروليتاريا ثوريا بل حزبا برجوازيا اصلاحيا ،

واذا لم يكن حزبا ماركسيا لينينيا بل حزبا تحريفيا ،

واذا لم يكن حزبا طليعيا للبروليتاريا بل حزبا يسير خلف البرجوازية ،

واذا لم يكن حزبا يمثل مصالح البروليتاريا وجميع جماهير الشغيلة بل حزبا يمثل مصالح الارستقراطية العمالية ،

واذا لم يكن حزبا أمميا بل حزبا قوميا ،

واذا لم يكن حزبا بوسعه أن يستخدم عقله ويفكر لنفسه بنفسه ويحرز معرفة صحيحة لاتجاهات الطبقات المختلفة في بلاده نفسها ، عن طريق البحث الجاد والدراسة ، ويعرف كيف يطبق حقيقة الماركسية اللينينية العامة ويمزجها بالأعمال المحددة لبلاده ، اذا لم يكن هكذا ، بل كان حزبا يردد كالببغاء كلمات الآخرين ، وينقل الخبرة الأجنبية دون تحليل ، ويندفع هنا وهناك استجابة لعصا ارشاد أشخاص معينين في الخارج ، فان حزبا كهذا يصبح خليطا من التحريفية والجمود العقائدي وكل شيء ما عدا المبدأ الماركسي اللينيني .

من المستحيل تماما على حزب كهذا أن يقود البروليتاريا والجماهير الشعبية الواسعة الى شن نضال ثوري وأن يكسب الثورة وأن يؤدي الرسالة التاريخية العظيمة للبروليتاريا .

ان هذه مسألة على جميع الماركسيين اللينينيين وجميع العمال

الواعين طبقيا وجميع الطليعيين أن يفكروا فيها تفكيرا عميقا .

٢٥ – يقع على الماركسيين اللينينيين واجب التمييز بين الحقيقة والزيف فيما يتعلق بالخلافات التي نشأت في الحركة الشيوعية العالمية . ومن أجل المصلحة المشتركة للوحدة من أجل النضال ضد العدو ، دعونا دائما الى حل المشاكل عن طريق المشاورات الحزبية الداخلية ، وعارضنا كشف الخلافات علنا أمام العدو .

وكما يعرف رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي فان المجادلة العلنية الراهنة في الحركة الشيوعية العالمية قد أثارها قادة أحزاب شقيقة معينة وفرضوها علينا .

وطالما أثير جدال علني يجب أن يباشر على أساس المساواة بين الأحزاب الشقيقة وعلى أساس الديمقراطية وبوضع الحقائق والاقناع عن طريق التعليل .

وطالما هاجم قادة أحزاب معينة أحزابا شقيقة أخرى علانية وأثاروا مناظرة علنية رأينا أنه ما من سبب أوحق يجعلهم يمنعون الأحزاب الشقيقة التي هوجمت من أن ترد علنا .

وطالما نشر قادة أحزاب معينة عددا لا يحصى من المقالات يهاجمون فيه أحزابا شقيقة أخرى فلماذا يرفضون نشر المقالات التي كتبتها ردا عليهم تلك الأحزاب ، على صحافتهم نفسها ؟

وفي الفترة الأخيرة تعرض الحزب الشيوعي الصيني لهجمات سخيفة . لقد أثار المهاجمون ضجة كبرى ، ولفقوا متجاهلين الحقائق تهما عديدة ضدنا . ولقد نشرنا في صحافتنا هذه المقالات والخطب التي تتضمن الهجوم علينا .

لقد نشرنا نحن أيضا بالنص الكامل في صحافتنا تقرير القائد السوفياتي في اجتماع مجلس السوفيات الأعلى في يوم ١٢ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٢ ، كما نشرنا مقال هيئة تحرير « البرافدا » بتاريخ السابع من يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٣ ، وخطاب رئيس وفد الحزب الشيوعي السوفياتي لدى المؤتمر السادس لحزب الوحدة الاشتراكي الألماني في السادس عشر من يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٣ ، ومقال هيئة تحرير « البرافدا » بتاريخ العاشر من فبراير (شباط » عام ١٩٦٣ .

كما نشرنا أيضا النص الكامل للرسالتين الواردتين من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المؤرختين في يوم ٢١ فبراير (شباط) ويوم ٣٠ مارس (آذار) عام ١٩٦٣ .

لقد رددنا على بعض المقالات والخطب التي هاجمتنا فيها أحزاب شقيقة ولكننا لم نرد على البعض الآخر منها ، وعلى سبيل المثال لم نرد مباشرة حتى الآن على المقالات والخطب العديدة التي كتبها وألقاها رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي .

لقد كتبنا بين الخامس عشر من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٢ والثامن من مارس (آذار) عام ١٩٦٣ سبع مقالات ردا على من هاجمونا وكانت هذه المقالات بالعناوين التالية :

« يا عمال العالم اتحدوا ضد عدونا المشترك » ،

« الخلافات بين الرفيق تولياتي وبيننا » ،

« اللينينية والتحريفية المعاصرة » ،

« لنتحد على أساس تصريح موسكو وبيان موسكو » ،

« من أين أتت الخلافات ؟ — ردا على توريز ورفاق آخرين » ،

« مزيد من القول حول الخلافات بين الرفيق تولياتي وبيننا — بعض قضايا اللينينية الهامة في العالم المعاصر » ،

« تعليق على بيان الحزب الشيوعي الأميركي » .

قد تقصدون هذه المقالات عندما اتهمتم في ختام رسالتكم المؤرخة في يوم ٣٠ مارس (آذار) الصحافة الصينية بـ « الهجوم الذي لا أساس له مطلقا » على الحزب الشيوعي السوفياتي . ان وصف المقالات التي نشرناها ردا على من هاجمونا بأنها « هجوم » ، ما هو الا قلب الأمر رأسا على عقب .

طالما كنتم تصفون مقالاتنا بأنها « لا أساس لها مطلقا » وأنها سيئة الى هذه الدرجة ، فلماذا لا تنشرون هذه المقالات السبع بأكملها والتي تصفونها بـ « هجوم لا أساس له مطلقا » كما نشرنا نحن مقالاتكم ، وتتركون جميع الرفاق السوفيت والشعب السوفياتي يفكرون ويحكمون بأنفسهم ، من المصيب ومن المخطىء ؟ وبالطبع لكم كل الحق في أن تفندوا نقطة نقطة هذه المقالات التي تصفونها بـ « هجوم لا أساس له مطلقا » .

وبالرغم من أنكم تصفون مقالاتنا بأنها « لا أساس لها مطلقا » وأحكامنا بأنها خاطئة ، الا أنكم لا تخبرون الشعب السوفياتي ما هي أحكامنا في الحقيقة . ان هذا العمل من العسير وصفه بموقف جاد تجاه مناقشة القضايا بين الأحزاب الشقيقة وتجاه الحقيقة وتجاه الجماهير .

نحن نتمنى بأن يصبح ممكنا ايقاف المناظرة العلنية بين الأحزاب الشقيقة . وهذه قضية تجب معالجتها على أساس مبادىء الاستقلال

والمساواة والوصول الى الاجماع عن طريق المشاورة بين الأحزاب الشقيقة . وليس لأي أحد الحق في الحركة الشيوعية العالمية في شن الهجمات كلما أراد ، أو أن يأمر بـ « انهاء المجادلة العلنية » كلما شاء بغرض منع الجانب الآخر من الرد .

معروف لرفاق الحزب الشيوعي السوفياتي أنه بغرض خلق جو مؤات لعقد اجتماع الأحزاب الشقيقة قررنا بصورة مؤقتة ايقاف الاجابة العلنية على الهجمات العلنية التي وجهت بالاسم الينا من قبل رفاق أحزاب شقيقة ، ابتداء مع التاسع من مارس (آذار) عام ١٩٦٣ . ونحن نحتفظ بحق الاجابة العلنية .

وفي رسالتنا المؤرخة في يوم ٩ مارس (آذار) ، ذكرنا أنه فيما يتعلق بمسألة ايقاف المناظرة العلنية « من الضروري أن يجري حزبانا والأحزاب الشقيقة المعنية بعض المناقشات وأن يتم الوصول الى اتفاق عادل ومقبول لدى الجميع » .

* * *

انما سبق هو أفكارنا فيما يختص بالخط العام للحركة الشيوعية العالمية وبعض القضايا المبدئية المتعلقة بالموضوع . ونحن نتمنى كما أشرنا في بداية هذه الرسالة أن يكون وضع أفكارنا بهذه الصورة الصريحة مفيدا لتفاهمنا المتبادل . وبالطبع قد يتفق معنا الرفاق في هذه الآراء أو يختلفون معنا . ولكن رأينا هو أن القضايا التي نناقشها هنا هي القضايا الحاسمة التي تتطلب الانتباه والحل من قبل الحركة الشيوعية العالمية . ونتمنى أن تناقش جميع هذه القضايا وأيضا القضايا التي عرضت في

رسالتكم مناقشة كافية في المحادثات بين حزبينا وفي اجتماع ممثلي جميع الأحزاب الشقيقة .

بالاضافة الى هذا فهناك قضايا أخرى ذات أهمية مشتركة مثل نقد ستالين وبعض القضايا الهامة المبدئية المتعلقة بالحركة الشيوعية العالمية التي أثيرت في المؤتمر العشرين والمؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ونتمنى أن يكون هناك تبادل صريح أيضا للآراء حولها أثناء المحادثات .

فيما يتعلق بالمحادثات بين حزبينا فقد اقترحنا في رسالتنا بتاريخ ٩ مارس (آذار) أن يحضر الرفيق خروشوف الى بكين واذا لم يكن هذا ملائما اقترحنا أن يقود رفيق مسئول آخر من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي وفدا الى بكين أو نرسل نحن وفدا الى موسكو .

وبما أنكم ذكرتم في رسالتكم بتاريخ ٣٠ مارس (آذار) أن الرفيق خروشوف لا يستطيع الحضور الى الصين ، ولم تعبروا عن الرغبة في ارسال وفد الى الصين فقد قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أن ترسل وفدا الى موسكو .

في رسالتكم بتاريخ ٣٠ مارس (آذار) وجهتم الدعوة الى الرفيق ماو تسي تونغ لزيارة الاتحاد السوفياتي . ولكن منذ ٢٣ فبراير (شباط) ذكر الرفيق ماو تسي تونغ بوضوح في محادثاته مع السفير السوفياتي لدى الصين السبب الذي يحول بينه وبين زيارة الاتحاد السوفياتي في الوقت الحاضر . وقد كنتم على علم تام بهذا .

عندما استقبل رفيق مسئول من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني السفير السوفياتي لدى الصين في ٩ مايو (أيار) أخبركم بأننا سنرسل

وفدا الى موسكو في منتصف يونيو (حزيران) . وقد وافقنا على تأجيل المحادثات بين حزبينا حتى الخامس من يوليو (تموز) استجابة لطلب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي .

نحن نتمنى باخلاص أن تحرز المحادثات بين الحزبين الصيني والسوفياتي نتائج ايجابية وتساهم في التحضير لعقد اجتماع ممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية لجميع البلدان .

لقد أصبح من الضروري الآن أكثر من أي وقت مضى لشيوعيي جميع البلدان أن يتحدوا على أساس الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية وعلى أساس التصريح والبيان اللذين أقرتهما بالاجماع الأحزاب الشقيقة .

ان الحزب الشيوعي الصيني مستعد لمواصلة جهوده دون كلل ، مع الأحزاب الماركسية اللينينية والشعوب الثورية في جميع أرجاء العالم ، لصيانة مصالح المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية وقضية تحرر الشعوب والأمم المضطهدة والنضال ضد الاستعمار ومن أجل السلم العالمي .

ونحن نتمنى ألا تقع في الحركة الشيوعية العالمية أحداث تحزن المقربين الأعزاء وتسر الأعداء في المستقبل من جديد .

ان الشيوعيين الصينيين يؤمنون بثبات بأن الماركسيين اللينينيين والبروليتاريا والشعوب الثورية في كل مكان سوف يتحدون اتحادا أوثق ويتغلبون على جميع الصعاب والعقبات ويكسبون انتصارات أعظم في النضال ضد الاستعمار ومن أجل صيانة السلم العالمي وفي النضال من أجل القضية الثورية لشعوب العالم وقضية الشيوعية العالمية .

يا عمال العالم اتحدوا ! يا عمال وشعوب وأمم العالم المضطهدة اتحدوا ! عارضوا عدونا المشترك !

مع تحياتنا الشيوعية .

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني

يوم ١٤ يونيو(حزيران) عام ١٩٦٣

أصل الخلافات وتطورها
بين قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي
وبيننا

– تعليق على الرسالة المفتوحة للجنة المركزية
للحزب الشيوعي السوفياتي

بقلم هيئتي تحرير صحيفة « جينمينجيباو »
ومجلة « العلم الأحمر »
(٦ سبتمبر " أيلول " عام ١٩٦٣)

لقد مضى أكثر من شهر حتى الآن منذ أن نشرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي يوم ١٤ يوليو (تموز) رسالتها المفتوحة الموجهة الى المنظمات الحزبية بجميع المستويات والى جميع أعضاء الحزب في الاتحاد السوفياتي . ان هذه الرسالة المفتوحة والخطوات التي اتخذتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي فيما بعد قد دفعت العلاقات الصينية السوفياتية الى حافة الانهيار ، كما دفعت الخلافات في الحركة الشيوعية العالمية الى مرحلة من الخطورة لم يسبق لها مثيل .

ان موسكو وواشنطن ونيودلهي وبلغراد يسودها الآن جو حب متبادل . وتنشر الصحافة السوفياتية تشكيلة لا حصر لها من القصص والنظريات التي تفوق التصور تهاجم بها الصين . لقد تحالفت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي مع الاستعمار الأميركي والرجعيين الهنود وطغمة تيتو المرتدة ضد الصين الاشتراكية وجميع الأحزاب الماركسية اللينينية ، فخانت بذلك الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية خيانة مكشوفة . وخرقت بلا خجل تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ ، ونقضت معاهدة الصداقة والتحالف والمساعدة المتبادلة بين الصين والاتحاد السوفياتي نقضا صريحا .

ان الخلافات الراهنة في الحركة الشيوعية العالمية وبين الحزبين الصيني والسوفياتي تشمل سلسلة كاملة من القضايا المبدئية الهامة . لقد وضحت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في رسالتها المؤرخة

في يوم ١٤ يونيو (حزيران) الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بصورة منتظمة وشاملة جوهر هذه الخلافات . وبينت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في رسالتها هذه أن الخلافات الراهنة في الحركة الشيوعية العالمية وبين الحزبين الصيني والسوفياتي هي في التحليل النهائي تتعلق بمسائل ما اذا كانت المبادىء الثورية لتصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ تقبل أم لا ، وما اذا كانت الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية تقبلان أم لا ، وما اذا كانت هناك حاجة الى الثورة أم لا ، وما اذا كانت معارضة الاستعمار واجبة أم لا ، وما اذا كانت وحدة المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية مرغوبا فيها أم لا .

كيف نشأت الخلافات في الحركة الشيوعية العالمية وبين قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي وبيننا ؟ وكيف توسعت الى هذه الحدود الخطيرة ؟ ان كل شخص يهمه هذان السؤالان .

لقد عالجنا في مقالنا « من أين أتت الخلافات ؟ » (١) أصل وتطور الخلافات في الحركة الشيوعية العالمية بصورة عامة . وقد أحجمنا عن عمد وقتذاك عن تقديم حقائق معينة تتعلق بهذه القضية ولا سيما حقائق معينة هامة تتعلق بقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، تاركين لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي مخرجا ، الا أننا كنا على استعداد لتقديم صورة أكمل ولمناقشة الصواب والخطأ عندما تدعو الضرورة الى ذلك . أما الآن وقد أوردت الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي أكاذيب عديدة حول أصل الخلافات

---

(١) افتتاحية صحيفة « جينمينجيباو » بتاريخ ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٦٣ .

وتطورها ، وشوهت الحقائق تشويها كاملا ، فقد أصبح من الضروري أن نقدم حقائق معينة حتى نوضح الأمر بصورة مفصلة أكثر .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي لم تجرؤ في رسالتها المفتوحة على عرض الحقيقة لا على أعضاء حزبها ولا على جماهير الشعب . ان قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، بدلا من أن تكون صريحة وسافرة وتحترم الحقائق كما يفعل الماركسيون اللينينيون ، لجأت الى العرف التقليدي الذي يلجأ اليه السياسيون البرجوازيون فشوهت الحقائق وخلطت بين الحق والباطل محاولة بعناد تحويل المسئولية فيما يتعلق بظهور الخلافات وتوسعها عن كاهلها الى كاهل الحزب الشيوعي الصيني .

قال لينين ذات مرة : « ان الأمانة في السياسة هي نتاج القوة ، أما النفاق . . . فهو نتيجة الضعف . » (١) ان الأمانة واحترام الحقائق هما دليلان على موقف الماركسيين اللينينيين ، والذين انحطوا سياسيا هم وحدهم الذين يعتمدون على الكذب حتى يتسنى لهم العيش .

ان الحقائق أفصح الأشياء ، وهي أحسن الشواهد . فلننظر الى الحقائق اذن !

بدأت الخلافات منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي

هنالك مثل يقول « النهر يحتاج الى أكثر من يوم واحد بارد حتى يبلغ عمق الثلج فيه ثلاثة أقدام » . ان الخلافات الراهنة في الحركة

(١) لينين : « تعليقات جدلية » .

الشيوعية العالمية لم تبدأ بالطبع اليوم .

ان الرسالة المفتوحة التي أصدرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي توحي بأن الخلافات في الحركة الشيوعية العالمية قد بدأت نتيجة ثلاث مقالات نشرناها نحن دفعة واحدة في شهر أبريل (نيسان) عام ١٩٦٠ بعنوان « عاشت اللينينية » . ان هذه أكذوبة كبيرة .

فما هي الحقيقة ؟

إن الحقيقة هي أن سلسلة الخلافات المتعلقة بالمبدأ في الحركة الشيوعية العالمية قد بدأت بأكملها منذ أكثر من سبعة أعوام خلت .

إنها بدأت بوجه التحديد منذ المؤتمر العشرين الذي عقده الحزب الشيوعي السوفياتي في عام ١٩٥٦ .

لقد كان المؤتمر العشرون الذي عقده الحزب الشيوعي السوفياتي هو الخطوة الأولى التي خطتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في طريق التحريفية . ومنذ المؤتمر العشرين حتى اليوم مر الخط التحريفي لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي بعملية الظهور والتكوين والنمو ثم الانتظام . كما فهم الناس بالتدريج أيضاً وأعمق وأعمق الخط التحريفي لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي .

لقد كان رأينا منذ البداية أن كثيرا من المفاهيم التي عرضت في المؤتمر العشرين فيما يتعلق بالنضال العالمي المعاصر والحركة الشيوعية العالمية ، كانت مفاهيم خاطئة ونقضا للماركسية اللينينية . وبصفة خاصة ، كان إنكار ستالين إنكارا تاما تحت ستار « مقاومة عبادة الفرد » والاستنتاج الخاص بالانتقال السلمي الى الاشتراكية عبر « الطريق البرلماني » ، خطئين مبدئيين فظين .

لقد كان نقد ستالين في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي خطأ من ناحية المبدأ والأسلوب معا .

لقد كانت حياة ستالين حياة رجل ماركسي لينيني عظيم وحياة ثوري بروليتاري عظيم . ولمدة ثلاثين عاما بعد وفاة لينين كان ستالين القائد الاول للحزب الشيوعي السوفياتي والحكومة السوفياتية كما كان القائد المعترف به للحركة الشيوعية العالمية وحامل لواء الثورة العالمية . لقد ارتكب ستالين في حياته اخطاء خطيرة ، الا ان هذه الاخطاء بالمقارنة مع مآثره العظيمة ، لم تكن الا شيئا ثانويا .

لقد قدم ستالين خدمات عظيمة لقضية تطور الاتحاد السوفياتي والحركة الشيوعية العالمية . وقد قلنا في مقالنا المنشور في أبريل (نيسان) عام ١٩٥٦ تحت عنوان « الخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا » ما يلي :

« وبعد وفاة لينين أصبح ستالين القائد الأول للحزب والدولة فطبق الماركسية اللينينية بصورة خلاقة وطورها . لقد عبر ستالين عن عزيمة الشعب ومطامحه وبرهن على أنه مناضل ماركسي لينيني بارز في النضال دفاعا عن تركة اللينينية ضد أعدائها ـ التروتسكيين والزينوفييفيين وغيرهم من عملاء البرجوازية . لقد كسب ستالين تأييد الشعب السوفياتي ولعب دورا هاما في التاريخ لأنه في الدرجة الأولى دافع مع غيره من قادة الحزب الشيوعي السوفياتي عن خط لينين حول تصنيع الدولة السوفياتية وحول

النظام الجماعي في الزراعة . وباتباع هذا الخط أحرز الحزب الشيوعي السوفياتي انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي وخلق الظروف الملائمة لانتصار الاتحاد السوفياتي في الحرب ضد هتلر ، كانت هذه الانتصارات التي أحرزها الشعب السوفياتي تتفق تماما ومصالح الطبقة العاملة العالمية وجميع البشرية التقدمية . ولهذا كان من الطبيعي ان ينال إسم ستالين شرفا عظيما في أرجاء العالم . »

كان من الضروري نقد اخطاء ستالين . الا ان الرفيق خروشوف أنكر ستالين انكارا تاما في تقريره السري الذي ألقاه على المؤتمر العشرين ، وقد أشان بهذا الفعل بسمعة ديكتاتورية البروليتاريا ، والنظام الاشتراكي ، والحزب الشيوعي السوفياتي العظيم ، والاتحاد السوفياتي العظيم والحركة الشيوعية العالمية . وبدلا من ان يستخدم أسلوب النقد والنقد الذاتي المألوف لدى حزب بروليتاري ثوري بغرض تحليل وتلخيص الخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا بصورة نزيهة وجادة ، عامل ستالين كالعدو وألقى عليه وحده تبعة كل الأخطاء .

وباستخدام كلمات شريرة وملهبة ، أورد خروشوف في تقريره السري مجموعة من الأكاذيب ، ملقيا التهم بأن ستالين كان مصابا بـ « جنون التعذيب » ، وكان « منغمسا في عناد عظيم » وأنه سلك « سبيل الكبت الجماعي والارهاب » وانه « لم يعرف البلاد والزراعة الا من الافلام » وأنه « وضع خطط العمليات على نموذج الكرة الأرضية » وأن قيادته « أصبحت عقبة كأداء في طريق التقدم الاجتماعي السوفياتي »

وهكذا وهلم جرا . لقد أنكر خروشوف انكارا تاما جميع مآثر ستالين في قيادة الشعب السوفياتي لشن النضال الحازم ضد جميع الأعداء الداخليين والخارجيين ولإحراز نتائج عظيمة في قضية التحول الاشتراكي والبناء الاشتراكي ، وفي قيادة الشعب السوفياتي للدفاع عن أول قطر اشتراكي في العالم وتدعيم ذلك القطر ولكسب انتصار رائع في الحرب ضد الفاشية ، وفي الدفاع عن الماركسية اللينينية وتطويرها .

ان خروشوف ، بانكاره ستالين انكارا تاما في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي أنكر بالفعل ديكتاتورية البروليتاريا ونظريات الماركسية اللينينية الاساسية التي دافع عنها ستالين وطورها . لقد كان ذلك المؤتمر بالذات هو الوقت الذي بدأ فيه خروشوف في تقريره التلخيصي نبذ الماركسية اللينينية فيما يتعلق بعدد من القضايا المبدئية .

لقد قدم خروشوف ، في تقريره التلخيصي لدى المؤتمر العشرين تحت ستار أن « تغيرات جذرية » قد طرأت على الوضع العالمي ، استنتاجه حول « الانتقال السلمي » . وقال ان طريق ثورة أكتوبر كان « هو الطريق الصحيح الوحيد في تلك الظروف التاريخية » ، الا أنه وقد تغير الوضع ، أصبح من الممكن احداث الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية « عبر الطريق البرلماني » . ان هذا الاستنتاج الخاطىء في جوهره تحريف واضح لتعاليم الماركسية اللينينية حول الدولة والثورة كما هو انكار واضح للأهمية العامة لطريق ثورة أكتوبر .

وتحت نفس ستار أن « تغيرات جذرية » قد طرأت على الوضع العالمي ، تشكك خروشوف في تقريره التلخيصي في استمرار فعالية تعاليم لينين المتعلقة بالاستعمار وبالحرب والسلم ، وهذا في الحقيقة

تبديل لتعاليم لينين .

وفي تقريره صور خروشوف الحكومة الاميركية ورئيسها في صورة أناس يقاومون قوى الحرب ، لا في صورة ممثلين للقوى الاستعمارية الحربية . لقد قال خروشوف : « . . . ان دعاة تسوية القضايا البارزة عن طريق الحرب مازالوا يحتلون مراكز قوية هناك (يعني في الولايات المتحدة) و . . . مازالوا يباشرون ضغطا عظيما على الرئيس وعلى الحكومة . » وواصل القول بان المستعمرين قد بدأوا يعترفون بأن سياسة مواقع القوة قد أفلست وأن « بوادر صحو معين بدأت تظهر » بينهم . لقد كان هذا بمثابة القول أنه كان بوسع حكومة الولايات المتحدة ورئيسها ألا يمثلا مصالح البرجوازية الاحتكارية الاميركية وان يتخليا عن السياسات العدوانية والحربية وينخرطا في صفوف القوى المدافعة عن السلم .

لقد أعلن خروشوف « أننا نود أن نصادق الولايات المتحدة ونتعاون معها في النضال من اجل السلم والأمن الدولي وكذلك في المحيطين الاقتصادي والثقافي . » ولقد تطور هذا الرأي الخاطىء فيما بعد حتى أصبح خطأً « للتعاون السوفياتي الأميركي لأجل تسوية القضايا العالمية » .

لقد شوه خروشوف مبدأ لينين الصحيح المتعلق بالتعايش السلمي بين الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة وأعلن أن التعايش السلمي هو « الخط العام للسياسة الخارجية » التي يسير عليها الاتحاد السوفياتي . ان هذا بمثابة اقصاء المعونة المتبادلة والتعاون بين الأقطار الاشتراكية ومساندتها للنضالات الثورية لدى الشعوب والأمم المضطهدة من الخط العام للسياسة الخارجية التي تسير عليها الأقطار الاشتراكية ، أو جعل كل هذه وقفا على سياسة ما يسمى بـ « التعايش السلمي » .

ان سلسلة المسائل التي أثارتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في المؤتمر العشرين ولاسيما مسألة ستالين ومسألة « الانتقال السلمي » ، ليست بأي حال من الأحوال أمورا داخلية تخص الحزب الشيوعي السوفياتي ، انها قضايا حاسمة تهم المصالح المشتركة لدى جميع الأحزاب الشقيقة . لقد توصلت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، دون مشورة مسبقة مع الأحزاب الشقيقة ، الى نتائج تعسفية ، وأرغمت الأحزاب الشقيقة على قبول الامر الواقع ، وتحت ستار « مقاومة عبادة الفرد » تدخلت بفظاظة في الشؤون الداخلية للأحزاب والاقطار الشقيقة وهدمت قياداتها غدرا مما روج سياستها الانعزالية والانقسامية في الحركة الشيوعية العالمية .

ان التطورات التي أعقبت ذلك توضح بصورة متزايدة أن خيانة وتحريف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي للماركسية اللينينية والأممية البروليتارية قد نشأ عن الأخطاء المشار اليها آنفا .

لقد كانت آراء الحزب الشيوعي الصيني من حيث المبدأ تختلف دائما عن وجهات نظر المؤتمر العشرين الذي عقده الحزب الشيوعي السوفياتي ، والرفاق القياديون في الحزب الشيوعي السوفياتي يعرفون هذا جيدا . ومع ذلك تزعم الرسالة المفتوحة التي أصدرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بان الحزب الشيوعي الصيني أيد في الماضي المؤتمر العشرين تأييدا تاما ، وأننا « قد غيرنا موقفنا بمقدار مائة وثمانين درجة » فيما يتعلق بتقديرنا للمؤتمر العشرين وأن موقفنا مليء بـ «التأرجح والتذبذب » وأنه موقف « مزيف » .

من المستحيل تماما على قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن تحجب

السماء عن الأنظار بكف واحدة . فلتتحدث الحقائق عن نفسها .

في مناسبات عديدة أثناء المناقشات الداخلية بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي توجه رفاق قياديون من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بالنقد الجدي لاخطاء قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي :

وفي ابريل (نيسان) عام ١٩٥٦ أي بعد انقضاء أقل من شهرين على المؤتمر العشرين ، عبر الرفيق ماو تسي تونغ عن آرائنا فيما يتعلق بمسألة ستالين في محادثات مع الرفيق ميكويان عضو رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، ومع السفير السوفياتي لدى الصين . لقد أكد الرفيق ماو تسي تونغ أن ستالين « كانت مآثره أعظم من أخطائه » وأنه كان « من الضروري إجراء تحليل مطابق للحقيقة وموازنة شاملة » لستالين .

وفي ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٥٦ ذكر الرفيق ماو تسي تونغ عندما استقبل السفير السوفياتي لدى الصين « أن ستالين يستحق أن ينقد ، الا أننا لا نوافق على اسلوب النقد ، كما هنالك أمور أخرى لانوافق عليها أيضا . »

وفي ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٦ ذكر الرفيق ماو تسي تونغ مرة أخرى عندما استقبل السفير السوفياتي لدى الصين أن السياسة الأساسية والخط الأساسي خلال الفترة التي كان فيها ستالين في الحكم كانا صحيحين وأن الأساليب التي تستخدم ضد الأعداء لا يجب استخدامها ضد الرفاق .

ان الرفيق ليو شاو تشي في محادثته مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٥٦ ، والرفيق شو أن لاي في محادثاته في الأول من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٥٦ مع وفد الحزب الشيوعي السوفياتي لدى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني ، وفي ١٨ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٥٧ مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، قد عبرا أيضا عن آرائنا فيما يتعلق بمسألة ستالين ، وتوجها معا بالنقد لأخطاء قادة الحزب الشيوعي السوفياتي باعتبارها تتكون أساسا من « الانعدام الكامل للتحليل الشامل » لستالين ، ومن « انعدام النقد الذاتي » ، و« انعدام مشاورة الأحزاب الشقيقة مقدما » .

وفي المناقشات الداخلية مع رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي قدم رفاق قياديون في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني آرائنا المختلفة عن آرائهم حول مسألة الانتقال السلمي . وبالاضافة لهذا بعثت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٧ الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي كتابة « عرضا عاما للآراء حول مسألة الانتقال السلمي » ، شرحت فيه باسهاب ووضوح وجهة نظر الحزب الشيوعي الصيني :

كما قدم رفاق قياديون في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بصورة منتظمة في مناقشاتهم الداخلية العديدة مع رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي وجهات نظرنا حول الوضع العالمي

واستراتيجية الحركة الشيوعية العالمية مشيرين مباشرة الى أخطاء المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي .

ان هذه الحقائق واضحة وضوح النهار . كيف يمكن اذن لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ان تمسحها بهذا الكذب الذي لا يعرف خجلا ؟

لقد نقلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي اثناء محاولتها لإخفاء هذه الحقائق الهامة في رسالتها المفتوحة تصريحات علنية أدلى بها الرفاق ماو تسي تونغ وليو شاو تشي وتنغ سياو بنغ بعد أن بترتها بغرض الاستدلال على أن الحزب الشيوعي الصيني كان يؤكد قبوله التام للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي . ان هذا لا جدوى منه .

والحقيقة هي أن الحزب الشيوعي الصيني لم يؤكد أبدا في اي وقت وفي أي مكان قبوله التام للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ولم يوافق على الانكار التام لستالين ولم يقبل وجهة النظر القائلة بالانتقال السلمي الى الاشتراكية عبر « الطريق البرلماني » .

لم يمض وقت طويل على المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي حتى نشرنا في يوم ٥ ابريل (نيسان) عام ١٩٥٦ مقال «حول الخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا » ، ثم نشرنا في ٢٩ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٥٦ مقال « مزيد من القول حول الخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا » . وبينما فند هذان المقالان الافتراءات المعادية للشيوعية التي ينشرها المستعمرون والرجعيون قدما تحليلا شاملا لحياة ستالين وأكدا الأهمية العامة لطريق ثورة أكتوبر

ولخصا الخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا ونقدا بمهارة وصراحة أفكار المؤتمر العشرين الخاطئة . أليست هذه حقيقة معروفة على نطاق واسع ؟

لقد واصل الحزب الشيوعي الصيني ، منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، تعليق صورة ستالين جنبا الى جنب مع صور القادة الثوريين العظام الآخرين : ماركس وانجلز ولينين . أوليست هذه أيضا حقيقة معروفة على نطاق واسع ؟

ومما يجدر بالقول بالطبع أنه من أجل الوحدة ضد العدو ، واعتبارا للصعاب التي كان يقاسيها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد أحجمنا في تلك الأيام عن النقد المكشوف لأخطاء المؤتمر العشرين ، نظرا لأن المستعمرين ورجعيي مختلف البلدان كانوا يستخدمون تلك الأخطاء في مواصلة نشاطاتهم المسعورة ضد الاتحاد السوفياتي وضد الشيوعية وضد الشعب ؛ وكذلك نظرا لأن قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي لم تكن قد شطت عن الماركسية اللينينية بالقدر الذي بلغته بعد ذلك ، لقد تمنينا بحرارة في ذلك الوقت أن تصلح قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي أخطاءها . وعلى ذلك سعينا دائما للبحث عن جوانبها الايجابية وقدمنا لها في المناسبات العلنية كل سند كان ملائما وضروريا .

ورغم ذلك فقد أوضح رفاق قياديون في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في الخطب العلنية التي ألقوها ، موقفنا من المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، عن طريق تركيزهم على الدروس الايجابية والمبادىء .

لقد جاء في الرسالة المفتوحة التي نشرتها اللجنة المركزية للحزب

الشيوعي السوفياتي أن الرفيق ليو شاو تشي أكد في تقريره السياسي لدى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني صحة نتائج المؤتمر العشرين تأكيدا تاما . الا أن الرفيق ليو شاو تشي في هذا التقرير بالذات تحدث عن الدروس الخاصة بالثورة الصينية ووضح أن طريق « الانتقال السلمي » كان خاطئا وغير عملي .

وجاء في الرسالة المفتوحة التي أصدرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي أن الرفيق تنغ سياو بنغ في تقريره لدى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني حول اعادة النظر في دستور الحزب أكد تأكيدا تاما صحة « مقاومة عبادة الفرد » ، تلك المقاومة التي حدثت في المؤتمر العشرين . الا أن الرفيق تنغ سياو بنغ في هذا التقرير بالذات شرح باسهاب وتفصيل مسألة المركزية الديمقراطية في الحزب ، ومسألة الصلة المتداخلة بين القادة والجماهير ، كما أوضح أسلوب العمل الصحيح الذي يتبعه حزبنا دائما ، وهكذا نقد بالفعل أخطاء المؤتمر العشرين فيما يتعلق بـ « مقاومة عبادة الفرد » .

هل هناك خطأ في تصرفنا هكذا ؟ أو لم نفعل بالضبط ما يجب على الحزب الماركسي اللينيني أن يفعله بالتمسك بالمبدأ وصيانة الوحدة ؟

كيف اذن يوصف موقف الحزب الشيوعي الصيني الصحيح الدائب تجاه المؤتمر العشرين بأنه « مليء بالتأرجح والتذبذب » وبأنه موقف « مزيف » ، وأنه « الاستدارة بمقدار مائة وثمانين درجة » ؟

قد تظن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، عندما توجه هذه الاتهامات الينا في رسالتها المفتوحة ، أنه بوسعها انكار النقد الذي وجهناه لأن هذا النقد كان معروفا فقط لدى عدد قليل من قادة الحزب الشيوعي

السوفياتي ، وأنه بوسعها استخدام الأباطيل لخداع الجماهير العريضة من أعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي والشعب السوفياتي ، ولكن أ لا يبرهن هذا على نفاقها نفسها ؟

العواقب الوخيمة التي أدى اليها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي

لقد أشادت الرسالة المفتوحة التي أصدرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بصخب بما يسمى بالنتائج « الرائعة » و « الهائلة » التي أحرزها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي .

الا ان التاريخ لا يمكن تغييره . فكل من لا يقاسي من ضعف الذاكرة سوف يتذكر أن المؤتمر العشرين نتيجة أخطائه لم يحرز نتائج « رائعة » أو « هائلة » بل أحرز نتائج مشينة بالاتحاد السوفياتي وبديكتاتورية البروليتاريا وبالاشتراكية والشيوعية ، وأتاح للمستعمرين والرجعيين وكل أعداء الشيوعية الآخرين فرصة جاهزة ، مما أدى الى عواقب وخيمة للغاية في الحركة الشيوعية العالمية .

وبعد المؤتمر ، وقد انتفخ المستعمرون ورجعيو مختلف البلدان غرورا ، أثاروا على نطاق عالمي موجة قوية ضد الاتحاد السوفياتي وضد الشيوعية وضد الشعب . وقد نظر المستعمرون الأميركيون الى الهجوم الشامل على ستالين من قبل قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي باعتباره أمرا « لم يلائم أغراضنا بهذه الدرجة من قبل » (١) ، وضجوا علنا متحدثين عن اعتزام استخدام تقرير خروشوف السري « كسلاح

لتحطيم هيبة ونفوذ الحركة الشيوعية » (٢) ، واغتنموا الفرصة للدعاية الى « التحويل السلمي » (٣) للاتحاد السوفياتي .

وقد أصبح التيتويون في أقصى درجات التعسف . وهاجموا تحت شعارهم الرجعي - « معاداة الستالينية » - ديكتاتورية البروليتاريا والنظام الاشتراكي هجوما وحشيا . وأعلنوا أن المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي « خلق عوامل كافية » لصالح « الاتجاه الجديد » الذي بدأته يوغوسلافيا ، وأن « المسألة الآن هي ما اذا كان هذا الخط سوف ينتصر أم سوف ينتصر خط الستالينية مرة أخرى » (٤) .

أما التروتسكيون أعداء الشيوعية الذين كانوا يعانون يأسا عظيما فقد بدأوا يواصلون نشاطهم بصورة محمومة . وقد جاء في منشورهم « بيان الى عمال وشعوب العالم قاطبة » الذي أصدرته الأممية الرابعة المزعومة مايلي : « اليوم ، في الوقت الذي يعترف فيه قادة الكرملين أنفسهم بالجرائم التي اقترفها ستالين ، انما يعترفون ضمنا بأن . . . النضال الذي قامت به الحركة التروتسكية العالمية بلا كلل ضد تحلل دولة العمال ، كان نضالا مبررا تماما . »

لقد أحدثت أخطاء المؤتمر العشرين فوضى ايديولوجية شديدة

---

(١) حديث اذاعي لمدير وكالة الاستعلامات لأميركية ، ت . سي ستريبارت في ١١ يونيو (حزيران) ١٩٥٦ .

(٢) افتتاحية صحيفة « النيويورك تايمس » في ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٥٦ بعنوان « الأزمة الشيوعية » .

(٣) بيان دالاس في مؤتمر صحفي ، ٣ أبريل (نيسان) ١٩٥٦ .

(٤) خطاب تيتو في مدينة بيولا ، ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٦ .

في الحركة الشيوعية العالمية وتسببت في زج الأفكار التحريفية اليها . وهاجم الشيوعيون المرتدون في أقطار عديدة ، جنبا الى جنب مع المستعمرين والرجعيين وطغمة تيتو ، الماركسية اللينينية والحركة الشيوعية العالمية .

من أهم الحوادث التي وقعت خلال هذه الفترة حادثة المتاعب التي طرأت في العلاقات السوفياتية البولندية وحادثة التمرد المعادي للثورة في هنغاريا . لقد كانت هاتان الحادثتان تختلفان في طبيعتيهما . الا أن قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ارتكبت أخطاء خطيرة فيما يتعلق بهما . لقد ارتكبت خطأ عصبية الدولة الكبيرة اذ أرسلت القوات العسكرية لقمع الرفاق البولنديين بالقوة المسلحة . وفي اللحظة الحرجة التي احتل فيها الهنغاريون المعادون للثورة بودابست ، أرادت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في وقت من الأوقات اتباع سياسة الاستسلام والتخلي عن هنغاريا الاشتراكية للثورة المعادية .

ان أخطاء قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي هذه أثارت صلف جميع أعداء الشيوعية ، وخلقت مصاعب خطيرة لعدد كبير من الأحزاب الشقيقة كما ألحقت ضررا عظيما بالحركة الشيوعية العالمية .

أمام هذا الوضع طالب الحزب الشيوعي الصيني وأحزاب شقيقة أخرى تتمسك بالماركسية اللينينية مطالبة حازمة برد هجوم الاستعمار والرجعية وحماية المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية . وقد دعونا باصرار الى اتخاذ جميع الاجراءات الضرورية لتحطيم التمرد المعادي للثورة في هنغاريا وعارضنا بحزم التخلي عن هنغاريا الاشتراكية . كما دعونا باصرار الى اتباع المبادىء الصحيحة في معالجة القضايا بين الأحزاب والأقطار الشقيقة بغرض تدعيم وحدة المعسكر

الاشتراكي ، وعارضنا بحزم أسلوب عصبية الدولة الكبيرة ، هذا الأسلوب الخاطىء . وبذلنا في نفس الوقت جهودا كبيرة لصيانة هيبة الاتحاد السوفياتي .

في ذلك الوقت قبل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي اقتراحنا ، وفي يوم ٣٠ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٥٦ أصدروا « تصريح الحكومة السوفياتية حول أسس تطور وزيادة تدعيم الصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفياتي والأقطار الاشتراكية الأخرى » ، هذا التصريح الذي تطرقوا فيه بالنقد لبعض أخطائهم السابقة في معالجة العلاقات مع الأقطار الشقيقة . وفي أول نوفمبر (تشرين الثاني) أصدرت الحكومة الصينية بيانا تؤيد فيه تصريح الحكومة السوفياتية .

لقد فعلنا كل هذا خدمة لمصلحة الحركة الشيوعية العالمية وأيضا بغرض اقناع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي باستخلاص الدروس اللازمة واصلاح أخطائهم في حينها حتى لا ينزلقوا أكثر بعدا عن الماركسية اللينينية . الا أن الأحداث التي تلت ذلك مباشرة برهنت على أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أضمروا حقدا علينا واعتبروا أن الحزب الشيوعي الصيني الذي يتمسك بالأممية البروليتارية أكبر عقبة في طريق خطهم الخاطىء .

اجتماع الأحزاب الشقيقة في موسكو عام ١٩٥٧

انعقد اجتماع ممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية في موسكو عام ١٩٥٧ بعد رد الهجمات الثقيلة التي شنها المستعمرون ورجعيو مختلف

البلدان على الحركة الشيوعية العالمية .

لقد جاء في الرسالة المفتوحة التي أصدرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي أن المؤتمر العشرين قد لعب « دورا عظيما » في تحديد الخط العام للحركة الشيوعية العالمية . الا أن الحقائق تدل بالضبط على النقيض من ذلك ، فقد رفض اجتماع الأحزاب الشقيقة في عام ١٩٥٧ كما أصلح أفكار المؤتمر العشرين الخاطئة المتعلقة بعدد كبير من القضايا المبدئية الهامة .

لقد لخص تصريح عام ١٩٥٧ المعروف والذي أجازه اجتماع موسكو ، خبرة الحركة الشيوعية العالمية ، ووضع مهام النضال المشترك لجميع الأحزاب الشيوعية . وأكد الأهمية العامة لطريق ثورة أكتوبر ، ولخص القوانين المشتركة المتحكمة في الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي كما وضع المبادىء المرشدة في العلاقات بين الأحزاب والأقطار الشقيقة . وهكذا أصبح الخط المشترك للحركة الشيوعية العالمية الذي تم التوصل اليه في الاجتماع ، تعبيرا عن المبادىء الثورية للماركسية اللينينية ومعارضا للأفكار الخاطئة المنحرفة عن الماركسية اللينينية والتي قدمها المؤتمر العشرون . ان المبادىء المرشدة في العلاقات بين الأحزاب والأقطار الشقيقة التي وردت في التصريح هي تعبيرات محددة لمبدأ الأممية البروليتارية وتقف معارضة لعصبية الدولة الكبيرة والانعزالية اللتين تسير عليهما قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي .

لقد قام وفد الحزب الشيوعي الصيني الذي كان برئاسة الرفيق ماو تسي تونغ بكمية عظيمة من العمل خلال ذلك الاجتماع فمن جانب ، تشاور الوفد مشورة كافية مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي

وعندما كان ملائما وضروريا شن النضال ضدهم حتى يمكنهم من اصلاح أخطائهم ؛ ومن الجانب الآخر تبادل الآراء بصورة متكررة مع قادة الأحزاب الشقيقة الأخرى حتى يتم التوصل الى اصدار وثيقة مشتركة مقبولة لدى الجميع .

لقد كان الموضوع الرئيسي المتنازع عليه في هذا الاجتماع بيننا وبين وفد الحزب الشيوعي السوفياتي هو مسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وكانت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي تصر في مسودة التصريح الأصلية التي تقدمت بها على وضع الأفكار الخاطئة التي قدمها المؤتمر العشرون حول الانتقال السلمي . ولم تتطرق هذه المسودة الى أي اشارة الى الانتقال غير السلمي واكتفت بذكر الانتقال السلمي فقط ؛ وبالاضافة لهذا وصفت الانتقال السلمي بأنه « احراز الأغلبية في البرلمان وتحويل البرلمان من أداة تخدم ديكتاتورية البرجوازية الى أداة لسلطة الدولة الشعبية الأصيلة » . وفي الحقيقة فان تلك المسودة وضعت « الطريق البرلماني » الذي دعا له انتهازيو الأممية الثانية موضع طريق ثورة أكتوبر وبدلت نظرية الماركسية اللينينية الأساسية المتعلقة بالدولة والثورة .

لقد عارض الحزب الشيوعي الصيني الأفكار الخاطئة التي وردت في مسودة التصريح التي قدمتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي معارضة حازمة . وقد عبرنا عن آرائنا فيما يتعلق بالمسودتين المتواليتين اللتين قدمتهما اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، وبعد أن أدخلنا عليهما عددا كبيرا من التعديلات الرئيسية المتعلقة بالمبدأ قدمنا مسودة خاصة بنا على أساس تلك التعديلات . وأعقبت ذلك مناقشة متكررة

بين وفدي الحزبين الصيني والسوفياتي على أساس مسودتنا المعدلة ، قبل أن يقدم « مشروع التصريح المقدم بالاشتراك من قبل الحزبين الشيوعيين السوفياتي والصيني » ، الى وفود الأحزاب الشقيقة الأخرى لابداء رأيها فيه .

ونتيجة للجهود المشتركة التي بذلها وفد الحزب الشيوعي الصيني وغيره من وفود الأحزاب الشقيقة ، أجاز الاجتماع في النهاية النص الحالي للتصريح ، الذي يتضمن تعديلين أساسيين فيما يختص بمسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، بالمقارنة بالمسودة الأولى التي قدمتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي . وهذان التعديلان هما : أولا ، بينما يشير التصريح الى امكانية الانتقال السلمي يشير أيضا الى طريق الانتقال غير السلمي ، ويؤكد أن « اللينينية تعلمنا ، والتجربة التاريخية تؤكد أن الطبقات الحاكمة لا تتخلى عن السلطة بطيبة خاطر » ؛ ثانيا ، بينما يتحدث التصريح عن احراز « أغلبية ثابتة في البرلمان » يؤكد الحاجة الى « توسيع النضال الجماهيري خارج البرلمان ، وتحطيم مقاومة قوى الرجعية وخلق الظروف الضرورية لتحقيق الثورة الاشتراكية ، سلميا » .

بالرغم من هذه التعديلات ، لم نكن راضين عن الصياغة الواردة في التصريح والخاصة بمسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وقبلنا في النهاية التنازل نظرا للرغبة التي عبر عنها مرارا وتكرارا قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في أن تظهر الصياغة بعض الصلة مع صياغة المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي .

ولكننا قدمنا في ذلك الوقت بالضبط الى اللجنة المركزية للحزب

الشيوعي السوفياتي عرضا عاما لوجهات نظرنا فيما يتعلق بمسألة الانتقال السلمي ، شرحنا فيه آراء الحزب الشيوعي الصيني شرحا وافيا وواضحا . ويركز هذا العرض على الآتي :

« في الوضع الحاضر للحركة الشيوعية العالمية ، يكون من المفيد تاكتيكيا الاشارة الى الرغبة في امكانية الانتقال السلمي ولكن من غير الملائم الافراط في التركيز على هذه الامكانية .»

« عليهما (البروليتاريا والحزب الشيوعي) أن يستعدا في كل وقت من الأوقات لردع الهجمات المعادية للثورة ، وعليهما في وقت الثورة الخطير ، عندما تقوم الطبقة العاملة فعلا بالاستيلاء على سلطة الدولة ، أن يطيحا بالبرجوازية بالقوة المسلحة اذا استخدمت البرجوازية القوة المسلحة لكبت ثورة الشعب (ويتحتم عموما أن تلجأ البرجوازية لهذا) . »

« ان الحصول على أغلبية في البرلمان أمر يختلف عن تحطيم جهاز الدولة القديم (وأساسا القوات المسلحة) وتأسيس جهاز دولة جديد (وأساسا القوات المسلحة) . وما لم يتم تحطيم جهاز الدولة العسكري البيروقراطي لدى البرجوازية ، إما أن يكون حصول البروليتاريا وحلفائها المعتمد عليهم على أغلبية برلمانية أمرا مستحيلا . . . أو أن يكون أمرا لا يعتمد عليه . . . » (أنظر الملحق الأول)

ونتيجة للجهود المشتركة التي بذلها وفد الحزب الشيوعي الصيني

وغيره من وفود الأحزاب الشقيقة ، أصلح تصريح عام ١٩٥٧ أيضاً الأفكار الخاطئة التي تقدمت بها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في المؤتمر العشرين والمتعلقة بقضايا كقضية الاستعمار وقضية الحرب والسلم ، وأضاف نقاطا عديدة هامة الى عدد من القضايا المبدئية . وكانت الاضافات الأساسية هي : الاستنتاج القائل بأن الاستعمار الأميركي هو مركز الرجعية العالمية وألد أعداء الجماهير الشعبية ؛ والاستنتاج القائل بأن الاستعمار اذا لجأ الى شن حرب عالمية فانه سيحكم بالموت على نفسه ؛ والقوانين العامة المتحكمة في الثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية ؛ ومبدأ الجمع بين حقيقة الماركسية اللينينية العامة وبين الأعمال المحددة للثورة والبناء في الأقطار المختلفة ؛ والتركيب الخاص بتطبيق المادية الديالكتيكية في العمل ؛ والاستنتاج القائل بأن استيلاء الطبقة العاملة على السلطة السياسية هو بداية الثورة لا نهايتها ؛ والاستنتاج القائل بأن حل مسألة من سينتصر ، هل الرأسمالية أم الاشتراكية ، سيستغرق وقتا طويلا نسبيا ؛ والاستنتاج القائل بأن وجود النفوذ البرجوازي هو المصدر الداخلي للتحريفية ، والاستسلام أمام ضغط الاستعمار هو مصدرها الخارجي ، والخ .

وفي نفس الوقت قدم وفد الحزب الشيوعي الصيني بعض التنازلات الضرورية . وبالاضافة الى الصياغة المتعلقة بمسألة الانتقال السلمي ، لم نوافق على العبارة التي تشير الى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي واقترحنا اجراء بعض التعديلات . ولكننا ، اعتبارا للوضع العسير لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في ذلك الوقت ، لم نصر على التعديلات .

من كان يتخيل أن هذه التنازلات التي قدمناها اعتبارا منا للمصلحة الأوسع سوف تستخدم مؤخرا من قبل قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي كحجة لتشديد الخلافات وخلق انقسام في الحركة الشيوعية العالمية ؟

ان الرسالة المفتوحة التي أصدرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تضع قرار المؤتمر العشرين دائما في موضع مساو لتصريح عام ١٩٥٧ محاولة بذلك احلال الخط الخاطىء الذي وضعه المؤتمر العشرون محل الخط المشترك للحركة الشيوعية العالمية . لقد ذكرنا منذ وقت بعيد ، ونرى الآن من الضروري أن نذكر مرة أخرى ، أنه ، بناء على المبدأ القائل بأن جميع الأحزاب الشقيقة مستقلة ومتساوية ، لا يحق لأي أحد اجبار الأحزاب الشقيقة الأخرى على قبول قرارات مؤتمر حزب واحد أو اجبارها على قبول أي أمر آخر . ان قرارات مؤتمر أي حزب كان ، مهما كان ذلك الحزب ، لا يمكن اعتبارها خطا مشتركا للحركة الشيوعية العالمية وليست لها أي قوة إلزام على الأحزاب الشقيقة الأخرى . ان الماركسية اللينينية والوثائق التي اتفقت عليها الأحزاب الشقيقة بالاجماع هي وحدها تشكل القانون المشترك الذي يلزم حزبينا وجميع الأحزاب الشقيقة .

نمو تحريفية قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي

لقد كنا نأمل ، بعد اجتماع موسكو عام ١٩٥٧ بفضل تصريحه الذي أجيز بالاجماع واتفق عليه ، أن تسير قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي على الخط الذي وضع في التصريح وأن تصلح أخطاءها . ويؤسفنا

أن نقول انه عكس ما توقعنا وعكس ما أملنا فيه نحن وجميع الأحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة ، خرقت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي بصورة متزايدة الخطورة المبادىء الثورية التي وردت في التصريح والمبادىء المرشدة للعلاقات بين الأحزاب والأقطار الشقيقة ، وشطت أكثر وأكثر عن طريق الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية . ونمت تحريفية قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي نموا جديدا . وقد أدى هذا التطور الى حدة الخلافات في الحركة الشيوعية العالمية ودفعها الى مرحلة جديدة .

وبصرف النظر تماما عن الاستنتاجات المشتركة التي توصل اليها تصريح عام ١٩٥٧ والقائلة بأن الاستعمار الأميركي هو عدو جميع شعوب العالم ، سعت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي سعيا حارا الى التعاون مع الاستعمار الأميركي والى تسوية القضايا العالمية بواسطة رئيس الاتحاد السوفياتي ورئيس الولايات المتحدة . وبصفة خاصة قبيل وبعد « محادثات كامب دافيد » في سبتمبر (ايلول) عام ١٩٥٩ رفع خروشوف أيزنهاور ثناء الى السماء ، ووصفه بأنه رجل « يتمتع بثقة شعبه المطلقة » (١) و« يهمه أمر توطيد السلم كما يهمنا نحن » (٢) . وبالاضافة لهذا روج رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي بنشاط لما اسموه بـ « روح كامب دافيد » ، هذه

---

(١) خطاب خروشوف في اجتماع جماهيري في موسكو ، ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٩ .

(٢) أجوبة خروشوف على أسئلة الصحفيين في مؤتمر صحفي في واشنطن ، ٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٩ .

الروح التي أنكر وجودها حتى أيزنهاور بنفسه ، مدعين بأن « محادثات كامب دافيد » تشكل « عهدا جديدا في العلاقات الدولية » (١) و« نقطة تحول في التاريخ » (٢) .

وبصرف النظر تماما عن الخط الثوري لتصريح عام ١٩٥٧ ، روج قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بعنف في الأقوال التي أدلى بها خروشوف وفي الصحافة السوفياتية ، لخطهم التحريفي خط « التعايش السلمي » و « المباراة السلمية » و « الانتقال السلمي » وأثنوا على «حكمة » و« حسن نية » المستعمرين وروجوا للقول بأن « عالما بلا أسلحة ولا قوات مسلحة ولا حروب » (٣) يمكن تحقيقه بينما الجزء الأعظم من الكرة الأرضية لم يزل تحت حكم وسيطرة الاستعمار ، كما دعوا الى نزع السلاح التام الشامل الأمر الذي بوسعه ، كما يقولون ، أن « يفتح عهدا جديدا من التطور الاقتصادي لآسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية » (٤) وهكذا وهلم جرا .

لقد أصدر الحزب الشيوعي السوفياتي عددا كبيرا من الكتب ونشر مجموعة كبيرة من المقالات ، تلاعب فيها ، فيما يتعلق بسلسلة

---

(١) خطاب خروميكو في دورة مجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ، ٣١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٩ .

(٢) برقية تهنئة بالسنة الجديدة أرسلها خروشوف وفورشيلوف الى أيزنهاور ، ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٠ .

(٣) أجوبة خروشوف على أسئلة روبرتو ج . نوبل مدير تحرير صحيفة « كلارين » الارجنتينية ٣٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥٩ .

(٤) خطاب خروشوف في الدورة العامة للأمم المتحدة ، ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٩ .

كاملة من القضايا الهامة المبدئية وفي حقول الفلسفة والاقتصاد السياسي والنظرية الخاصة بالاشتراكية والشيوعية والتاريخ والآداب والفنون ، بالنظريات الأساسية للماركسية اللينينية فنزع عنها روحها الثوري وروج فيها لأفكاره التحريفية .

لقد سعت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي جاهدة الى فرض أفكارها الخاطئة على المنظمات الديمقراطية العالمية من أجل تغيير خطوطها الصحيحة . والمثال البارز في هذا الصدد كان تصرف الرفاق السوفيت في الاجتماع الذي عقده المجلس العام لاتحاد النقابات العالمي في يونيو (حزيران) عام ١٩٦٠ في بكين .

وبصرف النظر تماما عن المبادىء المرشدة للعلاقات بين الأحزاب والأقطار الشقيقة التي وردت في تصريح عام ١٩٥٧ ، ورغبة في ارضاء الاستعمار الأميركي ، أطلق قادة الحزب الشيوعي السوفياتي العنان لنشاطاتهم المعادية للصين ، واعتبروا الحزب الشيوعي الصيني الذي يلتزم بالماركسية اللينينية عقبة في طريق خطهم التحريفي . وقد ظنوا أنهم قد حلوا مشاكلهم الداخلية وقد « رسخوا » مركزهم الخاص ، ولهذا بوسعهم دفع سياستهم سياسة « المودة مع الأعداء والقساوة مع الأصدقاء » .

في عام ١٩٥٨ تقدمت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي بمطالب غير معقولة ترمي الى وضع الصين تحت السيطرة العسكرية السوفياتية . ورفضتها الحكومة الصينية بحق وحزم . ولم يمض وقت طويل على هذا ، أي في يونيو (حزيران) عام ١٩٥٩ ، حتى مزقت الحكومة السوفياتية من جانبها وحدها الاتفاقية الخاصة بالتكنيك الجديد للدفاع الوطني ، التي عقدت بين الصين والاتحاد السوفياتي في أكتوبر (تشرين

الأول) عام ١٩٥٧ ورفضت أن تقدم الى الصين عينة من القنبلة الذرية والمعلومات التكنيكية المتعلقة بصنعها .

وفي عشية زيارة خروشوف الى الولايات المتحدة سارعت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، متجاهلة اعتراضات الصين المتكررة ، باصدار البيان الذي نشرته وكالة « تاس » في ٩ سبتمبر (ايلول) حول حادثة الحدود الصينية الهندية ، متخذة موقفها بجانب الرجعيين الهنود . وهكذا دفعت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي الخلافات بين الصين والاتحاد السوفياتي مباشرة الى العلن أمام العالم أجمع .

ان تمزيق قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي اتفاقية التكنيك الجديد للدفاع الوطني واصدارها البيان الخاص بالاصطدام على الحدود الصينية الهندية ، في عشية زيارة خروشوف الى الولايات المتحدة ، كانا عبارة عن هدية الزائر الى ايزنهاور بغرض ارضاء المستعمرين الأميركيين وخلق ما يسمى بـ « روح كامب دافيد » .

لقد شن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي والمنشورات السوفياتية أيضا هجمات شنيعة كثيرة على سياسات الحزب الشيوعي الصيني الداخلية والخارجية . وقد كانت هذه الهجمات جميعها تقريبا بقيادة خروشوف نفسه . وأوعز خروشوف خفية أن بناء الصين الاشتراكي كان « يسير فوق المرحلة المطلوبة » وكان « شيوعية بدائية » (١) وأن

---

(١) « تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي » الذي ألقاه خروشوف الى المؤتمر الحادي والعشرين للحزب ، يناير (كانون الثاني) ١٩٥٩ .

الكومونات الشعبية الصينية « رجعية في الحقيقة » (١) . وسب الصين موعزا خفية بأنها تتعطش الى الحرب ، وأنها مدانة بجريمة « المغامرة » (٢) وهكذا وهلم جرا . وعندما عاد خروشوف من « محادثات كامب دافيد » تمادى الى درجة محاولة اقناع الصين بقبول مؤامرة الاستعمار الأميركي لخلق « صينين » ، وفي المأدبة الحكومية التي أقيمت بمناسبة الاحتفال بالذكرى السنوية العاشرة لتأسيس جمهورية الصين الشعبية حاول أن يلقن الصين درسا في «عدم اللجوء الى القوة لاختبار مدى استقرار النظام الرأسمالي».

ان خط التحريفية والانقسام الذي تسير عليه قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد أثار فوضى خطيرة في صفوف الحركة الشيوعية العالمية . ويبدو كأن الاستعمار الاميركي لم يعد ألد أعداء شعوب العالم ، فقد رحب شيوعيون معينون بأيزنهاور باعتباره « رسول سلام » . ويبدو كأنما الماركسية اللينينية وتصريح عام ١٩٥٧ أصبحا قديمين فات أوانهما .

وفي هذه الظروف وبغرض صيانة الماركسية اللينينية وتصريح عام ١٩٥٧ وازالة الفوضى الايديولوجية من الحركة الشيوعية العالمية ، نشر الحزب الشيوعي الصيني « عاشت اللينينية » ومقالين آخرين في ابريل (نيسان) عام ١٩٦٠ . وقد ركزنا في هذه المقالات الثلاث ، ملتزمين بموقفنا الدائم موقف التمسك بالمبدأ وبالوحدة ، على توضيح

---

(١) محادثة خروشوف مع السيناتور الأميركي هـ . هـ . همفرى ، ١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥٨ .

(٢) تقرير خروشوف الى دورة مجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٩ .

الأفكار الثورية الواردة في تصريح عام ١٩٥٧ ونظريات الماركسية اللينينية الأساسية المتعلقة بالاستعمار ، والحرب والسلم ، والثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا . وكانت وجهات النظر التي وردت في هذه المقالات الثلاث تختلف اختلافا تاما عن سلسلة من الأفكار الخاطئة التي كانت تروج لها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي . ومع ذلك ، امتنعنا ، حماية للمصالح الأوسع ، عن توجيه النقد العلني الى رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي ووجهنا رأس رمح النضال الى المستعمرين والمحرفين اليوغوسلاف .

ان الرسالة المفتوحة التي أصدرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تبذل جهدا كبيرا في تشويه « عاشت اللينينية » والمقالين الآخرين وفي الهجوم عليها . الا أن هذه الرسالة عجزت عن تأييد هجماتها بأي حجة مقنعة . وبودنا أن نوجه السؤال الآتي : أكان علينا في تلك الظروف أن نعتصم بالصمت التام ازاء الأفكار الخاطئة والأقاويل السخيفة ، التي كانت شائعة حينذاك ؟ ألم يكن لنا الحق ، وكان لزاما علينا ، أن نتقدم دفاعا عن الماركسية اللينينية وتصريح عام ١٩٥٧ ؟

الهجوم المفاجىء الذي شنته قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي على الحزب الشيوعي الصيني

بعد نشر « عاشت اللينينية » والمقالين الآخرين بثمانية أيام ، اعتدت طائرة « يوتو - U2 » أميركية على الفضاء الجوي السوفياتي

وأحبطت الولايات المتحدة مؤتمر الذروة للدول الأربع . فتلاشت « روح كامب دافيد » كليا . وهكذا برهنت الحوادث على تمام صحة وجهات نظرنا .

وأمام العدو الداهية ، كان على الحزبين الشيوعيين الصيني والسوفياتي وعلى الأحزاب الشقيقة الأخرى في كل العالم أن تزيل خلافاتها وتعزز وحدتها وتشن نضالا مشتركا ضد العدو . ولكن ما حدث كان على النقيض مما توقع الناس : ففي صيف عام ١٩٦٠ ، توسعت الخلافات في صفوف الحركة الشيوعية العالمية ، وشنت حملة واسعة النطاق ضد الحزب الشيوعي الصيني ، ومدت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي الخلافات الايديولوجية بين الحزبين الصيني والسوفياتي الى مجال العلاقات بين الدولتين .

وكانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي قد طرحت قبل ذلك ، في أوائل يونيو (حزيران) عام ١٩٦٠ ، اقتراحاً بأن تنتهز فرصة المؤتمر الثالث لحزب العمال الروماني المنعقد في يونيو (حزيران) في بوخارست لعقد اجتماع لممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية في الأقطار الاشتراكية بغرض تبادل الآراء حول الوضع العالمي عقب احباط الولايات المتحدة مؤتمر ذروة الدول الأربع . الا أن الحزب الشيوعي الصيني لم يوافق على فكرة عقد اجتماع مستعجل كهذا ، كما لم يوافق على فكرة عقد اجتماع لممثلي أحزاب الأقطار الاشتراكية وحدها . وقد قدمنا اقتراحا ايجابيا بأن يعقد اجتماع لممثلي جميع الأحزاب الشيوعية والعمالية في العالم ، وأصررنا على أنه من الضروري اجراء الاستعدادات الوافية لانجاح ذلك الاجتماع . ولقي اقتراحنا هذا

موافقة الحزب الشيوعي السوفياتي كما اتفق الحزبان على أنه من أجل الاستعداد لذلك الاجتماع العالمي ، يمكن لممثلي الأحزاب الشقيقة الذين حضروا مؤتمر حزب العمال الروماني الثالث أن يتبادلوا الآراء بصورة أولية حول موعد ومكان الاجتماع ، دون أن يتخذوا أي قرار .

الا ان الذي أدهشنا هو أن قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي نكثت عهدها وشنت هجوما مفاجئا على الحزب الشيوعي الصيني في بوخارست ، محولة رأس رمح النضال اليه بدلا من تصويبه نحو الاستعمار الأميركي .

لقد انعقد اجتماع بوخارست لممثلي الأحزاب الشقيقة من ٢٤ الى ٢٦ من يونيو (حزيران) . وانه لكذبة مكشوفة أن تصف الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ذلك الاجتماع بـ « مساعدة رفاقية » للحزب الشيوعي الصيني .

في الحقيقة ، كان وفد الحزب الشيوعي السوفياتي برئاسة خروشوف قد وزع عشية الاجتماع على ممثلي بعض الأحزاب الشقيقة وتلا على بعضها الآخر رسالة اعلام موجهة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بتاريخ ٢١ يونيو (حزيران) . ان رسالة الاعلام هذه قد وجهت الافتراءات والهجمات الشاملة الخالية من أي اساس الى الحزب الشيوعي الصيني ، وهي تشكل برنامجا للحملة المعادية للصين ، التي شنتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي .

وفي الاجتماع تزعم خروشوف تنظيم هجوم من جميع الجوانب على الحزب الشيوعي الصيني . وقد افترى خروشوف في كلمته بنزق على الحزب الشيوعي الصيني بآنه « مجنون » و « يريد اشعال حرب »

و« التقط راية الرأسماليين الاحتكاريين الاستعماريين وأنه « قومي محض » فيما يتعلق بقضية الحدود الصينية الهندية وأنه يستعمل « الأساليب التروتسكية » ضد الحزب الشيوعي السوفياتي . أما بعض ممثلي الأحزاب الشقيقة الذين أطاعوا خروشوف آلياً فقد تبعوا قيادة خروشوف فحملوا بلا تورع أيضا على الحزب الشيوعي الصيني واصفينه بأنه « جامد عقائدي » و« مغامر يساري » و « ثوري كاذب » و « انعزالي » و « أسوأ من يوغوسلافيا » . . . الخ .

وبالنسبة الى كثير من الأحزاب الشقيقة ، فان الحملة المعادية للصين ، التي شنها خروشوف في ذلك الاجتماع كانت كذلك نوعا من الهجوم المفاجىء . وقد اعترض ممثلو بعض الأحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة على التصرف الخاطىء لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي .

وفي ذلك الاجتماع رفض وفد حزب العمل الألباني أن يطيع هراوة قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي وعارض بحزم نشاطاتها الانعزالية . ولذلك اعتبرت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي حزب العمل الألباني قذى في عينها . واتخذت ابتداء من ذلك الوقت خطوات متزايدة العنف ضد حزب العمل الألباني .

فهل يمكن أن يسمى هذا الهجوم النذل الذي شنته قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي على الحزب الشيوعي الصيني « مساعدة رفاقية » ؟ كلا بالطبع ! فقد كان مسرحية معادية للصين رتبت سلفا من قبل قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، لقد كان هذا خرقا خطيرا فظا للمبادىء المرشدة للعلاقات بين الأحزاب الشقيقة كما وردت في تصريح عام ١٩٥٧ ، لقد كان هجوما واسع النطاق على حزب ماركسي لينيني

قام به المحرفون الذين يمثلهم قادة الحزب الشيوعي السوفياتي .

وفي هذه الظروف ، خاض الحزب الشيوعي الصيني نضال الصاع بالصاع ضد قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي دفاعا عن مواقع الماركسية اللينينية وصيانة للمبادىء المرشِدة للعلاقات بين الأحزاب الشقيقة كما وردت في التصريح . ومراعاة للمصلحة العامة ، وقع وفد الحزب الشيوعي الصيني في بوخارست على البيان الخاص بالاجتماع ، كما وزع في نفس الوقت ، بناء على تعليمات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، بيانا كتابيا في ٢٦ يونيو (حزيران) عام ١٩٦٠ . وفي هذا البيان أشار وفد الحزب الشيوعي الصيني الى أن تصرف خروشوف في اجتماع بوخارست خلق سابقة سيئة جدا في الحركة الشيوعية العالمية . وصرح وفد الحزب الشيوعي الصيني بمهابة :

« ان بيننا وبين الرفيق خروشوف خلافات حول سلسلة من المبادىء الأساسية للماركسية اللينينية . » و « ان مستقبل الحركة الشيوعية العالمية يتوقف على حاجيات ونضال الشعوب وعلى ارشاد الماركسية اللينينية ، لا على هراوة أي فرد كان . » و « . . . حزبنا يؤمن ويطيع حقيقة الماركسية اللينينية وحدها ، وسوف لا يخضع لأية أفكار خاطئة تسير على نقيض الماركسية اللينينية . » (أنظر الملحق الثاني) .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لم يرضوا بفشلهم في اخضاع الحزب الشيوعي الصيني في بوخارست . فباشروا ضغطا أكثر على الصين

عقب اجتماع بوخارست مباشرة باتخاذ سلسلة من الخطوات لمد الخلافات الايديولوجية بين الحزبين الصيني والسوفياتي الى مجال العلاقات بين الدولتين .

وفي يوليو (تموز) قررت الحكومة السوفياتية فجأة ، من جانب واحد ، سحب جميع الخبراء السوفيت من الصين خلال شهر واحد ، وبهذا مزقت مئات الاتفاقيات والعقود ، وفضلا عن ذلك مزق الجانب السوفياتي بمفرده الاتفاقية حول نشر مجلة « دروشبا » (الصداقة) بواسطة الصين في الاتحاد السوفياتي ونشر مجلة « سو تسونغ يو خاو » (الصداقة السوفياتية الصينية) بواسطة الاتحاد السوفياتي في الصين وتوزيعهما على أساس المنفعة المتبادلة ، وطالب الحكومة الصينية بدون أي سبب معقول بأن تستدعي عضوا في السفارة الصينية لدى الاتحاد السوفياتي ، وأثار اضطرابات على الحدود الصينية السوفياتية .

من الواضح أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ظنوا أنهم ، اذا ما لوحوا بهراواتهم وحشدوا جماعة من المحاربين المرتزقة لشن هجوم من كل جهة وباشروا ضغطا سياسيا واقتصاديا هائلا ، يستطيعون أن يجبروا الحزب الشيوعي الصيني على التخلي عن موقفه الماركسي اللينيني والأممي البروليتاري وعلى الخضوع لارادتهم المليئة بالتحريفية وعصبية الدولة الكبيرة . ولكن الحزب الشيوعي الصيني والشعب الصيني المتصلبين والمجربين لعهد طويل لم يكن ممكنا اخضاعهما أو التغلب عليهما . ان الذين يحاولون عبثا اخضاعنا بتنظيم الهجوم من كل جهة وبمباشرة الضغط قد أخطأوا تقديرهم وحسابهم كل الخطأ .

سوف نبين تفاصيل قصة تخريب قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي

للعلاقات الصينية السوفياتية في مقالات أخرى . ونشير هنا فقط الى أن الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تتهم الصين كذبا ، فيما يتعلق بموضوع العلاقات الصينية السوفياتية ، بمد الخلافات الايديولوجية الى مجال العلاقات بين الدولتين ، وبتقليل حجم التجارة بين البلدين ، بينما أخفت عن عمد حقيقة أن الحكومة السوفياتية سحبت جميع خبراءها من الصين ومزقت من جانب واحد مئات الاتفاقيات والعقود ، وأن هذه الأفعال السوفياتية الوحيدة الجانب هي التي أدت الى تقليص حجم التجارة الصينية السوفياتية . انه لمن المحزن حقا ان تخدع قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي أعضاءه والشعب السوفياتي بصورة سافرة الى هذه الدرجة .

النضال بين الخطين في اجتماع الأحزاب الشقيقة عام ١٩٦٠

في النصف الثاني من عام ١٩٦٠ ، تطور صراع عنيف في الحركة الشيوعية العالمية حول اجتماع ممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية . كان ذلك صراعا بين الخط الماركسي اللينيني والخط التحريفي وبين سياسة التمسك بالمبدأ وصيانة الوحدة وسياسة التخلي عن المبدأ وخلق الانقسامات .

وقد أصبح واضحا قبل الاجتماع أن قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي كانت تصر بعناد على موقفها الخاطىء وكانت تسعى لفرض خطها الخاطىء على الحركة الشيوعية العالمية .

وكان الحزب الشيوعي الصيني يعلم خطورة الخلافات حق العلم . وخدمة لمصالح الحركة الشيوعية العالمية بذلنا جهودا كبيرة آملين ألا تتوغل قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي بعيدا في الطريق الخاطىء .

في ١٠ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦٠ ردت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني على رسالة الاعلام التي نشرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي والمؤرخة في ٢١ يونيو (حزيران) . لقد أوضحت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بصورة منظمة ، في رسالتها الجوابية التي تعرض الحقائق وتناقش الحجج ، وجهات نظرها حول سلسلة من القضايا المبدئية الهامة المتعلقة بالوضع العالمي والحركة الشيوعية العالمية ، ودحضت هجمات قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي علينا ، ونقدت وجهات نظرها الخاطئة كما قدمت لها خمسة اقتراحات ايجابية لازالة الخلافات وتعزيز الوحدة . (فيما يتعلق بهذه الاقتراحات الخمسة ، أنظر الملحق الثالث) .

وبعثت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بعد ذلك وفدا الى موسكو في سبتمبر (أيلول) لاجراء المحادثات مع وفد الحزب الشيوعي السوفياتي . لقد أشار وفد الحزب الشيوعي الصيني أثناء هذه المحادثات الى أنه بينما تجمل قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي الاستعمار الأميركي ، تسب الصين بنشاط وتمد الخلافات الايديولوجية بين الحزبين الى مجال العلاقات بين الدولتين وهكذا كانت تعامل الأعداء كالأشقاء والأشقاء كالأعداء . وحث وفد الحزب الشيوعي الصيني مرة بعد أخرى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي على تغيير موقفهم الخاطىء والرجوع الى المبادىء المرشدة للعلاقات بين الأحزاب والاقطار الشقيقة

وتعزيز الوحدة بين الحزبين والبلدين الصيني والسوفياتي بغرض النضال ضد العدو المشترك . ولكن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لم يبدوا أقل نية لاصلاح أخطائهم .

وهكذا أصبح حدوث نضال حاد أمرا لا يمكن تجنبه . وقد ظهر هذا النضال أولا في لجنة مشاريع القرارات التي اشترك فيها ممثلو ستة وعشرين من الأحزاب الشقيقة والتي أعدت الوثائق لاجتماع الأحزاب الشقيقة ، ثم احتد النضال حدة لا مثيل لها في اجتماع ممثلي الـ ٨١ حزبا شقيقا .

وفي جلسات لجنة مشاريع القرارات في موسكو خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) حاول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فرض مشروع البيان المقدم من قبلهم بالقوة ، ذلك المشروع الذي تضمن سلسلة كاملة من وجهات نظرهم الخاطئة . ونتيجة للنضال المبدئي الذي خاضه وفد الحزب الشيوعي الصيني وبعض وفود الأحزاب الشقيقة الأخرى أدخلت لجنة مشاريع القرارات بعد نقاش حاد تعديلات كثيرة وهامة ذات صبغة مبدئية في مشروع البيان الذي وضعه الحزب الشيوعي السوفياتي ، وتوصلت اللجنة الى اتفاق حول الجزء الأكبر من المشروع . مع ذلك رفضت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي باصرارها على مواصلة النقاش الوصول الى اتفاق حول عدة نقاط هامة كانت قيد البحث في المشروع . وبالاضافة لهذا مزقت بعد عودة خروشوف من نيويورك الاتفاقيات التي تم الوصول اليها سابقا حول بعض القضايا .

انعقد اجتماع ممثلي الأحزاب الشقيقة الواحدة والثمانين في موسكو في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٠ . وبالتغاضي عن

رغبة الوفد الصيني ووفود كثيرة أخرى في استئصال الخلافات وتعزيز الوحدة ، وزعت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في عشية الاجتماع على ممثلي الأحزاب الشقيقة المجتمعين في موسكو ، رسالة تتكون من أكثر من ستين ألف كلمة تهاجم الحزب الشيوعي الصيني بصورة أشرس ، وهكذا أثارت جدالا أكثر حدة من قبل .

هكذا انعقد اجتماع ممثلي الأحزاب الشقيقة الواحدة والثمانين في جو أبعد ما يكون عن الجو الطبيعي . وقد دفع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بتصرفهم السافل الاجتماع الى حافة الانهيار . ولكن الاجتماع توصل في النهاية الى اتفاق وأحرز نتائج ايجابية ، نتيجة تمسك وفد الحزب الشيوعي الصيني وبعض وفود الأحزاب الشقيقة الأخرى بالمبدأ واصرارها على النضال وتمسكها بالوحدة ، ونتيجة مطالبة أغلبية وفود الأحزاب الشقيقة بالوحدة ومعارضتها للانقسام .

تعلن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في رسالتها المفتوحة أن وفد الحزب الشيوعي الصيني في هذا الاجتماع « لم يوقع على البيان الا عندما أصبح خطر عزلته التامة جليا » . وهذه أكذوبة أخرى .

ماذا كان الوضع الحقيقي للأمور ؟

حقا ، انه قبل الاجتماع وخلاله دبرت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي هجمات من جميع الاتجاهات على الحزب الشيوعي الصيني من قبل عدد من ممثلي أحزاب شقيقة ، وحاولت بالاعتماد على أغلبية مزعومة اخضاع وفد الحزب الشيوعي الصيني ووفود أحزاب ماركسية لينينية أخرى واجبار هذه الوفود على قبول خطها التحريفي ووجهات نظرها التحريفية . الا أن محاولات قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لفرض الأمور على الآخرين

فشلت سواء في لجنة مشاريع القرارات المتكونة من الستة والعشرين حزبا شقيقا أو في اجتماع ممثلي الأحزاب الشقيقة الواحدة والثمانين .

والحقيقة هي أن كثيرا من الاستنتاجات الخاطئة التي وضعتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في مشروعها للبيان قد رفضت . واليكم بعض الأمثلة :

رُفض الاستنتاج الخاطىء لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي والقائل بأن التعايش السلمي والمباراة الاقتصادية يشكلان الخط العام للسياسة الخارجية للبلدان الاشتراكية .

ورفض استنتاجها الخاطىء القائل بأن ظهور مرحلة جديدة في الأزمة العامة للرأسمالية هو نتيجة التعايش السلمي والمباراة السلمية .

ورفض استنتاجها الخاطىء القائل بأن هناك امكانية متزايدة للانتقال السلمي .

ورفض استنتاجها الخاطىء حول مقاومة سياسة « العمل بشكل منفرد » من قبل الأقطار الاشتراكية ، هذه المقاومة التي تعني في الحقيقة مقاومة سياسة اعتماد هذه الأقطار على نفسها أساسيا في البناء .

ورفض استنتاجها الخاطىء حول معارضة ما يسمى بـ « نشاطات التكتل » و« نشاطات التحزب » في الحركة الشيوعية العالمية ، واستنتاجها هذا يعني في الحقيقة مطالبة الأحزاب الشقيقة بالخضوع لهراوتها ، وتصفية مبادىء الاستقلال والمساواة في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة ، واحلال اخضاع الأقلية بالأكثرية محل مبدأ التوصل الى الاجماع عن طريق المشاورة .

ورفض استنتاجها الخاطىء حول التقليل من خطر التحريفية المعاصرة الكبير .

والحقيقة هي أن الآراء الصحيحة الكثيرة الخاصة بمبادىء هامة ، التي عرضها وفد الحزب الشيوعي الصيني ووفود أحزاب شقيقة أخرى ، قد وضعت في البيان . فالاستنتاجات حول طبيعة الاستعمار غير المتغيرة ؛ وحول اعتبار الاستعمار الأميركي عدو شعوب العالم كله ؛ وحول تأسيس الجبهة الموحدة على أوسع نطاق ضد الاستعمار الأميركي ؛ وحول اعتبار حركة التحرر الوطني قوة هامة لمنع نشوب حرب عالمية ؛ وحول استكمال البلدان المستقلة حديثا استكمالا تاما لثوراتها الوطنية الديمقراطية ؛ وحول تأييد البلدان الاشتراكية والحركة العمالية العالمية للنضال من أجل التحرر الوطني ؛ وحول ضرورة تسديد الطبقة العاملة والجماهير الشعبية في بلدان رأسمالية متطورة معينة واقعة تحت سيطرة الاستعمار الأميركي سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، ضرباتها الرئيسية الى سيطرة الاستعمار الأميركي وكذلك الى الرأسمال الاحتكاري والقوى الرجعية الأخرى في داخل البلاد والتي تخون المصالح الوطنية ؛ وحول مبدأ التوصل الى الاجماع عبر المشاورة بين الأحزاب الشقيقة ؛ وحول معارضة سلب التحريفية الروح الثوري عن الماركسية اللينينية ؛ وحول خيانة قادة رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف للماركسية اللينينية ، وهكذا ، دواليك ، ضمنت كل هذه الاستنتاجات في البيان نتيجة قبول آراء وفد الحزب الشيوعي الصيني وبعض وفود الأحزاب الشقيقة الأخرى .

من الضروري طبعا اضافة أنه بعد أن وافق قادة الحزب الشيوعي السوفياتي على حذف استنتاجاتهم الخاطئة وقبلوا الآراء الصحيحة من الأحزاب الشقيقة الأخرى ، قدم وفد الحزب الشيوعي الصيني وبعض وفود الأحزاب الشقيقة الأخرى تنازلات معينة أيضا . وعلى سبيل المثال ،

كان لنا رأي مختلف حول مسألة المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ومسألة أشكال الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، ولكن اعتبارا لحاجات الحزب الشيوعي السوفياتي وأحزاب شقيقة معينة أخرى ، وافقنا على تضمين عبارات حول هاتين المسألتين استعملت في تصريح عام ١٩٥٧ . الا أننا أوضحنا حينذاك لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن تلك ستكون آخر مرة نقبل فيها عبارة مثل هذه حول المؤتمر العشرين ولن نفعل ذلك مرة أخرى .

ومما تقدم ذكره من الوقائع يمكننا أن نرى أن النضال بين الخطين في الحركة الشيوعية العالمية كان سائدا في اجتماع موسكو عام ١٩٦٠ من بدايته الى نهايته ، وأن أخطاء قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي التي انكشفت في هذا الاجتماع قد تطورت بصورة أكثر . ومن مشروع البيان المقدم من قبل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي وخطبهم خلال الاجتماع يمكن أن يرى بوضوح أن المحتوى السياسي الرئيسي للخط الخاطىء الذي حاولوا فرضه على الأحزاب الشقيقة يتشكل من النظريات الخاطئة لـ «التعايش السلمي » و« المباراة السلمية » و« الانتقال السلمي » بينما كان محتواه التنظيمي يتشكل من السياسات الخاطئة الانعزالية الانقسامية . لقد كان هذا الخط خطا تحريفيا في تناقض أساسي مع الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية . وقد عارضه وفد الحزب الشيوعي الصيني ووفود أحزاب ماركسية لينينية أخرى بحزم وصانت بهمة الخط الماركسي اللينيني والأممي البروليتاري .

وكانت نتيجة النضال في هذا الاجتماع أن الخط التحريفي ووجهات النظر التحريفية لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي رفضت بصورة أساسية ، وأن الخط الماركسي اللينيني كسب انتصارا عظيما . ان المبادىء الثورية

المتضمنة في البيان الذي أجازه الاجتماع هي أسلحة قوية في أيدي جميع الأحزاب الشقيقة في نضالاتها ضد الاستعمار ومن أجل السلم العالمي والتحرر الوطني والديمقراطية الشعبية والاشتراكية ، وهي أسلحة قوية أيضا في أيدي الماركسيين اللينينيين في كل العالم في مناهضتهم للتحريفية المعاصرة .

ان الأحزاب الشقيقة التي تمسكت بالماركسية اللينينية في الاجتماع قد انتقدت بجد سلسلة من وجهات النظر الخاطئة لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، وأجبرتها على التسليم بكثير من وجهات النظر الصحيحة لهذه الأحزاب الشقيقة ، وبذلك غيرت الوضع السابق الشاذ للغاية والذي كان لا يسمح فيه بتقديم أقل انتقاد لأخطاء قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، وكانت كلمتها فيه هي الأخيرة . كان ذلك حدثا ذا أهمية تاريخية عظيمة في الحركة الشيوعية العالمية .

تزعم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في رسالتها المفتوحة بأن وفد الحزب الشيوعي الصيني كان « معزولا تماما » في الاجتماع . ان هذه ليست الا محاولة قليلة الحياء من قبل قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي لتصف فشلها بأنه انتصار .

لقد روعيت في الاجتماع مبادىء التضامن المتبادل مع الاستقلال والمساواة بين الأحزاب الشقيقة ومبادىء الوصول الى الاجماع عن طريق المشاورات ، كما أحبطت المحاولة الخاطئة لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي لاستخدام أكثرية في اخضاع الأقلية ولفرض وجهات نظرها على الأحزاب الشقيقة الأخرى . لقد أظهر الاجتماع مرة أخرى أنه من الضروري جدا بالنسبة الى الأحزاب الماركسية اللينينية لحل الخلافات بين الأحزاب

الشقيقة أن تلتزم بالمبدأ وتثابر على النضال وتتمسك بالوحدة .

تحريفية قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي تصبح منتظمة

تزعم الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بأن « قادة الحزب الشيوعي الصيني ، عندما وقعوا على بيان عام ١٩٦٠ ، كانوا يناورون فقط . » هل هذا هو الواقع حقا ؟ كلا ! على النقيض من ذلك كان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم المناورون لا نحن .

وقد أظهرت الحقائق أنه في اجتماع عام ١٩٦٠ وافق قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، عكس مشيئتهم ، على حذف أو تعديل الاستنتاجات الخاطئة التي وردت في مشروع بيانهم ، ولم يكونوا مخلصين في تسليمهم بالاستنتاجات الصحيحة التي قدمتها الأحزاب الشقيقة . انهم لم يبالوا أصلا بالوثيقة التي اتفقت عليها الأحزاب الشقيقة بصورة مشتركة . ولم يكد حبر توقيعاتهم على بيان عام ١٩٦٠ يجف حتى بدأوا يحطمونه . وفي أول ديسمبر (كانون الأول) وقع خروشوف على البيان باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي . ولم تمض غير أربع وعشرين ساعة على ذلك حتى نقض خروشوف هذا ، في المأدبة التي أقيمت على شرف وفود الأحزاب الشقيقة ، ما وافقت عليه الأحزاب الشقيقة فوصف يوغوسلافيا دون حياء بأنها دولة اشتراكية .

وبعد اجتماع الأحزاب الشقيقة الواحدة والثمانين أصبح قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مستهترين أكثر فأكثر في تخريب تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ . ومن جانب اتخذوا الاستعمار الأميركي صديقا لهم ،

ذلك الاستعمار الذي يعلن البيان أنه عدو شعوب العالم ، منادين « بالتعاون بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي » ومعبرين عن الرغبة في العمل سوية مع كندي « لبناء جسور متينة من الثقة والتفاهم المتبادل والصداقة » (١) ، واتخذوا من الجانب الآخر بعض الأحزاب والأقطار الشقيقة كعدوهم وجعلوا العلاقات السوفياتية الألبانية في أقصى درجات التفاقم .

كان المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٦١ دليلا على استفحال جديد في مساعي قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في معارضة الماركسية اللينينية واحداث الانقسام في المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية ، وكان دليلا على انتظام التحريفية التي طورتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي خطوة فخطوة منذ المؤتمر العشرين فصاعدا .

لقد شنت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي هجوما علنيا واسع النطاق على حزب العمل الألباني في المؤتمر الثاني والعشرين . وذهب خروشوف في خطابه الى حد الدعوة علنا الى الاطاحة بقيادة ألبانيا تحت الرفيقين أنور خوجه ومحمد شيخو . وهكذا وضعت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي سابقة سيئة في استخدام مؤتمر حزب لمهاجمة أحزاب شقيقة أخرى بصورة علنية .

وكان حدث آخر صنعته قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في هذا

---

(١) برقية تهنئة أرسلها خروشوف وبريجينيف الى الرئيس كندي بمناسبة الذكرى ١٨٥ لاستقلال الولايات المتحدة ، ٤ يوليو (تموز) ١٩٦١ .

المؤتمر هو هجومها المجدد المركز على ستالين بعد خمس سنوات من انكاره انكارا كليا في المؤتمر العشرين وبعد ثماني سنوات من وفاته .

وفي التحليل النهائي يظهر أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فعلوا ذلك ليتمكنوا من القاء التصريح والبيان الى مهب الرياح ومن معارضة الماركسية اللينينية ومن اتباع خط تحريفي منتظم .

ان تحريفيتهم قد عبر عنها بصورة مركزة في البرنامج الجديد للحزب الشيوعي السوفياتي الذي أجازه ذلك المؤتمر .

ان الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تقول ان خط المؤتمر الثاني والعشرين « كان قد صودق عليه في اجتماعات ممثلي الأحزاب الشيوعية وانعكس في التصريح والبيان » . أ ليس مما يدل على الافراط في الغفلة أن يصدر عن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قول كهذا ؟ كيف يمكنهم أن يصفوا ما حدث في عام ١٩٦١ بانه « قد صودق عليه » أو « انعكس » في اجتماع الأحزاب الشيوعية والعمالية في عام ١٩٦٠ أو حتى في اجتماع هذه الأحزاب في عام ١٩٥٧ ؟

لنترك جانبا هذا المدح الذاتي السخيف لحظة ودعنا نرى أولا من أي نوع من المواد يتكون ذلك البرنامج الذي أجيز في المؤتمر الثاني والعشرين.

ان الدراسة ، ولو سطحيا ، للبرنامج وتقرير خروشوف بشأنه ، تظهر أن ذلك برنامج تحريفي قلبا وقالبا ينقض بصورة كلية النظريات الأساسية للماركسية اللينينية والمبادىء الثورية للتصريح والبيان .

ان هذا البرنامج يسير في خط معارض لتصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ فيما يتعلق بكثير من القضايا المبدئية الهامة . وقد ظهرت في البرنامج من جديد نظريات خاطئة كثيرة لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي

هي النظريات التي رفضت في اجتماع الأحزاب الشقيقة في عام ١٩٦٠ . وعلى سبيل المثال : فان البرنامج يصف التعايش السلمي بأنه المبدأ العام للسياسة الخارجية ، ويؤكد بشكل وحيد الجانب امكانية الانتقال السلمي ويفتري على سياسة بلد اشتراكي يعتمد رئيسيا على جهوده الذاتية في البناء بأنها « العمل بشكل مفرد » .

ان هذا البرنامج يسير خطوة أبعد ويجعل الخط الخاطىء الذي انتهجته قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي منذ المؤتمر العشرين والذي محتواه الرئيسي هو « التعايش السلمي » و« المباراة السلمية » و« الانتقال السلمي » ، أكثر انتظاما .

ان هذا البرنامج يحرف بصورة فظة جوهر الماركسية الاينينية ، أي تعاليمها حول الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا وحول حزب البروليتاريا ويعلن أن ديكتاتورية البروليتاريا قد أصبحت لا يحتاج اليها في الاتحاد السوفياتي وأن طبيعة الحزب الشيوعي السوفياتي بصفته طليعة البروليتاريا قد تغيرت ، ويقدم نظريات سخيفة حول « دولة لكل الشعب » و« حزب لكل الشعب » .

ان هذا البرنامج يحل الانسانية محل نظرية الماركسية اللينينية حول الصراع الطبقي كما يحل الشعارات البرجوازية حول « الحرية » و«المساواة» و« الاخاء » محل المثل العليا للشيوعية .

انه برنامج يعارض الثورة التي تقوم بها الشعوب التي لا تزال تعيش تحت النظام الاستعماري والرأسمالي والتي تشكل ثلثي سكان العالم ، ويعارض السير بالثورة الى النهاية من قبل الشعوب التي قد سارت في طريق الاشتراكية والتي تشكل ثلث سكان العالم ، انه برنامج تحريفي للابقاء

على الرأسمالية أو استعادتها .

لقد عارض الحزب الشيوعي الصيني بحزم أخطاء المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي . وقد عبر الرفيق شو ان لاي رئيس وفد الحزب الشيوعي الصيني الى المؤتمر في خطابه هناك عن موقف حزبنا ، كما انتقد بصراحة أخطاء قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في المحادثات التي أجراها بعد ذلك مع خروشوف والقادة الآخرين للحزب الشيوعي السوفياتي .

ورفض خروشوف رفضا قاطعا في محادثاته مع وفد الحزب الشيوعي الصيني نقد الوفد ونصيحته ، الى درجة أنه عبر عن التأييد السافر للعناصر المعادية للحزب في داخل الحزب الشيوعي الصيني . وصرح خروشوف علنا بأنه بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي حين بدأ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في اتخاذ « طريق مختلف عن طريق ستالين » ، وهذا معناه حين بدأوا السير على طريق التحريفية ، كانوا لا يزالون في حاجة الى تأييد الأحزاب الشقيقة . وقال خروشوف « كان صوت الحزب الشيوعي الصيني في ذلك الوقت ذا أهمية كبرى بالنسبة لنا » ، و« لكن الأمور قد تغيرت الآن » ، و« نحن الآن في حالة جيدة » ، و« سوف نفعل كما يحلو لنا » .

ان كلام خروشوف هذا يظهر أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد عقدوا العزم على الانزلاق في طريق التحريفية والانقسام . وبالرغم من أن الحزب الشيوعي الصيني قد قدم اليهم النصيحة الرفاقية مرارا وتكرارا الا أنهم غضوا نظرهم عنها ولم يظهروا أية نية في تغيير طريقهم .

تيار مضاد يقاوم الماركسية اللينينية ويصدع الحركة الشيوعية العالمية

يبذل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جهدا عظيما في رسالتهم المفتوحة في جعل الناس يعتقدون بأنهم منذ المؤتمر الثاني والعشرين الذي عقده الحزب الشيوعي السوفياتي « قد بذلوا جهودا جديدة » لتحسين العلاقات بين الحزبين الصيني والسوفياتي ولتقوية الوحدة بين الأحزاب والأقطار الشقيقة .

وهذه أكذوبة أخرى .

فما هي الحقائق ؟

ان الحقائق تدل على أن قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي منذ المؤتمر الثاني والعشرين قد أطلقت لنفسها العنان بصورة أكثر لنقض المبادىء المرشدة للعلاقات بين الأحزاب والأقطار الشقيقة ولاتباع سياسات عصبية الدولة الكبيرة والانعزالية والانقسامية ، بغرض دفع خطها التحريفي المنتظم الذي يناقض الماركسية اللينينية مناقضة تامة . وقد أدى هذا الى تدهور مستمر للعلاقات الصينية السوفياتية والى تخريب خطير لوحدة الأحزاب والأقطار الشقيقة .

وفيما يلي نورد الحقائق الأساسية التي تبين كيف أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد دمروا غدرا الوحدة الصينية السوفياتية ووحدة الأحزاب والأقطار الشقيقة منذ المؤتمر الثاني والعشرين .

أولا : لقد بذل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جهدا عظيما لمحاولة فرض خطهم الخاطىء على الحركة الشيوعية العالمية ووضع برنامجهم

التحريفي محل التصريح والبيان . وهم يصفون خطهم الخاطىء بأنه « مجموعة كاملة من السياسات اللينينية للحركة الشيوعية العالمية في السنوات القريبة الماضية » (١) ، ويسمون برنامجهم التحريفي بأنه « البيان الشيوعي الحقيقي في عهدنا الراهن » (٢) و« البرنامج المشترك » (٣) لدى « الأحزاب الشيوعية والعمالية وشعوب المجموعة الاشتراكية الصديقة » .

وكل حزب شقيق يرفض خط الحزب الشيوعي السوفياتي الخاطىء وبرنامجه الخاطىء ويتمسك بالنظريات الأساسية للماركسية اللينينية وبالمبادىء الثورية للتصريح والبيان ، ينظر اليه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي باعتباره عدوا ، فيعارضونه ويهاجمونه ويجرحونه ويحاولون قلب قيادته بكل سبيل ممكن .

ثانيا : لقد قطعت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، بصرف النظر عن كل شيء ، العلاقات الدبلوماسية مع ألبانيا الاشتراكية ، وهذه خطوة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات بين الأحزاب والأقطار الشقيقة .

ثالثا : واصلت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ضغطها على الصين وهجومها الفظيع على الحزب الشيوعي الصيني . وفي رسالتها المؤرخة في ٢٢ فبراير (شباط) عام ١٩٦٢ ، والموجهة الى اللجنة المركزية للحزب

---

(١) أندروبوف : « المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي وتطور النظام الاشتراكي في العالم » ، « البرافدا » ، ٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦١ .

(٢) خطاب خروشوف في مؤتمر العمال الزراعيين في اوزبكستان وجمهوريات أخرى ، ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦١ .

(٣) « الوحدة تزيد القوى الشيوعية عشرة أضعاف » ، افتتاحية « البرافدا » ، ٢٥ أغسطس (آب) ١٩٦١ .

الشيوعي الصيني ، اتهمت الحزب الشيوعي الصيني باتخاذ « موقف خاص بنفسه » وباتباع خط يشط عن المجرى العام للأحزاب الشقيقة ، وحتى انها اعتبرت تأييدنا لحزب العمل الألباني الماركسي اللينيني جريمة . وكشرط مسبق لتحسين العلاقات الصينية السوفياتية حاول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي اجبار الحزب الشيوعي الصيني على التخلي عن موقفه الماركسي اللينيني والأممي البروليتاري وعن خطه الدائم الذي ينطبق انطباقا تاما على المبادىء الثورية للتصريح والبيان ، واجباره على قبول خطهم الخاطىء وقبول الأمر الواقع – نقضهم للمبادىء المرشدة للعلاقات بين الأحزاب والأقطار الشقيقة . وقد تفاخرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في رسالتها المفتوحة برسائلها التي بعثت بها الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني خلال هذه الفترة ، وبالملاحظات التي أبداها خروشوف الى سفيرنا لدى الاتحاد السوفياتي في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٦٢ حول الوحدة وهكذا ، ولكن جميع هذه كانت في الحقيقة أعمالا ترمي الى تحقيق محاولتهم الدنيئة المذكورة أعلاه .

رابعا : رفضت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الاقتراح المقدم من أحزاب شقيقة هي الحزب الاندونيسي والفيتنامي والنيوزيلاندي وغيرها ، والرامي الى عقد اجتماع لممثلي الأحزاب الشقيقة ، كما رفضت الاقتراحات الايجابية الخمسة التي قدمتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في رسالتها الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المؤرخة في ٧ ابريل (نيسان) عام ١٩٦٢ ، بغرض التحضير لاجتماع الأحزاب الشقيقة . وذهبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في ردها بتاريخ ٢١ مايو (أيار) عام ١٩٦٢ الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي

الصيني ، الى درجة المطالبة بأن يتخلى الرفاق الألبان عن موقفهم كشرط مسبق لتحسين العلاقات السوفياتية الألبانية ولعقد اجتماع لممثلي الأحزاب الشقيقة .

خامسا : في ابريل (نيسان) ومايو (أيار) عام ١٩٦٢ استخدم قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هيئاتهم وموظفيهم في مقاطعة سينكيانغ الصينية للقيام بنشاطات هدامة واسعة النطاق في منطقة إلي ، وأغروا وأجبروا عشرات الألوف من المواطنين الصينيين على الذهاب الى الاتحاد السوفياتي . وقد احتجت الحكومة الصينية عدة مرات متكررة وقدمت مطالب متكررة ، الا أن الحكومة السوفياتية رفضت اعادة هؤلاء المواطنين الصينيين تحت ستار « الاحساس بشرعية السوفيت » (١) و« الانسانية » (٢) . وحتى هذا اليوم مازالت هذه الحادثة لم تسوّ . وهذه في الحقيقة حادثة مدهشة لم يسمع الناس بمثلها في العلاقات بين أقطار اشتراكية .

سادسا : في أغسطس (آب) ١٩٦٢ أبلغت الحكومة السوفياتية الصين بصورة رسمية أن الاتحاد السوفياتي سوف يتوصل مع الولايات المتحدة الى اتفاق حول منع الانتشار النووي . وقد كانت هذه مؤامرة مشتركة سوفياتية أميركية لاحتكار الأسلحة النووية ، ومحاولة لحرمان الصين من حق امتلاك الأسلحة النووية لمقاومة التهديد النووي من قبل الولايات

---

(١) مذكرة مرفوعة الى وزارة الخارجية الصينية من قبل السفارة السوفياتية في الصين ، بتاريخ ٩ أغسطس (آب) ١٩٦٢ .

(٢) مذكرة مرفوعة الى وزارة الخارجية الصينية من قبل السفارة السوفياتية في الصين ، بتاريخ ٢٩ أبريل (نيسان) ١٩٦٢ .

المتحدة . وقد بعثت الصين باحتجاجات متكررة على هذا .

سابعا : أصبحت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي حريصة بصورة متزايدة على عقد صفقات سياسية مع الاستعمار الأميركي ، ومصرة على تشكيل تحالف رجعي مع كندي حتى ولو كان ذلك على حساب مصالح المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية . والمثال البارز في هذا الصدد هو أنه أثناء أزمة الكاريبي ارتكبت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي خطأ الاستسلام ، اذ رضخت للابتزاز النووي للمستعمرين الأميركيين وقبلت طلب الحكومة الأميركية بـ « التفتيش الدولي » الذي ينقض السيادة الكوبية .

ثامنا : أصبحت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي حريصة بصورة متزايدة على التآمر مع الرجعيين الهنود ، ومصرة على تشكيل تحالف رجعي مع نهرو ضد الصين الاشتراكية . وقد وقفت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي والصحافة السوفياتية علنا بجانب الرجعية الهندية وأدانت الصين نتيجة موقفها العادل فيما يتعلق بنزاع الحدود الصينية الهندية وقامت بتبرير حكومة نهرو . ان ثلثي المعونة السوفياتية الاقتصادية للهند قُدما اليها منذ أن أثار الرجعيون الهنود نزاع الحدود الصينية الهندية . وحتى بعد أن بدأ صدام مسلح واسع النطاق على الحدود الصينية الهندية في خريف عام ١٩٦٢ واصلت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ارسال المعونة العسكرية الى الرجعيين الهنود .

تاسعا : أصبحت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي تحرص أكثر وأكثر على التآمر مع طغمة تيتو اليوغوسلافية ، وتصر على تشكيل تحالف رجعي مع تيتو المرتد لمعارضة جميع الأحزاب الماركسية اللينينية . واتخذت بعد

المؤتمر الثاني والعشرين سلسلة من الخطوات لقلب الحكم الذي صدر على طغمة تيتو وهكذا مزقت بيان عام ١٩٦٠ .

عاشرا : منذ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٢ شنت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي على الحزب الشيوعي الصيني والأحزاب الماركسية اللينينية الأخرى هجمات أكثر ضراوة على نطاق عالمي ، وأثارت تيارا مضادا جديدا بغرض احداث انشقاق في المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية . وقد أدلى خروشوف بأقوال متتابعة ، كما نشرت الصحافة السوفياتية مئات المقالات ، كلها تهاجم الحزب الشيوعي الصيني حول مجموعة كاملة من القضايا . وتحت ارشاد قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أصبحت مؤتمرات الأحزاب الشقيقة في بلغاريا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وايطاليا وجمهورية ألمانيا الديمقراطية مسارح تعرض فيها الحملات المعادية للصين ، كما نشر أكثر من أربعين حزبا شقيقا قرارات وبيانات أو مقالات تهاجم الحزب الشيوعي الصيني والأحزاب الماركسية اللينينية الأخرى .

ان الحقائق الموردة أعلاه لا يمكن لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي انكارها . ان هذه الحقائق الدامغة تبرهن على أن « الجهود الجديدة » التي بذلوها بعد المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي كانت تهدف لا الى تحسين العلاقات الصينية السوفياتية والى تدعيم الوحدة بين الأحزاب والأقطار الشقيقة ، بل ، على النقيض من ذلك ، الى التآمر بصورة متزايدة مع المستعمرين الأميركيين والرجعيين الهنود وطغمة تيتو المرتدة بغرض خلق انقسام أوسع في المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية .

في هذه الظروف الخطيرة لم يكن أمام الحزب الشيوعي الصيني بديل

سوى الاجابة بصورة علنية على هجمات بعض الأحزاب الشقيقة . وقد نشرنا سبع اجابات كهذه فيما بين ١٥ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٢ و٨ مارس (آذار) عام ١٩٦٣ ، وفي هذه المقالات تركنا لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي مخرجا ولم ننقدها علناً بالاسم .

وبالرغم من التدهور الخطير في العلاقات الصينية السوفياتية الذي نتج من أخطاء قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، وافق الحزب الشيوعي الصيني على ارسال وفده الى موسكو لاجراء المحادثات بين الحزبين الصيني والسوفياتي ، وبغرض تبادل الآراء بصورة منتظمة في المحادثات قدم الحزب الشيوعي الصيني اقتراحه الخاص بالخط العام للحركة الشيوعية العالمية في رسالته الجوابية الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي والمؤرخة في يوم ١٤ يونيو (حزيران) .

لقد برهنت الحقائق التي تلت ذلك ، على أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لم يكونوا غير مخلصين وحسب فيما يتعلق باستئصال الخلافات وتعزيز الوحدة ، بل استخدموا المحادثات كستار دخاني لتغطية نشاطاتهم الرامية الى زيادة العلاقات الصينية السوفياتية سوءا .

وفي عشية المحادثات هاجم قادة الحزب الشيوعي السوفياتي علنا الحزب الشيوعي الصيني بالاسم عن طريق البيانات والقرارات . وفي ذلك الوقت طردوا بدون وجه حق عددا من موظفي السفارة الصينية وطلاب الأبحاث في الاتحاد السوفياتي .

وفي ١٤ يوليو (تموز) أي في عشية المحادثات بين الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي ، وعندما كانت المحادثات الصينية السوفياتية مستمرة ، نشرت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي على عجل الرسالة

المفتوحة التي وجهتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الى منظمات الحزب على مختلف المستويات وجميع الشيوعيين السوفياتيين ، وشنت فيها هجمات لا حدود لها على الحزب الشيوعي الصيني . وقد كانت هذه هدية « قيمة » أخرى قدمها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الى المستعمرين الأميركان حتى يكسبوا ودهم .

وأعقب ذلك مباشرة في موسكو أن وقعت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي على معاهدة وقف التجارب النووية جزئيا مع الولايات المتحدة وبريطانيا ، فخانت بذلك خيانة صريحة مصالح الشعب السوفياتي ومصالح شعوب المعسكر الاشتراكي بما فيه الشعب الصيني ومصالح الشعوب المحبة للسلم في العالم ؛ آعقبت ذلك اتصالات عديدة بين الاتحاد السوفياتي والهند ؛ وذهب خروشوف الى يوغوسلافيا « لقضاء عطلة » ؛ وشنت الصحافة السوفياتية حملة مسعورة ضد الصين وهكذا وهلم جرا . ان سلسلة الأحداث الكاملة هذه توضح بصورة بارزة أن قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، متجاهلة كل شيء ، تقف مع المستعمرين ورجعيي مختلف الأقطار وطغمة تيتو المرتدة بغرض معارضة الأقطار الاشتراكية الشقيقة والأحزاب الشقيقة الماركسية اللينينية . وكل هذا يفضح الخط التحريفي والانقسامي الذي تسير عليه قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي فضحا تاما .

ان الجوقة المعادية للصين ، التي نظمها المستعمرون ورجعيو مختلف الأقطار والمحرفون في الوقت الحاضر تثير ضوضاء كبيرة . أما الحملة التي يقودها خروشوف لمعارضة الماركسية اللينينية ولشق المعسكر الاشتراكي وصفوف الحركة الشيوعية العالمية فإنها تسير في عنف متزايد .

ما الذي أوضحته حقائق السنوات السبع الماضية ؟

لقد استعرضنا فيما سبق ، بصورة مفصلة ، أصل وتطور الخلافات ، وغرضنا هو توضيح الحقائق التي شوهت في الرسالة المفتوحة التي أصدرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، ومساعدة أعضاء حزبنا وشعبنا وأيضا الماركسيين اللينينيين والثوريين في العالم على معرفة الحقيقة .

لقد برهنت حقائق السنوات السبع الماضية بصورة كافية على أن الخلافات بين الحزبين الصيني والسوفياتي وفي داخل الحركة الشيوعية العالمية قد نشأت لا لسبب الا لأن قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد حادت عن الماركسية اللينينية والمبادىء الثورية لتصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ وروجت خطا تحريفيا وانقساميا في الحركة الشيوعية العالمية . ان نهج انزلاق قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي أكثر وأكثر في طريق التحريفية والانقسامية هو نفس النهج الذي أدى الى اتساع وزيادة الخلافات خطورة .

لقد برهنت حقائق السنوات السبع الماضية بصورة كافية على أن الخلافات الراهنة في الحركة الشيوعية العالمية هي خلافات بين خط الالتزام بالماركسية اللينينية وخط التشبث بالتحريفية ، بين التمسك بالخط الثوري والتمسك بالخط غير الثوري والمعادي للثورة ، بين التمسك بالخط المعادي للاستعمار والتمسك بخط الاستسلام للاستعمار ، انها خلافات بين التمسك بالأممية البروليتارية من جهة والتمسك بعصبية الدولة الكبيرة والانعزالية والانقسامية من جهة أخرى .

لقد برهنت حقائق السنوات السبع الماضية بصورة كافية على أن

الطريق الذي اتخذته قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو طريق التحالف مع الاستعمار ضد الاشتراكية ، التحالف مع الولايات المتحدة ضد الصين ، التحالف مع رجعيي مختلف البلدان ضد شعوب العالم ، التحالف مع طغمة تيتو المرتدة ضد الأحزاب الشقيقة الماركسية اللينينية . وقد أدى هذا الخط الخاطىء الذي سارت عليه قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي الى احداث سيل تحريفي على نطاق عالمي ، ووضع الحركة الشيوعية العالمية على حافة انقسام لم يسبق لخطورته مثيل من قبل ، كما ألحق ضررا عظيما بقضية الشعوب من أجل السلم العالمي والتحرر الوطني والديمقراطية الشعبية والاشتراكية .

لقد برهنت حقائق السنوات السبع الماضية أيضا بصورة كافية على أن الحزب الشيوعي الصيني قد بذل جهودا متتابعة لمنع الوضع من التدهور وللتمسك بالمبدأ واستئصال الخلافات وتدعيم الوحدة واشن النضال المشترك ضد العدو . وقد باشرنا ضبطا عظيما للنفس وفعلنا أحسن ما أمكننا فعله .

لقد أكد الحزب الشيوعي الصيني دائما أهمية وحدة الحزبين الصيني والسوفياتي ووحدة القطرين . ودائما ما احترم الحزب الشيوعي السوفياتي الذي خلقه لينين العظيم . وحملنا دائما حبا بروليتاريا عميقا للحزب الشيوعي السوفياتي العظيم والشعب السوفياتي العظيم . وفرحنا بكل ما أنجزه الحزب الشيوعي السوفياتي والشعب السوفياتي ، كما جلب كل خطأ ارتكبته قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي وأضر بالمعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية علينا الحزن .

ان الشيوعيين الصينيين لم يكتشفوا فقط اليوم أخطاء قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي . وقد لاحظنا بقلق منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي

السوفياتي أن قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي بدأت تسلك طريق التحريفية .

وعندما واجه هذا الوضع الخطير حزبنا ، تساءل حزبنا عشرات المرات ولفترة طويلة : ما العمل ؟

لقد ساءلنا أنفسنا : هل نتبع قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي حتى تتلاءم كل أعمالنا مع رغباتها ؟ في هذا الوضع سوف تفرح قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي دون شك ، ولكن ألا نصبح أنفسنا محرفين أيضا ؟

كما ساءلنا أنفسنا أيضا : هل نصمت على أخطاء قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ؟ وكان رأينا أن أخطاءها لم تكن أخطاء وقعت بمحض الصدفة ، وأخطاء فردية وتافهة ، بل كانت سلسلة كاملة من الأخطاء المتعلقة بالمبدأ ، تضر بمصالح المعسكر الاشتراكي قاطبة ومصالح الحركة الشيوعية العالمية . وبصفتنا عضوا في الحركة الشيوعية العالمية ، كيف لا نعبأ بهذه الأخطاء وكيف نصمت عنها ؟ واذا فعلنا هذا ، ألا نكون قد تخلينا عن واجبنا في الدفاع عن الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية ؟

لقد أخذنا بعين اعتبارنا أنه اذا ما نقدنا أخطاء قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فانهم سوف يوجهون الينا حتما ضربات انتقامية وهكذا سيلحق ضرر كبير ببناء الصين الاشتراكي بلا محالة . ولكن هل يجوز أن يتخذ الشيوعيون موقف الأنانية القومية ولا يجرؤوا على الدفاع عن الحقيقة خوفا من الضربات الانتقامية ؟ وهل يجوز للشيوعيين أن يتاجروا بالمبادىء ؟

ولقد أخذنا بعين اعتبارنا حقيقة أن الحزب الشيوعي السوفياتي حزب أنشأه لينين ، حزب أول قطر اشتراكي ، وأنه يتمتع بسمعة أدبية راقية في الحركة الشيوعية العالمية وبين شعوب العالم قاطبة . وعليه ، كنا

لفترة طويلة من الزمن ، متحذرين وصبورين بصفة خاصة أثناء نقد قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، باذلين جهدنا لقصر مثل هذا النقد على المحادثات الحزبية الداخلية بين قادة الحزبين الصيني والسوفياتي ولحل الخلافات عن طريق المناقشات الداخلية دون اللجوء الى الجدال المفتوح .

الا أن كل النقد الرفاقي والنصيحة الرفاقية اللتين قدمهما رفاق مسئولون من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي أثناء عشرات المحادثات الحزبية الداخلية لم تنجحا في جعلهم يعودون الى الطريق الصحيح . وقد انزلق قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أبعد وأبعد في طريق التحريفية والانقسامية . ومقابل النصيحة التي قدمناها اليهم بنية حسنة ، باشروا علينا ضغطا متتابعا سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، وشنوا علينا هجمات متزايدة عنفا .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يتمتعون بعادة سيئة : فهم يلصقون الاتهامات دون تمييز بكل من يتناولهم بالنقد .

انهم يقولون : « أنتم معادون للسوفيت ! » كلا ، أيها الأصدقاء ! ان بطاقة « معاداة السوفيت » لا يمكن أن تلصق بنا . ان نقدنا لأخطائكم هو بالتحديد يهدف الى الدفاع عن الحزب الشيوعي السوفياتي العظيم والاتحاد السوفياتي العظيم حتى لا تصاب سمعة الحزب الشيوعي السوفياتي والاتحاد السوفياتي بضرر كبير من قبلكم . واذا تحدثنا بوضوح ، فأنتم الذين تعادون السوفيت حقا لا نحن ، وأنتم الذين تشينون سمعة الحزب الشيوعي السوفياتي والاتحاد السوفياتي ، لا نحن . ومنذ انكار ستالين انكارا تاما في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، قد ارتكبتم أعمالا قذرة لا حصر لها . وليس بمقدور جميع مياه الفولجا أن تغسل

العار الكبير الذي جلبتموه على الحزب الشيوعي السوفياتي وعلى الاتحاد السوفياتي .

انهم يقولون : « انكم تحاولون اغتصاب القيادة ! » كلا ، أيها الأصدقاء ! وليس من الذكاء مطلقا أن تصدروا اتهاما كهذا . والطريقة التي توجهون بها هذا الاتهام تجعل المرء يظن أن هناك من ينافسونكم على شيء كـ « هذه القيادة » . أولا يرقي هذا الى درجة الادعاء بلا خجل أن هناك نوعا من « القيادة » في الحركة الشيوعية العالمية وأن هذه « القيادة » في يدكم ؟ انه من عاداتكم السيئة جدا أن تظهروا هكذا بمظهر الحزب الأبوي . وهذا غير شرعي تماما . ان تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ ينصان بوضوح على أن جميع الأحزاب الشيوعية مستقلة ومتساوية . وبناء على هذا المبدأ لا يمكن في أي حال من الأحوال أن تكون العلاقات بين الأحزاب الشقيقة كالعلاقات بين حزب قائد وحزب تابع ، ناهيك عن أن تكون بين رب العائلة وبين ابنه . لقد عارضنا دائما تحكم أي حزب واحد في بقية الأحزاب الشقيقة الأخرى ، ولم يخطر ببالنا أبدا أن نتحكم نحن في الأحزاب الشقيقة الأخرى ، ناهيك عن أن نحاول اغتصاب القيادة . ان ما يواجه الحركة الشيوعية العالمية الآن ليس هو أن يتقلد القيادة هذا الحزب أو ذاك ، بل هو هل الاستجابة لهراوة التحريفية أم التمسك بالمبادىء الثورية للتصريح والبيان وبخط الماركسية اللينينية الثوري ؟ ان نقدنا لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي يختص ، بوجه التحديد ، بمحاولتها التحكم في الأحزاب الشقيقة وفرض خطها التحريفي والانقسامي على تلك الأحزاب . ان ما نرغب فيه هو مركز الاستقلال والمساواة للأحزاب الشقيقة الذي ذكر في التصريح والبيان ، ووحدة هذه

الأحزاب على أساس الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم الذين أثاروا في الحركة الشيوعية العالمية المناظرة العظيمة الراهنة ووسعوها وفرضوها علينا . وطالما شنوا هجمات واسعة النطاق علينا ووجهوا كل نوع من الافتراءات ضدنا ، وطالما خانوا الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية خيانة مكشوفة ومزقوا التصريح والبيان علناً ، فيستحيل أن يتوقعوا ان نتردد في الاجابة وفي دحض افتراءاتهم وفي صيانة التصريح والبيان وفي الدفاع عن الماركسية اللينينية . لقد بدأت المناظرة فيجب تمييز الخطأ عن الصواب تمييزا كاملا تاما .

نحن الشيوعيين الصينيين نثابر على المبدأ ونتمسك بالوحدة ، وقد فعلنا هكذا في الماضي ونفعل هكذا الآن وسوف نفعل هذا في المستقبل أيضا . وبينما نجادل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لا نزال نأمل أن يدركوا أنهم قد سلكوا طريقا خطيرا للغاية بتخليهم عن الثورة وبالتخلي عن شعوب العالم الثورية وعن وحدة المعسكر الاشتراكي ووحدة الحركة الشيوعية العالمية ، وبالتعاون بشغف مع المستعمرين الأميركيين ورجعيي مختلف البلدان وطغمة تيتو المرتدة .

ان مصالح الشعبين الصيني والسوفياتي ، ومصالح المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية ومصالح شعوب العالم تتطلب من جميع الأحزاب الشيوعية والعمالية أن تتحد وتعارض العدو المشترك .

وها نحن نتوجه بالنداء مرة أخرى الى قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي بأن تصلح أخطاءها وتعود الى طريق الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية ، وطريق تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ .

ان الحركة الشيوعية العالمية تمر الآن بفترة هامة . والمناظرة الراهنة

ذات أثر حاسم على مستقبل الثورة البروليتارية العالمية ومصير البشرية . وسوف يبرهن التاريخ على أن الماركسية اللينينية بعد هذه المناظرة الواسعة سوف يزداد لمعان ضوئها ، وسوف تحرز القضية الثورية للبروليتاريا العالمية وشعوب العالم نجاحات أعظم .

الملحق الأول

عرض عام للآراء حول مسألة الانتقال السلمي

(١٠ نوفمبر " تشرين الثاني " ١٩٥٧)

١ – من المرونة أكثر ، فيما يتعلق بمسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، الاشارة الى الاحتمالين – الانتقال السلمي والانتقال غير السلمي ، بدلا من الاشارة فقط الى أحدهما ، وهكذا نصبح في موضع يجعلنا قادرين على المبادرة سياسيا في أي وقت كان .

(أ) ان الاشارة الى احتمال الانتقال السلمي تدل على أن استخدام العنف بالنسبة الينا هو في الدرجة الأولى مسألة دفاع عن النفس . وهذا يمكن الأحزاب الشيوعية في الأقطار الرأسمالية من تجنب الهجمات التي توجه اليها حول هذه المسألة ، ولهذا فائدة سياسية هي المساعدة على كسب الجماهير ، وحرمان البرجوازية أيضا من ذريعتها في الهجوم ، وعلى عزلها .

(ب) واذا نشأ الاحتمال الفعلي للانتقال السلمي في بعض الأقطار في المستقبل عندما يتغير الوضع العالمي أو المحلي تغيرا جذريا ، فبوسعنا

حين ذاك أن نغتنم الفرصة في حينها لكسب تأييد الجماهير وحل مسألة سلطة الدولة بالطرق السلمية .

(ج) ومع ذلك ، لا يجب أن نقيد أيادينا بأنفسنا نظرا لهذه الرغبة . فالبرجوازية سوف لا تنزل عن مسرح التاريخ طائعة مختارة . هذا قانون عام للنضال الطبقي . وعلى البروليتاريا والحزب الشيوعي في أي قطر من الأقطار ألا يتراخيا بتاتا في استعداداتهما للثورة . عليهما أن يستعدا في كل وقت من الأوقات لردع الهجمات المعادية للثورة ؛ وعليهما في وقت الثورة الخطير عندما تقوم الطبقة العاملة فعلا بالاستيلاء على سلطة الدولة ، أن يطيحا بالبرجوازية بالقوة المسلحة اذا استخدمت البرجوازية القوة المسلحة لكبت ثورة الشعب (ويتحتم عموما أن تلجأ البرجوازية لهذا) .

٢ ـ في الوضع الحاضر للحركة الشيوعية العالمية ، يكون من المفيد تاكتيكيا الاشارة الى الرغبة في الانتقال السلمي ولكن من غير الملائم الافراط في التركيز على امكانية الانتقال السلمي ، والأسباب في ذلك هي :

(أ) ان الاحتمال والواقع ، الرغبة وما اذا كانت ستحقق أم لا ، هما أمران مختلفان . علينا ان نشير الى الرغبة في الانتقال السلمي . ولكن علينا ألا نعلق آمالنا أساسا على ذلك ، ولهذا يجب ألا نفرط في التركيز على هذا الاحتمال .

(ب) اذا ركزنا تركيزا أكثر من اللازم على امكانية الانتقال السلمي ، ولا سيما على امكانية الاستيلاء على سلطة الدولة بكسب الأغلبية في البرلمان ، فقد يؤدي هذا الى اضعاف العزيمة الثورية لدى البروليتاريا والشغيلة والحزب الشيوعي مما ينزع سلاحهم الايديولوجي .

(ج) مبلغ علمنا حتى الآن أنه لا يوجد قطر واحد قد أصبحت لهذه الامكانية فيه أدنى أهمية عملية . وحتى اذا كانت هذه الامكانية أوضح قليلا في قطر معين ، فان الافراط في التركيز عليها أمر غير ملائم ، نظرا لأن هذا لا يطابق الواقع في الأغلبية الساحقة من الأقطار . واذا طرأت فعلا مثل هذه الامكانية في قطر ما ، على الحزب الشيوعي في ذلك القطر أن يسعى من جانب لتحقيقها ، وعليه من الجانب الآخر أن يكون مستعدا دائما لردع الهجمات المسلحة التي يشنها البرجوازيون .

(د) ان التركيز على هذا الاحتمال سوف لا يضعف سواء الطبيعة الرجعية لدى البرجوازية أو يقظتها .

(ه) كما سوف لا يجعل مثل هذا التركيز الأحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية أكثر ثورية عما هي .

(و) كما سوف لا يجعل مثل هذا التركيز الأحزاب الشيوعية أقوى مما هي عليه . وعلى النقيض من ذلك ، اذا لجأت بعض الأحزاب الشيوعية نتيجة هذا ، الى اخفاء قسماتها الثورية وأصبح يخلط فيما بينها وبين الأحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية في أعين الشعب ، فهذا سيؤدي الى اضعافها لا الى أي شيء آخر.

(ز) من العسير جدا تجميع القوى والتحضير للثورة ، والنضال البرلماني رغم كل شيء أمر سهل بالنسبة لذلك . علينا أن نفيد فائدة كاملة من النضال البرلماني كشكل من أشكال النضال ، الا أن دوره محدود . والمهم للغاية هو السير بالعمل الشاق ، عمل تجميع القوى الثورية .

٣ ــ ان الحصول على أغلبية في البرلمان أمر يختلف عن تحطيم

جهاز الدولة القديم (وأساسا القوات المسلحة) وتأسيس جهاز دولة جديد (وأساسا القوات المسلحة) . وما لم يتم تحطيم جهاز الدولة العسكري البيروقراطي لدى البرجوازية ، إما أن يكون حصول البروليتاريا وحلفائها المعتمد عليهم على أغلبية برلمانية أمرا مستحيلا(لأن البرجوازية سوف تعدل الدستور كلما كان ذلك ضروريا حتى يسهل عليها تدعيم ديكتاتوريتها) أو أن يكون أمرا لا يعتمد عليه (فقد تعلن أن الانتخابات ، على سبيل المثال ، باطلة غير مقبولة ، وقد تحرم الحزب الشيوعي من شرعيته ، وقد تحل البرلمان الخ) .

٤ ــ يجب ألا يفسر الانتقال السلمي الى الاشتراكية بصورة تجعله يعني فقط الانتقال عن طريق أغلبية برلمانية . فالمسألة الأساسية هي مسألة جهاز الدولة . لقد كان رأي ماركس في سبعينيات القرن التاسع عشر أنه كانت في بريطانيا امكانية لاحراز الاشتراكية بالطرق السلمية نظرا لأنه « في ذلك الوقت كانت العسكرية والبيروقراطية أقل نفوذا في بريطانيا بالمقارنة بأي قطر آخر » . ولفترة من الزمن بعد ثورة فبراير (شباط) أمل لينين بأنه عن طريق شعار « كل السلطة للسوفيت » قد تتطور الثورة سلميا وتنتصر نظرا لأنه في ذلك الوقت « كانت الأسلحة في أيادي الشعب » . ولم يقصد ماركس أو لينين تحقيق الانتقال السلمي باستخدام جهاز الدولة القديم . لقد أوضح لينين مرارا مثل ماركس وانجلز الشهير القائل « ان الطبقة العاملة لا يمكنها أن تستولي ببساطة على جهاز الدولة الجاهز وأن تسخره لأغراضها الخاصة . »

٥ ــ ان الأحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية ليست أحزابا اشتراكية . وفيما عدا أجنحة يسارية معينة فانها أحزاب تخدم البرجوازية والرأسمالية ،

انها أحزاب برجوازية سياسية في قناع جديد . وموقفنا فيما يتعلق بقضية الثورة الاشتراكية ، يختلف اختلافا أساسيا عن موقف الأحزاب الاشتراكية- الديمقراطية . وهذا الاختلاف لا يجب تغطيته بأي حال من الأحوال . وتغطية هذا الاختلاف يساعد قادة الأحزاب الاشتراكية - الديمقراطية على خداع الجماهير ويعوقنا عن كسب الجماهير وابعادها عن نفوذ الأحزاب الاشتراكية - الديمقراطية . ومع ذلك فانه في أقصى درجات الأهمية دون ريب أن ندعم عملنا فيما يختص بالأحزاب الاشتراكية - الديمقراطية وأن نسعى لتأسيس جبهة متحدة مع جماعاتها اليسارية والمتوسطة .

٦ - هذا هو فهمنا لهذه المسألة . وآراؤنا مختلفة حول هذه المسأله فعلا ، ولكن نظرا لاعتبارات مختلفة ، لم نقدم آراءنا بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي . وطالما كان اصدار تصريح مشترك على الأبواب ، لا بد أن نوضح آراءنا . الا أن هذا لا يمنعنا من الوصول الى لغة مشتركة في مشروع التصريح . وبغرض اظهارصلة بين عبارة هذه المسألة في مشروع التصريح وبين عبارة المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، فاننا نوافق على قبول المشروع المقدم اليوم من جانب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي كأساس بينما نقترح ادخال تعديلات معينة عليه .

الملحق الثاني

بيان وفد الحزب الشيوعي الصيني لدى اجتماع الاحزاب الشقيقة في بوخارست

(٢٦ يونيو " حزيران " ١٩٦٠)

١ – ترى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أن الرفيق خروشوف ، من أعضاء وفد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، قد نقض في هذا الاجتماع المبدأ القائم منذ وقت بعيد في الحركة الشيوعية العالمية فيما يتعلق بحل القضايا التي تهم الجميع عن طريق المشاورة بين الأحزاب الشقيقة نقضا تاما ، كما حطم الاتفاق الذي عقد قبل الاجتماع والقاضي بقصر الاجتماع على تبادل وجهات النظر وعدم اتخاذ أي قرار ، تحطيما تاما . ولقد فعل هذا بهجومه المفاجىء أي بوضعه مشروع بلاغ للاجتماع دون استشارة الأحزاب الشقيقة سلفا حول محتوياتها ودون السماح بنقاش كامل طبيعي في الاجتماع . ان هذا سوء استخدام لهيبة الحزب الشيوعي السوفياتي في الحركة الشيوعية العالمية ، تلك الهيبة التي تكونت خلال السنوات الطوال منذ وقت لينين ، وهذا ، بالاضافة لذلك ، عمل في أقصى درجات الفظاظة لفرض المرء آراءه على الآخرين. وليس بين هذا الموقف وأسلوب عمل لينين أدنى صلة كانت ، كما يخلق سابقة سيئة للغاية في الحركة الشيوعية العالمية . ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني تعتبر أن هذا الموقف وهذا الأسلوب من جانب الرفيق خروشوف ستنتج عنهما عواقب وخيمة للغاية على الحركة الشيوعية العالمية .

٢ — لقد ظل الحزب الشيوعي الصيني مخلصا دائما للماركسية اللينينية والتزم دائما بثبات بالمواقع النظرية للماركسية اللينينية . وخلال العامين الماضيين وأكثر ظل مخلصا اخلاصا تاما لتصريح موسكو عام ١٩٥٧ كما تمسك بحزم باستنتاجات التصريح الماركسية اللينينية . ان بيننا وبين الرفيق خروشوف خلافات حول سلسلة من المبادىء الأساسية للماركسية اللينينية . ولهذه الخلافات أثر حاسم على مصالح المعسكر الاشتراكي قاطبة ، وعلى مصالح البروليتاريا والشغيلة في العالم بأجمعه ، وعلى مسألة ما اذا كانت شعوب جميع الأقطار ستتمكن من صيانة السلم العالمي ومنع المستعمرين من شن حرب عالمية أم لا ، وعلى مسألة ما اذا استمرت الاشتراكية تحرز انتصارات في العالم الرأسمالي الذي يضم ثلثي مجموع سكان العالم وثلاثة أرباع مساحته الأرضية أم لا . على جميع الماركسيين اللينينيين أن يكون لهم موقف جاد من هذه الخلافات وأن يفكروا فيها تفكيرا جديا ويعقدوا مناقشات رفاقية حتى يمكنهم الوصول الى نتائج جماعية بصددها . الا أن مسلك الرفيق خروشوف هو مسلك عائلي وتعسفي ومسلك طغاة ، وقد اعتبر العلاقة بين الحزب الشيوعي السوفياتي العظيم وبين حزبنا في الحقيقة لا علاقة بين الأشقاء ، بل علاقة كعلاقة الأب بابنه . وقد باشر في هذا الاجتماع الضغط كي يجعل حزبنا يرضخ لوجهات نظره غير الماركسية اللينينية . ونحن نعلن بمهابة هنا أن حزبنا يؤمن ويطيع حقيقة الماركسية اللينينية وحدها ، وسوف لا يخضع لأية أفكار خاطئة تسير على نقيض الماركسية اللينينية . ونحن نعتبر أن أفكارا معينة عبر عنها الرفيق خروشوف في خطابه لدى المؤتمر الثالث للحزب الروماني هي أفكار خاطئة وتعارض تصريح موسكو . وسوف يرحب

المستعمرون وطغمة تيتو بخطابه هذا كما حدث فعلا ورحبوا به . وعندما يحين الوقت سنكون على استعداد لمواصلة نقاش جدي مع الحزب الشيوعي السوفياتي والأحزاب الشقيقة الأخرى فيما يتعلق بخلافاتنا مع الرفيق خروشوف . أما فيما يختص بـ « رسالة الاعلام التي قدمها الحزب الشيوعي السوفياتي الى الحزب الشيوعي الصيني » والتي وزعها الرفيق خروشوف في بوخارست فان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني سوف ترد عليها بالتفصيل بعد دراستها دراسة عميقة ، وسوف يتناول الرد الخلافات المتعلقة بالمبدأ بين الحزبين ، مقدما الحقائق المتعلقة ، كما سوف تعقد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني مناقشات جادة رزينة رفاقية مع الأحزاب الشقيقة . ونحن على يقين بأنه بأي حال من الأحوال سوف تنتصر حقيقة الماركسية اللينينية في النهاية . ان الحقيقة لا تخشى الصراع ، ومن المستحيل في النهاية وصف الحقيقة بالخطأ ووصف الخطأ بالحقيقة. ان مستقبل الحركة الشيوعية العالمية يتوقف على حاجيات ونضال الشعوب وعلى ارشاد الماركسية اللينينية ، لا على هراوة أي فرد كان .

٣ — نحن الحزب الشيوعي الصيني قد سعينا دائما لصيانة وحدة جميع الأحزاب الشيوعية ووحدة جميع الأقطار الاشتراكية . ومن أجل الوحدة الحقيقية في صفوف الحركة الشيوعية العالمية ومن أجل النضال المشترك ضد الاستعمار والرجعية ، نرى أنه من الضروري اجراء مناقشات طبيعية فيما يتعلق بالخلافات ، وألا تسوى المسائل المبدئية الجادة على عجل باستخدام أساليب شاذة أو بالتصويت ببساطة ، كما لا يجب أن يفرض المرء أفكارا تعسفية لم يحدث أن اختبرت في العمل أو اختبرت وبرهنت على خطئها ، على الآخرين . ان تصرف الرفيق خروشوف في

هذا الاجتماع يعوق تماما وحدة الحركة الشيوعية العالمية . ولكن مهما تصرف الرفيق خروشوف فان وحدة الحزبين الصيني والسوفياتي ووحدة جميع الأحزاب الشيوعية والعمالية لا بد من أن تتقويا وتتطورا باطراد . ونحن على يقين تام بأنه بتطور الحركة الشيوعية العالمية والماركسية اللينينية ، سوف تتقوى وتتطور باطراد وحدة صفوفنا .

٤ — اذا نظرنا الى العلاقات بين حزبينا ككل فان الخلافات المذكورة أعلاه بين الرفيق خروشوف وبيننا ما هي الا خلافات ذات طبيعة جزئية . ورأينا أن الشيء الأساسي في العلاقات بين حزبينا هو وحدتهما في النضال من أجل القضية المشتركة ، وهذا يعود الى أن كلا من قطرينا قطر اشتراكي والى أن كلا من حزبينا حزب يقوم على مبادىء الماركسية اللينينية ، ويناضل لدفع قضية المعسكر الاشتراكي بأكمله ولمعارضة العدوان الاستعماري ولكسب السلم العالمي . ونحن على يقين بأن الرفيق خروشوف واللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ونحن أنفسنا سنتمكن من وجود فرص لعقد مناقشات هادئة ورفاقية لحل خلافاتنا حتى يصبح الحزبان الصيني والسوفياتي متحدين أكثر وتتقوى العلاقات بينهما أكثر . وسوف يكون هذا في أقصى درجات الافادة للمعسكر الاشتراكي ولنضال شعوب العالم ضد العدوان الاستعماري ومن أجل السلم العالمي .

٥ — ونحن مسرورون جدا بأن « مشروع بلاغ الاجتماع » المقدم هنا يؤكد صحة تصريح موسكو . الا أن شرح استنتاجات تصريح موسكو الماركسية اللينينية في هذا المشروع ليس دقيقا وهو مصبوغ بصبغة جانب واحد . ومن الخطأ أن يتجنب المشروع اتخاذ موقف صريح فيما يتعلق

بالقضايا الرئيسية في الوضع العالمي الراهن ، وألا يشير أدنى اشارة الى التحريفية المعاصرة ــ الخطر الأساسي في حركة الطبقة العاملة العالمية . وعليه فنحن لا نقبل هذا المشروع . ومن أجل الوحدة في النضال المشترك ضد العدو قدمنا مشروعا معدلا ونقترح مناقشته . واذا تعذر الوصول الى اتفاق هذه المرة ، نقترح تكوين لجنة مشروع خاصة لوضع وثيقة تكون مقبولة لدى الجميع بعد اجراء المناقشات التامة حولها .

الملحق الثالث

الاقتراحات الخمسة الرامية الى تسوية الخلافات والوصول الى الوحدة والواردة في رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ردا على رسالة الاعلام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

(١٠ سبتمبر " أيلول" ١٩٦٠)

سعيا لتسوية الخلافات بصورة ناجحة وللوصول الى الوحدة نقدم المقترحات الآتية باخلاص تام :

١ ــ ان المبادىء الأساسية للماركسية اللينينية ومبادىء التصريح والبيان لاجتماع موسكو عام ١٩٥٧ هي الأساس الايديولوجي للوحدة بين حزبينا ووحدة جميع الأحزاب الشقيقة . ويجب أن تخضع جميع أقوالنا

وأفعالنا بصورة مطلقة الى المبادىء الأساسية للماركسية اللينينية ومبادىء تصريح موسكو ، التي يجب علينا أن نجعلها محكا للحكم على الحق والباطل .

٢ — يجب أن تساير العلاقات بين الأقطار الاشتراكية والأحزاب الشقيقة مسايرة دقيقة لمبادىء المساواة والمبادىء الرفاقية والأممية كما وردت في تصريح موسكو .

٣ — يجب أن تسوى جميع النزاعات بين الأقطار الاشتراكية والأحزاب الشقيقة بما يتماشى مع نصوص تصريح موسكو ، عن طريق المناقشات الرفاقية غير المستعجلة . ان الاتحاد السوفياتي والصين والحزبين السوفياتي والصيني يتحملان مسئوليات ضخمة تجاه الوضع العالمي وتجاه الحركة الشيوعية العالمية ، ويجب عليهما أن يتشاورا مشورة كاملة ويتناقشا دون عجلة فيما يتعلق بجميع المسائل الهامة التي تهمهما حتى يتحدا في العمل . واذا لم يكن ممكنا تسوية النزاعات بين الحزبين الصيني والسوفياتي في الوقت الحاضر أثناء المشاورات بين الحزبين ، يجب اذن مواصلة المناقشات غير المستعجلة . وعندما يكون ذلك ضروريا ، تعرض أفكار الحزبين بصورة تامة وموضوعية على الأحزاب الشيوعية والعمالية في جميع الأقطار حتى تتمكن هذه الأحزاب من الوصول الى حكم صحيح بعد التفكير الجاد ووفقا لما يتماشى مع مبادىء الماركسية اللينينية وتصريح موسكو .

٤ — ان مما هو في أقصى درجات الأهمية بالنسبة الى الشيوعيين أن يرسموا خطا مميزا واضحا بين العدو وأنفسنا ، وبين الحق والباطل . وعلى حزبينا أن يعزا صداقتنا ويقدراها حق قدرها وأن يتضامنا معا لمعارضة

العدو ، وألا يصدرا بيانات أويقوما بأعمال من شأنها أن تحطم الوحدة بين الحزبين والقطرين مما يعطي الفرصة للعدو لاحداث انقسام بيننا .

٥ - على أساس المبادىء الواردة أعلاه ، يجب على حزبينا أن يسعيا مع الأحزاب الشيوعية والعمالية الأخرى عن طريق التحضير الكامل والمشاورة التامة الى انجاح اجتماع ممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية في جميع البلدان والذي سوف ينعقد في نوفمبر(تشرين الثاني) هذا العام في موسكو ، وأن يعملا في هذا الاجتماع على وضع وثيقة تتماشى مع المبادىء الأساسية للماركسية اللينينية ومبادىء تصريح موسكو عام ١٩٥٧ حتى تكون برنامجا نلتزم به جميعا - برنامجا لنضالنا المشترك ضد العدو .

حول مسألة ستالين

ـ تعليق ثان على الرسالة المفتوحة
للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي
بقلم هيئتي تحرير صحيفة «جينمينجيباو»
ومجلة « العلم الأحمر »
(١٣ سبتمبر "أيلول" ١٩٦٣)

مسألة ستالين مسألة ذات أهمية عالمية كان لها صدى بين جميع الطبقات في كل بلد ، ولا تزال المناقشة حولها جارية حتى اليوم . وتختلف الآراء حولها باختلاف الطبقات وأحزابها وفرقها السياسية . ومن المحتمل ألا يصدر حكم قاطع بشأنها خلال هذا القرن . ولكن هناك اتفاق فعلي بين أكثرية الطبقة العاملة العالمية والشعوب الثورية التي لا توافق على انكار ستالين كليا وتعز أكثر فأكثر ذكراه . وهذا الوضع ينطبق على الاتحاد السوفياتي كذلك . ان خلافنا مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو خلاف مع قسم من الناس . واننا نأمل في اقناعهم من أجل دفع قضية الثورة الى أمام . وهذا هو غرضنا من كتابة هذا المقال .

ان الحزب الشيوعي الصيني يرى دائما أن الرفيق خروشوف كان مخطئا كل الخطأ في انكاره الكلي لستالين تحت ستار ما يسمى بـ« مقاومة عبادة الفرد » وكانت له مآرب خفية دفعته لذلك .

وقد أشارت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في رسالتها المؤرخة في ١٤ يونيو (حزيران) الى أن ما يسمى بـ « مقاومة عبادة الفرد » هو خرق لتعاليم لينين الكاملة حول العلاقات المتداخلة بين القادة والحزب والطبقة والجماهير كما يقوض المبدأ الشيوعي للمركزية الديمقراطية .

ان الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تتجنب أي رد على حججنا القائمة على المبدأ وتتهم فقط الشيوعيين الصينيين بأنهم « يدافعون عن عبادة الفرد وينشرون أفكار ستالين الخاطئة » .

لقد قال لينين عندما كان يكافح ضد المنشفيك : « ان عدم الرد على حجج الخصم المبدئية واتهامه بـ « الاثارة » فقط ، لا يعني مجادلته بل يعني سبه . » (١) والموقف الذي أبدته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في رسالتها المفتوحة يشبه بالضبط موقف المنشفيكيين .

ورغم أن الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تلجأ الى السباب بدلا من الجدال ، الا أننا نفضل من جانبنا الرد على تلك الرسالة بالحجج المبدئية والحقائق الوافرة العديدة .

لقد كان الاتحاد السوفياتي العظيم أول دولة لديكتاتورية البروليتاريا في العالم . وفي البدء كان القائد الأول للحزب وللحكومة في هذه الدولة لينين ثم ستالين بعد وفاة لينين .

وعندما توفي لينين لم يصبح ستالين قائد حزب وحكومة الاتحاد السوفياتي وحسب بل أصبح أيضا الزعيم المعترف به للحركة الشيوعية العالمية .

انه لم يمض على الدولة الاشتراكية الأولى التي دشنتها ثورة أكتوبر الا ست وأربعون سنة فقط . ولقرابة ثلاثين سنة من هذه السنوات كان ستالين القائد الأول لهذه الدولة . وسواء في تاريخ ديكتاتورية البروليتاريا أو في تاريخ الحركة الشيوعية العالمية ، فان نشاطات ستالين تحتل مكانا في أعظم درجات الأهمية .

والموقف الدائم للحزب الشيوعي الصيني هو أن مسألة موازنة أعمال ستالين والموقف الذي يتخذ ازاءه ليست فقط مسألة تقدير ستالين نفسه

---

(١) لينين : « بعض الملاحظات حول " الرد " الذي كتبه ب . ماسلوف » .

بل الأهم هو أنها مسألة تلخيص الخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا وللحركة الشيوعية العالمية منذ وفاة لينين والكيفية التي يتم بها هذا التلخيص .

لقد أنكر الرفيق خروشوف ستالين انكارا كليا في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي . وبخصوص مسألة مبدئية كهذه تمس كل الحركة الشيوعية العالمية لم يستشر الأحزاب الشقيقة مسبقا بل حاول أن يفرض عليها التسليم بالأمر الواقع . لقد أصبح كل من يختلف عن قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي في موازنة أعمال ستالين يُتهم بـ « الدفاع عن عبادة الفرد » وكذلك بـ « التدخل » في الشؤون الداخلية للحزب الشيوعي السوفياتي . الا أنه ما من أحد يستطيع أن ينكر الأهمية العالمية للخبرة التاريخية لأول دولة لديكتاتورية البروليتاريا أو ينكر الحقيقة التاريخية التي هي أن ستالين كان قائد الحركة الشيوعية العالمية ، وبالتالي لا يستطيع أحد أن ينكر أن موازنة أعمال ستالين هي مسألة مبدئية هامة تمس كل الحركة الشيوعية العالمية . فعلى أي أساس اذن يمنع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الأحزاب الشقيقة الأخرى من القيام بتحليل وموازنة واقعيين لأعمال ستالين ؟

لقد أصر الحزب الشيوعي الصيني دائما على اجراء تحليل شامل موضوعي علمي لمآثر ستالين وأخطائه بأسلوب المادية التاريخية وعلى عرض التاريخ كما حدث فعلا ، وعارض انكار ستالين هذا الانكار الذاتي الفظ التام الذي حدث نتيجة استخدام أسلوب المثالية التاريخية وتشويه التاريخ وتعديله عن عمد .

لقد رأى الحزب الشيوعي الصيني دائما أن ستالين قد ارتكب أخطاء كانت لها جذورها الايديولوجية والاجتماعية والتاريخية . ومن الضروري

أن تُنتقد الأخطاء التي ارتكبها ستالين فعلا لا الأخطاء التي عزيت اليه بلا أساس ، بشرط أن يكون هذا النقد من موقف صحيح وبالأساليب الصحيحة . ولكننا عارضنا دائما نقد ستالين نقدا غير ملائم وصادرا عن موقف خاطىء وبأساليب خاطئة .

عندما كان لينين على قيد الحياة حارب ستالين القيصرية وبث الماركسية ، وبعد أن أصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب البلشفي برئاسة لينين ساهم في النضال لتمهيد الطريق لثورة عام ١٩١٧ ، وبعد ثورة أكتوبر كافح للدفاع عن ثمار الثورة البروليتارية .

وبعد وفاة لينين قاد ستالين الحزب الشيوعي السوفياتي والشعب السوفياتي في النضال الحازم ضد الأعداء الداخليين والخارجيين ولصيانة وتعزيز أول دولة اشتراكية في العالم .

وقاد ستالين الحزب الشيوعي السوفياتي والشعب السوفياتي في التمسك بخط التصنيع الاشتراكي والجماعية الزراعية وفي احراز نجاحات عظيمة في التحول والبناء الاشتراكيين .

وقاد ستالين الحزب الشيوعي السوفياتي والشعب السوفياتي والجيش السوفياتي في شن نضال مرير شاق حتى احراز النصر العظيم في الحرب ضد الفاشية .

ودافع ستالين عن الماركسية اللينينية وطورها في الكفاح ضد مختلف أنواع الانتهازية وضد أعداء اللينينية ـ التروتسكيين والزينوفييفيين والبخارينيين وغيرهم من عملاء البرجوازية .

لقد قدم ستالين مساهمة لا تنسى للحركة الشيوعية العالمية في عدد من مؤلفاته النظرية التي هي مؤلفات ماركسية لينينية خالدة .

لقد قاد ستالين الحزب السوفياتي والحكومة السوفياتية في اتباع سياسة خارجية كانت تتفق بصورة عامة مع الأممية البروليتارية وتقدم مساعدة عظيمة للنضالات الثورية لدى الشعوب قاطبة بما فيها الشعب الصيني .

لقد وقف ستالين في مُقدمة مد التاريخ موجها للنضال وكان عدوا لا يصالح المستعمرين والرجعيين بأسرهم .

لقد كانت نشاطات ستالين مرتبطة ارتباطا وثيقا بنضالات الحزب الشيوعي السوفياتي العظيم والشعب السوفياتي العظيم ولا تنفصل عن النضالات الثورية لشعوب العالم قاطبة .

وكانت حياة ستالين حياة ماركسي لينيني عظيم وثوري بروليتاري عظيم .

وحقيقة أن ستالين ، هذا الماركسي اللينيني العظيم والثوري البروليتاري العظيم ، ارتكب أخطاء معينة بينما كان يقدم مآثره للشعب السوفياتي وللحركة الشيوعية العالمية . كانت بعض هذه الأخطاء أخطاء مبدئية وبعضها حدث أثناء النشاط العملي ، كما كان بعضها ممكنا تجنبه وكان عسيرا تجنب بعضها الآخر في وقت لم تكن فيه لديكتاتورية البروليتاريا أي سابقة تقتدي بها .

وحاد ستالين باتباع طريقة تفكيره عن المادية الديالكتيكية ووقع تحت رحمة المثالية والنزعة الذاتية فيما يتعلق بقضايا معينة ، وهكذا ابتعد أحيانا عن الواقع وعن الجماهير . وفي النضال داخل الحزب وخارجه خلط كذلك في مناسبات معينة وحول مسائل معينة بين نوعين من التناقضات مختلفين في طبيعتهما هما التناقضات بين أنفسنا والعدو والتناقضات بين الشعب ، كما خلط بين الأساليب المختلفة المطلوبة لمعالجة هذه

التناقضات . وأثناء قيادة ستالين لقمع الثورة المعادية نال عدد كبير من المعادين للثورة ما استحقوه من عقاب . ولكن في الوقت نفسه عوقب عدد من الأبرياء بصورة خاطئة . وفي عامي ١٩٣٧ و١٩٣٨ تعدى نطاق قمع المعادين للثورة حدوده وكان هذا خطأ . وفيما يتعلق بتنظيم الحزب والحكومة لم يطبق ستالين بصورة كافية المركزية الديمقراطية البروليتارية بل خرقها الى حد ما . كما ارتكب بعض الأخطاء في معالجة العلاقات بين الأحزاب والأقطار الشقيقة ، وكذلك أخطأ النصح أحيانا في الحركة الشيوعية العالمية . ونجم عن هذه الأخطاء بعض الخسائر التي لحقت بالاتحاد السوفياتي والحركة الشيوعية العالمية .

ان مآثر ستالين وأخطاءه هي حقائق تاريخية وموضوعية . والمقارنة بين هذه المآثر والأخطاء تظهر أن مآثره كانت أعظم من أخطائه . لقد كان في المقام الأول مصيبا وكانت أخطاؤه ثانوية . وبتلخيص تفكير ستالين وعمله بكليتهما فان كل شيوعي شريف يحترم التاريخ سينظر بالتأكيد أولا الى ما شغل المقام الأول في حياة ستالين . ولذلك عندما توازن أخطاء ستالين موازنة صحيحة وتنتقد ويتم التغلب عليها يكون من الضروري الدفاع عما شغل المقام الأول في حياة ستالين والدفاع عن الماركسية اللينينية التي صانها وطورها .

ومن المفيد اتخاذ أخطاء ستالين التي كانت ثانوية بالنسبة الى مآثره كدروس تاريخية يعتبر بها شيوعيو الاتحاد السوفياتي والبلدان الأخرى حتى لا يكرروا تلك الأخطاء أو يقللوا من أخطائهم . ان الدروس التاريخية الايجابية والسلبية مفيدة للشيوعيين بأجمعهم اذا استخلصت بشكل صحيح وكانت هذه الدروس لا تشوه حقائق تاريخية بل تنطبق معها .

لقد أشار لينين أكثر من مرة الى أن موقف الماركسيين كان مختلفا كليا عن موقف محرفي الأممية الثانية تجاه أمثال ببل وروزا لوكسمبرج أولئك الذين كانوا ثوريين بروليتاريين عظاما رغم أخطائهم . ان الماركسيين لم يخفوا أخطاء أمثال هؤلاء الناس ولكنهم عن طريقها « تعلموا كيف يتجنبونها ويسيرون حسب ما تتطلبه الماركسية الثورية من صرامة أكثر»(١).
وعلى النقيض من ذلك اكتفى المحرفون بـ « الصياح » و« النقنقة » على أخطاء ببل وروزا لوكسمبرج . واستهزاءا بالمحرفين أعاد لينين بهذه المناسبة قصة روسية هي : « قد تطير النسور أحيانا أكثر انخفاضا من الدجاج ولكن الدجاج لا يستطيع أبدا أن يرتفع الى العلو الذي تبلغه النسور . » ان ببل ولوكسمبرج كانا « شيوعيين عظيمين » . وبقيا « نسرين » رغم أخطائهما بينما بقي المحرفون سربا من « الدجاج » « وسط أكوام الزبل في الساحة الخلفية لحركة الطبقة العاملة » (٢) .

ان الدور التاريخي الذي لعبه ببل ولوكسمبرج لا يمكن أبدا أن يقارن بالدور الذي لعبه ستالين . فقد كان ستالين القائد العظيم لديكتاتورية البروليتاريا والحركة الشيوعية العالمية في مرحلة تاريخية كاملة ، فينبغي أن تبذل عناية أكبر في تقديره .

لقد اتهم قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الحزب الشيوعي الصيني بـ « الدفاع » عن ستالين . نعم ، نحن ندافع عن ستالين . ففي حين

---

(١) لينين : « مقدمة لكراس بقلم فوينوف (أ . ف . لونا شارسكي) حول نهج الحزب حيال النقابات العمالية » .

(٢) لينين : « ملاحظات معلق » .

يشوه خروشوف التاريخ وينكر ستالين انكارا كليا يقع علينا طبعا واجب لا مفر منه ، وهو أن نهب لندافع عنه من أجل مصالح الحركة الشيوعية العالمية .

ان الحزب الشيوعي الصيني بالدفاع عن ستالين يدافع عن جانبه الصحيح ، ويدافع عن التاريخ المجيد لنضال الدولة الأولى لديكتاتورية البروليتاريا في العالم التي خلقتها ثورة أكتوبر ويدافع عن التاريخ المجيد لنضال الحزب الشيوعي السوفياتي ويدافع عن هيبة الحركة الشيوعية العالمية بين الشغيلة في العالم أجمع . وبالاختصار يدافع عن نظرية الماركسية اللينينية وتطبيقها . وليس الشيوعيون الصينيون وحدهم هم الذين يفعلون هذا بل جميع الشيوعيين المخلصين للماركسية اللينينية وجميع الثوريين الأقوياء وجميع ذوي التفكير السليم كانوا ولا يزالون يفعلون نفس الشيء .

وبينما ندافع عن ستالين لا ندافع عن أخطائه . ومنذ زمن بعيد قد أحس الشيوعيون الصينيون أنفسهم ببعض أخطاء ستالين . فمن بين الخطين الخاطئين الانتهازيين « اليساري » واليميني اللذين برزا في الحزب الشيوعي الصيني كان بعضهما يعزى فيما يتعلق بمصدره الدولي الى تأثير أخطاء معينة لستالين . ففي أواخر العشرينيات والثلاثينيات وأوائل وأواسط الأربعينيات قاوم الماركسيون اللينينيون الصينيون الذين يمثلهم الرفيق ماو تسي تونغ والرفيق ليو شاو تشي تأثير أخطاء ستالين المعينة وتغلبوا بالتدريج على خطي الانتهازية « اليساري » واليميني الخاطئين وقادوا في النهاية ثورة الصين الى النصر .

ولكن ينبغي لنا نحن الصينيين أن نتحمل مسؤولية قبول بعض الرفاق الصينيين وتطبيقهم لآراء ستالين الخاطئة ، ولذلك انتقد حزبنا في نضاله

ضد الانتهازية « اليسارية » واليمينية رفاقنا المخطئين وحدهم ولم يلق اللوم أبدا على ستالين . وكان الغرض من انتقادنا هو التمييز بين الصواب والخطأ وتلقي الدروس السديدة ودفع القضية الثورية الى أمام . ان كل ما فعلنا هو أن طالبنا الرفاق المخطئين بأن يصلحوا أخطاءهم . واذا رفضوا ذلك انتظرنا ريثما يصحون رويدا رويدا عبر تجاربهم العملية ، بشرط ألا ينظموا كتلا سرية للقيام بنشاطات تخريبية خفية . لقد كان أسلوبنا هو الأسلوب المناسب للنقد والنقد الذاتي داخل الحزب ، لقد انطلقنا من الرغبة في الوحدة وتوصلنا الى وحدة جديدة على أساس جديد عن طريق النقد والنضال . وهكذا أحرزت نتائج جيدة . لقد كان رأينا أن هذه التناقضات هي تناقضات بين الشعب لا تناقضات بين العدو وأنفسنا ولذلك وجب علينا أن نستخدم الأسلوب السالف الذكر .

ما هو الموقف الذي اتخذه الرفيق خروشوف وقادة معينون آخرون في الحزب الشيوعي السوفياتي تجاه ستالين منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ؟

انهم لم يقوموا بتحليل تاريخي علمي شامل لحياة ستالين وأعماله ، بل انكروه انكارا كليا بدون أي تمييز بين الصواب والخطأ ؛

ولم يعاملوا ستالين كرفيق بل عاملوه كعدو .

انهم لم يتخذوا أسلوب النقد والنقد الذاتي لتلخيص الخبرة ، بل ألقوا مسئولية جميع الأخطاء على ستالين أو نسبوا اليه « الأخطاء » التي لفقوها عمدا .

انهم لم يعرضوا الحقائق ولم يناقشوا الأمور ، بل شنوا هجمات ديماغوغية شخصية على ستالين بغرض تسميم عقول الناس .

لقد شتم خروشوف ستالين بأنه « قاتل » و « مجرم » و « قاطع طريق » (١) و«مقامر» و«طاغية من نوع ايفان المرعب » و «أكبر ديكتاتور في التاريخ الروسي » و « غبي » (٢) و « أبله » (٣) وهلم جرا وبينما نعيد ذكر كل هذه الألفاظ القذرة الفاحشة الخبيثة مضطرين نخشى أن يوسخ ذلك قلمنا و ورقنا .

لقد قدح خروشوف بستالين على أنه « أكبر ديكتاتور في التاريخ الروسي » ، ألا يعني ذلك أن الشعب السوفياتي قد عاش ثلاثين سنة طويلة تحت « طغيان » « أكبر ديكتاتور في التاريخ الروسي » ولم يعش في ظل النظام الاشتراكي ؟ ان الشعب السوفياتي العظيم والشعوب الثورية في العالم أجمع لا توافق بتاتا على هذا الافتراء !

لقد قدح خروشوف بستالين على أنه « طاغية من نوع ايفان المرعب » ، ألا يعني ذلك أن خبرة الحزب الشيوعي السوفياتي العظيم والشعب السوفياتي العظيم التي توفرت خلال ثلاثين عاما لشعوب العالم قاطبة لم تكن خبرة ديكتاتورية البروليتاريا بل خبرة حياة تحت حكم « طاغية » اقطاعي ؟ ان الشعب السوفياتي العظيم والشيوعيين السوفيت والماركسيين اللينينيين في العالم أجمع لا يوافقون بتاتا على هذا الافتراء !

لقد قدح خروشوف بستالين على أنه « قاطع طريق » ، ألا يعني

---

(١) محادثة خروشوف مع وفد الحزب الشيوعي الصيني ، ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١ .

(٢) كلمة خروشوف في حفل عيد أول مايو (أيار) ١٩٦٢ أقامته الحكومة السوفياتية .

(٣) محادثة خروشوف مع وفد الحزب الشيوعي الصيني ، ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١ .

ذلك أن الدولة الاشتراكية الأولى في العالم كان يرأسها لفترة طويلة « قاطع طريق » ؟ ان الشعب السوفياتي العظيم والشعوب الثورية في العالم أجمع لا توافق بتاتا على هذا الافتراء !

لقد قدح خروشوف بستالين على أنه « غبي » ، ألا يعني ذلك أن الحزب الشيوعي السوفياتي الذي خاض نضالات ثورية بطولية خلال عشرات السنين الماضية كان قد اتخذ « غبيا » كرئيس له ؟ ان الشيوعيين السوفيت والماركسيين اللينينيين في العالم أجمع لا يوافقون بتاتا على هذا الافتراء !

لقد قدح خروشوف بستالين على أنه « أبله » ، ألا يعني هذا أن الجيش السوفياتي العظيم الذي انتصر في الحرب ضد الفاشية كان قد اتخذ « أبله » كقائده الأعلى ؟ ان القادة والمحاربين السوفيت الأمجاد وجميع المحاربين ضد الفاشية في العالم أجمع لا يوافقون بتاتا على هذا الافتراء !

لقد قدح خروشوف بستالين على أنه « قاتل » ، ألا يعني هذا أن الحركة الشيوعية العالمية قد اتخذت « قاتلا » كمعلمها لعشرات من السنين ؟ ان الشيوعيين في العالم أجمع بما فيهم الشيوعيون السوفيت لا يوافقون بتاتا على هذا الافتراء !

لقد قدح خروشوف بستالين على أنه « مقامر » ، ألا يعني هذا أن الشعوب الثورية في العالم قد اتخذت « مقامرا » كحامل رايتها في نضالاتها ضد الاستعمار والرجعية ؟ ان جميع الشعوب الثورية في العالم ومن ضمنها الشعب السوفياتي لا توافق بتاتا على هذا الافتراء !

ان هذا القدح في ستالين من قبل خروشوف هو اهانة بالغة للشعب

السوفياتي العظيم واهانة بالغة للحزب الشيوعي السوفياتي وللجيش السوفياتي ولديكتاتورية البروليتاريا وللنظام الاشتراكي وللحركة الشيوعية العالمية وللشعوب الثورية في العالم أجمع وللماركسية اللينينية .

في أي مركز يضع خروشوف الذي اشترك في قيادة الحزب والدولة خلال عهد ستالين نفسه حين يضرب صدره ويدق الطاولة ويصيح بأعلى صوته شاتما ستالين ؟ أ في مركز المتآمر مع « قاتل » أو « قاطع طريق » ؟ أو في نفس المركز ك « غبـي » أو « أبله » ؟

أي فرق هناك بين قدح خروشوف بستالين وبين قدح المستعمرين و رجعيـي مختلـف البلدان و المرتدين عن الشيوعية بستالين ؟ و لماذا يضمر حقدا متأصلا كهذا لستالين ؟ ولماذا تتهجمون عليه بصورة أشرس مما تفعلون ضد العدو ؟

ان خروشوف بقدحه في ستالين في الواقع يشهر بشكل محموم بالنظـام السوفياتي و الدولة السوفياتية . ان لهجته في هذا الخصوص ليست بأي حال أضعف من لهجة المرتدين أمثال كاوتسكي و تروتسكي وتيتو ودجيلاس بل أقوى منها .

وعلى الناس أن يقتبسوا الفقرة التالية من الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ويسألوا خروشوف : «كيف يمكن للسان أن ينطق بهذه الأقوال عن حزب لينين العظيم وعن وطن الاشتراكية وعن الشعب الذي كان أول من حقق الثورة الاشتراكية ودافع عن مكاسبها العظيمة في معارك قاسية مع الاستعمار الدولي والحركة الداخلية المعادية للثورة ، وأبدى ضروب الأعاجيب في البطولة ونكران الذات في النضال من أجل بناء الشيوعية ، مؤديا باستقامة واجبه الأممي أمام شغيلة العالم كله ! »

قال لينين في مقاله بعنوان «المغزى السياسي للشتم» : «ان الشتم في السياسة يغطي دائما الافتقار التام للمحتوى الفكري وقلة الحيلة والعجز والضعف المزعج للشاتم » . ألا ينطبق هذا على قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الذين اذ يشعرون على الدوام بملاحقة شبح ستالين يحاولون عن طريق شتم ستالين تغطية افتقارهم التام للمبدأ وعجزهم وضعفهم المزعج ؟

ان الأغلبية العظمى للشعب السوفياتي لا تقر مثل هذا القدح بستالين وتعز بازدياد ذكراه . لقد عزل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أنفسهم عزلا خطيرا عن الجماهير . انهم يشعرون دائما بأنهم مهددون من قبل شبح ستالين الذي يلاحقهم والذي هو في الواقع عدم ارتياح الجماهير العريضة الهائل عن انكارهم التام لستالين . وحتى الآن فان خروشوف لم يجرؤ على أن يدع الشعب السوفياتي والشعوب الأخرى في المعسكر الاشتراكي تطلع على تقريره السري الذي ينكر ستالين تماما والذي قدمه للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي وذلك لأن تقريره لا يصمد لوضوح النهار ومن شأنه أن ينفر الجماهير بصورة خطيرة .

وجدير بالذكر على الخصوص أنه بينما يقدح قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بستالين بكل طريقة ممكنة يولون أيزنهاور وكندي ومن على شاكلتهما « كل احترام وثقة » (١) . انهم يقدحون بستالين على أنه « طاغية من نوع ايفان المرعب » و« أكبر ديكتاتور في التاريخ الروسي » ولكنهم يشيدون بكل من أيزنهاور وكندي ك « حائزين على تأييد الأغلبية

---

(١) رسالة خروشوف الجوابية إلى كندي في ٢٨ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٢ .

الساحقة من الشعب الأميركي ! » (١) انهم يقدحون بستالين على أنه « أبله » ويمدحون أيزنهاور وكندي كـ « عاقلين » ! فمن جهة يهاجمون بفظاظة ماركسيا لينينيا عظيمة وثوريا بروليتاريا عظيما وقائدا عظيما للحركة الشيوعية العالمية ، ومن الجهة الأخرى يرفعون زعماء الاستعمار اطنابا الى السماء . فهل هنالك احتمال بأن تكون الصلة بين هذه الظواهر قد نشأت بمحض الصدفة ؟ أو لا يدل المنطق الذي لا يقبل الشك بأنها نشأت نتيجة خيانة الماركسية اللينينية ؟

وكان أجدر بخروشوف أن يتذكر ، اذا كانت ذاكرته ليست ضعيفة جدا ، أنه في الاجتماع الشعبي الذي عقد في موسكو في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٣٧ قد شجب بنفسه بحق أولئك الذين هاجموا ستالين قائلا : « انهم برفعهم يدهم ضد الرفيق ستالين انما يرفعونها ضدنا جميعا ، ضد الطبقة العاملة والجماهير العاملة ! انهم برفعهم يدهم ضد الرفيق ستالين انما يرفعونها ضد تعاليم ماركس وانجلز ولينين ! » وقد مجد خروشوف بنفسه ستالين مرارا واصفا اياه بأنه « صديق حميم ورفيق في السلاح للينين العظيم » (٢) وبأنه « أعظم نابغة وأستاذ وقائد للبشرية » (٣)

---

(١) أجوبة خروشوف على أسئلة رئيسي تحرير صحيفتي « البرافدا » و « الازفيستيا » في صحيفة « البرافدا » ، ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ .

(٢) خروشوف : « ستالين والصداقة العظمى بين شعوب الاتحاد السوفياتي » ، « البرافدا » ، ٢١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٩ .

(٣) كلمة خروشوف في المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي السوفياتي (البولشفيك) ، « البرافدا » ، ١٥ مارس (آذار) ١٩٣٩ .

وبأنه « المارشال العظيم المنتصر أبدا » (١) وبأنه « الصديق المخلص للشعب » (٢) وبأنه « والده » (٣) .

واذا ما قارن الناس الأقوال التي تفوه بها خروشوف عندما كان ستالين حيا بتلك التي تفوه بها بعد مماته ، فسيرون بدون عناء أن خروشوف قد استدار بمقدار ١٨٠ درجة في تقديره لستالين .

وبالطبع يجب على خروشوف أن يتذكر ، اذا كانت ذاكرته ليست ضعيفة جدا ، أنه في فترة قيادة ستالين كان هو نفسه على وجه الخصوص نشيطا في تأييد وتطبيق السياسة السائدة آنذاك لقمع المعادين للثورة .

ففي ٦ حزيران (يونيو) عام ١٩٣٧ أعلن خروشوف في المؤتمر الحزبي الخامس لاقليم موسكو :

« أن حزبنا سيسحق بدون رحمة عصابة الخونة ويبيد جميع الحثالات التروتسكية اليمينية . . . ان الضمان لذلك هو القيادة التي لا تتزعزع للجنتنا المركزية ولقائدنا الرفيق ستالين . . . اننا سنقضي قضاء تاما على الأعداء حتى آخر رجل ، ونذروا رمادهم للرياح . »

وفي ٨ حزيران (يونيو) عام ١٩٣٨ صرح خروشوف في المؤتمر

---

(١) رسالة خروشوف وآخرين الى عموم ضباط وجنود الجيش الأحمر السوفياتي ، «البرافدا» ، ١٣ مايو (أيار) ١٩٤٥ .

(٢) خروشوف : « ستالين والصداقة العظمى بين شعوب الاتحاد السوفياتي » ، « البرافدا » ، ٢١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٩ .

(٣) خروشوف : « الصداقة الستالينية بين الشعوب . . . ضمان لمناعة وطننا الأم » ، « البرافدا» ، ٢١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٩ .

الحزبي الرابع لاقليم كييف :

« أن الياكيريين والباليتسكيين واللوبشيكيريين والزاتونسكيين والأرذال الآخرين أرادوا أن يحضروا العقاريين البولونيين الى أوكرانيا ، أرادوا أن يحضروا هنا الفاشست والملاكين والرأسماليين الألمان ... لقد قضينا على عدد لا بأس به من الأعداء ولكن ليس عليهم جميعا . ولذلك فمن الضروري أن تظل أعيننا مفتوحة . ويجب أن ترسخ جيدا في ذهننا كلمات الرفيق ستالين : انه مادام الحصار الرأسمالي مضروبا علينا فان الجواسيس والمخربين سيتسللون الى بلادنا . »

لماذا ينكر خروشوف الذي كان في قيادة الحزب والدولة في عهد ستالين والذي أيد بنشاط ونفذ بحزم سياسة قمع المعادين للثورة آنذاك ، لماذا ينكر كل شيء تم خلال هذه الفترة ، ويحمل ستالين وحده مسئولية جميع الأخطاء التي ارتكبت ، بينما يتنصل خروشوف منها تنصلا تاما .

لقد كان ستالين قادرا على نقد نفسه عندما كان يرتكب خطأ ما . فمثلا ، أخطأ النصح فيما يتعلق بالثورة الصينية . وبعد انتصار الثورة الصينية اعترف بخطئه . كما اعترف ستالين أيضا ببعض أخطائه في عمل تطهير صفوف الحزب ، في تقريره للمؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي السوفياتي (البلشفيك) عام ١٩٣٩ . ولكن ماذا بشأن خروشوف ؟ انه ببساطة لا يعرف ما هو النقد الذاتي ، وكل ما يعرفه هو ازاحة كل اللوم على كاهل الآخرين ، بينما ينسب جميع المآثر لنفسه .

ليس من الغريب أن تحدث أعمال خروشوف البشعة هذه في الوقت

الذي تستشيط فيه التحريفية المعاصرة وتعم . فكما قال لينين بالضبط في عام ١٩١٥ عندما انتقد محرفي الأممية الثانية لخيانتهم للماركسية : « ليس من الغريب أبدا في عهدنا هذا ، عندما تنسى الكلمات التي قيلت في السابق وتهجر المبادىء وتنبذ النظرة العالمية وتطرح جانبا القرارات والوعود القاطعة ، ليس من الغريب مطلقا أن تحدث مثل هذه الأمور . » (١)

وكما برهنت تماما سلسلة الأحداث التي وقعت منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي فان الانكار التام لستالين من قبل قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي كان له نتائج بالغة الخطورة .

لقد زود الانكار التام لستالين المستعمرين ورجعيي جميع البلدان بذخيرة معادية للسوفيت ومعادية للشيوعية تلقوها بترحيب زائد . وبعد المؤتمر العشرين بوقت قصير استغل المستعمرون تقرير خروشوف السري ضد ستالين ليثيروا موجة عالية على نطاق العالم ضد الاتحاد السوفياتي وضد الشيوعية . لقد انتهز المستعمرون ورجعيو جميع البلدان وطغمة تيتو والانتهازيون من مختلف الأشكال جميعا الفرصة ليهاجموا الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ومختلف الأحزاب الشيوعية . وهكذا واجهت كثيرا من الأحزاب والبلدان الشقيقة صعوبات خطيرة .

ان الحملة المحمومة التي شنتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ضد ستالين قد مكنت التروتسكيين الذين غدوا جثثا سياسية منذ أمد طويل من العودة للحياة من جديد ، ومن الدعوة مطالبين بـ « اعادة الاعتبار » لتروتسكي . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٦١ لدى اختتام المؤتمر

---

(١) لينين : « مقدمة لكراسة "الامبريالية والاقتصاد العالمي" ، بقلم ن . يوخارين » .

الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي أعلنت الأمانة العامة الدولية للأممية الرابعة في « رسالة الى المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ولجنته المركزية الجديدة » أن تروتسكي قد قال في عام ١٩٣٧ ان « نصبا تذكاريا سيقام تخليدا لضحايا ستالين » ، وأضافت « ولقد تحققت هذه النبوءة اليوم فقد وعد الأمين الأول لحزبكم أمام مؤتمركم باقامة هذا النصب التذكاري » . وفي هذه الرسالة قدم طلب محدد بأن « يحفر اسم تروتسكي بحروف من ذهب على النصب التذكاري المزمع اقامته تخليدا لضحايا ستالين » . ان التروتسكيين لم يخفوا سرورهم قط عندما أعلنوا أن الحملة التي بدأتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ضد ستالين «قد فتحت الباب للتروتسكية» وأنها «ستساعد كثيرا تقدم التروتسكية ومنظمتها – الأممية الرابعة » .

ان لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي بانكار ستالين التام دوافع لا يمكن أن تصمد في وضح النهار .

لقد توفي ستالين عام ١٩٥٣ . وبعد ثلاث سنوات هاجمه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بعنف في المؤتمر العشرين . وبعد ثماني سنوات قاموا بذلك أيضا في المؤتمر الثاني والعشرين ، وأزاحوا وحرقوا جثته . ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قصدوا ، بتكرار الهجمات العنيفة على ستالين ، استئصال النفوذ الذي لايمحى لهذا الثوري البروليتاري العظيم بين شعوب الاتحاد السوفياتي والعالم قاطبة وقصدوا تعبيد الطريق لانكار الماركسية اللينينية التي دافع عنها ستالين وطورها وللتطبيق الشامل لخط تحريفي . ان خطهم التحريفي قد بدأ على وجه التحديد بالمؤتمر العشرين وأصبح منتظما تماما في المؤتمر الثاني والعشرين . ان الحقائق قد أظهرت بوضوح

أكثر فأكثر أن تحريفهم للنظريات الماركسية اللينينية حول الاستعمار ، والحرب والسلام ، والثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا ، والثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات ، والحزب البروليتاري الخ ، أظهرت أن تحريفهم يرتبط بصورة لا تنفصم مع انكارهم التام لستالين .

ان ما تحاول قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي تحت ستاره انكار ستالين انكارا تاما هو « مقاومة عبادة الفرد » .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بشنهم حملة « مقاومة عبادة الفرد » ليس غرضهم هو العودة الى ما يمسونه بـ « المقاييس اللينينية للحياة الحزبية ومبادىء القيادة » ، بل غرضهم على النقيض من ذلك هو خرق تعاليم لينين حول العلاقات المتداخلة بين القادة والحزب والطبقة والجماهير ومخالفة مبدأ المركزية الديمقراطية في الحزب .

ان موقف الماركسيين اللينينيين هو أن الحزب الثوري للبروليتاريا اذا أراد أن يكون بحق مركزا لقيادة البروليتاريا في النضال يجب عليه أن يعالج بشكل صحيح العلاقات المتداخلة بين القادة والحزب والطبقة والجماهير ويجب أن يكون منظما على أساس مبدأ المركزية الديمقراطية . ومثل هذا الحزب يجب أن تكون له نواة قيادة ثابتة نسبيا ، يجب أن تتشكل من قادة تمرسوا لمدة طويلة يجيدون ربط الحقيقة العامة للماركسية اللينينية بالخبرة المحددة للثورة .

ان قادة الحزب البروليتاري ، سواء كانوا أعضاء في اللجان المركزية أو المحلية ، يظهرون من بين الجماهير في مجرى النضالات الطبقية والحركات الثورية الجماهيرية . وهم مخلصون الى أبعد الحدود للجماهير ، ولهم معها روابط وثيقة ويجيدون تركيز أفكار الجماهير ثم تحقيقها بعد

تركيزها على وجه صحيح . ان قادة كهؤلاء هم الممثلون الحقيقيون للبروليتاريا ومعترف بهم من قبل الجماهير . انه لدليل على النضوج السياسي لحزب البروليتاريا أن يكون له مثل هؤلاء القادة وهنا يكمن الأمل في انتصار قضية البروليتاريا .

لقد كان لينين مصيبا تماما في القول بأنه « ما من طبقة واحدة في التاريخ أحرزت السلطة بدون أن تنجب قادتها السياسيين وممثليها البارزين القادرين على تنظيم حركة وقيادتها » (١) . وقال أيضا : « ان تدريب قادة حزبيين مجربين ذوي تأثير بالغ هو مهمة طويلة شاقة . ولكن بدون هذا لا يعد الحديث عن ديكتاتورية البروليتاريا و"وحدة ارادتها" ، سوى كلام أجوف . » (٢)

لقد تمسك الحزب الشيوعي الصيني دوما بالتعاليم الماركسية اللينينية حول دور الجماهير والفرد في التاريخ وحول العلاقات المتداخلة بين القادة والحزب والطبقة والجماهير وتمسك بالمركزية الديمقراطية في الحزب . لقد تمسكنا دائما بالقيادة الجماعية ، وفي الوقت نفسه نعارض التقليل من دور القادة . وبينما نقيم أهمية لهذا الدور نقاوم تقريظ الأفراد بصورة مفرطة وغير متفقة مع الواقع والمبالغة في دورهم . ومنذ عام ١٩٤٩ اتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني قرارا ، بناء على اقتراح الرفيق ماو تسي تونغ ، يمنع الاحتفالات العامة من أي شكل بأعياد ميلاد قادة الحزب وتسمية المدن والشوارع والمؤسسات بأسمائهم .

---

(١) لينين : « المهمات العاجلة لحركتنا » .

(٢) لينين : « رسالة الى الشيوعيين الألمان » .

ان موقفنا المثابر الصحيح هذا يختلف أساسيا عن « مقاومة عبادة الفرد » التي تدعو لها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي .

لقد أصبح واضحا أكثر فأكثر أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بدعوتهم لـ « مقاومة عبادة الفرد » لا يرمون الى تطوير الديمقراطية وممارسة القيادة الجماعية ومقاومة المبالغة في دور الفرد كما يدعون ، بل لهم دوافع أخرى .

فما هو بالضبط فحوى « مقاومة عبادة الفرد » في نظرهم ؟

اذا تحدثنا بصراحة هو ما يلي :

أولا ــ أن يضعوا ستالين قائد الحزب بحجة « مقاومة عبادة الفرد » في موضع معارض لتنظيم الحزب والبروليتاريا وجماهير الشعب ؛

ثانيا ــ أن يلوثوا الحزب البروليتاري وديكتاتورية البروليتاريا والنظام الاشتراكي بحجة « مقاومة عبادة الفرد » ؛

ثالثا ــ أن يرفعوا مراكزهم بحجة « مقاومة عبادة الفرد » ويهاجموا الثوريين المخلصين للماركسية اللينينية حتى يعبدوا الطريق لمدبري المكائد المحرفين لاغتصاب قيادة الحزب والدولة ؛

رابعا ــ أن يتدخلوا بحجة « مقاومة عبادة الفرد » في الشؤون الداخلية للأحزاب والبلدان الشقيقة وأن يسعوا الى قلب قيادة هذه الأحزاب والأقطار بما يتماشى وارادتهم ؛

خامسا ــ أن يتهجموا بحجة « مقاومة عبادة الفرد » على الأحزاب الشقيقة التي تلتزم بالماركسية اللينينية ويصدعوا الحركة الشيوعية العالمية .

ان حملة « مقاومة عبادة الفرد » التي شنها خروشوف هي مكيدة سياسية حقيرة ، فهو ، كما وصف ماركس أحد الأفراد ، « في عنصره مدبر

للمكائد بينما لا يساوي شيئا كنظري » (١) .

ان رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المفتوحة تقول انهم « اذ يفضحون عبادة الفرد ويكافحون عواقبها . . . يضعون في مكان عال قادتهم الذين . . . يتمتعون بالهيبة التي يستحقونها » . ما معنى هذا ؟ معناه بينما يداس ستالين بالأقدام يرفع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي خروشوف الى السماء .

انهم يصفون خروشوف الذي لم يكن بعد شيوعيا في وقت ثورة أكتوبر والذي كان موظفا سياسيا ذا رتبة صغيرة خلال الحرب الأهلية يصفونه بـ « أحد بناة الجيش الأحمر النشطين » (٢) .

انهم يعزون النصر العظيم للمعركة الحاسمة في الحرب الوطنية السوفياتية كله لخروشوف ، قائلين : « ان صوت خروشوف كان مسموعا باستمرار » (٣) في معركة ستالينغراد ، وانه كان « روح الستالينغراديين » (٤) .

انهم يعزون المنجزات الكبيرة للأسلحة النووية وتكنيك الصواريخ كلها الى خروشوف واصفينه بـ « أب الفضاء » (٥) . ولكن كما يعرف كل شخص فان نجاح الاتحاد السوفياتي في صنع القنابل الذرية

---

(١) ماركس : « رسالة ماركس الى ف . بولت » .

(٢) « الحياة للشعب » ، « زاريا فوستوكا » ، ١٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦١ .

(٣) « من خلق وتربية الحزب » ، مجلة « ايقيتاتور » ، العدد ٢ ، ١٩٦٣ .

(٤) كلمة تشويكوف في مهرجان للاحتفال بالذكرى العشرين للحرب الوطنية الكبرى للاتحاد السوفياتي ، « البرافدا » ، ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٦١ .

(٥) كلمة تيتوف في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١ .

والهيدروجينية كان انجازا عظيما للعلماء والتكنيكيين السوفيت والشعب السوفياتي تحت قيادة ستالين . ان أسس صناعة الصواريخ كانت قد وضعت أيضا في عهد ستالين. فكيف يمكن طمس هذه الحقائق التاريخية الهامة ؟ وكيف يعاد كل الفضل لخروشوف ؟

انهم يمدحون خروشوف الذي حرف النظريات الأساسية للماركسية اللينينية والذي يعتقد أن اللينينية قد فات أوانها ، بأنه « مثال رائع طور بشكل خلاق النظرية الماركسية اللينينية وأغناها » (١) .

ان ما يفعله قادة الحزب الشيوعي السوفياتي تحت ستار «مقاومة عبادة الفرد » ، هو بالضبط كما قال لينين : « بدلا من القادة القدامى الذين لهم آراء انسانية طبيعية حول الأمور العادية يدفع قدما بقادة جدد يهذون هذيانا سخيفا . » (٢)

ان الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تفتري على موقفنا في الالتزام بالماركسية اللينينية قائلة اننا « نحاول أن نفرض على الأحزاب الأخرى تلك الأنظمة والايديولوجية والأخلاق وأشكال القيادة وأساليبها التي ازدهرت في فترة عبادة الفرد » . ان هذه الملاحظة تفضح مرة أخرى سخف « مقاومة عبادة الفرد » .

ووفقا لما يقوله قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فانه بعد أن وضعت ثورة أكتوبر حدا للرأسمالية في روسيا قد تبع ذلك « فترة عبادة الفرد » .

---

(١) كلمة كوسيغين في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، ٢١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١ .

(٢) لينين : «مرض الطفولة " اليساري" في الشيوعية » .

ويبدو أن « النظام الاجتماعي » و« الايديولوجية والأخلاق » في ذلك العهد لم تكن اشتراكية . لقد قاست الجماهير العاملة السوفياتية في تلك الفترة «النير الثقيل» وقد ساد « جو الخوف والتشكيك وعدم الاطمئنان ، الذي كان يسمم حياة الشعب » (١) ، وقد أعيق تطور المجتمع السوفياتي .

لقد أسهب خروشوف في خطابه في اجتماع الصداقة السوفياتية المجرية في ١٩ يوليو (تموز) عام ١٩٦٣ فيما اسماه بحكم « الارهاب » لستالين ، قائلا ان ستالين « حافظ على حكمه بسيف الجلاد » ! لقد وصف النظام الاجتماعي لذلك الوقت بالآتي : « في ذلك العهد كان من يذهب الى عمله لا يدري في أكثر الأحيان ما اذا كان سيعود الى بيته ، أو ما اذا كان سيرى زوجه وأطفاله مرة أخرى . »

ان « عهد عبادة الفرد » ، كما وصفه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، كان مجتمعا « مكروها » و« بربريا » أكثر من المجتمع في مرحلة الاقطاعية والرأسمالية .

ووفقا لما يقوله قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، فان ديكتاتورية البروليتاريا والنظام الاشتراكي للمجتمع اللذين أقيما كنتيجة لثورة أكتوبر قد فشلا خلال عشرات من السنين في ازاحة الاضطهاد عن الكادحين أو في الاسراع بتطور المجتمع السوفياتي . وبعد أن قام المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي فقط بـ « مقاومة عبادة الفرد » أزيح «النير الثقيل»

---

(١) رسالة مفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الى منظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

عن الكادحين وأصبح « تطور المجتمع السوفياتي فجأة سريعا » (١)

لقد قال خروشوف : « آه ، لو أن ستالين قد مات فقط قبل عشر سنوات ! » (٢) لقد توفي ستالين ، كما يعلم كل شخص ، في عام ١٩٥٣ . وقبل عشر سنوات من ذلك معناها عام ١٩٤٣ نفس العام الذي بدأ فيه الاتحاد السوفياتي هجومه المضاد في الحرب الوطنية الكبرى . من الذي أراد أن يموت ستالين في ذلك الوقت ؟ هتلر !

انه ليس بالأمر الجديد في تاريخ الحركة الشيوعية العالمية أن يفتري أعداء الماركسية اللينينية على قادة البروليتاريا ويحاولوا تقويض قضية البروليتاريا باستخدام شيء كشعار « مقاومة عبادة الفرد » ، انه حيلة قذرة قد فضحها الناس منذ أمد طويل .

لقد استخدم المتآمر باكونين في عهد الأممية الأولى لغة مشابهة ليشتم ماركس . ففي أول الأمر كتب لماركس ليكسب ثقته : « انني تلميذك وأفتخر بذلك . » (٣) وبعد ذلك عندما فشل في مؤامرته لاغتصاب قيادة الأممية الأولى شتم ماركس وقال « لكونه ألمانيا ويهوديا فهو متسلط من أخمص قدميه الى سمت رأسه » (٤) و« ديكتاتور » (٥) .

---

(١) رسالة مفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الى منظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

(٢) كلمة خروشوف في حشد الصداقة السوفياتية - الهنغارية في موسكو ، ١٩ يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

(٣) رسالة باكونين الى ماركس ، ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٦٨ ، مجلة « العصر الجديد » العدد لأول ١٩٠٠ .

(٤) فرانز ميهرينغ : « قصة حياة ماركس » .

(٥) أنجلز : « رسالة أنجلز الى أ . ببل ، ٢٠ يونيو (حزيران) ١٨٧٣ » .

وفي عهد الأممية الثانية استخدم المرتد كاوتسكي نفس اللغة ليقدح بلينين . لقد افترى على لينين مشبهاً اياه بـ « اله الموحدين بالله » الذي « هبط بالماركسية لا الى مستوى ديانة للدولة وحسب ، بل الى مستوى عقيدة دينية للعصور الوسطى أو عقيدة دينية شرقية » (١) .

وفي عهد الأممية الثالثة استخدم المرتد تروتسكي مثل هذه اللغة ليقدح بستالين . لقد قال ان ستالين « مستبد » (٢) وان « ستالين البيروقراطي قد نشر عبادة الزعيم الحقيرة ملبساً ثوب القداسة للزعيم »(٣) .

وتستخدم طغمة تيتو التحريفية المعاصرة أيضا مثل هذه الكلمات للقدح بستالين قائلة : ان ستالين كان « ديكتاتورا » « في نظام سادت فيه السلطة الشخصية سيادة كاملة » (٤) .

وهكذا فمن الواضح أن « مقاومة عبادة الفرد » التي أثارتها قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد أخذت من باكونين وكاوتسكي وتروتسكي وتيتو الذين استخدموها ليهاجموا قادة البروليتاريا ويخربوا الحركة البروليتارية الثورية .

ان الانتهازيين في تاريخ الحركة الشيوعية العالمية لم يستطيعوا أن ينكروا ماركس وانجلز ولينين عن طريق الافتراء ، ولن يستطيع خروشوف

---

(١) كاوتسكي : « الديمقراطية الاجتماعية ضد الشيوعية » .

(٢) تروتسكي : « ستالين قيمته كانسان وتأثيره » .

(٣) تروتسكي : « البيروقراطية الستالينية واغتيال كيروف » ، ٢٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٤ .

(٤) كاردل : « بعد خمس سنوات » ، جريدة « بوربا » اليوغوسلافية ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٥٣ .

أن ينكر ستالين بالافتراء .

وكما قال لينين فان المركز الممتاز لا يضمن نجاح الافتراء .

لقد استطاع خروشوف أن يستخدم مركزه الممتاز لابعاد رفات ستالين من ضريح لينين ، ولكن مهما حاول أن يستخدم هذا المركز الممتاز ، فلن يستطيع أبدا أن ينجح في محو صورة ستالين العظيمة من أذهان الشعب السوفياتي وشعوب العالم قاطبة .

بوسع خروشوف أن يستخدم مركزه الممتاز هذا ليحرف الماركسية اللينينية بهذه الطريقة أو تلك ، ولكن مهما حاول فلن ينجح أبدا في أن يطيح بالماركسية اللينينية التي دافع عنها ستالين ويدافع عنها الماركسيون اللينينيون في العالم أجمع .

اننا نود أن نقدم للرفيق خروشوف نصيحة مخلصة : اننا نرجو منك أن تدرك أخطاءك وترجع عن طريقك الخاطئة الى طريق الماركسية اللينينية .

عاشت تعاليم ماركس وانجلز ولينين وستالين الثورية العظيمة !

هل يوغوسلافيا قطر اشتراكي؟

ـ تعليق ثالث على الرسالة المفتوحة
للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

بقلم هيئتي تحرير صحيفة « جينمينجيباو »
ومجلة « العلم الأحمر »
(٢٦ سبتمبر "أيلول" ١٩٦٣)

هل يوغوسلافيا قطر اشتراكي ؟

لا يتعلق هذا السؤال بمسألة التأكد من طبيعة الدولة اليوغوسلافية وحسب ، ولكنه يتعلق أيضا بمسألة أي طريق يجب أن يسلكه بلد اشتراكي : هل يسلك طريق ثورة أكتوبر ويسير بالثورة الاشتراكية الى نهايتها أم يتبع طريق يوغوسلافيا ويستعيد الرأسمالية . وبالاضافة لهذا يتعلق هذا السؤال بمسألة الكيفية التي يتم بها تقدير طغمة تيتو تقديرا صحيحا : هل هذه الطغمة حزب شقيق وقوة تقف ضد الاستعمار أم انها مرتدة عن الحركة الشيوعية العالمية وخادمة للاستعمار .

وحول هذه المسألة توجد خلافات أساسية في الرأي بين قادة الحزب الشيوعي السوفياتي من جانب وبيننا وجميع الماركسيين اللينينيين من الجانب الآخر .

ان رأي جميع الماركسيين اللينينيين هو أن يوغوسلافيا ليست قطرا اشتراكيا . ان الزمرة القائدة لرابطة الشيوعيين اليوغوسلاف قد خانت الماركسية اللينينية والشعب اليوغوسلافي ، وهي خارجة على الحركة الشيوعية العالمية وخادمة للاستعمار .

أما رأي قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فهو أن يوغوسلافيا قطر اشتراكي ، وأن رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف ترتكز على أساس الماركسية اللينينية ، وأنها حزب شقيق وقوة ضد الاستعمار .

لقد أعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في رسالتها

المفتوحة بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) أن يوغوسلافيا « قطر اشتراكي » ، وأن طغمة تيتو « هي حزب شقيق قد استولى على زمام حكم الدولة » .

لقد زار الرفيق خروشوف منذ وقت قريب يوغوسلافيا ، وقد كشف في عدد من الخطب التي ألقاها الموقف الحقيقي الذي يقفه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي كشفا أوضح ، ملقيا بعيدا بالستار الذي كانوا يتسترون به فيما يتعلق بهذه المسألة .

ان يوغوسلافيا لم تكن في نظر خروشوف بلدا اشتراكيا وحسب ، بل هي كما وصفها بلد اشتراكي « متقدم » . وكما قال لا يجد المرء هناك « حديثا فارغا حول الثورة » ، بل يجد « بناء فعليا للاشتراكية » ، وان تطور يوغوسلافيا هو « مساهمة محددة في حركة العمال العالمية الثورية العامة » (١) ، هذه المساهمة التي تدعو خروشوف الى الحسد حتى أنه يود أن ينافس يوغوسلافيا بشأنها .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي والتيتويين في نظر خروشوف « ليسوا أشقاء طبقيين وحسب » بل هم « أشقاء ربطتهم وحدة الأهداف التي تواجهنا » . وان قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي هي « حليفة معتمد عليها ومخلصة » (٢) لطغمة تيتو .

يعتقد خروشوف أنه اكتشف الماركسية اللينينية الأصيلة في طغمة تيتو . وقد كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تتصنع

---

(١) كلمة خروشوف في حشد جماهيري في مدينة فالينجي ، يوغسلافيا ، ٣٠ أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

(٢) كلمة خروشوف في اجتماع في احدى منشآت مدينة باكوفيكا ، يوغسلافيا ، ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

فقط عندما أوحت في رسالتها المفتوحة بأن « خلافات في عدد من المسائل الايديولوجية المبدئية مازالت موجودة بين الحزب الشيوعي السوفياتي وبين رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف » . أما خروشوف فأخبر هذه الطغمة الآن «أننا ننتمي الى نفس الفكرة وترشدنا نفس النظرية » ، وقال انهم يرتكزون معا على أساس « الماركسية اللينينية » (١) .

لقد ألقى خروشوف ببيان عام ١٩٦٠ الى مهب الرياح .

لقد ورد في ذلك البيان :

« شجبت الأحزاب الشيوعية بالاجماع الشكل اليوغوسلافي للانتهازية العالمية ، الذي هو تعبير مركز عن "نظريات" المحرفين المعاصرين . »

وجاء في البيان :

« ان قادة رابطة الشيوعيين اليوغوسلافيين ، بعد أن خانوا الماركسية اللينينية وأعلنوا أنها أصبحت بالية فات أوانها ، قابلوا تصريح عام ١٩٥٧ ببرنامجهم التحريفي الخاص المعادي للينينية . وقد جعلوا رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف تخاصم الحركة الشيوعية العالمية جمعاء . . . »

وجاء في البيان :

---

(١) مقابلة خروشوف مع المراسلين الأجانب في بريوين في يوغسلافيا ، ٢٨ أغسطس (آب) ١٩٦٣ ، كما اوردتها وكالة الأنباء اليوغسلافية .

ان قادة رابطة الشيوعيين اليوغوسلافيين « اتبعوا "المساعدة" المزعومة من جانب المستعمرين ، من الأميركيين وغيرهم ، وبذلك عـرّضوا الشعب اليوغوسلافي لخطر فقدان المكاسب الثورية التي فاز بها بعد نضال بطولي » .

وجاء في البيان :

« يقوم المحرفون اليوغوسلافيون بتصرفات هدامة ضد المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية » ، و« يقومون بنشاط يلحق الضرر بوحدة جميع القوى والدول المحبة للسلام » .

ان البيان واضح كل الوضوح ، الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يجرءون على القول : « بناء على بيان عام ١٩٦٠ ، نعتبر يوغوسلافيا قطرا اشتراكيا . » (١) كيف يمكنهم أن يقولوا شيئا كهذا !

نود أن نسأل :

هل بوسع قطر ما أن يكون اشتراكيا ، عندما يكون تحت ارشاد نوع من الانتهازية العالمية – تحت ارشاد نوع من « نظريات » المحرفين المعاصرين كما يقول البيان ؟

وهل بوسع قطر ما أن يظل اشتراكيا ، بعد أن يخون الماركسية اللينينية ويجعل نفسه يخاصم الحركة الشيوعية العالمية جمعاء كما يقول البيان ؟

---

(١) « من أجل انتصار الماركسية اللينينية الخلاقة وضد تحريف خط الحركة الشيوعية العالمية » ، مقال بقلم هيئة تحرير مجلة « كوميونيست » ، موسكو ، عدد رقم ١١ ، ١٩٦٣ .

وهل بوسع قطرما أن يكون اشتراكيا ، بينما يقوم بتصرفات هدامة ضد المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية كما يقول البيان ؟

وهل بوسع قطر ما أن يكون اشتراكيا ، عندما يقوم بنشاط يلحق الضرر بوحدة جميع القوى والدول المحبة للسلم كما يقول البيان ؟

وهل بوسع قطر ما أن يكون اشتراكيا ، عندما تغذيه الدول الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة بعدة بلايين الدولارات الأميركية ؟

ان هذا شيء غريب ولم يسمع به من قبل !

يبدو أن الرفيق تولياتي يتحدث بصورة أوضح من خروشوف . فلقد قال بدون مواربة ان الموقف الذي اتخذه بيان عام ١٩٦٠ تجاه طغمة تيتو كان موقفا « خاطئا » (١) . وطالما كان خروشوف مصرا على قلب الحكم الذي صدر على طغمة تيتو كان عليه اذن أن يكون أكثر صراحة ، ولم يكن هناك داع للتصنع والتظاهر بالتمسك بالبيان .

هل الحكم الذي صدر على يوغوسلافيا في البيان حكم خاطىء ؟ وهل يجب قلبه ؟ ان تولياتي يقول انه خاطىء ويجب قلبه . وخروشوف في الحقيقة يقول أيضا انه خاطىء ويجب قلبه . ونحن نقول ليس حكما خاطئا ولا يجب قلبه مطلقا . ان جميع الأحزاب الشقيقة التي تلتزم بالماركسية اللينينية وتتمسك ببيان عام ١٩٦٠ تقول كذلك ان هذا الحكم ليس خاطئا ولا يجب قلبه مطلقا .

وعندما نفعل هذا يعتقد قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بأننا نتشبث

---

(١) تولياتي : « لنعد النقاش الى حده الحقيقي » ، « يونيتا » ، ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣ .

بـ « صيغة جامدة لا تتغير » وبـ « قوانين الغاب » التي يتمسك بها العالم الرأسمالي (١) وأننا « "نفصل" يوغوسلافيا عن الاشتراكية »(٢) . وبالاضافة لهذا يقولون ان كل شخص يجرؤ على عدم النظر الى يوغوسلافيا باعتبارها دولة اشتراكية « يسير ضد الحقائق » ويرتكب خطأ « الذاتية »(٣) ، بينما هم بامتناعهم عن مجابهة الحقائق وبالاعتقاد بأن يوغوسلافيا قطر اشتراكي ، « ينطلقون من القوانين الموضوعية ، ومن تعاليم الماركسية اللينينية » ، ولهذا توصلوا الى نتيجة تقوم على أساس « تحليل عميق للواقع »(٤) .

ما هي الحقائق في يوغوسلافيا ؟ وأي نتيجة على المرء أن يتوصل اليها اذا انطلق من القوانين الموضوعية ومن تعاليم الماركسية اللينينية وأجرى تحليلا عميقا للحقائق في يوغوسلافيا ؟

لننظر في هذه القضية .

تطور رأس المال الخاص في المدن اليوغوسلافية

ان احدى حجج خروشوف لاثبات أن يوغوسلافيا قطر اشتراكي هي أن رأس المال الخاص والمؤسسات الخاصة والرأسماليين لا وجود

---

(١) تقرير خروشوف الى مجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٢ .

(٢) رسالة مفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الى المنظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي ، بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) تقرير خروشوف الى مجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٢ .

لهم في يوغوسلافيا .

هل هذا حقيقة ؟ كلا ليس حقيقة !

الحقيقة هي أن رأس المال الخاص والمؤسسات الخاصة توجد على نطاق واسع في يوغوسلافيا وتتطور بخطى واسعة .

اذا نظرنا الى الأحوال العامة في جميع الأقطار الاشتراكية نجد أنه ليس غريبا أن يجد المرء قطاعات مختلفة بما فيها قطاع رأسمالي خاص في الاقتصاد الوطني لقطر اشتراكي ، لفترة ليست قصيرة بعد استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية . والمهم هو نوع السياسة التي تنتهجها الحكومة تجاه الرأسمالية الخاصة : سياسة الافادة منها وحصرها وتحويلها واستئصالها ، أم سياسة اطلاق العنان لها ومساندتها وتشجيعها . ان هذا مقياس هام لمعرفة ما اذا كان القطر يتطور نحو الاشتراكية أم يسير نحو الرأسمالية .

وفيما يتعلق بهذا الموضوع فان طغمة تيتو تسير في الجهة المضادة للاشتراكية . ان التغيرات الاجتماعية التي أحدثتها يوغوسلافيا في الفترة المبكرة بعد الحرب لم تكن في الأصل تغيرات شاملة كاملة . ولم تكن السياسة التي اتبعتها طغمة تيتو منذ أن كشفت خيانتها هي سياسة تحويل واستئصال رأس المال الخاص والمؤسسات الخاصة ، بل سياسة مساندتها وتوسيعها .

ان القوانين التي أصدرتها طغمة تيتو عام ١٩٥٣ تنص على أن « جماعات المواطنين » لها الحق في « تأسيس المؤسسات » و« استئجار القوة العاملة » . وفي نفس العام ، أصدرت مرسوما ينص على أن للأفراد الحق في شراء الأرصدة الثابتة في المؤسسات الاقتصادية للدولة .

وفي عام ١٩٥٦ ، شجعت طغمة تيتو الحكومات المحلية على مساندة رأس المال الخاص ، عن طريق سياستها الخاصة بالضرائب والسياسات الأخرى .

وفي عام ١٩٦١ ، أصدرت طغمة تيتو أمرا يقضي بأنه للأفراد الحق في شراء العملة الأجنبية .

وفي عام ١٩٦٣ ، ضمنت طغمة تيتو سياسة تطوير الرأسمالية الخاصة في دستورها . وبناء على نصوص الدستور ، يكون للأفراد في يوغوسلافيا الحق في تأسيس المؤسسات واستئجار القوة العاملة .

وبمساندة طغمة تيتو انتشرت المؤسسات الخاصة ورأس المال الخاص في المدن اليوغوسلافية انتشارا واسعا سريعا .

وبناء على « دفتر الجيب للاحصاء اليوغوسلافي لعام ١٩٦٣ » ، الرسمي الذي صدر في بلغراد ، يوجد أكثر من ١١٥٠٠٠ من المؤسسات الحرفية الخاصة في يوغوسلافيا . وفي الحقيقة أن أصحاب عدد كبير من هذه المؤسسات الخاصة ليسوا « حرفيين » بل رأسماليون خاصون بالمعنى الصحيح .

تعترف طغمة تيتو بأنه بالرغم من أن المرسوم يسمح لكل من الملاك الخاصين باستئجار ما لا يزيد عن خمسة عمال ، الا أن بعضهم يستأجرون عشرة أو عشرين ضعفا لذلك العدد ، وحتى أن بعضهم يستأجرون « خمسمائة الى ستمائة عامل » (١) . هذا ويبلغ رأس المال السنوي

---

(١) تودوروفتش : « النضال في جبهتين » ، الذي نشر في مجلة Nasha Stvarnost ، عدد مارس (آذار) ١٩٥٤ .

المتحرك لبعض المؤسسات الخاصة أكثر من مائة مليون دينار (١).

لقد ذكرت صحيفة « بوليتيكا » اليوغوسلافية في ٧ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦١ ، أن أصحاب هذه المؤسسات الخاصة هم ، بالفعل في حالات كثيرة ، « أصحاب مؤسسات كبيرة » . وجاء فيها « أنه من العسير التأكد من اتساع شبكة أصحاب المؤسسات الخاصة ومن عدد عمالهم . وتبعا للقانون يحق لكل منهم استئجار خمسة عمال واجبهم هو مساعدة المؤسسات الخاصة على العمل . الا أن من يعرفون دخائل الأمور وظواهرها قالوا ان هؤلاء الخمسة أشخاص في الحقيقة مقاولون لهم أيضا " صغار مقاولين " . » و «هؤلاء المقاولون في أغلب الأحيان لم يعودوا يعملون بل فقط يعطون الأوامر ويرسمون الخطط ويعقدون العقود وهم يسافرون بالسيارات من مؤسسة الى أخرى . »

واذا نظر المرء الى الأرباح التي يجنيها أصحاب هذه المؤسسات يمكنه أن يرى أنهم رأسماليون مائة في المائة . وجاء في نبأ أوردته *Svet* في ٨ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦١ أن « صافي دخل بعض الحرفيين الخاصين يصل الى مليون دينار في الشهر » . وقالت صحيفة الـ *Vecernje novosti* ببلغراد في ٢٠ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦١ انه في بلغراد « جنى مائة وستة عشر من أصحاب المؤسسات الخاصة في العام الماضي دخلا يساوي أكثر من عشرة ملايين دينار » . وبعض أصحاب هذه المؤسسات « قد جنوا دخلا يساوي حوالي سبعين

---

(١) Vesnik u sredu ، ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦١ .

مليونا من الدينارات » في عام واحد ، وهذا يساوي مائة ألف دولار أميركي تقريبا ، بناء على السعر الرسمي لتبديل العملة .

ولا يوجد في المدن اليوغوسلافية المؤسسات الصناعية الخاصة ، ومؤسسات الخدمة الخاصة ، والتجارة الخاصة ، وعقارات السكن الخاصة ، وأعمال النقل الخاصة وحسب بل هناك أيضا المرابون الذين يعرفون بأنهم « أصحاب البنوك الخاصة » . ويعمل هؤلاء المرابون علنا وحتى أنهم يعلنون عن عملهم في الصحف . وقد جاء في أحد هذه الاعلانات ما يلي : « قرض بمقدار ثلاثمائة ألف دينار يقدم لمدة ثلاثة أشهر ويدفع بمقدار أربعمائة ألف دينار ، بشرط أن يكون هناك ضمان . » (١)

ان كل هذه حقائق لا تقبل المغالطة .

ونود أن نسأل هؤلاء المصرين على قلب الحكم الصادر على طغمة تيتو : اذا لم يكن غرضكم هو الخداع ، كيف يمكنكم القول بعناد بأنه ليس بيوغوسلافيا رأس مال خاص ، ولا مؤسسات خاصة ، ولا رأسماليون ؟

الرأسمالية تجتاح الريف اليوغوسلافي

لننظر الآن الى الوضع في الريف اليوغوسلافي .

هل انعدم الرأسماليون في الريف اليوغوسلافي كما يدعي خروشوف ؟

كلا ! ان الحقائق تشير الى عكس ذلك .

---

(١) Vesnik u sredu ، ٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦١ .

ان حقيقة أن الرأسمالية تجتاح يوغوسلافيا تظهر في الريف بصورة مدهشة أكثر :

تعلمنا الماركسية اللينينية أن الاقتصاد الفردي واقتصاد صغار المنتجين يولدان الرأسمالية يوميا وكل ساعة ، وأن الجماعية وحدها بوسعها أن تقود الزراعة على طريق الاشتراكية .

لقد ذكر ستالين :

« يقول لينين انه طالما كان الاقتصاد الفردي للفلاح ، الذي يولد الرأسماليين والرأسمالية ، سائدا في البلاد ، فان خطر استعادة الرأسمالية سيكون موجودا . ومن الواضح أنه طالما كان هذا الخطر موجودا فانه لا مجال للحديث الجدي حول انتصار البناء الاشتراكي في بلادنا . » (١)

أما طغمة تيتو فانها تسير فيما يتعلق بهذه القضية على خط معارض للاشتراكية تماما .

في بداية فترة ما بعد الحرب جرى اصلاح زراعي في يوغوسلافيا ونظم عدد من تعاونيات العمل للفلاحين . ولكن اقتصاد الفلاح الغني ترك في الأساس دون أي مساس .

وفي عام ١٩٥١ أعلنت طغمة تيتو تخليها عن طريق الجماعية في الزراعة وبدأت في حل تعاونيات العمل للفلاحين . لقد كانت هذه خطوة خطيرة اتخذتها طغمة تيتو في خيانة قضية الاشتراكية .

---

(١) ستالين : « تدبير الحبوب وامكانيات التطور الزراعي » .

لقد هبط عدد تلك التعاونيات من أكثر من ٦٩٠٠ في عام ١٩٥٠ الى ما يزيد قليلا على ١٢٠٠ في نهاية عام ١٩٥٣ ، والى ١٤٧ في عام ١٩٦٠ . لقد انغمر الريف اليوغوسلافي في بحر من الاقتصاد الفردي .

تعلن طغمة تيتو أن الجماعية ليست صالحة للتطبيق في يوغوسلافيا . وتفتري بوقاحة قائلة « ان الجماعية هي بالضبط مثل نزع الملكية » (١). انها طريق « لصيانة نظام القنانة والفقر في الريف لأطول مدة ممكنة»(٢) . وتعرض الفكرة السخيفة القائلة بأن تطور الزراعة يجب أن يقوم على « أساس المباراة الحرة للقوى الاقتصادية » (٣) .

وبينما لجأت طغمة تيتو الى حل عدد كبير من تعاونيات العمل للفلاحين ، لجأت الى سن قانون تلو الآخر منذ عام ١٩٥٣ بغرض تشجيع تطور الرأسمالية في المناطق الريفية ، كافلة حرية شراء وبيع واستئجار الأرض واستئجار الفلاحين ، وملغية أسلوب شراء المحاصيل الزراعية بصورة مخططة وواضعة مكانه التجارة الحرة في الميدان .

وبمقتضى هذه السياسة انتشرت قوى الرأسمالية بسرعة في المناطق الريفية واندفعت الى أمام عملية الاستقطاب الطبقي . لقد كان هذا وجها هاما من أوجه عمل طغمة تيتو لاستعادة الرأسمالية .

---

(١) أدفارد كاردل : الكلمة الافتتاحية في الدورة التاسعة العامة للجنة الرابعة الفيدرالية للاتحاد الاشتراكي للشغيلة اليوغوسلاف ، ٥ مايو (أيار) ١٩٥٩ .

(٢) خطاب فلاديمير باكاريتش في المؤتمر السادس لرابطة الشيوعيين اليوغوسلاف .

(٣) أدفارد كاردل : « حول بعض قضايا سياستنا في القرى » ، الذي ورد في مجلة « الشيوعي » اليوغسلافية ، العدد ٤ عام ١٩٥٣ .

ويظهر الاستقطاب الطبقي في الريف أولا في التغيرات التي طرأت على ملكية الأرض . وقد اعترف سكرتير الزراعة والغابات السابق في يوغوسلافيا سلافكو كومار بأن عوائل الفلاحين الفقراء التي كان كل منها يمتلك أقل من خمسة هكتارات من الأرض في عام ١٩٥٩ والتي كانت تشكل ٧٠ بالمائة من مجموع عوائل الفلاحين ، كانت كلها تمتلك ٤٣ بالمائة فقط من مجموع مساحات الأراضي الواقعة تحت الملكية الخاصة ، بينما أصبحت عوائل الفلاحين الأغنياء التي كان كل منها يمتلك أكثر من ثمانية هكتارات من الأرض والتي تشكل في مجموعها ١٣ بالمائة من مجموع عوائل الفلاحين ، تمتلك ٣٣ بالمائة من مجموع مساحات الأراضي الواقعة تحت الملكية الخاصة . كما اعترف كومار أيضاً بأن حوالي ١٠ بالمائة من عوائل الفلاحين اما أنها اشترت أو باعت الأرض كل عام (١) . وكانت أغلبية البائعين هي من العوائل التي أصابها الفقر .

ان تركز الأرض الواقعي أمر أكثر خطورة مما يبدو من الأرقام السالفة الذكر . وكما جاء في عدد صحيفة *Borba* لسان حال طغمة تيتو بتاريخ ١٩ يوليو (تموز) عام ١٩٦٣ ، فقد كان في احدى المحافظات فقط « ألوف من عوائل الفلاحين التي تمتلك من الأرض ما يزيد بكثير على العشرة هكتارات التي يسمح القانون بامتلاكها » . وفي كومونة *Bijeljina* « وجدت خمسمائة من عوائل الفلاحين تمتلك

(١) سلافكو كومار : « بعض القضايا المتعلقة بالريف وعوائل الفلاحين » الذي ورد في العدد ٥ من مجلة « الاشتراكية » اليوغسلافية ، عام ١٩٦٢ .

عقارات تتراوح مساحاتها بين عشرة هكتارات وثلاثين هكتارا » . وهذه لم تكن حالات منعزلة وشاذة .

كما يظهر الاستقطاب الطبقي في عدم المساواة الشاسع في ملكية حيوانات الجر والأدوات الزراعية . ومن بين ٣٠٨٠٠٠ عائلة فلاحية في اقليم *Vojvodina* ، وهي منطقة رئيسية لانتاج الحبوب وجد أن ٥٥ بالمائة منها لا تمتلك حيوانات للجر . ووجد أن عوائل الفلاحين التي يمتلك كل منها أقل من هكتارين من الأرض وتشكل ٤٠ر٧ بالمائة من مجموع عائلات الفلاحين ، تمتلك فقط ٤ر٤ بالمائة من مجموع المحاريث في هذه المنطقة ، أي بمعدل محراث واحد لكل عشرين عائلة . ومن الجانب الآخر يمتلك الفلاحون الأغنياء أكثر من ١٣٠٠ جرار وكمية كبيرة من الماكينات الزراعية ، فضلا عن عدد كبير من المحاريث والعربات التي تجرها الحيوانات (١) .

كما يظهر الاستقطاب الطبقي نفسه أيضا في نمو أشكال مختلفة من الاستغلال الرأسمالي ، كشكل استئجار العمل .

لقد جاء في مجلة « الشيوعي » اليوغوسلافية في ٧ فبراير (شباط) عام ١٩٥٨ أن ٥٢ بالمائة من عوائل الفلاحين في سيربيا التي يمتلك كل منها أكثر من ثمانية هكتارات من الأرض استأجرت الأيدي العاملة في عام ١٩٥٦ .

قال سلافكو كومار في عام ١٩٦٢ ان أرباب بعض عائلات الفلاحين « قد أصبحوا أقوياء » في السنوات القلائل الماضية . و «دخلهم

---

(١) مجلة index اليوغوسلافية ، العدد ٢ عام ١٩٦٢ .

لا يأتي من عملهم أنفسهم ولكن من التجارة غير المشروعة ، ومن تصنيع محاصيلهم ومحاصيل الآخرين ، ومن صنع الكحول بصورة غير شرعية ، ومن امتلاك أكثر من العشرة هكتارات المسموح بها من الأرض ، عن طريق شراء الأرض أو عن طريق استئجار الأرض ، وبتوزيع الأرض توزيعا مزيفا بين أفراد العائلة ، وبالاستيلاء على الأراضي العمومية أو اخفائها في أغلب الأحيان أو باحراز الجرارات بأسلوب المضاربة وباستغلال الجيران الفقراء عن طريق زراعة أرضهم بدلا عنهم » (١) .

وقد جاء في صحيفة *Borba* بتاريخ ٣٠ أغسطس (آب) عام ١٩٦٢ أن « مايسمى بالمنتج الطيب القلب .. ما هو الا مالك أرض يستأجرها أو مستأجر للعمل أو تاجر مجرب .. وأمثال هولاء الناس ليسوا منتجين ، بل هم أصحاب الاستثمارات وبعضهم لا يلمس المحراث طوال العام ، انهم يستأجرون العمال ويقومون فقط بمراقبة العمل في الحقل وينغمسون في المتاجرة . »

بجانب هذا ينشط المرابون نشاطا عظيما في الريف اليوغوسلافي . وتبلغ فائدة القروض أحيانا أكثر من مائة في المائة في العام . وبالاضافة لهذا هنالك أناس يستغلون ضيق المتعطلين فيحتكرون سوق العمل ويباشرون الاستغلال هكذا .

ان عددا كبيرا من الفلاحين الفقراء ، نظرا لفقدانهم الأرض ووسائل الانتاج ، يعيشون فقط عن طريق بيع قوة عملهم . وتبعا

---

(١) سلافكو كومار : « بعض القضايا المتعلقة بالريف وعوائل الفلاحين » .

للأرقام التي وردت في *Politika* في ٢٠ أغسطس (آب) عام ١٩٦٢ ، فان حوالي ٧٠ بالمائة من الدخل النقدي في عام ١٩٦١ لعوائل الفلاحين اليوغوسلاف التي تمتلك أقل من هكتارين بمعدل العائلة ، ورد نتيجة بيعهم قوة عملهم . ان هولاء الفلاحين تعتصر دماؤهم من جهة اليمين واليسار ويعيشون عيشة بائسة .

وكما تدل الحقائق فان الريف اليوغوسلافي تسيطر عليه الطبقات المستغلة .

ان الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تقول ، أثناء تقديمها الحجج للبرهان على أن يوغوسلافيا قطر اشتراكي ، ان « القطاع الاشتراكي » في المناطق الريفية اليوغوسلافية قد ازداد من ٦ بالمائة الى ١٥ بالمائة .

الا أنه لسوء الحظ ، حتى هذه النسبة المئوية البائسة ليست اشتراكية .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لا يعنون بذكرهم الـ ١٥ بالمائة التي تشكل « القطاع الاشتراكي » ، الا منظمات مثل « المزارع » و « التعاونيات الزراعية العامة » التي تطبل لها طغمة تيتو . الا ان « المزارع » في الحقيقة ما هي الا مزارع رأسمالية ، و « التعاونيات الزراعية العامة » في الحقيقة ما هي الا منظمات اقتصادية رأسمالية تعمل أساسا بالتجارة . وكل هذه لا تؤثر على الملكية الخاصة للأرض ، وبالاضافة لهذا فان دورها الأساسي هو مساندة تطوير اقتصاد الفلاح الغني .

لقد جاء في كتاب « قضايا الزراعة في يوغوسلافيا » الذي صدر في بلغراد : « اذا نظرنا الى حالة » التعاونيات اليوم ، و« الدور الذي

تلعبه » ، فانها « لا تعني بأي قدر كان اعادة البناء الاشتراكي للزراعة والريف . انها لا تعمل من أجل خلق مواقع اشتراكية بالقدر الذي تعمل فيه من أجل تطوير ورفع العناصر الرأسمالية . وهناك حالات لا تكون فيها هذه التعاونيات الا اتحادات للكولاك . »

لقد أعطت طغمة تيتو هذه « التعاونيات الزراعية العامة » حق احتكار شراء المحاصيل الزراعية من الفلاحين . وباستغلال هذا الحق الخاص وتقلب أسعار المحاصيل الزراعية بلا رقيب أو حسيب ، لجأت هذه التعاونيات المزعومة الى المضاربة بصورة عظيمة عن طريق النشاطات التجارية ، كما لجأت الى استغلال الفلاحين استغلالا كبيرا . لقد كان حصاد يوغوسلافيا في عام ١٩٥٨ حصادا فقيرا ، وقد انتهزت « التعاونيات » والأجهزة التجارية الأخرى هذه الفرصة لرفع أسعار بيع المحاصيل الزراعية . وعندما كان الحصاد أحسن في عام ١٩٥٩ ، لجأت « التعاونيات » الى فسخ العقود مع الفلاحين وقللت من الكميات التي اشترتها ولم تتردد في أن تترك المحاصيل تتعفن في الحقول .

ان « التعاونيات الزراعية العامة » و « المزارع » تستأجر عددا كبيرا من العمال الدائمين والمياومين وتستغلهم . وبناء على الأرقام المنشورة في « كراسة الاحصاء السنوية لجمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الشعبية » في عام ١٩٦٢ ، فان عدد العمال الذين استأجرتهم « التعاونيات » وحدها لفترة طويلة بلغ أكثر من ١٠٠٠٠٠ في عام ١٩٦١ . كما استخدمت أيضا عددا كبيرا من العمال المياومين . وكما جاء في Rad في الأول من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٢ ، فان العمال الأجراء

« كثيرا ما يتعرضون الى استغلال فظيع للغاية . (قد يبلغ طول يوم العمل خمس عشرة ساعة) ودخلهم الشخصي عادة ضئيل الى درجة بعيدة » .

ويتضح من هذا آن هذه المنظمات الزراعية التابعة لما يسمى بـ « القطاع الاشتراكي » ما هي الا منظمات زراعية رأسمالية .

ان نزع ملكية الفلاحين الفقراء ودفع المزارع الرأسمالية الى أمام يشكلان السياسة الأساسية لطغمة تيتو في محيط الزراعة . لقد قال تيتو في عام ١٩٥٥ : « نحن لا نتخلى عن فكرة أنه سيحين في يوغوسلافيا اليوم الذي تجمع فيه المزارع الصغيرة بصورة أو أخرى . . . وقد سبق وحقق هذا في الولايات المتحدة . علينا أن نجد حلا لهذه المشكلة . »

وبغرض سلوك الطريق الرأسمالي أصدرت طغمة تيتو في عام ١٩٥٩ « قانون الافادة من الأرض المنزرعة » ، الذي ينص على أن آراضي الفلاحين الذين يعملون مستقلين ولا يستطيعون زراعتها تبعا لما تقتضيه الحاجة ، هي عرضة للوقوع تحت « الادارة القهرية » عن طريق « التعاونيات الزراعية العامة » أو « المزارع » . وهذا معناه في الحقيقة سلب ملكية الفلاحين الفقراء وأخذ أراضي الفلاحين بالقوة لتطوير المزارع الرأسمالية . هذا هو طريق الزراعة الرأسمالية ، جملة وتفصيلا .

قال ستالين في حديثه حول الانتقال من اقتصاد الفلاح الصغير الى الاقتصاد الزراعي على نطاق واسع : « هنالك طريقان ـ الطريق الرأسمالي والطريق الاشتراكي : الطريق الذي يسير أماما نحو الاشتراكية والطريق الذي يقود الى الخلف — الى الرأسمالية . »

هل هنالك طريق ثالث ؟ قال ستالين : « ان ما يسمى بالطريق الثالث ما هو في الحقيقة الا الطريق الثاني ـ الطريق الذي يقود خلفا

الى الرأسمالية . » « اذما معنى العودة الى الزراعة الفردية واستعادة الكولاك ؟ معناها اعادة عبودية الكولاك واعادة استغلال الفلاحين من قبل الكولاك واعطاء السلطة للكولاك . ولكن هل من الممكن اعادة الكولاك والحفاظ على سلطة السوفيت في نفس الوقت ؟ كلا هذا غير ممكن . ان اعادة الكولاك تؤدي حتما إلى خلق سلطة الكولاك وتحطيم سلطة السوفيت . وعليه فهي رهن بأن تقود الى تكوين حكومة برجوازية . وتكوين حكومة برجوازية رهن بأن يقود بدوره الى اعادة كبار ملاك الأراضي والرأسماليين ، الى اعادة الرأسمالية . » (١)

ان الطريق الذي سارت عليه يوغوسلافيا في الزراعة خلال العشر سنوات وأكثر هو بالتحديد طريق اعادة الرأسمالية .

كل هذه حقائق لا جدال فيها .

ونود أن نسأل هؤلاء الذين يتعمدون قلب الحكم الذي صدر على طغمة تيتو : اذا لم تكونوا ترمون الى الخداع ، كيف اذن تزعمون بأنه لا يوجد رأسماليون في يوغوسلافيا ؟

كيف يتحلل الاقتصاد الاشتراكي الواقع تحت ملكية كل الشعب ويصبح اقتصادا رأسماليا

ان استعادة الرأسمالية في يوغوسلافيا لا تظهر من حقيقة أن الرأسمالية الخاصة تنتشر دون عائق في المدن والريف اليوغوسلافي وحسب ،

---

(١) ستالين : « كلمة الى المؤتمر الأول لأعضاء فرق الصدام التابعة للكولخوزات لعموم الاتحاد السوفياتي » .

بل أهم من ذلك أن المؤسسات « العامة » التي تلعب دورا حاسما في الاقتصاد اليوغوسلافي قد تحللت أيضا :

ان اقتصاد طغمة تيتو المسمى بـ« حكم العمال الذاتي » هو رأسمالية للدولة من نوع غريب . ان هذه الرأسمالية ليست رأسمالية للدولة تحت ظروف تحكم فيها ديكتاتورية البروليتاريا بل رأسمالية للدولة تحت ظروف حولت فيها طغمة تيتو ديكتاتورية البروليتاريا الى ديكتاتورية البرجوازية البيروقراطية ـ الكمبرادورية : أما وسائل الانتاج في المؤسسات تحت « حكم العمال الذاتي » فهي ليست ملكا لرأسمالي واحد أو أكثر بل للنوع الجديد من البرجوازية البيروقراطية ـ الكمبرادورية اليوغوسلافية التي تضم البيروقراطيين والمديرين والتي تمثلها طغمة تيتو . ان هذه البرجوازية البيروقراطية ـ الكمبرادورية ، وهي مغتصبة اسم دولة ومعتمدة على الاستعمار الأميركي ومختبئة تحت قناع « الاشتراكية » ، سلبت الجماهير الكادحة من الملكية التي هي من حقها في الأصل . وفي الحقيقة أن حكم العمال الذاتي المزعوم ما هو الا نظام استغلال لا يعرف الرحمة تحت سيطرة الرأسمال البيروقراطي ـ الكمبرادوري .

منذ عام ١٩٥٠ ، ظلت طغمة تيتو تصدر سلسلة من القوانين تطبق بواسطتها « حكم العمال الذاتي » في جميع المصانع والمناجم وغيرها من المؤسسات التابعة للدولة في النقل والمواصلات والتجارة والزراعة والغابات والمرافق العامة : ان جوهر « حكم العمال الذاتي » هو تسليم المؤسسات الى « جماعات العمل » على أن تعمل كل مؤسسة بصورة مستقلة فتشتري خاماتها التي تحتاج اليها ، وتقرر

ما تشاء بشأن أنواع المنتوجات والانتاج والأسعار وتسويق المنتوجات ، كما تقرر نظام أجورها وتقسيم جزء من أرباحها . كما تنص القوانين اليوغوسلافية بالاضافة لهذا على أن للمؤسسات الاقتصادية الحق في شراء وبيع أو استئجار الأرصدة الثابتة .

وتصف طغمة تيتو الملكية في المؤسسات الواقعة تحت « حكم العمال الذاتي » بأنها « شكل أرقى من أشكال الملكية الاشتراكية » . وتزعم أنه فقط بتأسيس « حكم العمال الذاتي » يمكن للمرء أن « يبني الاشتراكية حقا » .

ان هذا خداع محض .

فمن ناحية نظرية فان كل انسان له المام بسيط بالماركسية يعرف أن شعارات مثل « حكم العمال الذاتي » و « المصانع للعمال » لم تكن أبدا شعارات ماركسية ، بل شعارات رفعها النقابيون الفوضويون ، والاشتراكيون البرجوازيون ، والانتهازيون والمحرفون القدامى .

ان نظرية « حكم العمال الذاتي » و « المصانع للعمال » تسير على النقيض تماما من النظرية الماركسية الأساسية عن الاشتراكية وقد دحضها الكتاب الماركسيون الكلاسيكيون دحضا تاما منذ وقت بعيد .

وكما أشار ماركس وانجلز في « البيان الشيوعي » فان « البروليتاريا سوف تستخدم سلطتها السياسية لكي تأخذ بالتدريج كل رأس المال من البرجوازية وتمركز جميع أدوات الانتاج في أيدي الدولة . . . »

وكتب انجلز في كتابه « ضد دورنغ » : « ان البروليتاريا سوف تستولي على السلطة السياسية وتحول وسائل الانتاج أولا الى ملكية للدولة . »

وبعد استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية ، عليها أن تمركز

وسائل الانتاج في أيدي الدولة تحت ديكتاتورية البروليتاريا . وهذا مبدأ أساسي للاشتراكية .

في الفترة المبكرة لسلطة السوفيت عقب ثورة أكتوبر ، عندما دعا بعض الناس الى تسليم المصانع الى المنتجين حتى يمكنهم « تنظيم الانتاج » بصورة مباشرة ، نقد لينين بحزم هذه الفكرة قائلا انها في الحقيقة تعني معارضة ديكتاتورية البروليتاريا .

وقد أشار بدقة الى أن

« أي تشريع مباشر أو غير مباشر يعطي عمال بعض المصانع أو بعض الحرف الحق في السيطرة على انتاجهم أو الحق في اضعاف أو اعاقة أوامر سلطة الدولة ، ما هو الا أعظم تشويه للمبادىء الأساسية لسلطة السوفيت ونبذ تام للاشتراكية . » (١)

وهكذا يتضح أن « حكم العمال الذاتي » لا شيء يربطه بالاشتراكية .

وفي الحقيقة فان « حكم العمال الذاتي » الذي ابتكرته طغمة تيتو لا يعطي العمال حق الحكم الذاتي ، وما هو الا خدعة فقط .

ان المؤسسات الواقعة تحت سيطرة « حكم العمال الذاتي » هي في الحقيقة في قبضة البرجوازيين البيروقراطيين — الكمبرادوريين الجدد الذين تمثلهم طغمة تيتو . فهذه الطغمة تسيطر على ملكية المؤسسات وموظفيها وتأخذ القسم الأعظم من دخلها .

ان طغمة تيتو تسيطر عن طريق البنوك على أموال تسليف البلاد قاطبة وعلى أموال الاستثمار ورأس المال المتحرك لدى جميع المؤسسات

---

(١) لينين : « حول ديمقراطية سلطة السوفيت وطبيعتها الاشتراكية » .

وتقوم بمراقبة شئونها المالية .

ان طغمة تيتو تنهب دخل هذه المؤسسات بطرق مختلفة مثل جمع الضرائب والفوائد . وبناء على احصاءات « تقرير العمل في عام ١٩٦١ للمجلس اليوغوسلافي الاتحادي التنفيذي » ، فانها قد سلبت حوالي ثلاثة أرباع الدخل الصافي لدى المؤسسات بهذه الطريقة .

ان طغمة تيتو تستولي على ثمار عمل الشعب التي تخصصها أساسا لمقابلة نفقات طغمة البيروقراطيين هذه الباهظة ولمواصلة حكمها الرجعي ولتقوية جهاز قمع الشغيلة ولتقديم الاتاوات الى المستعمرين في شكل تسديد القروض الأجنبية وفوائدها .

ان طغمة تيتو بالاضافة لهذا تسيطر على هذه المؤسسات عن طريق مديريها ، وهؤلاء المديرون يختارون في الظاهر على أساس المنافسة بين المؤسسات ولكنهم في الحقيقة يعينون من قبل طغمة تيتو . وهم عملاء البرجوازية البيروقراطية ــ الكمبرادورية في هذه المؤسسات .

ان العلاقة بين المديرين والعمال في المؤسسات الواقعة تحت « حكم العمال الذاتي » هي في الحقيقة علاقة بين المستخدَمين والمستخدِمين ، بين المستَغلين والمستِغلين .

وكما هو الواقع فان المديرين لهم الحق في تحديد خطط الانتاج واتجاه التطور لهذه المؤسسات ، ومعالجة وسائل الانتاج ، واتخاذ القرارات فيما يتعلق بتوزيع دخل المؤسسات ، واستئجار أو فصل العمال ونسخ قرارات « مجالس العمال » أو « لجان الادارة » .

وتبرهن معلومات وافرة نشرتها الصحافة اليوغوسلافية على أن « مجلس العمال » ما هو الا شيء شكلي ، وهو نوع من أدوات التصويت ،

وأن كل السلطة في المؤسسات في أيدي المديرين .

ان المدير في مؤسسة ما ، نظرا لأنه يسيطر على وسائل انتاجها وعلى توزيع دخلها ، يتمكن من الاستيلاء على ثمار عمل العمال عن طريق الامتيازات المختلفة الممنوحة له .

وحتى طغمة تيتو نفسها تعترف بأنه يوجد في هذه المؤسسات فرق كبير بين المديرين والعمال لا في الأجور وحسب ولكن في المكافئات أيضا . وفي بعض المؤسسات تبلغ مكافئات المديرين والموظفين الكبار أربعين ضعفا بالمقارنة مع مكافئات العمال . و« في مؤسسات معينة بلغت جملة المكافئات التي تسلمها بعض القادة مبلغا مساويا للمال المخصص للأجور في كل المؤسسة الجماعية » (١) .

وبالاضافة لهذا يستخدم مدير والمؤسسات امتيازاتهم لتجميع مبالغ طائلة بمختلف الوسائل غير النزيهة . والرشوة والاختلاس والسرقة هي مصادر أكبر للدخل لهؤلاء المديرين .

ان الجماهير العريضة من العمال تعيش في الفقر . وليس هنالك من ضمان لتوظيف العمال . ويفقد عدد كبير من العمال وظائفه نتيجة اغلاق المؤسسات . وبناء على الاحصاءات الرسمية فان عدد المتعطلين بلغ ، في فبراير (شباط) عام ١٩٦٣ ، ٣٣٩٠٠٠ أي حوالي ١٠ بالمائة من مجموع المستخدَمين . وبالاضافة لهذا يهاجر عدد كبير من العمال بحثا عن العمل في الخارج .

---

(١) رسالة مفتوحة للجنة المركزية لرابطة الشيوعيين اليوغوسلاف الى منظماتها وقياداتها على جميع المستويات ، ١٧ فبراير (شباط) ١٩٥٨.

وقد اعترفت *Politika* في ٢٥ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦١ بأنه « توجد فجوة عظيمة بين بعض العمال وموظفي المكاتب ، فالعمال ينظرون الى الموظفين باعتبارهم " بيروقراطيين " " يبتلعون " أجورهم » .

وتدل هذه الحقائق على أن نوعا جديدا من الزمر الاجتماعية قد ظهر في المؤسسات اليوغوسلافية الواقعة تحت « حكم العمال الذاتي » ، وهو يتكون من الأقلية التي تستحوذ على ثمار عمل الأغلبية ، ويشكل جزءا هاما من البرجوازية البيروقراطية — الكمبرادورية الجديدة في يوغوسلافيا .

وبدفع ما يسمى بحكم العمال الذاتي دفعت طغمة تيتو المؤسسات التي كان يمتلكها كل الشعب في الأصل بعيدا عن طريق الاقتصاد الاشتراكي .

وفيما يلي المظاهر الأساسية لهذا :

أولا : هجر التخطيط الاقتصادي الموحد للدولة .

ثانيا : استخدام الأرباح باعتبارها الدافع الأساسي في تشغيل المؤسسات . ويجوز لهذه المؤسسات أن تستخدم أساليب مختلفة بغرض زيادة دخلها وأرباحها . وبمعنى آخر فالهدف من الانتاج في المؤسسات الواقعة تحت ما يسمى بحكم العمال الذاتي هو لا مقابلة حاجيات المجتمع بل السعي الى الربح ، كما هو الحال بالضبط في المؤسسات الرأسمالية .

ثالثا : اتباع سياسة تشجيع المنافسة الحرة الرأسمالية . قال تيتو لمديري المؤسسات : « ان المنافسة في الداخل مفيدة لعامة الناس والمستهلكين . » كما صرحت طغمة تيتو علنا بأنها تسمح بـ « المنافسة

والسعي للربح والمضاربة وأشباهها » لأن هذه « تلعب دورا ايجابيا في دفع المبادرة لدى المنتجين ، ومؤسساتهم الجماعية ، والكومونات وغيرها » (١) .

رابعا : استخدام القروض والبنوك باعتبارها رافعة هامة لدفع المنافسة الرأسمالية الحرة . وبغرض اعطاء القروض يدعو جهاز القروض والبنوك التيتوي الى تقديم العطاءات بغرض الاستثمار . ومن يقدر على تسديد القرض في أقصر مدة ودفع أكبر نسبة من الفائدة ، يحصل على القرض . وكما قالوا فان هذا يعني « استخدام المنافسة باعتبارها الأسلوب المألوف لتوزيع قروض الاستثمار » (٢) .

خامسا : العلاقات بين المؤسسات ليست علاقات اشتراكية — أي علاقات تأييد وتنسيق متبادلين تحت خطة حكومية موحدة ، بل هي علاقات رأسمالية للتنافس والعداوة في سوق حر .

وكل هذا يوجه ضربة الى أساس الاقتصاد الاشتراكي المخطط .

قال لينين : « ان الاشتراكية . . . لا يمكن تصورها دون تنظيم مخطط للدولة يخضع عشرات الملايين من الناس الى المراعاة الحازمة لمقياس واحد في الانتاج والتوزيع . » (٣)

---

(١) تقرير فلاديمير باكاريتش في المؤتمر الرابع لرابطة الشيوعيين في كرواتيا ، ٧ أبريل (نيسان) ١٩٥٩ .

(٢) أوغسطين بابيتش : « الاستثمار المالي في يوغوسلافيا » في « محفوظات الاقتصاد الجماعي » ، عدد أبريل (نيسان) — نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٩ . طبع في بلغراد .

(٣) لينين : « مرض الطفولة "اليساري" وعقلية البرجوازية الصغيرة » .

وقال أيضا : « ... وبدون حساب للدولة يشمل كل جوانب الانتاج وتوزيع البضائع وبدون سيطرة شاملة عليهما ، فان حكم الشغيلة وحريتهم لا يمكن المحافظة عليهما ، ويصبح الرجوع الى الاضطهاد الرأسمالي أمرا لا مفر منه . » (١)

وتحت يافطة « حكم العمال الذاتي » ، تجري بين جميع الدوائر الاقتصادية والمؤسسات في يوغوسلافيا منافسة رأسمالية شرسة ، ومن الشائع للمؤسسات الواقعة تحت ما يسمى بالحكم الذاتي للعمال أن تنغمس في الاختلاس والمضاربة والتخزين ، وأن ترفع الأسعار ، وتمارس الرشوة ، وتخبىء الأسرار التكنيكية ، وتحتكر الموظفين الفنيين وحتى أنها تهاجم بعضها البعض في الصحافة والاذاعة من أجل التسابق على الأسواق والأرباح .

ويسير التنافس الشرس بين المؤسسات اليوغوسلافية لا في السوق الداخلية وحسب بل في التجارة الخارجية أيضا . وتقول الصحافة اليوغوسلافية انه ليس من الشاذ أن يقوم عشرون أو ثلاثون من عملاء مؤسسات التجارة الخارجية اليوغوسلافية بزيارة نفس السوق الخارجية ، وأن يتنافسوا فيما بينهم من أجل التجارة ويسحبوا زبائن الآخرين أو المزودين لهم . وأصبحت هذه المؤسسات « انطلاقا من دوافعها الأنانية » تنغمس في التجارة الخارجية « بغرض السعي للحصول على الأرباح بأي ثمن » ، و « لا تتردد في اتخاذ أي سبيل أمامها » .

وكانت نتيجة هذه المنافسة الشرسة هي الفوضى في السوق اليوغوسلافية .

---

(١) لينين : « المهمات الراهنة للسلطة السوفياتية » .

فالأسعار تختلف بصورة ملحوظة لا في المدن المختلفة أو المقاطعات وحسب بل في المتاجر المختلفة في مكان واحد ، وحتى بالنسبة لنفس النوع من السلع التي ينتجها نفس المنتج . وبغرض الابقاء على الأسعار المرتفعة لا تتردد بعض المؤسسات في ابادة كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية .

ونتيجة أخرى لهذه المنافسة الشرسة هي اغلاق أعداد كبيرة من المؤسسات في يوغوسلافيا . وبناء على المعلومات المنشورة في « النشرة الرسمية لجمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الشعبية » فان عددا يتراوح بين الخمسمائة والستمائة من المؤسسات كان قد أغلق كل عام خلال السنوات القريبة الماضية .

وكل هذا يوضح أن الاقتصاد « العام » ليوغوسلافيا لا تتحكم فيه قوانين الاقتصاد الاشتراكي المخطط بل قوانين المنافسة الرأسمالية وفوضى الانتاج . ان مؤسسات طغمة تيتو الواقعة تحت ما يسمى بحكم العمال الذاتي ليست اشتراكية في طبيعتها بل هي رأسمالية .

ونود أن نسأل هؤلاء المصرين على قلب الحكم الصادر على طغمة تيتو : اذا لم يكن غرضكم الخداع كيف اذن تصفون بعناد الاقتصاد الرأسمالي للدولة والذي هو تحت سيطرة البرجوازية البيروقراطية - الكمبرادورية بأنه اقتصاد اشتراكي ؟

ذيل للاستعمار الأميركي

ان عملية استعادة الرأسمالية في يوغوسلافيا هي عملية ملتحمة بكون طغمة تيتو أصبحت ذليلة وطائعة للاستعمار الأميركي وبكون

يوغوسلافيا قد تحللت فأصبحت ذيلا تابعا للاستعمار الأميركي .

بعد أن خانت طغمة تيتو الماركسية اللينينية ، سلكت السبيل المخزي ، سبيل بيع سيادة الدولة والعيش على احسان الاستعمار الأميركي .

وبناء على احصاءات غير كاملة ، فانه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٣ قدمت الولايات المتحدة وغيرها من الدول الاستعمارية الى طغمة تيتو « اعانة » بلغت جملتها ٥٤٦٠ مليونا من الدولارات الأميركية ، كانت « الاعانة » الأميركية منها أكثر من ٦٠ بالمائة أي حوالي ٣٥٠٠ مليون دولار . وقدم الجزء الأعظم من هذه الاعانة الأميركة الى يوغوسلافيا بعد عام ١٩٥٠ .

ان الاعانة الأميركية قد أصبحت العمود الفقري لمالية يوغوسلافيا واقتصادها . وتدل الاحصاءات الرسمية على أنه في عام ١٩٦١ ، بلغ مجموع القروض التي تسلمتها طغمة تيتو من الولايات المتحدة ومن المنظمات المالية الدولية الواقعة تحت سيطرة الولايات المتحدة ، ٣٤٦ مليونا من الدولارات الأميركية أي ٤٧٫٤ بالمائة من الدخل الكلي في الميزانية لجمهورية يوغوسلافيا في ذلك العام . وباضافة الاعانة المقدمة من الأقطار الغربية الأخرى ، بلغت جملة المبالغ التي تسلمتها طغمة تيتو في عام ١٩٦١ ، ٤٩٣ مليونا من الدولارات الأميركية أي ٦٧٫٦ بالمائة من مجموع الدخل في الميزانية لجمهورية يوغوسلافيا في ذلك العام .

وبغرض الحصول على الاعانة الأميركية عقدت طغمة تيتو سلسلة من المعاهدات الغادرة مع الولايات المتحدة .

وجاء في المذكرات المتبادلة بين يوغوسلافيا والولايات المتحدة في عام ١٩٥١ بشأن « الاتفاق المتعلق بمساعدة الدفاع المتبادل » ، أنه لموظفي حكومة الولايات المتحدة « حرية ... غير محظورة » للمراقبة والاشراف على تسلم وتوزيع مواد المعونة الأميركية العسكرية في يوغوسلافيا ولها الحق الكامل في « الافادة الكاملة من التسهيلات التي تقدمها وسائل المواصلات والاستخبارات » . ويلزم الاتفاق يوغوسلافيا بمد الولايات المتحدة بالمواد الاستراتيجية الخام .

أما « الاتفاق المتعلق بالمساعدة العسكرية » الموقع بين يوغوسلافيا والولايات المتحدة في عام ١٩٥١ فينص على أنه يجب على يوغوسلافيا « أن تقدم مساهمة تامة ... للتطوير والمحافظة على القوة الدفاعية للعالم الحر » ، وأن تكون على استعداد لمد الأمم المتحدة بالقوات . وان البعثة العسكرية الموفدة من قبل الولايات المتحدة وفقا لهذا الاتفاق ، عليها أن تراقب بصورة مباشرة تدريب القوات اليوغوسلافية .

وينص « اتفاق التعاون الاقتصادي » بين يوغوسلافيا والولايات المتحدة الذي عقد في عام ١٩٥٢ على أنه على يوغوسلافيا أن تستخدم المعونة الأميركية لـ « دفع حقوق الانسان الفردية الأساسية والحريات والمنظمات الديمقراطية » ، وفي الحقيقة فان الغرض من دفع هذه الحقوق والحريات والمنظمات الديمقراطية المزعومة ما هو الا دفع الرأسمالية الى أمام .

وفي عام ١٩٥٤ وقعت يوغوسلافيا « معاهدة التحالف والتعاون السياسي والمساعدة المتبادلة » مع اليونان وتركيا اللتين هما من أعضاء منظمة حلف شمال الأطلسي . وتنص المعاهدة على التنسيق العسكري

والديبلوماسي بين هذه الأقطار الثلاثة ، مما يجعل يوغوسلافيا عضوا حقيقيا في تلك الكتلة العسكرية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة .

ومنذ عام ١٩٥٤ عقدت يوغوسلافيا سلسلة من الاتفاقيات مع الولايات المتحدة بائعة بذلك سيادتها . وأكثر من ٥٠ اتفاقية من هذا النوع وقعت في الفترة ما بين عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦٢ .

ونظرا لأن يوغوسلافيا وقعت على هذه المعاهدات والاتفاقيات ولأن طغمة تيتو قد جعلت يوغوسلافيا ذيلا للاستعمار الأميركي ، أصبحت الولايات المتحدة تتمتع بالحقوق الآتية في يوغوسلافيا :

أولا : حق السيطرة على شئون يوغوسلافيا العسكرية ؛

ثانيا : حق السيطرة على شئونها الخارجية ؛

ثالثا : حق التدخل في شئونها الداخلية ؛

رابعا : حق السيطرة على شئونها المالية ومراقبتها ؛

خامسا : حق السيطرة على تجارتها الخارجية ؛

سادسا : حق نهب موادها الاستراتيجية ؛

سابعا : حق جمع أسرارها الحربية والاقتصادية .

وهكذا باعت طغمة تيتو بالمزاد العلني استقلال وسيادة يوغوسلافيا .

وبالاضافة الى بيع حقوق سيادة يوغوسلافيا في سلسلة من المعاهدات غير المتكافئة مع الولايات المتحدة ، لجأت طغمة تيتو من أجل الحصول على المعونة الأميركية الى اتخاذ خطوة بعد الأخرى في السياسة الداخلية والخارجية ، رامية الى التمشي مع مطلب رأس المال الاحتكاري الغربي بالتغلغل في يوغوسلافيا .

ومنذ عام ١٩٥٠ بدأت طغمة تيتو بازالة احتكار الدولة للتجارة الخارجية .

وينص « قانون نشاطات التجارة الخارجية » الذي صدر في عام ١٩٥٣ على السماح للمؤسسات بممارسة التجارة الخارجية بصورة مستقلة وبعقد صفقات مباشرة مع المؤسسات الغربية الخاضعة لرأس المال الاحتكاري .

في عام ١٩٦١ أدخل الحكم التيتوي « اصلاحات » على نظام صرف العملة الأجنبية وعلى التجارة الخارجية . وكان المحتوى الرئيسي لهذه الاصلاحات هو زيادة ارخاء القيود على التوريد والتصدير في التجارة . وقد حُقق نظام « الليبرالية الكاملة » فيما يتعلق باستيراد المواد الأساسية نصف المصنوعة وبعض بضائع الاستهلاك ، كما تم تخفيف القيود على استيراد البضائع الأخرى بدرجات متفاوتة . وقد أزيل الحظر الذي كان مفروضا على امداد العملة الأجنبية الضرورية لما يسمى بالبضائع غير المحظورة الاستيراد .

ان كل انسان يعرف أن احتكار الدولة للتجارة الخارجية هو مبدأ أساسي للاشتراكية .

قال لينين ان البروليتاريا الصناعية « لن تكون أبدا في وضع يمكنها من انعاش صناعتنا وتجعل فيه روسيا قطرا صناعيا دون حماية الصناعة ، التي لا تشير في أي حال من الأحوال الى حمايتها بواسطة سياسة الجمارك ، بل تشير فقط وبالتحديد الى حمايتها عن طريق احتكار التجارة الخارجية » (١) .

وقال ستالين : « ان احتكار التجارة الخارجية هو أحد الأسس

---

(١) لينين : « حول احتكار التجارة الخارجية » .

التـي لا تتزعزع في المنهـاج السياسـي للحكومة السوفياتية » ، والغـاء احتكار التجارة الخارجية معناه « التخلي عن تصنيع البلاد » ، و «اغراق الاتحاد السوفياتي بالبضائع الواردة من الأقطار الرأسمالية » ، و « تحويل بلادنا من قطر مستقل الى قطر شبه مستعمر » (١) .

ان الغاء احتكار الدولة للتجارة الخارجية ، كما فعل الحكم التيتوي ، هو فتح الباب على مصراعيه لدخول رأس المال الاستعماري الاحتكاري .

ما هي العواقب الاقتصادية لحقيقة أن طغمة تيتو تتسلم كميات كبيرة من الاعانة الأميركية وتفتح باب يوغوسلافيا على مصراعيه للاستعمار ؟

أولا : أصبحت يوغوسلافيا سوقا لابتلاع البضائع الاستعمارية .

وقد غمرت السوق اليوغوسلافي كميات ضخمة من البضائع الصناعية والمحاصيل الزراعية من الأقطار الاستعمارية . ان الرأسماليين الكمبرادوريين اليوغوسلاف الذين يجمعون ثروات طائلة نظير خدمة رأس المال الاحتكاري الأجنبي ، يواصلون من أجل السعي الى الربح استيراد البضائع حتى ولو كان ممكنا صنعها محليا وحتى اذا كانت كمياتها المخزونة ضخمة . وقد اعترفت صحيفة *Politika* في ٢٥ يوليو (تموز) عام ١٩٦١ بأنه « كان واضحا في كل مكان » أن الصناعة اليوغوسلافية « كانت تعاني الضربات من المنافسة المستمرة والمعقدة من قبل الصناعة الأجنبية » .

ثانيا : أصبحت يوغوسلافيا منفذا للاستثمار الاستعماري .

فقد بني عدد كبير من المؤسسات الصناعية اليوغوسلافية بـ «معونة » الولايات المتحدة وغيرها من الأقطار الاستعمارية . وتغلغلت في يوغوسلافيا

---

(١) ستالين : « مقابلة مع الوفد العمالي الأميركي الأول » .

كمية عظيمة من رأس المال الاحتكاري الأجنبي الخاص . وبناء على قول أوغسطين بابيتش المدير العام لبنك الاستثمار اليوغوسلافي فان « مساهمة الأموال الأجنبية بلغت ٣٢٫٥ بالمائة من القيمة الاجمالية للاستثمار الاقتصادي » في الفترة ما بين عام ١٩٥٢ وعام ١٩٥٦ . وقال وزير الخارجية الأميركية دين راسك في ٥ فبراير (شباط) عام ١٩٦٢ ان مصدر رأس مال يوغوسلافيا « كان الى درجة كبيرة في الغرب » .

ثالثا : أصبحت يوغوسلافيا قاعدة يستخلص منها الاستعمار المواد الخام .

وبناء على « الاتفاق المتعلق بالمساعدة العسكرية » أمدت طغمة تيتو ، منذ عام ١٩٥١ بصورة متواصلة ، الولايات المتحدة بكميات ضخمة من المواد الاستراتيجية الخام . وبناء على « كراسة الاحصاء السنوية لجمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الشعبية » لعام ١٩٦١ فان حوالي نصف صادرات يوغوسلافيا من المعادن الهامة مثل المنجنيز والرصاص والزنك والأنتيمون أرسل الى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٧ .

رابعا : أصبحت المؤسسات الصناعية اليوغوسلافية ورشا لتركيب البضائع الواردة من الشركات الرأسمالية الاحتكارية الغربية .

هذا وعدد كبير من الصناعات اليوغوسلافية الهامة ينتج بمقتضى رخصة مقدمة من قبل الأقطار الغربية ، ويعتمد على واردات المواد نصف المصنوعة ، والأجزاء ، وقطع الغيار ، والبضائع نصف المصنوعة . ويقع انتاج هذه المؤسسات الصناعية تحت سيطرة رأس المال الاحتكاري الغربي .

ان عددا كبيرا من البضائع الصناعية التي تباع في يوغوسلافيا بصفتها

مصنوعات محلية ، هي في الحقيقة بضائع تم تركيبها من الأجزاء الجاهزة والمستوردة ولكنها تحمل العلامة التجارية اليوغوسلافية . وجاء في *Vesnik u sredu* الصادرة في ٢٥ ابريل (نيسان) عام ١٩٦٢ « أن بعض مؤسساتنا الصناعية تصبح الآن نوعا خاصا من المنظمات التجارية ، التي لا تنتج بنفسها بل تقوم بعمليات التركيب ، وكل ما تفعله هو الصاق علامتها التجارية على منتجات الآخرين . »

في هذه الظروف أصبحت يوغوسلافيا جزءا لا يتجزأ من السوق العالمي الخاضع لرأس المال الاحتكاري الغربي . وفي المجالين المالي والاقتصادي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالسوق الرأسمالي العالمي وانحطت الى درجة ذيل للاستعمار ولا سيما للاستعمار الأميركي .

وعندما يبيع قطر اشتراكي استقلاله وحقوق سيادته ويصبح تابعا للاستعمار ، تتحتم اعادة النظام الرأسمالي اليه .

ان الطريق الخاص لبناء « الاشتراكية » بالاعتماد على المعونة الأميركية والذي تقوم بالدعاية له طغمة تيتو ما هو الا طريق لتحويل نظام اشتراكي الى نظام رأسمالي لمقابلة حاجيات الاستعمار ، انه طريق الانحطاط من بلد مستقل الى شبه مستعمرة .

ان خروشوف ذهب الى درجة القول بأن هذا البلد التابع للاستعمار الأميركي يقوم بـ « بناء الاشتراكية » . ان هذا أمر مدهش ! ان اشتراكية مزعومة تحمل علامة المعونة الأميركية هي نوع جديد يضاف الى أنواع الاشتراكية المزيفة التي انتقدها ماركس وانجلز ولينين . وهذا قد يُعدّ « مساهمة عظمى » قدمها تيتو وخروشوف في « تطوير النظرية الماركسية اللينينية بصورة خلاقة » .

فصيلة خاصة معادية للثورة تابعة للاستعمار الأميركي

اذا نظرنا الى الدور المعادي للثورة الذي تلعبه طغمة تيتو في العلاقات الدولية والى سياستها الخارجية الرجعية ، نجد أن يوغوسلافيا أبعد ما تكون عن أنها قطر اشتراكي .

ان طغمة تيتو تمثل في الحلبة الدولية فصيلة خاصة يستخدمها الاستعمار الأميركي لتخريب الثورة العالمية .

ان طغمة تيتو ، باتخاذها قدوة استعادة الرأسمالية في يوغوسلافيا ، تقوم بمساعدة الاستعمار الأميركي على دفع سياسته المسماة بـ «التحويل السلمي » في داخل الأقطار الاشتراكية .

ان طغمة تيتو تعارض ، تحت ستار يافطة « قطر اشتراكي » ، المعسكر الاشتراكي معارضة مسعورة وتعمل على تحطيمه خادمة بذلك كالعميل النشيط في الحملة المعادية للصين .

ان طغمة تيتو ، تحت ستار « عدم الانحياز » و« التعايش الايجابي» ، تحاول تحطيم حركة التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، وتخدم الحكم الاستعماري الأميركي الجديد .

ان طغمة تيتو لا تدخر وسعا في تجميل الاستعمار الأميركي وتخدير نضال شعوب العالم ضد السياسات الحربية والعدوانية الاستعمارية .

ان طغمة تيتو تحت ستار معارضة « الستالينية » تروج السموم التحريفية في كل مكان وتعارض ثورة الشعوب في جميع الأقطار .

لقد لعبت طغمة تيتو على الدوام دور عميل للاستعمار الأميركي فيما يتعلق بالأحداث العالمية الكبرى خلال السنوات العشر الماضية وأكثر .

أولا : الثورة في اليونان . في ١٠ يوليو (تموز) عام ١٩٤٩ أغلق تيتو الحدود بين يوغوسلافيا واليونان في وجه قوات الأنصار الشعبية اليونانية . وفي نفس الوقت سمح للجنود الفاشست اليونانيين الملكيين بعبور الأراضي اليوغوسلافية بغرض مهاجمة قوات الأنصار من الخلف . وبهذه الطريقة ساعدت طغمة تيتو المستعمرين الأميركيين والبريطانيين على خنق ثورة الشعب اليوناني .

ثانيا : الحرب الكورية . في بيان أصدره أدفارد كاردل الذي كان وزير الخارجية حينذاك ، في ٦ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٥٠ ، افترى بوقاحة على حرب المقاومة العادلة التي شنها الشعب الكوري ضد العدوان ، ودافع عن الاستعمار الأميركي . وفي الأول من ديسمبر (كانون الأول) هاجم مندوب طغمة تيتو أثناء حديثه في مجلس الأمن الصين زاعما بأنها « تدخلت تدخلا نشطا في الحرب الكورية » . كما صوتت طغمة تيتو في الأمم المتحدة لفرض الحصار على الصين وكوريا .

ثالثا : حرب الشعب الفيتنامي من أجل التحرر . في عشية مؤتمر جنيف حول مسألة الهند الصينية في ابريل (نيسان) عام ١٩٥٤ ، افترت طغمة تيتو بصورة شرسة على نضال شعب فيتنام العادل مدعية بأن الشعب الفيتنامي كان أداة استخدمتها موسكو وبكين كـ « كارت في سياستهما — سياسة الحرب الباردة بعد الحرب » (١) . وقالت عن المعركة الكبرى التي شنها الشعب الفييتنامي لتحرير دين بين فو انها « لم تكن شيئا يدل

---

(١) « بوربا » ، ٢٣ أبريل (نيسان) ١٩٥٤ .

على حسن النية »(١) .

رابعا : الأعمال الهدامة ضد ألبانيا ، ظلت طغمة تيتو تقوم بالأعمال الهدامة والاستفزازات المسلحة ضد ألبانيا الاشتراكية لوقت طويل . وقد دبرت أربع خيانات كبرى في عام ١٩٤٤ ، وعام ١٩٤٨ ، وعام ١٩٥٦ ، وعام ١٩٦٠ . وقد بلغ عدد استفزازاتها المسلحة على الحدود الألبانية اليوغوسلافية أكثر من ٤٧٠ بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٨ . وفي عام ١٩٦٠ نظمت طغمة تيتو والرجعيون اليونانيون هجوما مسلحا على ألبانيا بالتناسق مع الأسطول السادس الأميركي في البحر الأبيض المتوسط .

خامسا : التمرد المعادي للثورة في هنغاريا . لعبت طغمة تيتو دورا مخزيا للمتدخل والمحرض في التمرد المعادي للثورة في هنغاريا في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٥٦ . وبعد نشوب التمرد ، نشر تيتو رسالة يؤيد فيها الاجراءات المعادية للثورة التي اتخذها الخائن ناجي . وفي ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) بلغت طغمة تيتو ناجي بأن يلجأ الى السفارة اليوغوسلافية في هنغاريا . وفي ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) وصف تيتو التمرد المعادي للثورة بأنه مقاومة نظمها « التقدميون » ، وقدم بوقاحة السؤال : أي خط سوف ينتصر ، « خط يوغوسلافيا » أم « خط الستالينية » .

سادسا : حوادث الشرق الأوسط . في عام ١٩٥٨ أرسل الاستعمار الأميركي قواته لاحتلال لبنان ، كما أرسل الاستعمار البريطاني قواته لاحتلال الأردن . فارتفعت موجة عالمية من الاحتجاج للمطالبة بسحب القوات الأميركية والبريطانية فورا . وفي الجلسة الطارئة التي عقدتها الجمعية

---

(١) « بوربا » ، ٨ مايو (أيار) ١٩٥٤ .

العمومية للأمم المتحدة حول الوضع في الشرق الأوسط ، قال كوشا بوبوفتش سكرتير الشئون الخارجية للدولة في يوغوسلافيا « ليست القضية هي أن نصر أم لا نصر على ادانة الأعمال التي اتخذتها الولايات المتحدة وبريطانيا ، وأن نوافق عليها أم لا نوافق » . ودعا الى تدخل الأمم المتحدة – هذه المنظمة الواقعة تحت سيطرة الاستعمار الأميركي .

سابعا : حادث مضائق تايوان . في خريف عام ١٩٥٨ قام جيش التحرير الشعبي الصيني بقذف كيموي بالمدافع بغرض ردع استفزازات الاستعمار الأميركي في مضائق تايوان ، وانزال العقاب بعصابة تشانغ كاي شيك عميلة الاستعمار الأميركي . وعيرت طغمة تيتو نضال الصين العادل ووصفته بأنه « خطر يهدد العالم » (١) وأنه « يضر بالسلم » (٢) .

ثامنا : حادثة (اليوتو – $U2$) . في عام ١٩٦٠ أرسلت الولايات المتحدة احدى طائرات اليوتو التجسسية للتدخل في الاتحاد السوفياتي مما أدى الى اجهاض مؤتمر الذروة للدول الأربع والذي كان مقررا عقده في باريس . وفي ١٧ مايو (أيار) ، أصدر تيتو بيانا يهاجم فيه الموقف الصحيح الذي اتخذته وقتذاك حكومة الاتحاد السوفياتي واصفا اياه بأنه يخلق « نزاعات واسعة النطاق الى هذه الدرجة » .

تاسعا : نضال الشعب الياباني الوطني ضد الولايات المتحدة : في يونيو (حزيران) عام ١٩٦٠ شن الشعب الياباني نضالا عادلا وطنيا ضد الولايات المتحدة على نطاق لم يسبق له مثيل من قبل . الا أن طغمة

---

(١) « سلوبودني دوم » ، ٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٨ .

(٢) « سلوواني برود يفاليك » ، ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٨ .

تيتو دافعت عن الاستعمار الأميركي قائلة ان الاحتلال الأميركي لليابان « قد دفع ديمقراطية الحياة السياسية في اليابان » (١) . وفيما بعد هاجمت البيان الذي أصدره انيجيرو أسانوما الرئيس السابق للحزب الاشتراكي الياباني والذي جاء فيه أن « الاستعمار الأميركي هو العدو المشترك للشعب الياباني وللشعب الصيني » ، واتهمته بأنه « يدعو الى الوقوف موقفا متطرفا » (٢) .

عاشرا : نضال الشعب الاندونيسي . حاولت طغمة تيتو نسف نضال الشعب الاندونيسي ضد الاستعمار ، وانغمست في نشاطات حقيرة محاولة الحيلولة دون تأسيس وزارة لـ « ناساكوم » في اندونيسيا أي حكومة وحدة وطنية تشمل الوطنيين والدوائر الدينية والشيوعيين .

حادي عشر : حادثة الكونغو . في صيف عام ١٩٦٠ عندما قام الاستعمار الأميركي بعدوان مسلح على الكونغو تحت راية الأمم المتحدة لم تصوت طغمة تيتو لصالح الاستعمار الأميركي في الأمم المتحدة وحسب ، ولكنها أرسلت أيضا ، تمشيا مع رغبة الاستعمار الأميركي ، موظفين من سلاح الطيران الى الكونغو للمساهمة بصورة مباشرة في قمع الشعب الكونغولي قمعا دمويا .

ثاني عشر : المسألة اللاوسية . عندما وسع الاستعمار الأميركي تدخله في لاوس في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦١ ، نشرت طغمة تيتو الرأي القائل بأن الولايات المتحدة « مهتمة حقيقة بسلم وحياد

---

(١) «كوميونيست » ، ٢ يونيو (حزيران) ١٩٦٠ .

(٢) Foreig Poltticdl Buuetin ، ١ فبراير (شباط) ١٩٦٢ .

لاوس » (١) . وعندما دبر الاستعمار الأميركي الاغتيالات السياسية والنزاعات المسلحة في لاوس في مايو (أيار) عام ١٩٦٣ ، هاجمت طغمة تيتو مرة أخرى القوات الوطنية اللاووسية واتهمتها بـ « توجيه كل اللوم الى الولايات المتحدة » (٢) .

ثالث عشر : برنامج « حلف التقدم » الأميركي . في أغسطس (آب) عام ١٩٦١ أجبرت الولايات المتحدة بعض البلدان الأميركية اللاتينية على توقيع برنامج « حلف التقدم » ، الذي هو أداة استعمارية أميركية جديدة لاستعباد شعوب أميركا اللاتينية . وقد عارضت شعوب أميركا اللاتينية هذا البرنامج العدواني معارضة قوية ، الا أن طغمة تيتو أثنت عليه ووصفته بأنه « يقابل الى حـدود بعيدة مقتضيـات البلدان الأميـركية اللاتينية » (٣) .

رابع عشر : نزاع الحدود الصينية الهندية . منذ أن بدأ الرجعيون الهنود التوتر على الحدود الصينية الهندية في عام ١٩٥٩ أيدت طغمة تيتو بصورة مستمرة توسع وعدوان واستفزازات الرجعيين الهنود ضد الصين . وقد نشرت علنا أكذوبة قائلة بأن « تخطيط الحدود كان قد تم في بداية القرن الحالي ووُضع في شكل خط مكماهون المعروف جيدا » (٤) ، وبذلت جهدها لخلط الحق والباطل مفترية على الصين بأنها « تسمح لنفسها

---

(١) « بوربا » ، ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٦١ .
(٢) « بوليتيكا » ، ٥ مايو (أيار) ١٩٦٣ .
(٣) « كوميونيست » ، ١٧ أغسطس (آب) ١٩٦١ .
(٤) « راد » ، ١٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٩ .

باعادة النظر في حدودها مع الهند كما يحلو لها وبالقوة » (١) وانها «ارتكبت العدوان » (٢) على الهند .

خامس عشر : الثورة الكوبية وأزمة الكاريبي . لقد نشرت طغمة تيتو تعليقات لا حصر لها تهاجم فيها كوبا قائلة ان كوبا « تؤمن فقط بالثورة » (٣) وان الثورة الكوبية « ليست نموذجا بالقدر الذي هي به حالة شاذة في طريق الثورة » (٤) . وخلال الأزمة الكاريبية في خريف عام ١٩٦٢ ، بررت طغمة تيتو العدوان الأميركي الاستعماري قائلة « ان المصاعب قد بدأت عندما جرحت الثورة الكوبية مشاعر الشركات الأميركية » (٥) ، وانه « اذا قيل ان الولايات المتحدة قد أثيرت حفيظتها بانشاء قواعد صاروخية في كوبا ، في جوارها القريب ، فهذا أمر مفهوم » (٦) .

من كل هذه الشواهد ، لا يعجز الناس عن رؤية أن طغمة تيتو خلال العشرة أعوام السابقة وأكثر قد عارضت بصورة يائسة الأقطار الاشتراكية ، وحاولت نسف حركة التحرر الوطني ، وأساءت الى النضال الثوري المعادي للاستعمار والذي قامت به الشعوب في جميع الأقطار ، وخدمت بنشاط الاستعمار ولاسيما الاستعمار الأميركي .

---

(١) « بوربا » ، ٢٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٠ .
(٢) « بوليتيكا » ، ٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٩ .
(٣) « التمرد في كوبا » ، نشر في بلغراد ، نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٢ .
(٤) « بوليتيكا » ، ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣ .
(٥) « كوميونست » ، ١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢ .
(٦) « بوليتيكا » ، ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٢ .

لقد قال خروشوف مرارا ان هناك « اجماعا » و« اتفاقا » (١) بين قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي وبين طغمة تيتو في مواقفهما المتعلقة بالقضايا الدولية . حسنا اذن ، نود أن نسأل : ما اذا كان هناك اجماع واتفاق بين نشاطاتكم والجرائم المعادية للثورة التي ارتكبتها طغمة تيتو ؟ تفضلوا بالاجابة اذا كانت لديكم الجرأة !

كيف تتحلل ديكتاتورية البروليتاريا وتصبح ديكتاتورية للبرجوازية

في التحليل النهائي فان حقيقة أن الرأسمالية اجتاحت يوغوسلافيا في المدن والريف معا ، وتحلل اقتصاد يملكه الشعب كله الى اقتصاد دولة رأسمالي ، وانحدار يوغوسلافيا الى ذيل للاستعمار الأميركي ، تعزى كلها الى تحلل الحزب وتحلل السلطة السياسية في يوغوسلافيا .

ان الحزب الشيوعي اليوغوسلافي والشعب اليوغوسلافي اللذين حاربا ببطولة ضد المعتدين الفاشست الألمان والايطاليين خلال الحرب العالمية الثانية ، قد أطاحا بالحكم الرجعي للاستعمار وعملائه في يوغوسلافيا وأسسا سلطة الشعب الديمقراطية الواقعة تحت ديكتاتورية البروليتاريا .

ولم يمض وقت طويل على هذا حتى خانت الجماعة القائدة في الحزب الشيوعي اليوغوسلافي الماركسية اللينينية وسلكت سبيل التحريفية

---

(١) كلمة خروشوف في حشد جماهيري بمدينة سبليت في يوغسلافيا ، ٢٤ أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

مما أدى الى التحلل التدريجي للحزب وسلطة الدولة في يوغوسلافيا .

لقد كان للحزب الشيوعي اليوغوسلافي تقليد مجيد في النضالات الثورية . وقد واجهت خيانة طغمة تيتو بادىء الأمر مقاومة عنيفة في داخل الحزب . وبغرض كبت هذه المقاومة استخدمت طغمة تيتو سلطتها لطرد عدد كبير من الشيوعيين المخلصين للماركسية اللينينية وتطهير الحزب منهم . وخلال الفترة ما بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٢ وحدها طرد أكثر من مائتي ألف عضو ، أي نصف عضوية الحزب الشيوعي اليوغوسلافي الأصلية . وتحت ستار مقاومة من أسمتهم بـ « عناصر الكومنفورم » اعتقلت وذبحت أعدادا كبيرة من الماركسيين اللينينيين والملاكات الثورية والناس الثوريين ، حتى أن عدد الشيوعيين والثوريين النشطين الذين اعتقلوا وسجنوا فقط زاد على ثلاثين ألفا . وفي الوقت ذاته فتحت طغمة تيتو الباب على مصراعيه للمعادين للثورة والعناصر البرجوازية وجميع العناصر المعادية للاشتراكية والنفعيين الذين ينشدون المراكز والثروة عن طريق بطاقات عضويتهم . وفي نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٢ أعلنت طغمة تيتو أن « تسمية الحزب لم تعد ملائمة » ، وغيرت اسم الحزب الشيوعي اليوغوسلافي الى رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف . وعلى النقيض من مشيئة جميع الشيوعيين الشرفاء اليوغوسلاف ، غيرت طبيعة الحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذي هو طليعة البروليتاريا وجعلت رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف أداة حقيقية للمحافظة على حكمها الديكتاتوري .

ان سلطة الدولة في الأقطار الاشتراكية تقع تحت قيادة الأحزاب الشيوعية السياسية . وبانحطاط حزب شيوعي الى حزب برجوازي سياسي يتحتم أن تتحلل سلطة الدولة من كونها ديكتاتورية البروليتاريا الى

ديكتاتورية للبرجوازية .

ان ساطة دولة ديكتاتورية البروليتاريا في يوغوسلافيا كانت ثمرت النضال البطولي الطويل الذي خاضه الشعب اليوغوسلافي . ولكن بارتداد طغمة تيتو تغيرت طبيعة سلطة الدولة هذه :

لقد أعلنت طغمة تيتو « أن وسائل ديكتاتورية البروليتاريا الثورية ، أي نظام الدولة الاشتراكي ، لم تعد ضرورية بصورة متزايدة » (١) .

ولكن أ لم تعد هناك ديكتاتورية في يوغوسلافيا بعد ذلك ؟ بلى ، هنالك ديكتاتورية . حقا لا توجد ديكتاتورية للبروليتاريا بعد ذلك ، انما توجد ديكتاتورية برجوازية ، ليس هذا وحسب بل ديكتاتورية فاشستية قاسية أيضا .

لقد أقام حكم تيتو عددا كبيرا من السجون ومعسكرات الاعتقال الفاشستية حيث جرى تعذيب عشرات الألوف من الثوريين حتى الموت بكل شكل من أشكال التعذيب اللاانساني . وفي نفس الوقت عفا الحكم التيتوي عن عدد كبير من المعادين للثورة والخونة في الحرب المضادة للفاشستية . وفي ٧ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٥١ اعترف تيتو في اجابة على سؤال وجهه أحد مراسلي وكالة أنباء اليونايتدبرس بأن ١١٠٠٠ من المسجونين السياسيين تم العفو عنهم في يوغوسلافيا . وفي ١٣ مارس (آذار) عام ١٩٦٢ تم العفو أيضا عن ١٥٠٠٠٠ آخرين من المعادين للثورة والذين كانوا يعيشون في المنفى خارج البلاد . ان الديكتاتورية

---

(١) كاردل : « الدستور الجديد ليوغسلافيا الاشتراكية » ، « بوربا » ، ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢ .

على أعداء الشعب هؤلاء قد آزيلت بالفعل ، وقد أحرزوا « الديمقراطية » . ولكن مهما استخدمت طغمة تيتو من ألفاظ جميلة طنانة فان «ديمقراطيتها» ما هي الا ديمقراطية للعدد الصغير من العناصر البرجوازية القديمة والجديدة ، أما بالنسبة للشغيلة فانها ديكتاتورية ظاهرا وباطنا . لقد حولت طغمة تيتو جهاز الدولة الثوري الذي بني في يوغوسلافيا وقتا ما بغرض قمع الأقلية الضئيلة من المستغلين ، الى جهاز دولة لقمع البروليتاريا والجماهير الواسعة من الشغيلة .

ان تحلل سلطة الدولة في يوغوسلافيا لم يحدث عن طريق الاطاحة بسلطة الدولة الأصلية بالعنف وتأسيس سلطة جديدة للدولة ، بل حدث عن طريق « التحويل السلمي » . وبينما يبقى نفس الأشخاص في الحكم في المظهر ، الا أنهم في الجوهر لم يعودوا يمثلون مصالح العمال والفلاحين والشغيلة الآخرين ، بل أصبحوا يمثلون مصالح الاستعمار والبرجوازية القديمة والجديدة في يوغوسلافيا .

وباستخدام طغمة تيتو سلطة الدولة وبسيطرتها على عصب حياة البلاد الاقتصادي قامت باستغلال الشغيلة اليوغوسلافيين الى أقصى حد ممكن وأظهرت الى الوجود طبقة من الرأسماليين البيروقراطيين . وباعتماد هذه الطبقة على الاستعمار الأميركي أصبحت ذات صفة كمبرادورية قوية في طبيعتها كما هي أيضا طبقة رأسمالية كمبرادورية . ان سلطة الدولة التي تسيطر عليها طغمة تيتو هي سلطة ديكتاتورية هذه البرجوازية البيروقراطية ــ الكمبرادورية .

ان الحقائق السالفة الذكر توضح من أوجه مختلفة أن السياسة التي يسير عليها حكم تيتو هي سياسة لاستعادة الرأسمالية وتطويرها وبالتحديد

هي سياسة اعادة تحويل يوغوسلافيا الى شبه مستعمرة أو قطر تابع .

ان تحلل سلطة الدولة في يوغوسلافيا قاد الى تحطيم النظام الاقتصادي الاشتراكي والى استعادة النظام الاقتصادي الرأسمالي . وعندما تظهر برجوازية بيروقراطية ـ كمبرادورية جديدة الى الوجود بالتدريج ، بسبب اعادة تأسيس النظام الاقتصادي الرأسمالي في شكل جديد ، تطالب بتدعيم ديكتاتورية البرجوازية وبتطوير نظام سياسي يلائم النظام الاقتصادي الرأسمالي حتى يمكنها تدعيم مركزها الحاكم .

هذه هي الطريقة التي تمت بها عملية تحلل الحزب وسلطة الدولة واعادة الرأسمالية الى النظام الاجتماعي والاقتصادي بأكمله خطوة خطوة في يوغوسلافيا . وقد استمرت عملية التحلل هذه لمدة خمس عشرة سنة . وهذا هو السجل الذي يبين كيف « تتحول » دولة اشتراكية بصورة « سلمية » وتصبح دولة رأسمالية .

ان طغمة تيتو تحافظ على حكمها في يوغوسلافيا بالاعتماد على مساندة الاستعمار الأميركي ، وعلى جهاز الدولة لديكتاتورية البرجوازية البيروقراطية ـ الكمبرادورية ، وعلى الأرستقراطية العمالية التي ابتاعتها هذه الطغمة ، وعلى الفلاحين الأغنياء في الريف . وتستخدم في نفس الوقت وسائل مختلفة ماكرة لاخفاء قسماتها الرجعية ولخداع الشعب . الا أن سياساتها الرجعية غير مرغوب فيها الى أبعد الحدود . اذ أن تحلل الدولة الاشتراكية وتحولها الى دولة رأسمالية ، وتحلل قطر مستقل وتحوله الى قطر شبه مستعمر أو الى تابع للاستعمار ، كان ذلك يسير على النقيض من المصالح الأساسية للشعب اليوغوسلافي ، ولا يقابل الا بمعارضة جميع الشيوعيين الشرفاء اليوعوسلاف والأغلبية الساحقة من شعب يوغوسلافيا .

اننا نعطف عطفا عظيما على الشعب اليوغوسلافي وعلى الشيوعيين اليوغوسلاف في محنتهم الراهنة . وبالرغم من أن طغمة تيتو بوسعها أن تركب على ظهر الشعب لفترة من الزمن ، الا أننا على ثقة بأنه مهما اتخذت جماعة حاكمة من اجراءات تعسفية ومهما لجأت الى وسائل الخداع لا يمكن أن تتوصل الى نهاية طيبة اذا وقفت ضد الشعب . وهذا ينطبق على طغمة تيتو بالطبع أيضا . ان الشعب المخدوع لا بد أن يصحو بالتدريج في النهاية . وان شعب يوغوسلافيا وشيوعييها الذين لهم تاريخ مجيد سوف لا يستسلمون مدى الأبد الى طغمة تيتو المرتدة . ان مستقبل الشعب اليوغوسلافي مستقبل ساطع .

الموقف المبدئي للحزب الشيوعي الصيني حول مسألة يوغوسلافيا

تدعي الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي أنه لفترة ما « لم تراود قادة الحزب الشيوعي الصيني الشكوك حول طبيعة النظام الاشتراكي في يوغوسلافيا » ، وأن القادة الصينيين الآن « قد غيروا موقفهم فيما يتعلق بمسألة يوغوسلافيا بصورة هائلة » .

حقا ان يوغوسلافيا كانت دولة اشتراكية في يوم من الأيام . وتقدم ذلك القطر لفترة على طريق الاشتراكية .

الا أنه بعد مدة قصيرة من ذلك ، نظرا لخيانة طغمة تيتو ، بدأ النظام الاجتماعي اليوغوسلافي يتحلل خطوة فخطوة .

وعندما اقترح خروشوف في عام ١٩٥٤ تحسين العلاقات مع

يوغوسلافيا وافقنا على معاملتها معاملة قطر اشتراكي شقيق بغرض كسبها مرة أخرى الى طريق الاشتراكية ومراقبة كيف تتطور طغمة تيتو .

ولكن حتى في ذلك الوقت لم يكن لدينا أمل كبير في طغمة تيتو . ولهذا كتبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في رسالتها الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بتاريخ ١٠ يونيو (حزيران) عام ١٩٥٤ مشيرة الى أنه يجب اعتبار حقيقة أنه طالما قطع قادة يوغوسلافيا شوطا بعيدا في تعاملهم مع الاستعمار قد يرفضون جهودنا لكسبهم ويرفضون العودة الى طريق الاشتراكية . و« لكن حتى اذا حدث هذا فان هذا سوف لا يسبب أي خسارة سياسية لمعسكر السلم والديمقراطية والاشتراكية ، وعلى النقيض من ذلك فان هذا سوف يفضح نفاق القادة اليوغوسلاف فضحا أكثر ، أمام شعب يوغوسلافيا وشعوب العالم . »

انه لسوء الحظ أن برهنت كلماتنا كلها على صدقها ! وفي الحقيقة رفضت طغمة تيتو رفضا كليا مساعينا لكسبها وتمادت أبعد فأبعد في طريق التحريفية .

وبعد أن رفضت طغمة تيتو توقيع تصريح عام ١٩٥٧ ، وضعت برنامجها التحريفي ظاهرا وباطنا في عام ١٩٥٨ ، ووضعت هذا البرنامج الذي هو عبارة عن راية للتحريفية المعاصرة ضد تصريح عام ١٩٥٧ الذي هو البرنامج المشترك المعترف به من قبل جميع الأحزاب الشيوعية والعمالية . وقد تم تحقيق عملية اعادة الرأسمالية الى يوغوسلافيا خطوة فخطوة . أما من ناحية عالمية فقد أصبحت طغمة تيتو تخدم بنشاط أكثر وأكثر كفصيلة خاصة معادية للثورة تابعة للاستعمار الأميركي .

في مثل هذه الظروف لم يعد الموقف الذي يتخذه كل حزب ماركسي لينيني تجاه طغمة تيتو هو نفس الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه حزب شقيق أو قطر شقيق ، كما لا يجب أن يكون موقفا لكسب طغمة تيتو مرة أخرى ، بل يجب أن يكون موقفا يكشف عصابة المرتدين هذه كشفا تاما ويناضل ضدها نضالا حازما . لقد قدم بيان عام ١٩٦٠ حكمه الواضح حول هذه النقطة .

لقد تحاشت عن عمد الرسالة المفتوحة التي نشرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي سلسلة من الحوادث الهامة التي وقعت بعد اجتماع الأحزاب الشقيقة في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٧ كما تحاشت أيضا النتائج التي تم الوصول اليها بالاجماع في اجتماع الأحزاب الشقيقة عام ١٩٦٠ ، وحاولت الدفاع عن الموقف الخاطىء الذي وقفته قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي باقتطاف جملة من الافتتاحية التي كتبتها صحيفة « جينمينجيباو » حول يوغوسلافيا في ١٢ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٥٧ . ان هذا لا جدوى منه .

ان الحقائق تبرهن على أن موقفنا تجاه طغمة تيتو ينطبق مع الواقع وهو موقف قائم على المبدأ ، يتمشى مع الاتفاق المشترك لاجتماع الأحزاب الشقيقة في عام ١٩٦٠ ، الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي حاولوا بألف طريق وطريق قلب الحكم الصادر على طغمة تيتو ، الأمر الذي يشهد بخيانتهم للماركسية اللينينية وبتخليهم عن بيان عام ١٩٦٠ وبتقديمهم المساعدة للاستعمار الأميركي وعملائه في خداع الشعب اليوغوسلافي وشعوب العالم أجمع .

هل تيتو « أزال أخطاءه »
أم أن خروشوف يعتبر تيتو معلما له ؟

يقول خروشوف ان القادة اليوغوسلاف قد أزالوا كثيرا مما كان يعتبر خاطئا . الا أن التيتويين لا يعترفون بأنهم ارتكبوا أي خطأ ناهيك عن الاعتراف بأنهم أزالوه . يقول التيتويون انهم « ليسوا بحاجة » (١) لاصلاح أي خطأ وانه « سيكون مضيعة للوقت فقط » (٢) و« أمرا لا حاجة اليه وسخيفا » (٣) أن يتوقع ذلك منهم .

لننظر الى الحقائق . هل غير التيتويون برنامجهم التحريفي ؟ كلا . لم يغيروه . هل قبلوا تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ ؟ كلا . لم يقبلوهما . هل غيروا سياساتهم التحريفية الداخلية والخارجية ؟ كلا مرة أخرى .

ان الدستور الجديد الذي أجازه مجلس الشعب الاتحادي اليوغوسلافي في ابريل (نيسان) عام ١٩٦٣ يوضح كل الوضوح أن طغمة تيتو لم تغير شيئا من موقفها التحريفي . وهذا الدستور هو التجسيد الشرعي لبرنامج طغمة تيتو التحريفي ظاهرا وباطنا . قال أدفارد كاردل في تقريره حول مشروع الدستور الجديد انه « التجسيد الشرعي السياسي والتنظيمي » لمفاهيم برنامج رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف .

---

(١) كلمة تيتو في محطة سكة الحديد في بلغراد ، ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٢ .

(٢) كلمة تيتو في المؤتمر السابع لعصبة الشيوعيين اليوغسلاف ، أبريل (نيسان) ١٩٥٨ .

(٣) كلمة تيتو في محطة سكة الحديد في بلغراد ، ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٢ .

ان خروشوف يتودد الى طغمة تيتو بحرارة كشقيق لا لأنها أصلحت أيا من أخطائها ، بل لأنه يسير على خطى تيتو .

لنفحص الحقائق الآتية :

أولا : يشجب تيتو ستالين لكي يعارض الماركسية اللينينية في صميم مبادئها الأساسية . وخروشوف ينكر ستالين انكارا تاما لنفس الغرض .

ثانيا : ان تيتو وخروشوف معا ينكران النظريات الأساسية للماركسية اللينينية ، ويعيران الشيوعيين الصينيين وغيرهم من الشيوعيين الذين يتمسكون بالماركسية اللينينية ويصفانهم بأنهم « أصحاب العقيدة الجامدة » ، ويصفان تحريف نفسيهما للماركسية اللينينية بأنه « تطوير خلاق » للماركسية اللينينية .

ثالثا : ان تيتو وخروشوف معا يطبلان لرئيس الاستعمار الأميركي . لقد قال تيتو ان أيزنهاور « رجل يصون السلم بجد واجتهاد » (١) وان جهود كندي « ستساعد على تحسين العلاقات الدولية وعلى تسوية القضايا العالمية الملحة تسوية سلمية » (٢) ، وقال خروشوف ان لأيزنهاور « رغبة مخلصة في السلم » (٣) وان كندي « يظهر الاهتمام بصيانة السلم » (٤) .

---

(١) حديث تيتو الى معلق صحيفة « نيويورك تايمس » ، ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٥٨ .

(٢) برقية تهنئة أرسلها تيتو الى ج . ف . كندي ، « بوربا » ، ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٦١ .

(٣) كلمة خروشوف في دورة مجلس السوفيات الاعلى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ، مايو (أيار) ١٩٦٠ .

(٤) رسالة خروشوف الى ج . ف . كندي ، ٢٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٢ .

رابعا : ان تيتو وخروشوف معا يروجان للفزع من الحرب النووية بغرض ادخال الرعب في قلوب شعوب العالم حتى تتخلى عن النضالات الثورية . فيقول تيتو ، حالما تنشب حرب نووية فانها ستكون « القضاء التام على البشرية » (١) . ويقول خروشوف بالمثل ، حالما تنشب حرب نووية « سنحطم سفينتنا ــ سفينة نوح ، أي الكرة الأرضية » (٢) .

خامسا : ان تيتو وخروشوف معا يبشران بأن عالما بلا أسلحة ولا جيوش ولا حروب يمكن احداثه وما زال الاستعمار باقيا .

سادسا : تعلن عصبة تيتو أن « التعايش السلمي الايجابي » هو « حجر الزاوية » (٣) لسياسة يوغوسلافيا الخارجية . بينما يعلن خروشوف أن « التعايش السلمي » هو « الخط العام للسياسة الخارجية (٤) التي يسير عليها الاتحاد السوفياتي .

سابعا : يعلن تيتو وخروشوف معا أن امكانية « الانتقال السلمي من الرأسمالية الى الاشتراكية » قد زادت . فتقول طغمة تيتو « ان البشرية تدخل الى عهد الاشتراكية بطرق مختلفة وبصورة واسعة ولا تقاوم »(٥) .

---

(١) تقرير تيتو الى دورة المجلس الوطني الشعبي الفيدرالي ليوغسلافيا ، ١٩ ابريل (نيسان) ١٩٥٨ .

(٢) كلمة خروشوف في اجتماع الجمعية النمساوية السوفياتية ، ٢ يوليو (تموز) ١٩٦٠ .

(٣) تقرير بابوفيتش حول السياسة الخارجية الى دورة المجلس الوطني الشعبي الفيدرالي ليوغسلافيا ، « بوربا » ، ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٥٧ .

(٤) التقرير الملخص لأعمال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الذي ألقاه خروشوف الى المؤتمر العشرين للحزب ، فبراير (شباط) ١٩٥٦ .

(٥) برنامج عصبة الشيوعيين اليوغسلاف .

ويقول خروشوف ان طريق ثورة أكتوبر يمكن وضع « الطريق البرلماني » محله .

ثامنا : يروج تيتو لتطبيق « الامتزاج السياسي والاقتصادي »(١) للعالم عن طريق « المباراة السلمية » . وخروشوف يدعو أيضا الى « التعاون في جميع الوجوه » مع الاستعمار عن طريق « المباراة الاقتصادية السلمية » .

تاسعا : تقوم طغمة تيتو بنسف حركة التحرر الوطني وحروب التحرر الوطني من كل الجوانب . وخروشوف يعارض حركة التحرر الوطني وحروب التحرر الوطني تحت ستار أن « أي "حرب محلية" صغيرة قد تؤدي الى حريق حرب عالمية » (٢) .

عاشرا : ان طغمة تيتو نبذت ديكتاتورية البروليتاريا . ونبذ خروشوف أيضا ديكتاتورية البروليتاريا تحت شعار « دولة كل الشعب » .

حادي عشر : تنكر طغمة تيتو أن يكون الحزب الشيوعي طليعة الطبقة العاملة . وبالمثل يقول خروشوف ان الحزب الشيوعي السوفياتي قد « أصبح حزبا لكل الشعب » (٣) .

ثاني عشر : تقوم طغمة تيتو تحت شعار « عدم التكتل » بمعارضة المعسكر الاشتراكي . ويقول خروشوف أيضا ان « تعابير مثل الكتل

---

(١) أجوبة تيتو على أسئلة بيرسون مراسل صحيفة « واشنطن بوست د » ، بيرسون ، « بوربا » ، ١٢ أغسطس (آب) ١٩٦٢ .

(٢) كلمة خروشوف في المؤتمر الصحفي في فيينا ، ٨ يوليو (تموز) ١٩٦٠ .

(٣) تقرير حول برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي القاه خروشوف الى المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦١ .

وهكذا ما هي الا ظواهر موقتة » (١) : وهكذا يريدان معا القضاء على المعسكر الاشتراكي .

من هذه الحقائق السالفة لا بد أن يصل المرء الى نتيجة أن خروشوف يعتبر تيتو بالفعل معلما له فيما يتعلق بالسياسة الداخلية والخارجية معا ، كما ينزلق بشدة في منحدر التحريفية في أعقاب تيتو .

لقد هجر خروشوف الماركسية اللينينية ومزق بيان عام ١٩٦٠ وتمرغ في الوحل مع طغمة تيتو المرتدة ، ضاربا عرض الحائط تماما بمصالح الاتحاد السوفياتي والشعب السوفياتي ومصالح شعوب العالم قاطبة . غير أن الشعب السوفياتي العظيم والأغلبية الساحقة من أعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي والملاكات في المستويات المختلفة ، الذين لهم جميعا تقاليد ثورية مجيدة ، سوف لا يسمحون بهذا مطلقا .

ان الشعب السوفياتي العظيم وأعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي سوف لا يوافقون مطلقا على وقوف خروشوف مع طغمة تيتو لمعارضة الأحزاب الشقيقة التي تتمسك بالماركسية اللينينية .

ان الشعب السوفياتي العظيم وأعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي سوف لا يوافقون مطلقا على وقوف خروشوف مع طغمة تيتو وعلى تعاونه مع الاستعمار لمعارضة الصين وألبانيا لاشتراكيتين وغيرهما من الأقطار الشقيقة ولتحطيم المعسكر الاشتراكي .

---

(١) مقابلة خروشوف مع الصحفيين الأجانب في بريونين، يوغوسلافيا ، ٢٨ أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

ان الشعب السوفياتي العظيم وأعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي سوف لا يوافقون مطلقا على وقوف خروشوف مع طغمة تيتو وعلى تعاونه مع رجعيي مختلف الأقطار لمعارضة شعوب العالم ولمعارضة الثورة .

ان الشعب السوفياتي العظيم وأعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي سوف لا يوافقون مطلقا على مساعي خروشوف للاقتداء بالمحرفين اليوغوسلاف ولتغيير طبيعة الحزب والدولة وتمهيد الطريق لاستعادة الرأسمالية .

لقد تسبب خروشوف في اثارة سحب سوداء في سماء الاتحاد السوفياتي – أول قطر اشتراكي في العالم . الا أن هذا لا يُعدّ الا فاصلا صغيرا في تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي والاتحاد السوفياتي . ان الناس الذين يخدعون ويغرون لفترة من الزمن سوف يصحون بالتدريج عاجلا أو آجلا . لقد أثبت التاريخ وسوف يواصل اثبات أن كل من يريد رد الشعب السوفياتي عن سيره الى أمام ليس هو الا الجندب الذي حاول ايقاف المركبة كما ورد في احدى القصص .

انه سوف لا ينجح أبدا في قصده .

تلخيص مقتضب

ان استعادة الرأسمالية في يوغوسلافيا تقدم درسا تاريخيا جديدا للحركة الشيوعية العالمية .

ويوضح لنا هذا الدرس أنه بعد استيلاء الطبقة العاملة على السلطة يستمر النضال الطبقي بين البرجوازية والبروليتاريا ، يستمر النضال من أجل النصر بين طريقي الرأسمالية والاشتراكية ، وما زال هناك خطر

استعادة الرأسمالية . ان يوغوسلافيا تقدم نموذجا لاستعادة الرأسمالية .

ويوضح لنا هذا الدرس أنه ليس من الممكن وحسب أن يقع أحد أحزاب الطبقة العاملة تحت سيطرة أرستقراطية عمالية ويتحلل ويصبح حزبا برجوازيا وتابعا للاستعمار قبل أن يستولي على السلطة ، بل حتى بعد استيلائه على السلطه من الممكن أن يقع تحت سيطرة العناصر البرجوازية الجديدة ويتحلل ويصبح حزبا برجوازيا وتابعا للاستعمار . ان رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف تقدم نموذجا لهذا التحلل .

ويوضح لنا هذا الدرس أن استعادة الرأسمالية في بلد اشتراكي هو أمر ممكن ولا يلزم أن يكون ذلك عن طريق انقلاب معاد للثورة أو غزو مسلح استعماري ، بل يمكن ذلك أيضا عن طريق تحلل الجماعة القائدة في ذلك القطر . ان أسهل السبل للاستيلاء على قلعة ما هو من الداخل . ان يوغوسلافيا تقدم نموذجا لهذه الحالة .

ويوضح لنا هذا الدرس أن التحريفية هي نتاج السياسة الاستعمارية . وقد نشأت التحريفية القديمة عن السياسة الاستعمارية — سياسة شراء وتدعيم أرستقراطية عمالية . والتحريفية المعاصرة قد نشأت بنفس الطريقة . وقد بذل الاستعمار الآن كل ثمن غال ومد نطاق عملياته لشراء الجماعات القيادية في الأقطار الاشتراكية ولتحقيق سياسته المحبوبة — سياسة « التحويل السلمي » عن طريقها . ان الاستعمار الأميركي يعتبر يوغوسلافيا « الكبش الذي يتقدم القطيع » ، لأنها كانت المثال الأول في هذا الصدد .

ان استعادة الرأسمالية في يوغوسلافيا ستمكن جميع الماركسيين اللينينيين من الرؤية بوضوح أكثر ، وتمكن الناس من الادراك بصورة

أعمق للضرورة الملحة لمقاومة التحريفية المعاصرة .

يتضح أنه طالما ظل الاستعمار في الوجود ، ليس هنالك من أساس للقول ان خطر استعادة الرأسمالية في الأقطار الاشتراكية قد تم القضاء عليه .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعلنون بضجة وصخب أنهم قد قضوا على خطر استعادة الرأسمالية وأنهم يقومون الآن ببناء الشيوعية . واذا كان هذا صحيحا فلا شك أنه أمر يدعو الى السرور . الا أننا نرى أنهم يقلدون بالفعل يوغوسلافيا في كل شيء وأنهم قد سلكوا سبيلا من أخطر السبل . وهذا يثير قلقنا وألمنا العظيمين .

وانطلاقا من حبنا العظيم للاتحاد السوفياتي العظيم والحزب الشيوعي السوفياتي العظيم ، نود أن نتوجه بالنداء الصادق التالي الى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : أيها الرفاق والأصدقاء ، لا تسيروا أبدا في طريق يوغوسلافيا . أتركوه الآن ، والا لفات الوقت !

مدافعون
عن الحكم الاستعماري الجديد

ـــ تعليق رابع على الرسالة المفتوحة
للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

بقلم هيئتي تحرير صحيفة « جينمينجيباو »
ومجلة « العلم الأحمر »
(٢٢ أكتوبر "تشرين الأول" ١٩٦٣)

لقد انتشرت عاصفة ثورية عظمى منذ الحرب العالمية الثانية في كل آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية . وقد أعلن الاستقلال في أكثر من خمسين قطرا آسيويا وافريقيا ، وانطلقت الصين والفيتنام وكوريا وكوبا في طريق الاشتراكية . وهكذا تغير وجه آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية تغيرا هائلا .

وبينما أصيبت الثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات بنكسات خطيرة بعد الحرب العالمية الأولى بسبب قمع المستعمرين وعملائهم ، تغير الوضع تغيرا أساسيا بعد الحرب العالمية الثانية . ولم يعد باستطاعة المستعمرين أن يطفئوا نيران التحرر الوطني الكاسحة . ان نظام حكمهم الاستعماري القديم يتحلل بسرعة ، وأصبحت مؤخرتهم جبهة أمامية تشتعل بالنضالات المعادية للاستعمار وقد أطيح بسيطرة الاستعمار في بعض المستعمرات والبلدان التابعة ، وفي البعض الآخر أصيبت بضربات قوية أخذت تتأرجح من هولها . ومما هو محتم أن يضعف حكم الاستعمار بفعل هذا ويهتز في أقطاره نفسها .

ان انتصارات ثورات الشعوب في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، الى جانب ظهور المعسكر الاشتراكي ، تزف أنشودة النصر في أيامنا وعصرنا الراهن .

ان عاصفة ثورة الشعوب في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية تتطلب من كل قوة سياسية في العالم أن تتخذ تجاهها موقفا . وبينما تبعث

هذه العاصفة الثورية العظمى الرعب في قلوب المستعمرين والحكام الاستعماريين فيرتجفون هلعا تبعث السرور والفرح في قلوب الشعوب الثورية في العالم . يقول المستعمرون والحكام الاستعماريون « ان هذه مخيفة ، مخيفة ! » وتقول الشعوب الثورية « انها جميلة ، جميلة ! » ان المستعمرين والحكام الاستعماريين يقولون « انها تمرد ، وممنوعة . » ولكن الشعوب الثورية تقول « انها ثورة ، وهي من حق الشعب ، كما أنها تيار تاريخي لا يقاوم . »

ان أحد الخطوط الفاصلة الهامة بين الماركسيين اللينينيين من جانب والمحرفين المعاصرين من الجانب الآخر هو الموقف الذي يتخذه كل من الجانبين تجاه هذه القضية التي أصبحت في أقصى درجات الحدة في السياسات العالمية المعاصرة . ان الماركسيين اللينينيين يقفون بحزم الى جانب الأمم المضطهَدة ، ويؤيدون حركة التحرر الوطني تأييدا نشيطا . أما المحرفون المعاصرون فهم يقفون في الواقع مع المستعمرين والحكام الاستعماريين وينكرون ويقاومون حركة التحرر الوطني بكل وسيلة ممكنة .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لا يجرءون في أقوالهم على نبذ شعارات التأييد لحركة التحرر الوطني نبذا تاما ، وفي بعض الأحيان يذهبون الى درجة اتخاذ اجراءات معينة من شأنها أن تخلق مظهرا للتأييد خدمة لمصالحهم الخاصة . ولكن اذا فحصنا جوهر آرائهم وسياساتهم خلال عدد من السنين لوجدنا أن موقفهم تجاه نضالات التحرر للأمم المضطهَدة في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية اما هو موقف سلبي أو موقف استخفاف أو استنكار ، وأنهم يخدمون كمدافعين عن الحكم الاستعماري الجديد .

في الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٦٣ وفي عدد من المقالات والتصريحات ، بذل رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي جهودا كبيرة للدفاع عن آرائهم الخاطئة ، ولمهاجمة الحزب الشيوعي الصيني حول مسألة حركة التحرر الوطني . ولكن الحصيلة الوحيدة لذلك كانت برهانا جديدا على موقف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، المعادي للماركسية اللينينية والمعادي للثورة حول هذه المسألة .

لننظر الى نظرية قادة الحزب الشيوعي السوفياتي وأعمالهم فيما يتعلق بحركة التحرر الوطني .

إلغاء مهمة مناهضة الاستعمار والحكم الاستعماري

لقد أحرزت حركة التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية انتصارات ذات أهمية تاريخية عظمى حتى الآن . وهذا ما لا يستطيع أحد أن ينكره . ولكن هل يستطيع أحد القول ان شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية قد أدت مهمة مناهضة الاستعمار والحكم الاستعماري وعملائهما أداءا تاما ؟

ان جوابنا هو ، لا . ان هذه المهمة الكفاحية لا تزال بعيدة عن الأداء التام .

ومع ذلك فان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد نشروا مرارا الرأي القائل بأن الحكم الاستعماري قد اختفى أو انه أخذ في الاختفاء من عالم اليوم . وهم يؤكدون « ان هناك شعوبا تعدادها خمسون مليونا على

وجه الأرض لا تزال تئن تحت سيطرة الحكم الاستعماري » (١) ، وأن بقايا الحكم الاستعماري توجد فقط في أماكن مثل أنغولا وموزامبيق البرتغاليتين في افريقيا ، وأن الغاء الحكم الاستعماري قد دخل فعلا « المرحلة النهائية » (٢) .

فما هي الحقائق ؟

تفحصوا أولا الوضع في آسيا وافريقيا . فهناك مجموعة من البلدان قد أعلنت استقلالها . ولكن العديد من هذه البلدان لم يتخلص تماما من سيطرة وعبودية الاستعمار والحكم الاستعماري ، ولا يزال هدفا للنهب والعدوان الاستعماريين وحلبة للصراع بين الحكام الاستعماريين القدامى والجدد . ففي بعض هذه البلدان تغير الحكام الاستعماريون القدامى الى حكام استعماريين جدد ، ومازالوا يحافظون على حكمهم الاستعماري عن طريق عملائهم المدربين . وفي البعض الآخر ، خرج الذئب من الباب الأمامي ، ولكن النمر دخل من الباب الخلفي ، اذ استبدل الحكم الاستعماري القديم بالجديد أي الحكم الاستعماري الأميركي الأكثر قوة والأكبر خطرا . ان مخالب الحكم الاستعماري الجديد ، متمثلا بالاستعمار الأميركي ، تهدد شعوب آسيا وافريقيا تهديدا عظيما .

---

(١) خطاب ميرزو تورسان زادة ، رئيس الوفد السوفياتي الى مؤتمر التضامن لشعوب آسيا وأفريقيا ، ٥ فبراير (شباط) ١٩٦٣ .

(٢) تقرير حول برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي ألقاه خروشوف الى المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١ .

ثم استمعوا الى صوت شعوب أميركا اللاتينية .

يقول بيان هافانا الثاني : « ان أميركا اللاتينية اليوم ترسف في أغلال استعمار هو أقوى بكثير من الامبراطورية الاستعمارية الاسبانية وأشد منها قسوة ووحشية . »

ويضيف :

« منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أو زارها . . . تجاوزت الأموال التي توظفها الولايات المتحدة العشرة مليارات من الدولارات ، اضافة الى أن أميركا اللاتينية هي مورد للمواد الأولية الرخيصة وسوق للمنتجات الغالية الثمن . »

ثم يستطرد البيان القول :

« . . . تتدفق أموال أميركا اللاتينية باستمرار الى الولايات المتحدة بنسبة تبلغ حوالي ٤٠٠٠ دولار في الدقيقة ، أو ٥ ملايين دولار في اليوم ، أو ملياري دولار في السنة ، فيكون المجموع ١٠ مليار دولار في كل خمس سنوات ، ومقابل كل ألف دولار ينهبونها منا يخلفون لنا جثة واحدة . جثة بألف دولار ، هذا هو ثمن ما يسمى بالاستعمار . »

ان الحقائق واضحة . ولم يتخل المستعمرون ، بعد الحرب العالمية الثانية ، عن الحكم الاستعماري بكل تأكيد ، ولكنهم فقط تبنوا شكلا جديدا هو الحكم الاستعماري الجديد . ان احدى المميزات الهامة لمثل هذا الحكم الاستعماري الجديد هي أن المستعمرين قد

أجبروا على تغيير أسلوبهم القديم ـ أسلوب الحكم الاستعماري المباشر في بعض المناطق واتباع أسلوب جديد في الحكم والاستغلال الاستعماريين بالاعتماد على العملاء الذين اختاروهم ودربوهم لهذا الغرض . ان المستعمرين برئاسة الولايات المتحدة يسيطرون أو يستعبدون البلدان المستعمَرة والبلدان التي أعلنت استقلالها وذلك عن طريق تنظيم الكتل العسكرية ، وانشاء القواعد العسكرية ، واقامة « الاتحادات » أو « المجموعات » ، وتدعيم الأنظمة القرقوزية . كما أنهم ، عن طريق « المعونة » الاقتصادية أو الأشكال الأخرى ، يبقون هذه البلدان أسواقا لبضائعهم ، ومصادر للمواد الأولية ، ومنافذ لتصدير رؤوس أموالهم كما ينهبون ثرواتها ويمتصون دماء شعوبها . وبالاضافة لذلك يستخدمون الأمم المتحدة كأداة هامة للتدخل في الشؤون الداخلية لمثل هذه البلدان ولممارسة العدوان العسكري والاقتصادي والثقافي عليها . وعندما يعجزون عن مواصلة حكمهم لهذه البلدان بالوسائل « السلمية » يلجأون الى تدبير الانقلابات العسكرية ، ويقومون بالأعمال الهدامة الى حد اللجوء الى التدخل والعدوان المسلحين المباشرين .

ان الولايات المتحدة أشد نشاطا ومكرا في دفع الحكم الاستعماري الجديد . وبهذا السلاح يحاول المستعمرون الأميركيون جاهدين الاستيلاء على مستعمرات المستعمرين الآخرين ومناطق نفوذهم ، وبسط سيطرتهم العالمية .

ان الحكم الاستعماري الجديد هو حكم استعماري أشد وبالا وشرا .

اننا نود أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي كيف يمكن القول في مثل هذه الأحوال ان الغاء الحكم الاستعماري قد دخل

فعلا « المرحلة النهائية » ؟

لقد بلغ التهور بقادة الحزب الشيوعي السوفياتي درجة أنهم أصبحوا ينشدون العون من بيان عام ١٩٦٠ في محاولتهم دعم هذه الأكاذيب. فهم يقولون ، ألا يذكر بيان عام ١٩٦٠ عملية التحلل العنيفة لنظام الحكم الاستعماري ؟ ولكن هذا الاستنتاج الوارد في البيان حول التحلل السريع للحكم الاستعماري القديم لا يمكن بأي حال أن يخدم حجتهم حول اختفاء الحكم الاستعماري . فالبيان يشير بوضوح الى أن « الولايات المتحدة الأميركية هي الحصن الرئيسي للحكم الاستعماري الراهن » ، والى أن « المستعمرين ، وعلى رأسهم الولايات المتحدة ، يبذلون جهودا يائسة للحفاظ على الاستغلال الاستعماري لشعوب المستعمرات القديمة بأساليب جديدة وبأشكال جديدة » ، والى أنهم « يحاولون ابقاء قبضتهم على شرايين السيطرة الاقتصادية والنفوذ السياسي في بلدان آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية » . وبهذه العبارات يفضح البيان بالضبط ما يبذل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جهدهم لستره .

لقد ابتكر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أيضا النظرية التي تقول بأن حركة التحرر الوطني قد دخلت « مرحلة جديدة » محورها المهمات الاقتصادية . وحجتهم هي أنه بينما « كان النضال في السابق أساسا في المجال السياسي » أصبحت القضية الاقتصادية اليوم « المهمة المركزية » و « الحلقة الأساسية في دفع تطور الثورة » (١) .

نعم ، ان حركة التحرر الوطني قد دخلت مرحلة جديدة ، لكنها

---

(١) « الذي يضر بنضال شعوب البلدان » ، « البرافدا » ، ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٣ .

ليست بأي حال « المرحلة الجديدة » التي وصفها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي . ففي هذه المرحلة الجديدة ارتفع مستوى الوعي السياسي للشعوب الآسيوية والافريقية والأميركية اللاتينية الى درجة لم تسبق من قبل ، كما ان الحركة الثورية تندفع اليوم قدما بقوة لم يسبق لها مثيل ، وان هذه الشعوب تطالب ملحة باستئصال قوى الاستعمار وعملائه في بلدانها استئصالا تاما ، وتكافح في سبيل استقلال سياسي واقتصادي تامين . ان المهمة الأولية والملحة التي تواجه هذه البلدان لا تزال هي دفع تطوير النضال ضد الاستعمار والحكم الاستعماري القديم والجديد وعملائهم . ولا يزال هذا النضال جاريا بعنف في الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والايديولوجية وغيرها . ولا تزال النضالات في هذه الميادين تجد أقوى تعبير لها في النضال السياسي ، الذي كثيرا ما يتطور بلا محالة الى نضال مسلح عندما يلجأ المستعمرون الى القمع المسلح المباشر أو غير المباشر . من المهم جدا للبلدان المستقلة حديثا أن تطور اقتصادها المستقل ولكن يجب ألا يفصل هذا الواجب أبدا عن النضال ضد الاستعمار والحكم الاستعماري القديم والجديد وعملائهم .

ان نظرية « المرحلة الجديدة » هذه التي يدافع عنها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، مثل نظرية « اختفاء الحكم الاستعماري » التي يروجونها ، يقصد بها بوضوح تبييض النهب والعدوان اللذين يباشرهما الحكم الاستعماري الجديد المتمثل بالولايات المتحدة في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، وستر التناقضات الحادة بين الاستعمار والأمم المضطهَدة ، وشل النضال الثوري لشعوب هذه القارات .

ووفقا لنظريتهم هذه ، فان الكفاح ضد الاستعمار والحكم الاستعماري القديم والجديد وعملائهم ، لم يعد بالطبع ضروريا ، لأن الحكم الاستعماري أخذ يختفي وأصبح التطور الاقتصادي الواجب الرئيسي لحركة التحرر الوطني . واذا اتبع المرء هذا المنطق ألا يصل الى نتيجة أنه يمكن الاستغناء تماما عن حركة التحرر الوطني ؟ لهذا السبب فان مثل « المرحلة الجديدة » التي وصفها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، والتي تحتل فيها المهام الاقتصادية مركز الصدارة لا تعني بوضوح غير عدم مقاومة الاستعمار والحكم الاستعماري القديم والجديد وعملائهم ، انها مرحلة لم تعد فيها حركة التحرر الوطني مرغوبا فيها .

وصفات لالغاء ثورة الأمم المضطهدة

لقد ابتكر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، تمشيا مع « نظرياتهم » المغلوطة وبعد جهد جهيد ، عددا من الوصفات (الروشتات) لعلاج جميع علل الأمم المضطهَدة . فدعنا نتفحصها الآن .

تسمى الوصفة الأولى بالتعايش السلمي والمباراة السلمية .

كثيرا ما عزا قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جميع الانتصارات الكبرى لحركة التحرر الوطني التي أحرزتها الشعوب الآسيوية والافريقية والأميركية اللاتينية بعد الحرب الى ما يدعونه بـ « التعايش السلمي » و« المباراة السلمية » . فالرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تقول :

« في ظروف التعايش السلمي ، سجلت انتصارات هامة جديدة خلال السنوات الأخيرة في النضال الطبقي للبروليتاريا وفي نضال الشعوب من أجل الحرية الوطنية . ان التطور الثوري العالمي يسير بنجاح . »

ويقولون أيضا ان حُركة التحرر الوطني « تتطور في ظروف التعايش السلمي بين البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة وفي ظروف المباراة الاقتصادية بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين » (١) ، وان التعايش السلمي والمباراة السلمية « تساعدان على تعجيل عملية تحرر الشعوب المكافحة لتحرير نفسها من السيطرة الاحتكارات الأجنبية » (٢) ، وانهما تستطيعان توجيه « ضربة ساحقة » الى « نظام العلاقات الرأسمالية بأسره » (٣) .

على جميع الأقطار الاشتراكية أن تمارس السياسة اللينينية للتعايش السلمي بين الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة . ولكن التعايش السلمي والمباراة السلمية لا يمكن قط أن يحلا محل النضالات الثورية للشعوب . ان انتصار الثورة الوطنية لجميع المستعمرات والبلدان التابعة يجب كسبه في الأساس عن طريق النضال الثوري لجماهير

---

(١) « الخط العام للحركة الشيوعية العالمية و الخطة الانقسامية للقادة الصينيين » ، افتتاحية مجلة « كوميونيست » ، موسكو ، عدد ١٤ ، ١٩٦٣ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) بونوما ريوف : « بعض مشاكل الحركة الثورية » ، مجلة « القضايا للسلم والاشتراكية » عدد ١٢ ، ١٩٦٢ .

هذه البلدان نفسها ، هذا النضال الذي لا يمكن أن يستعاض عنه بأي نضال للبلدان الأخرى .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعتقدون بأن انتصارات الثورة التحررية الوطنية لا تنتج في الأساس عن النضالات الثورية للجماهير ، وأن الشعوب لا يمكن أن تحرر نفسها ، وأنه يجب عليها أن تنتظر الانهيار الطبيعي للاستعمار عبر التعايش السلمي والمباراة السلمية . ويعادل هذا في الواقع مطالبة الأمم المضطَهدة أن تسكت على النهب والاستعباد الاستعماريين الى الأبد وأن لا تنهض للمقاومة والثورة .

أما الوصفة الثانية فتسمى بمساعدة البلدان المتخلفة .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يفاخرون بالدور الذي تلعبه مساعدتهم الاقتصادية للأقطار المستقلة حديثا . فقد قال الرفيق خروشوف ان بوسع مساعدة كهذه أن تجعل هذه البلدان « تتجنب خطر استعباد جديد » ، وأن « تدفع تقدمها وتساهم في تطورها الطبيعي وحتى في دفع سرعة العمليات الداخلية التي قد تأخذ هذه البلدان في الطريق الرئيسي الذي يقود الى الاشتراكية » (١) .

من الضروري والمهم بالنسبة الى البلدان الاشتراكية أن تقدم للبلدان المستقلة حديثا مساعدة اقتصادية على أساس الأممية . ولكن لا يجوز بأية حال أن يقال ان استقلال هذه البلدان الوطني وتقدمها الاجتماعي يعزيان فقط للمساعدة الاقتصادية التي تتسلمها من الأقطار

---

(١) خروشوف : « مسائل ملحة حول تطور النظام الاشتراكي العالمي » ، مجلة « القضايا للسلم والاشتراكية » ، عدد ٩ ، ١٩٦٢

الاشتراكية ولا يعزيان بشكل رئيسي للنضالات الثورية لشعوبها بالذات .

لنقل بصراحة ، ان سياسة المساعدة للبلدان المستقلة حديثا التي سار عليها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في السنوات الأخيرة والغرض منها هما موضع شك وريبة . اذ أنهم كثيرا ما يتخذون موقف تعصب الدولة الكبيرة ، وموقف الأنانية القومية في المسائل المتعلقة بمساعدة البلدان المستقلة حديثا ، ويضرون بالمصالح الاقتصادية والسياسية للبلدان التي تتسلم مساعدتهم ، الأمر الذي حط بسمعة الأقطار الاشتراكية . أما بالنسبة لمساعدتهم للهند ، فهنا تتضح على وجه الخصوص دوافعهم الخفية . ان الهند تأتي في رأس قائمة البلدان المستقلة حديثا التي يقدم لها الاتحاد السوفياتي مساعدة اقتصادية . هذه المساعدة يقصد بها بوضوح تشجيع حكومة نهرو في سياساتها الموجهة ضد الشيوعية وضد الشعب وضد الأقطار الاشتراكية . وحتى المستعمرين الأميركيين قد ذكروا أن مثل هذه المساعدة السوفياتية « تتفق جدا ومصلحتنا (أي مصلحة الولايات المتحدة) » (١) .

وبالاضافة الى ذلك يقترح قادة الحزب الشيوعي السوفياتي علنا التعاون مع الاستعمار الأميركي في « تقديم المساعدة للبلدان المتخلفة » ، فقد قال خروشوف في خطاب ألقاه في الولايات المتحدة في شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٥٩ :

« ان نجاحاتكم ونجاحاتنا الاقتصادية سيثني عليها كل

(١) حديث هاريمان مع الصحفيين في مقابلة اذاعية تلفيزيونية ، ٩ ديسمبر (كانون الأرل) ١٩٦٢ .

العالم الذي يتوقع من دولتينا العظيمتين مساعدة الشعوب المتخلفة قرونا في تطورها الاقتصادي لتنهض على أرجلها بسرعة أكثر . »

انظروا ! ان الحصن الرئيسي للحكم الاستعماري المعاصر (على وجه التحديد الاستعمار الأميركي) سيساعد الأمم المضطهدة « لتنهض على أرجلها بسرعة أكثر » ! انه لمما يثير الدهشة حقا ، ألا يريد قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فقط أن يكونوا شركاء مع الحكم الاستعماري الجديد بل يفتخرون في أن يصبحوا كذلك .

وتسمى الوصفة الثالثة بنزع السلاح .

لقد قال خروشوف :

« ان نزع السلاح يعني نزع سلاح قوى الحرب وازالة العسكرية واستبعاد التدخل المسلح في الشؤون الداخلية لأي بلد والقضاء تماما ونهائيا على جميع أشكال الحكم الاستعماري . » (١)

وقال أيضا :

« ان نزع السلاح سيخلق ظروفا مناسبة لزيادة هائلة في نطاق المساعدة للدول الوطنية التي تأسست حديثا . واذا ما خُصص لغرض هذه المساعدة مجرد ثمانية الى عشرة بالمئة من الـ ١٢٠ مليارا من الدولارات التي تصرف على الأغراض العسكرية في العالم

---

(١) كلمة خروشوف في المؤتمر العالمي لنزع السلاح العام والسلم ، ١٠ يوليو (تموز) ١٩٦٢.

قاطبة فسيكون من الممكن القضاء على الجوع والمرض والأمية في المناطق الفقيرة في الكرة الأرضية خلال عشرين عاما . » (١)

لقد كان رأينا دائما أن النضال من أجل نزع السلاح العام يجب أن يشن من أجل فضح ومقاومة توسع التسلح الاستعماري والاستعدادات الحربية الاستعمارية . ولكن لا يجوز لأحد أن يقول ان الحكم الاستعماري سيستأصل عن طريق نزع السلاح .

ان خروشوف يردد هنا كالواعظ . أيتها الشعوب المغلوبة على أمرها في العالم ، بورك فيك ! ولتهبط عليك شآبيب الرحمة ! لو أنك فقط تتذرعين بالصبر وتنتظرين حتى يلقي المستعمرون سلاحهم ، فلا شك أن الحرية ستهبط عليك . انتظري حتى يبدي المستعمرون الرحمة فتصبح مناطق العالم المنكوبة بالفقر جنة على الأرض تفيض لبنا وعسلا ! ...

ان هذا ليس دعما للأوهام وحسب ، بل أفيون لتخدير الشعوب .

وتسمى الوصفة الرابعة باستئصال الحكم الاستعماري عن طريق الأمم المتحدة .

ان خروشوف يعتقد بأن الأمم المتحدة لو اتخذت اجراءات لاجتثاث نظام الحكم الاستعماري ، « لمكّنت الشعوبَ التي تقاسي الآن من الاذلال الناتج عن السيطرة الأجنبية من أن تحرز مستقبلا باهرا وقريبا في التحرر السلمي من الاضطهاد الأجنبي » (١) .

---

(١) كلمة خروشوف في المؤتمر العالمي لنزع السلاح العام والسلم ، ١٠ يوليو (تموز) ١٩٦٢ .

(٢) كلمة خروشوف في الدورة العامة للأمم المتحدة ، ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٠ .

لقد تساءل خروشوف في خطابه في الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦٠ ، « ومَن غير هيئة الأمم المتحدة بوسعه أن يقف في مقدمة المناضلين لازالة الحكم الاستعماري ؟ »

ان هذا سؤال غريب يوجه ! فوفقا لرأي خروشوف لا يجب على الشعوب الثورية في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، وليس في وسعها ، أن تستأصل بنفسها الحكم الاستعماري بل عليها أن تتطلع الى الأمم المتحدة للمساعدة .

لقد قال خروشوف أيضا في الجمعية العامة للأمم المتحدة :

« وهذا هو ما يحدونا لأن نهيب بحكمة وبعد نظر شعوب الأقطار الغربية ، وبحكوماتها وممثليها في هذه الجمعية المهيبة للأمم المتحدة . دعنا نتفق على خطوات معينة لالغاء نظام الحكم الاستعماري ، وبذلك ندفع بعملية تحلله التاريخية الطبيعية الى أمام . »

من الواضح أن ما يعنيه حقا بالتطلع الى الأمم المتحدة للمساعدة هو تطلع الى مساعدة المستعمرين . ان الحقائق تظهر أن الأمم المتحدة التي لا تزال تحت سيطرة المستعمرين تستطيع فقط صيانة وتعزيز سيطرة الحكم الاستعماري ، ولكنها لا تستطيع أبدا الغاءه .

وبايجاز ، ان وصفات قادة الحزب الشيوعي السوفياتي المقدمة لحركة التحرر الوطني قد استنبطت لحمل الشعوب على الاعتقاد بأن المستعمرين سيتخلون عن الحكم الاستعماري ويهبون الحرية والتحرر للأمم والشعوب المضطهَدة ولذلك فان جميع النظريات والمطالب

والنضالات الثورية قد فات أوانها وليست ضرورية وينبغي بل يجب أن يتخلى عنها وتطرح جانبا .

مقاومة حروب التحرر الوطني

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، مع أنهم يتحدثون حول تأييد حركات وحروب التحرر الوطني ، ظلوا يحاولون بكل الوسائل حمل شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية على التخلي عن نضالاتها الثورية ، لأنهم أنفسهم يرتجفون خوفا وهلعا في وجه العاصفة الثورية .

ان لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي « النظرية » الشهيرة التي تقول « وحتى شرارة صغيرة بمقدورها أن تسبب حريقا عالميا » (١) وان أي حرب عالمية لابد وأن تكون حربا حرارية نووية ، الأمر الذي يعني فناء الجنس البشري . ولهذا يجأر خروشوف بأن « " الحروب المحلية " في عهدنا الحاضر خطيرة جدا » (٢) ، وان « علينا أن نعمل جاهدين . . . لنطفيء الشرارات التي يحتمل أن تشعل لهيب الحرب » (٣) . وهكذا فان خروشوف لا يميز قط بين الحروب

---

(١) تقرير خروشوف الى دورة مجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٩ .

(٢) كلمة خروشوف في المؤتمر الصحفي في فيينا ، ٨ يوليو (تموز) ١٩٦٠ .

(٣) أجوبة خروشوف على أسئلة الصحفيين في النادي الصحفي الوطني للولايات المتحدة في واشنطن ، ١٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٩ .

العادلة وغير العادلة ويخون الموقف الشيوعي ، موقف تأييد الحروب العادلة .

ان تاريخ الثمانية عشر عاما منذ الحرب العالمية الثانية قد أظهر أن حروب التحرر الوطني لا يمكن تجنبها طالما أن المستعمرين وعملاءهم يحاولون المحافظة على حكمهم الوحشي بحرابهم ويستخدمون القوة لقمع ثورة الأمم المضطهدة . ان هذه الحروب الواسعة النطاق والضيقة النطاق ضد المستعمرين وعملائهم ، والتي لم تتوقف أبدا ، كانت ضربات قوية وُجّهت لقوى الحرب الاستعمارية ، وعززت القوى التي تدافع عن السلام العالمي ، ومنعت المستعمرين بشكل فعال عن تحقيق خطتهم لشن حرب عالمية . واذا تحدثنا بصراحة ، فان تقولات خروشوف حول ضرورة « اطفاء » شرارات الثورة من أجل السلام هي محاولة لمقاومة الثورة باسم صيانة السلام .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، انطلاقا من آرائهم وسياساتهم المغلوطة هذه ، لا يطالبون جميع الأمم المضطهدة بأن تتخلى عن نضالها الثوري للتحرر ، وأن « تتعايش سلميا » مع المستعمرين والحكام الاستعماريين وحسب ، بل بلغ بهم الحد درجة الوقوف الى جانب المستعمرين ، واستخدام مختلف الأساليب لاطفاء شرارات الثورة في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية .

خذوا مثلا حرب الشعب الجزائري الوطنية التحررية . ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لم يمتنعوا عن تقديم التأييد لحرب الشعب الجزائري الوطنية التحررية لفترة طويلة وحسب بل وقفوا في الواقع الى جانب الاستعمار الفرنسي . فقد اعتبر خروشوف استقلال الجزائر

الوطني « قضية داخلية » فرنسية . لقد قال متحدثا عن القضية الجزائرية في ٣ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٥٥ : « لقد اعتبرت ولا أزال أعتبر قبل كل شيء أن الاتحاد السوفياتي لا يتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى . » وقال لدى استقباله لمراسل صحيفة « فيغارو » الفرنسية في ١٩ مارس (آذار) عام ١٩٥٨ : « اننا لا نريد أن تصبح فرنسا ضعيفة ، اننا نريدها أن تصبح أعظم مما هي عليه . »

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي من أجل التزلف الى المستعمرين الفرنسيين لم يجرءوا على الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لفترة طويلة ، ولم يسارعوا بالاعتراف بالجزائر الا بعد أن تحقق نهائيا انتصار حرب مقاومة الشعب الجزائري ضد العدوان الفرنسي وأجبرت فرنسا على الموافقة على استقلال الجزائر . ان هذا المسلك غير المشرف قد جلب العار للأقطار الاشتراكية . ومع ذلك فان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يمجدون عارهم ويزعمون بأن نصر الشعب الجزائري الذي دفع دمه ثمنا له يجب أن يعزى أيضا لسياسة « التعايش السلمي » .

دعنا نتفحص مرة أخرى الدور الذي لعبه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في مسألة الكونغو . فهم لم يرفضوا منح التأييد النشط لنضال الشعب الكونغولي المسلح ضد الحكم الاستعماري وحسب ، بل كانوا تواقين « للتعاون » مع الاستعمار الأميركي في اطفاء الشرارة في الكونغو .

ففي ١٣ يوليو (تموز) عام ١٩٦٠ ، انضم الاتحاد السوفياتي الى الولايات المتحدة في التصويت على قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة حول ارسال قوات الأمم المتحدة الى الكونغو ، وهكذا ساعد

المستعمرين الأميركيين على استخدام علم الأمم المتحدة في تدخلهم المسلح في الكونغو ، وفضلا عن ذلك زود الاتحاد السوفياتي قوات الأمم المتحدة بوسائل النقل . وقد قال خروشوف في برقية بعث بها الى كازافوبو ولومومبا في ١٥ يوليو (تموز) : « ان مجلس الأمن للأمم المتحدة قد قام بعمل مفيد . » ومن ثم اندفعت الصحافة السوفياتية في سيل من المدح تكيله للأمم المتحدة « لمساعدتها حكومة جمهورية الكونغو للدفاع عن استقلال وسيادة البلاد » (١) ، وعبرت عن الأمل بأن تتخذ الأمم المتحدة « اجراءات حازمة » (٢) . وواصلت الحكومة السوفياتية في بيانيها في ٢١ أغسطس (آب) ، و١٠ سبتمبر (أيلول) مدح الأمم المتحدة التي كانت تقمع الشعب الكونغولي .

وفي عام ١٩٦١ أقنع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جيزنجا بحضور اجتماع البرلمان الكونغولي المنعقد تحت « حماية » قوات الأمم المتحدة وبالانضمام الى الحكومة القرقوزية . وقد ادعت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي كذبا وبهتانا ان انعقاد البرلمان الكونغولي كان « حدثا هاما في حياة الجمهورية الفتية » و « نجاحا للقوى الوطنية » (٣) .

وهكذا يظهر بوضوح أن هذه السياسات الخاطئة لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد قدمت للاستعمار الأميركي خدمة كبرى في عدوانه على الكونغو . فقد قتل لومومبا ، وسجن جيزنجا ، واضطهد

---

(١) صحيفة « الازفستيا » ، ٢١ يوليو (تموز) ١٩٦٠ .

(٢) « كوسومولسكايا برافدا » ، ٣٠ يوليو (تموز) ١٩٦٠ .

(٣) « البرافدا » ، ١٨ يوليو (تموز) ١٩٦١ .

العديد من الوطنيين الآخرين ، كما ان النضال الكونغولي في سبيل الاستقلال الوطني قد أصيب بنكسة . أفلا تشعر قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي بأي مسئولية تجاه كل هذا ؟

المناطق التي تتركز فيها التناقضات العالمية الراهنة

انه لأمر طبيعي محض أن رفضت الشعوب الثورية في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية أقوال وأفعال قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ضد حركات وحروب التحرر الوطني . ولكن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لم يستخلصوا الدرس اللازم ولم يغيروا خطهم الخاطىء وسياساتهم المغلوطة . وبدلا من ذلك ، فقد استشاطوا غيظًا للاهانة التي لحقت بهم ، فشنوا سلسلة من الهجمات والافتراءات ضد الحزب الشيوعي الصيني والأحزاب الماركسية اللينينية الأخرى .

ان الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تتهم الحزب الشيوعي الصيني بأنه يدفع قدما « نظرية جديدة » وتقول :

« ... ووفقا للنظرية الجديدة فان التناقض الأساسي في عصرنا هو ، على ما يظهر ، التناقض لا بين الاشتراكية والاستعمار ، بل بين حركة التحرر الوطني والاستعمار . وفي رأي الرفاق الصينيين أن القوة الحاسمة في النضال ضد الاستعمار ليست النظام الاشتراكي العالمي ولا نضال الطبقة العاملة العالمية ، بل حركة التحرر الوطني اياها . »

ان هذا تزييف في المقام الأول . فقد أشرنا في رسالتنا المؤرخة في ١٤ يونيو (حزيران) الى أن التناقضات الأساسية في العالم المعاصر هي التناقض بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الاستعماري والتناقض بين البروليتاريا والبرجوازية في الأقطار الرأسمالية. والتناقض بين الأمم المضطهَدة والاستعمار والتناقضات فيما بين الأقطار الاستعمارية وفيما بين الجماعات الرأسمالية الاحتكارية .

وقد أشرنا كذلك الى أن التناقض بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الاستعماري هو تناقض بين النظامين الاجتماعيين المختلفين أساسيا — الاشتراكي والرأسمالي وهو بدون أدنى شك تناقض حاد جدا . ولكن يجب على الماركسيين اللينينيين ألا يعتبروا أن التناقضات في العالم تتكون ببساطة من التناقض القائم بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الاستعماري فقط .

ان رأينا لبيّن واضح جدا .

لقد أوضحنا في رسالتنا في ١٤ يونيو (حزيران) الوضع الثوري في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية وأهمية ودور حركة التحرر الوطني . وهذا ما قلنا :

١ — « ان مناطق آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية الواسعة هي المناطق التي تتجمع فيها مختلف أنواع التناقضات في العالم المعاصر ، والاستعمار أضعف ما يكون سيطرة في هذه المناطق ، وهي مراكز عواصف الثورة العالمية التي تسدد الآن الضربات المباشرة الى الاستعمار . »

٢ — « ان الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية في هذه المناطق وحركة الثورة الاشتراكية العالمية هما التياران التاريخيان العظيمان في

عهدنا الحاضر . »

٣ — « ان الثورة الوطنية الديمقراطية في هذه المناطق هي جزء هام من الثورة البروليتارية العالمية المعاصرة . »

٤ — « ان النضالات الثورية المعادية للاستعمار التي تخوضها شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية تدك وتقوض أسس سيطرة الاستعمار والحكم الاستعماري القديم والجديد بقوة وهي الآن قوة جبارة لصيانة سلام العالم . »

٥ — « لذلك وبمعنى محدد ، فان قضية الثورة البروليتارية العالمية برمتها تدور على النضالات الثورية لشعوب هذه المناطق التي تشكل الأغلبية الساحقة من سكان العالم . »

٦ — « لذلك فان النضالات الثورية المعادية للاستعمار التي تخوضها شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ليست قطعا أمرا ذا مغزى اقليمي ولكنها أمر ذو أهمية عامة بالنسبة الى قضية الثورة البروليتارية العالمية بأكملها . »

هذه هي الاستنتاجات الماركسية اللينينية والأحكام التي تم التوصل اليها بواسطة التحليل العلمي انطلاقا من حقائق عصرنا .

لا يستطيع أحد أن ينكر أن وضعا ثوريا مؤاتيا للغاية موجود اليوم في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية . ان ثورات التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية اليوم هي أهم القوى التي تكيل ضربات مباشرة للاستعمار . كما أن التناقضات في العالم تتركز في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية .

ان مركز التناقضات العالمية والنضالات السياسية العالمية ليس

ثابتا بل يتنقل مع التغيرات في النضالات العالمية والوضع الثوري . ونحن نعتقد أنه مع تطور التناقض والنضال بين البروليتاريا والبرجوازية في أوروبا الغربية وأميركا الشمالية – معاقل الرأسمالية ومواطن قلب الاستعمار ، سيحين اليوم الحاسم في المعركة . وعندما يحل ذلك اليوم ستصبح أوروبا الغربية وأميركا الشمالية بدون شك مركز النضالات السياسية العالمية والتناقضات العالمية .

لقد قال لينين في عام ١٩١٣ : « . . . ان مصدرا جديدا للعواصف العالمية الكبرى قد ظهر في آسيا . . . اننا نعيش اليوم في عصر العواصف هذا و " انعكاساتها " على أوروبا . » (١)

وقال ستالين عام ١٩٢٥ :

« ان البلدان المستعمرة تشكل المؤخرة الأساسية للاستعمار . واندلاع الثورة في هذه المؤخرة لا بد له أن يقوض الاستعمار ليس بمعنى أن الاستعمار سيجرد من مؤخرته وحسب بل بمعنى أن اندلاع الثورة في الشرق كذلك لا بد أن يكون له أثر قوي على تشديد الأزمة الثورية في الغرب . » (٢)

أمن الممكن أن تكون أقوال لينين وستالين هذه خاطئة ؟ هذه الاستنتاجات التي وضعاها كانت منذ أمد طويل من أبجديات الماركسية اللينينية . ومن الواضح أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الذين يصممون

---

(١) لينين : « مصير النظرية الماركسية التاريخي » .

(٢) ستالين : « حول حركة الثورة في الشرق » .

على التقليل من شأن حركة التحرر الوطني ، لا بد أن يتجاهلوا تماما أبجديات الماركسية اللينينية والحقائق الواضحة التي هي تحت أبصارهم .

تشويه الرأي اللينيني حول القيادة في الثورة

تهاجم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، في رسالتها المفتوحة في ١٤ يوليو (تموز) أيضا رأي الحزب الشيوعي الصيني حول مسألة القيادة البروليتارية في حركة التحرر الوطني .

فهي تقول :

« ... ان الرفاق الصينيين يريدون " تصحيح " لينين والبرهان على أن القيادة في النضال العالمي ضد الاستعمار يجب أن لا تكون للطبقة العاملة ، بل للبرجوازية الصغيرة أو البرجوازية الوطنية ، وأحيانا حتى لـ " بعض الملوك والأمراء والارستقراطيين ذوي الأفكار الوطنية " . »

ان هذا لتشويه مقصود الآراء الحزب الشيوعي الصيني .

فعند مناقشة ضرورة اصرار البروليتاريا على قيادة حركة التحرر الوطني تقول رسالة للجنة المركزيـة للحزب الشيوعي الصيني في ١٤ يونيو (حزيران) :

« ان التاريخ ألقى على عواتق الأحزاب البروليتارية في هذه المناطق (أي آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية) رسالة مجيدة هي أن ترفع عاليا راية النضال ضد الاستعمار وضد الحكم الاستعماري

القديم والجديد وفي سبيل الاستقلال الوطني والديمقراطية الشعبية ، وأن تقف في مقدمة الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية ، وأن تكافح من أجل مستقبل اشتراكي . »

. . . .

« وينبغي للبروليتاريا وحزبها أن يوحدا على أساس التحالف بين العمال والفلاحين جميع الفئات التي يمكن توحيدها وأن ينظما جبهة متحدة واسعة ضد الاستعمار وأتباعه . ومن أجل تعزيز وتوسيع هذه الجبهة المتحدة من الضروري أن يحتفظ الحزب البروليتاري باستقلاله الايديولوجي والسياسي والتنظيمي وأن يصر على قيادة الثورة . »

ولدى التطرق الى ضرورة اقامة جبهة متحدة واسعة معادية للاستعمار في حركة التحرر الوطني تقول رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني :

« تواجه الأمم والشعوب المضطهدة في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية المهمة الملحة مهمة مكافحة الاستعمار وأتباعه . »

. . . .

« ان أقساما واسعة جدا من السكان في هذه المناطق ترفض أن تصير عبيدا للاستعمار ، وهي لا تشمل العمال والفلاحين والمثقفين والبرجوازيين الصغار وحسب ، بل تشمل أيضا البرجوازيين المحليين الوطنيين وحتى بعض الملوك والأمراء والارستقراطيين الوطنيين . »

ان آراءنا واضحة تماما . فمن الضروري في حركة التحرر الوطني الاصرار على كل من قيادة البروليتاريا ، واقامة جبهة متحدة واسعة معادية للاستعمار . فما وجه الخطأ في هذه الآراء ؟ ولماذا تشوه وتهاجم قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي هذه الآراء الصحيحة ؟

لسنا نحن الذين تخلينا عن آراء لينين حول قيادة البروليتاريا في الثورة بل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم الذين تخلوا عنها .

ان الخط المغلوط لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي يتخلى عن واجب مكافحة الاستعمار والحكم الاستعماري تخليا تاما ويعارض حروب التحرر الوطني معارضة تامة . وهذا يعني أنه يتطلب من البروليتاريا والأحزاب الشيوعية للأمم والبلدان المضطهدة أن تطوي رايتها الوطنية للنضال ضد الاستعمار وفي سبيل الاستقلال الوطني وأن تسلمها للآخرين . واذا كان هذا هو الحال فكيف يمكن للمرء أن يجرؤ على الحديث عن جبهة متحدة معادية للاستعمار أو عن قيادة بروليتارية ؟

وهناك فكرة طالما دعا لها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مرارا وهي أنه بوسع قطر ما أن يبني الاشتراكية تحت أي قيادة كان نوعها حتى اذا كانت تشتمل على قومي رجعي كنهرو . وهذا أمر بعيد كل البعد عن فكرة القيادة البروليتارية .

ان الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تفسر تفسيرا خاطئا العلاقة الصحيحة للتأييد المتبادل التي يجب أن تقوم بين المعسكر الاشتراكي وحركة الطبقة العاملة في الأقطار الرأسمالية من جهة وبين حركة التحرر الوطني من الجهة الأخرى مدعية أن الأقطار الاشتراكية وحركة الطبقة العاملة في الأقطار المتروبوليتانية

يجب أن « تقود » حركة التحرر الوطني . وقد بلغت بها الجرأة درجة الادعاء بأن هذا « يقوم على أساس » آراء لينين حول القيادة البروليتارية . ومن الواضح أن هذا تشويه كامل وتحريف تام لأفكار لينين ، ويكشف أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يريدون فرض خطهم القاضي بالغاء الثورة على الحركة الثورية للأمم المضطهدة .

طريق القومية الضيقة والتحلل

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يحاولون في رسالتهم المفتوحة في ١٤ يوليو (تموز) الصاق تهمة « عزل حركة التحرر الوطني عن الطبقة العاملة العالمية ووليدها النظام الاشتراكي العالمي » بالحزب الشيوعي الصيني . وهم يتهموننا أيضا بـ « فصل » حركة التحرر الوطني عن النظام الاشتراكي وحركة الطبقة العاملة في الأقطار الرأسمالية الغربية وبـ « وضع » الأولى في مجابهة الأخيرتين . وهناك شيوعيون آخرون ، أمثال قادة الحزب الشيوعي الفرنسي ، يرددون بصوت مرتفع أقوال قادة الحزب الشيوعي السوفياتي .

ولكن ما هي الحقائق ؟ ان الذين يضعون حركة التحرر الوطني في موضع معارض للمعسكر الاشتراكي وحركة الطبقة العاملة في الأقطار الرأسمالية الغربية ليسوا غير قادة الحزب الشيوعي السوفياتي وأتباعهم ، الذين لا يمتنعون عن تأييد حركة التحرر الوطني وحسب بل يقاومونها أيضا .

لقد كان رأي الحزب الشيوعي الصيني دائما هو أن النضالات الثورية لجميع الشعوب تؤيد بعضها البعض . ونحن ننظر دائما لحركة

التحرر الوطني من وجهة النظر الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية ومن وجهة نظر الثورة البروليتارية العالمية ككل . ونحن على يقين بأن التطور المظفر لثورة التحرر الوطني أمر في أعظم درجات الأهمية للمعسكر الاشتراكي ولحركة الطبقة العاملة في الأقطار الرأسمالية ولقضية صيانة السلم العالمي .

ولكن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي واتباعهم يرفضون الاعتراف بهذه الأهمية . فهم يتحدثون فقط عن التأييد الذي يمنحه المعسكر الاشتراكي لحركة التحرر الوطني وينكرون التأييد الذي تمنحه حركة التحرر الوطني للمعسكر الاشتراكي . انهم يقصرون حديثهم على دور حركة الطبقة العاملة في الأقطار الرأسمالية الغربية في توجيه الضربات للاستعمار ويقللون من دور حركة التحرر الوطني في هذا الصدد أو ينكرونه انكارا تاما . ان موقفهم هذا يناقض الماركسية اللينينية ولا يعتبر الحقائق ولهذا فهو خاطىء .

ان مسألة أي موقف يتخذ تجاه العلاقة بين الأقطار الاشتراكية وثورة الأمم المضطهدة وتجاه العلاقة بين حركة الطبقة العاملة في الأقطار الرأسمالية وثورة الأمم المضطهدة تتضمن مبدأ هاما هو ما اذا كان يجب التمسك بالماركسية اللينينية والأممية البروليتارية أم لا .

فوفقا للماركسية اللينينية والأممية البروليتارية ، يجب على كل قطراشتراكي أحرز النصر في ثورته أن يؤيد ويساعد بنشاط نضالات التحرر التي تخوضها الأمم المضطهدة . كما يجب على الأقطار الاشتراكية أن تغدو قواعد لتأييد وتطوير ثورة الأمم والشعوب المضطهدة في جميع أنحاء العالم ، وأن تشكل أوثق تحالف معها وتسير بالثورة

البروليتارية العالمية قدما حتى النهاية .

ولكن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعتبرون فعلا أن انتصار الاشتراكية في قطر واحد أو عدة أقطار هو نهاية للثورة البروليتارية العالمية . انهم يريدون أن يخضعوا ثورة التحرر الوطني لخطهم العام للتعايش السلمي ، وللمصالح القومية لبلادهم نفسها .

فعندما حارب ستالين في عام ١٩٢٥ دعاة التصفية الذين كان يمثلهم التروتسكيون والزينوفييفيون اشار الى أن احدى المميزات الخطيرة لنزعة التصفية هي :

« ... فقدان الثقة بالثورة البروليتارية العالمية ، وفقدان الثقة بنصرها ؛ وموقف الريبة والتشكك ازاء حركة التحرر الوطني في المستعمرات والبلدان التابعة ... والعجز عن فهم المطلب الأولي للأممية الذي يقضي بأن انتصار الاشتراكية في بلد واحد ليس نهاية في حد ذاته ، بل هو وسيلة لتطوير وتأييد الثورة في البلدان الأخرى » (١) .

وأضاف :

« ان هذا هو طريق القومية الضيقة والتحلل ، طريق التصفية التامة للسياسة الأممية للبروليتاريا ، لأن الناس المصابين بهذا المرض يعتبرون أن بلدنا ليس جزءا من الكل الذي يطلق عليه

---

(١) ستالين : « أسئلة وأجوبة » .

الحركة الثورية العالمية ولكن يعتبرونه بداية ونهاية هذه الحركة ، معتقدين أنه تجب التضحية بمصالح جميع البلدان الأخرى في سبيل مصالح بلادنا .» (١)

وقد وصف ستالين خط تفكير دعاة التصفية كما يلي :

« هل نؤيد حركة التحرر في الصين ؟ لكن لماذا ؟ أو لن يكون ذلك محفوفا بالمخاطر ؟ أو لن يجلب هذا لنا الدخول في نزاع مع البلدان الأخرى ؟ أو لن يكون من الأفضل لو أننا أقمنا " مناطق نفوذ " في الصين بالاتفاق مع الدول " المتقدمة " واختطفنا بعض الشيء من الصين لمصلحتنا الخاصة ؟ ان هذا سيكون مفيدا ومأمون الجانب في نفس الوقت . . . وهكذا دواليك .» (٢)

وقد استنتج :

« ومثل هذا هو النوع الجديد "لاطار التفكير" القومي الضيق الذي يحاول تصفية السياسة الخارجية لثورة أكتوبر ، كما يخلق عناصر التحلل . » (٣)

لقد ذهب قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الحاليون أبعد من دعاة التصفية القدامى . وفخورين بذكائهم يختارون ما هو « مفيد ومأمون الجانب» في نفس الوقت . وقد صمموا ، اذ أنهم يخافون خوف الموت

---

(١) (٢) ستالين : « أسئلة وأجوبة » .
(٣) لينين : « رسالة الى الشيوعيين الألمان » .

من الدخول في نزاع مع الأقطار الاستعمارية ، صمموا على معارضة حركة التحرر الوطني . لقد أسكرتهم فكرة اقامة « الدولتين العظيمتين » مناطق نفوذ في أنحاء العالم قاطبة .

ان نقد ستالين لدعاة التصفية هو وصف جيد لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي الحاليين . اذ أنهم ساروا على هدى دعاة التصفية وعمدوا الى تصفية السياسة الخارجية لثورة أكتوبر وسلكوا طريق القومية والتحلل .

لقد حذل ستالين وقتذاك :

« من الواضح أنه ليس بوسع أول قطر أحرز النصر أن يحافظ على دور حامل لواء الحركة الثورية العالمية الا على أساس التمسك بالأممية تماما ، وعلى أساس السياسة الخارجية لثورة أكتوبر . ان طريق أدنى حد من المقاومة وطريق القومية الضيقة في السياسة الخارجية ما هو الا طريق عزلة وتحلل أول قطر أحرز النصر . » (١)

ان تحذير ستالين هذا ذو مغزى عملي خطير بالنسبة الى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الحاليين .

مثال للتعصب الاجتماعي

وبالمثل ، وتمشيا مع الأممية البروليتارية ، يجب على بروليتاريا وشيوعيي الأمم المضطهدة أن يقدموا تأييدا نشطا لكل من حق الأمم

---

(١) ستالين : « أسئلة وأجوبة » .

المضطَهدة في الاستقلال الوطني ونضالاتها في سبيل التحرر . وبتأييد الأمم المضطَهدة تصبح بروليتاريا الأمم المضطهدة في وضع مؤات أكثر لكسب ثورتها .

لقد وضع لينين النقاط على الحروف عندما قال :

« ان الحركة الثورية في الأقطار المتقدمة ستكون في الواقع محض أكذوبة اذا لم يتحد تماما عمال أوروبا وأميركا بشكل وثيق في غمرة نضالهم ضد رأس المال مع ملايين الملايين من عبيد " المستعمرات " الذين يضطهدهم رأس المال . » (١)

ومع ذلك فان بعض من يسمون أنفسهم ماركسيين لينينيين قد تخلوا عن الماركسية اللينينية حول هذه القضية ذات الأهمية المبدئية الأساسية . وقادة الحزب الشيوعي الفرنسي هم خير مثال في هذا الصدد .

فمن جهة تخلى قادة الحزب الشيوعي الفرنسي خلال فترة طويلة عن النضال ضد الاستعمار الأميركي ، رافضين خوض كفاح حازم ضد سيطرة الاستعمار الأميركي على فرنسا وتقييداته لها في الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ومسلمين راية النضال الوطني الفرنسي ضد الولايات المتحدة الى أناس كديغول ؛ ومن الجهة الأخرى ظلوا يستخدمون شتى الوسائل والمبررات للدفاع عن المصالح الاستعمارية للمستعمرين الفرنسيين ، ورفضوا تأييد حركات التحرر الوطني في المستعمرات الفرنسية ، وقاوموها فعلا ولاسيما الحروب الثورية الوطنية ؛

---

(١) لينين : « المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية » .

وهكذا غرقوا في مستنقع التعصب القومي .

لقد قال لينين : « ان الأوروبيين كثيرا ما ينسون أن شعوب المستعمرات هم أيضا أمم ، ولكن السماح بهذا " النسيان " بمثابة السماح بالتعصب القومي . » (١) ومع ذلك فان قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي التي يمثلها الرفيق توريز لم تسكت على هذا « النسيان » وحسب بل اعتبرت بصراحة شعوب المستعمرات الفرنسية « رعايا فرنسيين من دم أجنبي » (٢) ، ورفضت الاعتراف بحق هذه الشعوب في الاستقلال الوطني والانفصال عن فرنسا ، وأيدت علنا سياسة « المزج الوطني » التي اتبعها المستعمرون الفرنسيون .

ان قادة الحزب الشيوعي الفرنسي قد اتبعوا لأكثر من عشر سنوات خلت سياسة المستعمرين الفرنسيين الاستعمارية ، وخدموا كذيل للرأسمال الاحتكاري الفرنسي . ففي عام ١٩٤٦ ، عندما لعب الحكام الرأسماليون الاحتكاريون الفرنسيون حيلة الحكم الاستعماري الجديد باقتراحهم تشكيل اتحاد فرنسي ، تبعوا خطاهم وأعلنوا « لقد نظرنا دائما الى هذا النوع من الاتحاد ک "اتحاد حر لشعوب حرة" » (٣) وأن «الاتحاد الفرنسي سيسمح بتنظيم العلاقات على أساس جديد بين شعب فرنسا وشعوب

---

(١) لينين : « تمسيخ الماركسية و" النظرية الاقتصادية الامبريالية " » .

(٢) كلمة ألقاها توريز في الجزائر ، فبراير (شباط) ١٩٣٩ .

(٣) كلمة ليون فيه في المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي الفرنسي ، يونيو (حزيران) ١٩٥٩ .

ما وراء البحار التي ضمت لفرنسا في الماضي » (١) . وفي عام ١٩٥٨ ، عندما انهار الاتحاد الفرنسي واقترحت الحكومة الفرنسية اقامة « المجموعة الفرنسية » للمحافظة على نظامها الاستعماري ، تبعها قادة الحزب الشيوعي الفرنسي مرة أخرى وأعلنوا « أننا نعتقد أن اقامة مجموعة حقيقية ستكون حدثا ايجابيا » (٢) .

وبالاضافة لذلك حاول قادة الحزب الشيوعي الفرنسي في مقاومتهم لمطلب شعوب المستعمرات الفرنسية بالاستقلال الوطني ، حاولوا حتى تخويفها ، قائلين ان أية محاولة للانفصال عن اتحاد فرنسا ستقود فقط الى تعزيز الاستعمار ، ومع أن الاستقلال يمكن أن يكسب ، الا أنه سيكون مؤقتا واسميا ومزيفا . وقد أعلنوا بصراحة أكثر : « ان المسألة هي : ما اذا سيصبح الاستقلال الذي لا يمكن تجنبه الآن مع فرنسا ، أو بدون فرنسا ، أو ضد فرنسا . ان مصلحة بلدنا تتطلب أن يكون هذا الاستقلال مع فرنسا . » (٣)

وفيما يتعلق بمسألة الجزائر يتضح أكثر موقف التعصب القومي لقادة الحزب الشيوعي الفرنسي . لقد حاولوا مؤخرا تبرير أنفسهم بالقول انهم قد

---

(١) كلمة توريز في حفل افتتاح الفصل الجديد في مدرسة الحزب التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي ، ١٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٥ .

(٢) كلمة ليون فيه في المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي الفرنسي ، يونيو (حزيران) ١٩٥٩ .

(٣) رايمون بارب : « أفريقيا السوداء في عهد غينيا » ، صحيفة Demacratic Nouvelle التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي ، عدد ١١ ، ١٩٥٨ .

اعترفوا بالمطلب العادل لشعب الجزائر في الحرية منذ أمد طويل . ولكن ما هي الحقائق ؟

لقد رفض قادة الحزب الشيوعي الفرنسي لفترة طويلة الاعتراف بحق الجزائر في الاستقلال الوطني . فقد تبعوا الرأسماليين الاحتكاريين الفرنسيين صائحين ان « الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا » (١) وان فرنسا « يجب أن تكون دولة افريقية عظمى الآن وفي المستقبل » (٢) . ان توريز وغيره كانوا مهتمين أشد الاهتمام بحقيقة أن الجزائر يمكن أن تزود فرنسا بـ « مليون رأس من الغنم » وبكميات كبيرة من القمح سنويا لتحل مشكلتها في « نقص اللحوم » ولـ « سد عجزنا في الحبوب » (٣) .

يا للعجب ! ويا له من تعصب قومي محموم لدى قادة الحزب الشيوعي الفرنسي ! هل يظهرون أي ذرة من الأممية البروليتارية ؟ وهل لديهم أية ذرة من الثورة البروليتارية ؟ انهم باتخاذهم موقف التعصب القومي هذا خانوا المصالح الأساسية للبروليتاريا العالمية ، والمصالح الأساسية للبروليتاريا الفرنسية والمصالح الحقيقية للأمة الفرنسية .

دحض « نظرية العنصرية » و« نظرية الخطر الأصفر »

بعد أن استخدم قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جميع طلاسمهم

(١) وثائق دورة ٢٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٦ ، المجلس الشعبي الوطني الدستوري الفرنسي ، الملحق ٢ (عدد ١٠١٣) .

(٢) كلمة فلور يموند بونت في المجلس الشعبي الوطني الدستوري الفرنسي عام ١٩٤٤ .

(٣) تقرير توريز الى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٤٥ .

لمقاومة حركة التحرر الوطني ، انحطوا الآن الى درجة طلب العون من العنصرية التي هي أشد النظريات الاستعمارية رجعية . انهم يصفون الموقف الصحيح للحزب الشيوعي الصيني في تأييده الحازم لحركة التحرر الوطني بأنه « يخلق الحواجز العنصرية والجغرافية » ، و« يحل وجهة النظر العنصرية محل وجهة النظر الطبقية » ، و« يستخدم التحيز القومي وحتى العنصري لدى الشعوب الآسيوية والافريقية » .

كان بوسع هذه الأكاذيب أن تخدع الناس ، لو أن الماركسية اللينينية لم تكن موجودة . ولكن من سوء حظ مختلقي هذه الاكاذيب أنهم يعيشون في عصر لا يناسبهم لأن الماركسية اللينينية وجدت طريقها الى سويداء قلوب الناس . فكما قال ستالين بحق ، فان اللينينية « قد حطمت الجدار بين البيض والسود ، وبين الأوروبيين والآسيويين ، وبين "المتمدينين" و"غير المتمدينين" من عبيد الاستعمار » (١) . فعبثا يحاول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي اعادة بناء جدار العنصرية هذا من جديد .

وفي التحليل النهائي ، فان المسألة الوطنية في العالم الراهن هي قضية نضال طبقي ونضال معاد للاستعمار . فقد شكل اليوم العمال ، والفلاحون ، والمثقفون الثوريون ، والعناصر البرجوازية الوطنية المعادية للاستعمار ، والمتنورون الوطنيون المعادون للاستعمار الآخرون من جميع الأجناس ـ الأبيض ، والأسود ، والأصفر ، والحنطي ، شكلوا جبهة متحدة عريضة ضد المستعمرين وعلى رأسهم الولايات المتحدة وضد

---

(١) ستالين : « حول أسس اللينينية » .

أتباعهم . ان هذه الجبهة المتحدة تتسع وتتزايد قوة . وليست المسألة هنا هي مسألة الوقوف الى جانب البيض أو الملونين ، بل هي مسألة الوقوف الى جانب الشعوب والأمم المضطهدة أم الى جانب حفنة من المستعمرين والرجعيين .

وفقا للموقف الطبقي الماركسي اللينيني يجب على الأمم المضطَهدة أن ترسم خطا واضحا فاصلا بينها وبين المستعمرين والحكام الاستعماريين . ان طمس هذا الخط هو بمثابة وجهة نظر تعصب قومي تخدم الاستعمار والحكم الاستعماري .

لقد قال لينين :

« وهذا بالتحديد هو السبب الذي يجب أن تكون من أجله النقطة الرئيسية في برنامج الاشتراكيين ـ الديمقراطيين هي مسألة التمييز بين الأمم المضطِهدة والمضطَهدة ، والتي هي جوهر الاستعمار ، هذه المسألة التي يتجنبها كذبا أصحاب التعصب الاجتماعي وكاوتسكي . » (١)

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، بتحقيرهم لوحدة شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية في النضال المعادي للاستعمار ووصفها بأنها قائمة « على أساس المبادىء الجغرافية والعنصرية » ، وضعوا أنفسهم بوضوح في موقف دعاة التعصب الاجتماعي وكاوتسكي .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بترويجهم « نظرية العنصرية »

---

(١) لينين : « البروليتاريا الثورية وحق الأمم في تقرير المصير » .

ووصفهم حركة التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية بأنها حركة يقوم بها الملونون ضد الجنس الأبيض – انما يرمون بوضوح الى اثارة البغض العنصري بين البيض في أوروبا وأميركا الشمالية ، والى صرف شعوب العالم عن النضال ضد الاستعمار والى صرف حركة الطبقة العاملة العالمية عن النضال ضد التحريفية المعاصرة .

لقد أثار قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الضجيج حول « الخطر الأصفر » و« الخطر الوشيك الوقوع لجنكيز خان » . ان هذا في الواقع لا يستحق الدحض . فنحن لا ننوي في هذا المقال التعليق على الدور التاريخي لجنكيز خان ولا على تطور الأمم المنغولية والروسية والصينية حتى أصبحت دولا . ولكننا نود أن نذكر فقط قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بحاجتهم الى مراجعة دروسهم التاريخية قبل اختلاق مثل هذه الأساطير . لقد كان جنكيز خان خانا لمنغوليا ، وفي عهده تعرضت كل من الصين وروسيا للعدوان المنغولي . وقد غزا جزءا من الشمال الغربي وشمال الصين في عام ١٢١٥ ، كما غزا روسيا في عام ١٢٢٣ . وبعد وفاته أخضع خلفه روسيا في عام ١٢٤٠ وقهر بعد تسع وثلاثين سنة من ذلك أي في عام ١٢٧٩ الصين بأسرها .

ان للأديب الصيني المشهور لوشين فقرة حول جنكيز خان في مقال كتبه عام ١٩٣٤ ، ونحن نسوقه هنا كمرجع لكم اذ يبدو أنه مفيد لكم .

لقد كتب ما يلي : عندما كنت شابا في العشرين من عمري ،

« قيل لي ان "جنكيز خاننا" قد قهر أوروبا وأدخل أروع

فترة في "تاريخنا" . ولم أكتشف الا عندما بلغت الخامسة والعشرين من عمري أن ما يدعى بأروع فترة في "تاريخنا" لم تكن في الواقع غير الفترة التي قهر فيها المنغوليون الصين وأصبحنا عبيدا . ولم أكن لأكتشف حتى شهر أغسطس (آب) الماضي ، عندما كنت أبحث في ثلاثة كتب عن التاريخ المنغولي عن قصص تاريخية ، أن قهر المنغوليين "لروسيا" ، وغزوهم للمجر والنمسا قد سبقا في الواقع قهرهم لكل الصين ، وأن جنكيز خان ذلك الزمان لم يكن بعد خانا لنا . لقد استعبد الروس قبلنا وبالتالي فخليق بهم أن يقولوا "انه عندما أخضع جنكيز خاننا الصين ، أدخل أروع فترة في تاريخنا" » (١)

ان أي فرد ذي المام بسيط بتاريخ العالم الحديث يعرف أن « نظرية الخطر الأصفر » التي يثير حولها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مثل هذه الضجة ليست الا تركة للأمبراطور الألماني ويليام الثاني . قال ويليام الثاني قبل نصف قرن ، « انني أؤمن بالخطر الأصفر » .

لقد كان غرض الأمبراطور الألماني في الدعوة لـ « نظرية الخطر الأصفر » هو المزيد من تقسيم الصين ، وغذو آسيا ، وقمع الثورة في آسيا ، وصرف انتباه شعوب أوروبا عن الثورة ، واستخدامها كستار لاستعداداته النشطة للحرب الاستعمارية العالمية ولمحاولته لكسب زعامة العالم .

---

(١) « المؤلفات الكاملة للوشين » .

وعندما نشر ويليام الثاني « نظرية الخطر الأصفر » هذه ، كانت البرجوازية الأوروبية في تفسخ عميق ورجعية للغاية ، كما كانت الثورات الديمقراطية تكتسح الصين ، وتركيا ، وبلاد الفرس وتؤثر في الهند ، حوالي الوقت الذي اندلعت فيه ثورة عام ١٩٠٥ الروسية . لقد كانت تلك الفترة ، أيضا هي التي وضع لينين فيها ملاحظته المشهورة حول « أوروبا المتأخرة وآسيا المتقدمة » .

لقد كان ويليام الثاني رجلا عظيما ، في زمانه ، ولكنه قد أثبت في الواقع أنه لم يكن غير رجل من الثلج تحت الشمس . اذ اختفى هذا الزعيم الرجعي عن المسرح في وقت قصير جدا مع نظريته الرجعية التي ابتكرها . أما لينين العظيم فيعيش مع تعاليمه النيرة الى الأبد .

لقد مضت خمسون سنة وغدا الاستعمار في أوروبا الغربية وأميركا الشمالية أكثر احتضارا ورجعية ، وأصبحت أيامه معدودات . وفي الوقت ذاته أصبحت العاصفة الثورية التي تزأر فوق آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية أقوى أضعاف ما كانت عليه في عهد لينين . انه ليصعب التصديق أنه لا يزال هناك اليوم أناس يرغبون في أن يتبعوا خطوات ويليام الثاني . ان هذه حقا لسخرية للتاريخ .

انبعاث التحريفية القديمة في زي جديد

ان سياسة قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي حول المسألة الوطنية ومسألة المستعمرات لتتفق مع السياسة المفلسة لمحرفي الأممية الثانية لا غير . والخلاف الوحيد هو أن محرفي الأممية الثانية قد خدموا الحكم الاستعماري

القديم للمستعمرين ، بينما يخدم المحرفون المعاصرون الحكم الاستعماري الجديد للمستعمرين .

لقد غنى المحرفون القدامى على نغمة الحكام الاستعماريين القدامى ، بينما يغني خروشوف على نغمة الحكام الاستعماريين الجدد .

ان أبطال الأممية الثانية ، الذين يمثلهم برنشتاين وكاوتسكي ، كانوا مدافعين عن الحكم الاستعماري القديم للمستعمرين . فقد صرحوا علنا بأن الحكم الاستعماري كان تقدميا ، وأنه قد جلب حضارة عالية للمستعمرات وطور القوى المنتجة هناك . حتى أنهم ذهبوا الى درجة القول ان « الغاء المستعمرات يعني عملا بربريا » (١) .

وفي هذا المجال يختلف خروشوف نوعا ما عن المحرفين القدامى ، اذ بلغت به الشجاعة أن يشجب نظام الحكم الاستعماري القديم .

ولكن كيف بلغ خروشوف مثل هذه الشجاعة ؟ لقد حدث هذا لأن المستعمرين قد غيروا نغمتهم .

فبعد الحرب العالمية الثانية ، وتحت الضربات المزدوجة للثورة الاشتراكية وثورة التحرر الوطني ، أجبر المستعمرون على الاعتراف بأنه « اذا ما حاول الغرب ابقاء الوضع القائم للحكم الاستعماري ، فان ذلك سيجعل الثورة العنيفة أمرا حتميا والهزيمة حتمية » (٢) . ان أشكال سيطرة الحكم الاستعماري القديم «على النقيض . . . هي تثبت "القرحات

---

(١) كلمة أدوارد وافيد حول مسألة المستعمرات في مؤتمر النواب للأممية الثانية بمدينة سيتاتجارت عام ١٩٠٧ .

(٢) دالاس : « حرب أم سلام » .

الطافحة بالصديد" التي تدمر كلا من النشاط الاقتصادي والمعنوي لحياة الأمة » (١) . وهكذا أصبح ضروريا تغيير الشكل وممارسة حكم استعماري جديد .

وهكذا أيضا ، بينما يغني خروشوف على لحن الحكام الاستعماريين الجدد ، يتبجح بـ « نظرية اختفاء الحكم الاستعماري » من أجل تغطية الحكم الاستعماري الجديد . وأكثر من ذلك فهو يحاول أن ينصح الأمم المضطهدة باحتضان هذا الحكم الاستعماري الجديد . اذ يدعو بنشاط الى الرأي القائل بأن « التعايش السلمي » بين الأمم المضطهدة والمستعمرين المتمدينين سيجعل « الاقتصاد الوطني ينمو بسرعة » ويجلب « ارتفاعا في قواها الانتاجية » ويجعل بمقدور السوق المحلي في البلدان المضطَهدة أن « يصبح أعظم بشكل لا يقارن » و« يوفر مواد أولية أكثر ، ومنتجات ، وبضائع مختلفة يتطلبها اقتصاد الأقطار المتطورة صناعيا»(٢) وفي نفس الوقت « سيرفع مستوى معيشة السكان في الأقطار الرأسمالية العالية التطور ، بصورة كبيرة » (٣) .

ولم ينس خروشوف أن يجمع بعض الأسلحة البالية من جعبة محرفي الأممية الثانية .

وهنا بعض الأمثلة على ذلك :

لقد قاوم المحرفون القدامى حروب التحرر الوطني ، واعتقدوا أن

---

(١) جون ستراتستي : « نهاية أمبراطورية » .

(٢) كلمة خروشوف في الدورة العامة للأمم المتحدة ، ٢٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٠ .

(٣) «تصفية الاستعمار – مطلب هذا العصر» ، «كوميونيست» ، موسكو ، عدد٢ ، ١٩٦١ .

المسألة الوطنية « يمكن أن تسوى فقط عن طريق الاتفاقيات الدولية » (١). وفيما يتعلق بهذه المسألة ، تناول خروشوف تركة محرفي الأممية الثانية ، وهو يدعو الى « دفن نظام الحكم الاستعماري بهدوء » (٢) .

لقد هاجم المحرفون القدامى الماركسيين الثوريين ، وانهالوا عليهم بالافتراء قائلين ان « البلشفية هي في جوهرها نوع من الاشتراكية الميالة للحرب » (٣) ، وأن « الأممية الشيوعية يراودها الوهم بأن تحرير العمال يمكن أن يتحقق عن طريق حراب الجيش الأحمر المنتصر ، وهي تعتقد أن حربا عالمية جديدة ضرورية بالنسبة الى الثورة العالمية » . وقد نشروا أيضا قصة أن هذا الوضع « قد خلق أكبر خطر لحرب عالمية جديدة» (٤) . ان اللغة التي يستخدمها خروشوف اليوم للافتراء على الحزب الشيوعي الصيني والأحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة الأخرى هي بالضبط نفس اللغة التي استخدمها المحرفون القدامى في كيل الشتائم للبلشفيك . ومن الصعب أن يجد المرء أي خلاف بينهما .

هذا ويجب أن يقال ان خروشوف في خدمته للحكم الاستعماري الجديد للمستعمرين ليس أدنى شأنا عن المحرفين القدامى في خدمتهم للحكم الاستعماري القديم للمستعمرين .

---

(١) « قرار حول المسألة الاقليمية » اتخذه المؤتمر الاشتراكي العالمي ، في مدينة برن ١٩١٩ .

(٢) كلمة خروشوف في الدورة العامة للأمم المتحدة ، ٢٣ سبتمبر « ايلول » ١٩٦٠ .

(٣) كلمة أوتوباوير حول المسألة الشرقية في المؤتمر الاشتراكي العالمي في مارسيليا ، عام ١٩٢٥ .

(٤) «قرار حول المسألة الشرقية» اتخذه المؤتمر الاشتراكي العالمي في مارسيليا ، عام ١٩٢٥ .

لقد أوضح لينين أن سياسة الاستعمار قد سببت انشقاق حركة العمال العالمية الى شقين ، ثوري وانتهازي . وقد وقف الشق الثوري الى جانب الأمم المضطَهدة وقاوم المستعمرين والحكام الاستعماريين . وعلى النقيض من ذلك ، تغذى الشق الانتهازي على فتات الغنائم التي اعتصرها المستعمرون والحكام الاستعماريون من شعوب المستعمرات وأشباه المستعمرات ، وقد وقف الى جانب المستعمرين والحكام الاستعماريين وقاوم ثورة الأمم المضطَهدة في سبيل التحرر .

ان نفس هذا النوع من الانشقاق الذي أوضحه لينين بين الثوريين والانتهازيين في صفوف حركة الطبقة العاملة العالمية أخذ في التكون الآن ليس في صفوف حركة الطبقة العاملة في الأقطار الرأسمالية وحسب ، بل وفي الأقطار الاشتراكية حيث تقبض البروليتاريا على زمام سلطة الدولة .

ان تجربة التاريخ تظهر أنه اذا كان لحركة التحرر الوطني أن تحرز انتصارا تاما ، يجب عليها أن تشكل تحالفا راسخا مع حركة الطبقة العاملة الثورية ، وأن ترسم خطا واضحا فاصلا بين نفسها والمحرفين الذين يخدمون المستعمرين والحكام الاستعماريين ، وأن تستأصل آثارهم بحزم .

ان تجربة التاريخ تظهر أنه اذا كان لحركة الطبقة العاملة في الأقطار الرأسمالية في أوروبا الغربية وأميركا الشمالية أن تحرز نصرا تاما ، يجب عليها أن تشكل تحالفا وثيقا مع حركة التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، وأن ترسم خطا واضحا فاصلا بين نفسها والمحرفين ، وأن تستأصل آثارهم بحزم .

ان المحرفين هم عملاء للاستعمار ، خبأوا أنفسهم بين صفوف حركة

الطبقة العاملة العالمية . فقد قال لينين : « ان الكفاح ضد الاستعمار يبقى أكذوبة الا اذا ارتبط ارتباطا لا ينفصل مع الكفاح ضد الانتهازية . » (١) وهكذا فمن الواضح أن الكفاح الحالي ضد الاستعمار والحكم الاستعماري القديم والجديد يجب أن يرتبط ارتباطا وثيقا مع الكفاح ضد المدافعين عن الحكم الاستعماري الجديد .

ومهما بالغ المستعمرون في اخفاء نواياهم واستشاطوا يأسا ، ومهما بالغ المدافعون عن الحكم الاستعماري الجديد في تبييضه ومساعدته ، فلا مناص للاستعمار والحكم الاستعماري من مواجهة حتفيهما . ان انتصار ثورة التحرر الوطني لا يقاوم . وعاجلا أو آجلا سيفلس المدافعون عن الحكم الاستعماري الجديد افلاسا تاما .

يا عمال العالم وأممه المضطهَدة اتحدي !

---

(١) لينين : « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » .

خطان مختلفان
حول مسألة الحرب والسلم

ـ تعليق خامس على الرسالة المفتوحة
للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

بقلم هيئتي تحرير صحيفة « جينمينجيباو »
ومجلة « العلم الأحمر »
(١٩ نوفمبر "تشرين الثاني" ١٩٦٣)

تناقش الشعوب في كل أنحاء العالم قضية الحرب والسلم :

لقد أنزل نظام الاستعمار الاجرامي بشعوب العالم حروبا عديدة من بينها الحربان العالميتان المدمرتان . ولقد سببت هذه الحروب التي شنها الاستعمار للشعوب آلاما جسيمة ، الا أنها علمت الشعوب في نفس الوقت .

لقد ظلت الشعوب منذ الحرب العالمية الثانية تطالب بقوة في كل مكان بالسلم العالمي . ولقد أدركت أعداد متزايدة من الشعوب أنه بغرض صيانة السلم العالمي لا بد من شن النضالات ضد السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية .

ويقع على عواتق الماركسيين اللينينيين في جميع أنحاء العالم واجب لا بد منه هو اعزاز المشاعر التي تبديها الشعوب نحو السلم والوقوف في مقدمة النضال من أجل صيانة السلم العالمي ؛ ويقع على عواتقهم واجب النضال ضد السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية ، بغرض فضح خداع المستعمرين ودحر خططهم الحربية ؛ ويقع عليهم واجب تعليم الجماهير ورفع وعيها السياسي وقيادة النضال من أجل صيانة السلم العالمي في الاتجاه الصحيح .

ان المحرفين المعاصرين ، على النقيض من الماركسيين اللينينيين ، يتمشون مع متطلبات السياسات الاستعمارية بمساعدة المستعمرين على خداع الشعوب ، وبصرف أنظار الشعب ، وبتحطيم نضال الشعوب

ضد الاستعمار وشل هذا النضال ، وبتغطية خطط المستعمرين الرامية الى شن حرب عالمية جديدة .

ان الخط الماركسي اللينيني المتعلق بمسألة الحرب والسلم هو خط يعارض خط المحرفين معارضة تامة .

والخط الماركسي اللينيني هو الخط الصحيح الصالح لكسب السلم العالمي . انه الخط الذي تتمسك به على الدوام جميع الأحزاب الماركسية اللينينية بما في ذلك الحزب الشيوعي الصيني ، وجميع الماركسيين اللينينيين .

ان خط المحرفين خط خاطىء يخدم في زيادة خطر حرب جديدة . وهو الخط الذي طوره بالتدريج قادة الحزب الشيوعي السوفياتي منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي .

وقد طبخ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي وفي عدد لا يحصى من الأقوال ، أكاذيب عديدة فيما يتعلق بمسألة الحرب والسلم ، يفترون بها على الشيوعيين الصينيين ، الا أن هذه لا يمكن أن تحجب جوهر الخلافات .

وسوف نحلل فيما يلي الخلافات الرئيسية بين الخط الماركسي اللينيني وخط المحرفين المعاصرين حول مسألة الحرب والسلم .

دروس التاريخ

منذ أن تطورت الرأسمالية فأصبحت استعمارا ظلت مسألة الحرب والسلم مسألة حيوية في الصراع بين الماركسية اللينينية والتحريفية .

ان الاستعمار هو مصدر الحروب في الأوقات المعاصرة . والمستعمرون

يفيدون من سياستهم السلمية المخادعة وسياستهم الحربية بصورة متناوبة . وكثيرا ما يسترون جرائمهم العدوانية وتحضيراتهم لحرب جديدة بالأكاذيب التي يؤلفونها حول السلم .

لقد دعا لينين وستالين دون كلل شعوب جميع الأقطار لمقاومة أكاذيب السلم التي يؤلفها المستعمرون .

فقد قال لينين ان الحكومات الاستعمارية « تتشدق بالسلم والعدالة ، ولكنها في الحقيقة تشن حروب العدوان والنهب » (١) .

وقال ستالين ان المستعمرين « لهم هدف واحد فقط عندما يلجأون الى المسالمة هو : خداع الجماهير بالتعابير الطنانة حول السلم وذلك بغرض التحضير لحرب جديدة » (٢) .

وأضاف :

« ان عددا كبيرا من الناس يعتقدون أن المسالمة الاستعمارية أداة للسلم . وهذا خطأ تام . اذ أنها أداة للتحضير للحرب ولتغطية هذا التحضير بقناع هو النفاق بالحديث عن السلم . وبدون هذه المسالمة وأداتها ، التي هي عصبة الأمم ، يصبح التحضير للحرب في الظروف القائمة اليوم أمرا مستحيلا . » (٣)

وعلى النقيض من لينين وستالين ساعد محرفو الأممية الثانية المرتدون

---

(١) لينين : « تقرير حول السلام » قدم الى المؤتمر الثاني لنواب العمال والجنود لعموم روسيا . »

(٢) ستالين : « حول الوضع الدولي » .

(٣) ستالين : « مقررات اجتماع يوليو للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي (بولشفيك) » .

عن الطبقة العاملة ، المستعمرين على خداع الشعب وشاركوهم في شن الحربين العالميتين .

وقبل الحرب العالمية الأولى ، سعى المحرفون الذين مثلهم برنشتاين وكاوتسكي ، عن طريق الحديث النفاقي حول السلم ، الى شل الروح النضالية الثورية لدى الشعب والى ستر خطط المستعمرين لشق حرب عالمية .

وعندما كانت الحرب العالمية الأولى في طريق اندلاعها سارع المحرفون القدامى الى نزع أقنعتهم السلمية ووقفوا مع حكومات بلدانهم الاستعمارية وأيدوا الحرب الاستعمارية الرامية الى اعادة تقسيم العالم وصوتوا في البرلمان الى جانب المخصصات الحربية ، كما حرضوا الطبقة العاملة في أقطارهم نفسها ، تحت الشعار المزيف « الدفاع عن الوطن » ، الى الاندفاع في الحرب والى تذبيح أشقائها الطبقيين في الأقطار الأخرى .

وعندما كان المستعمرون بحاجة الى هدنة لخدمة مصالحهم ، حاول المحرفون الذين مثلهم كاوتسكي تسميم عقول الشعب ومعارضة الثورة بحديث طلق مثل « لا شيء يجعلني أكثر سرورا من السلم الوفاقي الذي يقوم على مبدأ : "عش واترك الآخرين يعيشون" » (١) .

وبعد الحرب العالمية الأولى أصبح المرتد كاوتسكي وخلفاؤه أكثر صفاقة اذ أخذوا يطبلون لتدليس المستعمرين حول السلم .

وقد نشر محرفو الأممية الثانية مجموعة من الأكاذيب حول مسألة الحرب والسلم .

---

(١) كاوتسكي : « المسائل الوطنية » .

فأولا : بيضوا وجه الاستعمار وصرفوا انتباه الشعوب عن نضالاتها . وقال كاوتسكي : « ... ان خطر الاستعمار على السلم العالمي هو شيء بسيط . أما الخطر الأعظم فيبدو أنه يأتي من الكفاح الوطني في الشرق ومن الدكتاتوريات المتنوعة » (١) . وهكذا طلب من الشعوب أن تصدق أن مصادر الحرب لم تكن الاستعمار بل الأمم المضطهدة في الشرق والدولة السوفياتية ، قلعة السلم العظمى .

وثانيا : ساعدوا المستعمرين على تغطية خطر حرب جديدة وأحبطوا العزيمة النضالية لدى الشعوب . وقال كاوتسكي في عام ١٩٢٨ : « اذا واصلتم الحديث بصخب الآن حول أخطار الحرب الاستعمارية ، فانكم ترتكزون على نظرية تقليدية لا على الاعتبارات القائمة اليوم . » (٢) لقد وصف المحرفون القدامى من فصيلته من يؤمنون بحتمية وقوع الحروب الاستعمارية بأنهم « وقعوا فريسة نظرية تاريخية قدرية » (٣) .

وثالثا : نشروا الخوف في قلوب الشعوب بالايحاء بأن الحرب سوف تقضي على البشرية . وقال كاوتسكي : « ... سوف لا تجلب الحرب القادمة العوز والشقاء وحسب ، بل سوف تضع حدا للمدنية في الأساس ، وسوف تخلف وراءها ، على الأقل في أوروبا ، لا شيء سوى الخرائب

---

(١) كاوتسكي : « مسألة الدفاع الوطني والحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي » .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) خطاب حول مسألة الاستعمار ألقاه هآز في مؤتمر الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي الألماني في كمنيز عام ١٩١٢ (نشر في دفتر مؤتمر الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي عام ١٩١٠ ـ ١٩١٣) .

التي يتصاعد منها الدخان والجثث المتعفنة . » (١) ان هؤلاء المحرفين القدامى يقولون : « لقد دفعت الحرب الأخيرة العالم بأكمله الى حافة الهاوية ، وسوف تحطم الحرب القادمة العالم تماما . وبمقدور التحضير فقط لحرب جديدة أن يجلب الخراب على العالم . » (٢)

ورابعا : لم يميزوا بين الحروب العادلة وغير العادلة ومنعوا القيام بالثورة . وقال كاوتسكي في عام ١٩١٤ :

« . . . ليس هناك في الظروف القائمة اليوم شيء يسمى حربا ليست بلية على الأمم عموما وعلى البروليتاريا بصفة خاصة . وما ناقشناه كان هو الوسائل التي بوسعنا أن نحول بها دون نشوب حرب على الأبواب ، ولم يكن ما ناقشناه هو أية حروب مفيدة وأية حروب ضارة . » (٣)

وأضاف :

« ان الحنين الى السلم الدائم يلهم الأغلبية الساحقة من الأمم المتمدينة بصورة متزايدة . ويدفع القضايا الأساسية في عصرنا الحاضر ، بصورة مؤقتة ، الى الخلف . . . » (٤)

وخامسا : روجوا لنظرية أن الأسلحة تقرر كل شيء وعارضوا النضال الثوري المسلح . قال كاوتسكي :

---

(١) كاوتسكي : « مقدمة حول " الحرب والديمقراطية " » .

(٢) « القرار حول عصبة الأمم » اتخذه مؤتمر برني للاممية الاشتراكية عام ١٩١٩ .

(٣) كاوتسكي : « الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي في الحرب » .

(٤) كاوتسكي : « مقدمة حول " الحرب والديمقراطية " » .

« ان أحد الأسباب التي تقلل بصورة متزايدة من احتمال لجوء النضالات الثورية الى الطرق الحربية ، كما أشير كثيرا من قبل ، يكمن في التفوق الهائل لتسلح جيوش الدول الحديثة على الأسلحة التي في متناول أيادي "المدنيين" ، هذا التفوق الذي يجعل كل انتفاضة يقدم عليها المدنيون شيئا لا أمل فيه منذ البداية . » (١)

وسادسا : نشروا النظرية العابثة التي تقول بأن السلم العالمي وتحقيق المساواة بين الأمم يمكن احرازهما عن طريق نزع السلاح . قال برنشتاين :

« السلام على الأرض ، وحسن النية للبشر ! علينا ألا نتوقف أو نستريح ، علينا أن نرعى التقدم المستمر للمجتمع نحو الرفاه في مصلحة الجميع ، نحو المساواة في الحقوق بين الأمم عن طريق الاتفاق الدولي ونزع السلاح . » (٢)

وسابعا : نشروا النظرية العابثة التي تقول بأن الأموال التي توفر نتيجة نزع السلاح يمكن استخدامها لمساعدة الأقطار المتخلفة . قال كاوتسكي :

« . . . كلما خف عبء النفقات الحربية في أوروبا الغربية كلما عظمت السبل التي في المتناول لبناء الطرق الحديدية في الصين وايران وتركيا وأميركا الجنوبية وغيرها . وهذه الأعمال العامة

---

(١) كاوتسكي : « تعليم أصول الدين للحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي بالسؤال والجواب » .
(٢) خطاب ألقاه برنشتاين حول مسألة نزع السلاح في مؤتمر الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي الألماني في كمنيز في عام ١٩١٢ (نشر في دفتر مؤتمر الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي عام ١٩١٠ - ١٩١٣) .

هي وسائل أبعد أثرا بكثير من بناء البوارج الحربية ، لدفع التطور الصناعي . » (١)

وثامنا : قدموا مقترحات الى « استراتيجية السلم » للمستعمرين . قال كاوتسكي :

« ان أمم أوروبا المتمدينة (والأميركيين كذلك) بوسعها صيانة السلم في الشرق الأدنى والأقصى بصورة فعالة أكثر وذلك عن طريق مصادرها الاقتصادية والثقافية ، لا عن طريق البوارج والطائرات . » (٢)

وتاسعا : عظموا عصبة الأمم التي كانت تحت سيطرة المستعمرين . قال كاوتسكي :

« ان وجود عصبة الأمم في حد ذاته هو من المكاسب العظيمة لقضية السلم . فهي تشكل رافعة للحفاظ على السلم بصورة لا تتوافر لأي مؤسسة أخرى . » (٣)

وعاشرا : نشروا الوهم بأنه يمكن الاعتماد على الاستعمار الأميركي لصيانة السلم العالمي . قال كاوتسكي :

---

(١) كاوتسكي : « مزيد من القول حول نزع السلاح » .
(٢) كاوتسكي : « مسألة الدفاع الوطني والحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي » .
(٣) نفس المصدر السابق .

« ان الولايات المتحدة اليوم هي أقوى دولة في العالم . وحالما تنضم للعمل داخل عصبة الأمم أو تقبل العمل معها لدرء الحرب ، فان العصبة سوف تصبح قوة لا تقاوم . » (١)

لقد فضح لينين القسمات القبيحة لكاوتسكي وأشباهه دون شفقة أو رحمة . وقال ان كلمات المسالمة لدى محرفي الأممية الثانية ، لم تكن الا « عزاء للشعب ووسيلة تسهل للحكومات اخضاع الشعب لمذابح استعمارية أكثر ! » (٢)

وقال ستالين :

« وأهم شيء في كل هذا هو أن الاشتراكية – الديمقراطية هي القناة الأساسية للمسالمة الاستعمارية داخل الطبقة العاملة ، وعليه فهي الركيزة الأساسية للرأسمالية للتحضير لحروب جديدة وللتدخل وسط الطبقة العاملة . » (٣)

ان مقارنة ، حتى اذا كانت مقتضبة بين أقوال الرفيق خروشوف حول مسألة الحرب والسلم ، وبين أقوال برنشتاين وكاوتسكي وآخرين حول نفس المسألة ، سوف تكشف أنه ما من جديد في آراء خروشوف التي ما هي الا نسخة جديدة من تحريفية الأممية الثانية .

ان خروشوف يتبع خطى برنشتاين وكاوتسكي فيما يتعلق بمسألة

---

(١) كاوتسكي : « الاشتراكيون والحرب » .

(٢) لينين : « الى العمال الذين يؤيدون النضال ضد الحرب وضد الاشتراكيين الذين انضموا الى صفوف حكوماتهم » .

(٣) ستالين : «مقررات اجتماع يوليو للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي (البولشفيك) ».

الحرب والسلم ذات الأثر الحاسم على مستقبل البشرية . وكما يوضح التاريخ فان هذا طريق في أقصى درجات الخطورة على السلم العالمي .

لكي يتسنى لجميع الماركسيين اللينينيين والشعوب المحبة للسلم في العالم أجمع الدفاع عن السلم العالمي بصورة فعالة ودرء حرب عالمية جديدة ، عليهم أن يرفضوا خط خروشوف الخاطىء ويعارضوه .

التدليس الأكبر

ليس هنالك في العالم أكذوبة أكبر من رسم ألد أعداء السلم العالمي في صورة ملاك محب للسلم .

لقد ظل الاستعمار الأميركي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، بعد أن اقتفى أثر الفاشست الألمان والايطاليين واليابانيين ، يسعى لاقامة امبراطورية عالمية لم يعرف لها مثيل من قبل . ان هدف « الاستراتيجية العالمية » للاستعمار الأميركي هو أن يعتدي ويسيطر على المنطقة الوسطى الواقعة بين الولايات المتحدة والمعسكر الاشتراكي ، وأن يخمد ثورات الشعوب والأمم المضطهَدة ، وأن يواصل سعيه لتحطيم المعسكر الاشتراكي ، وهكذا يسيطر على العالم أجمع .

لقد ظل الاستعمار الأميركي خلال الثمانية عشر عاما التي خلت منذ الحرب العالمية الثانية ، يقوم بالحروب العدوانية أو بالتدخلات المسلحة المعادية للثورة في جميع أرجاء العالم ، كما ظل يحضر بنشاط لحرب عالمية جديدة ، وكل ذلك بغرض تحقيق طموحه في الاستئثار بالسيطرة على العالم .

من الواضح أن الاستعمار مازال مصدر الحروب الحديثة ، وأن الاستعمار الأميركي هو القوة الأساسية للعدوان والحرب المعاصرين . لقد تأكد هذا بوضوح في تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ معا .

الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يرون أن كبار ممثلي الاستعمار الأميركي أناس يحبون السلم . انهم يقولون ، لقد ظهرت جماعة «حكيمة» بوسعها أن تقدر الوضع بذهن صاف . وأيزنهاور وكندي يمثلان هذه الجماعة .

لقد مدح خروشوف أيزنهاور واصفا اياه بأنه رجل « يتمتع بالثقة المطلقة من قبل شعبه » وأن « له رغبة مخلصة في السلم » وأنه « يقلق على الحفاظ على السلم كما نقلق نحن » .

ويمدح خروشوف كندي الآن بأن لديه مؤهلات أعظم من أيزنهاور لتحمل مسئولية الحفاظ على السلم العالمي . لقد وصفه بأنه « أظهر عنايته بالحفاظ على السلم » (١) ومن المعقول أن يتوقع منه « أن يخلق ظروفا يعتمد عليها لحياة سلمية وعمل خلاق على الأرض » (٢) .

ان خروشوف يعمل بجد ، كما عمل محرفو الأممية الثانية ، لنشر الأكاذيب حول الاستعمار وتبييض وجهه .

وتسأل الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي من لا يؤمنون بهذه الأكاذيب « هل يعتقدون حقا أن جميع الحكومات

---

(١) رسالة خروشوف الى كندي ، ٢٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٢ .

(٢) « برقية تهنئة برأس السنة من خروشوف وبريجينيف الى كندي » ، « الازفستيا » ، ٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣ .

البرجوازية تنقصها الحكمة في جميع أعمالها ؟ »

من الواضح أن الرسالة تتجاهل أبجديات الماركسية اللينينية . ففي المجتمع الطبقي لا توجد حكمة فوق الطبقات على الاطلاق . فللبروليتاريا حكمة بروليتارية وللبرجوازية حكمة برجوازية . والحكمة تعني أن يجيد المرء وضع السياسات بما يتماشى والمصالح الأساسية لطبقته ، والعمل بما يتماشى مع الموقف الأساسي لطبقته . وحكمة كندي وأمثاله تكمن في العمل بما يتماشى مع المصالح الأساسية لرأس المال الاحتكاري الأميركي ، وحكمته هي حكمة استعمارية .

وفي الوقت الذي يصبح فيه الميزان العالمي للقوى الطبقية في غير صالح الاستعمار بصورة متزايدة وتجابه فيه سياسات العدوان والحرب الاستعمارية الأميركية النكسات الدائمة ، يضطر المستعمرون الأميركيون الى ستر أنفسهم أكثر فأكثر بأقنعة السلم .

حقيقي أن كندي ذكي بعض الشيء في تأليف الكلمات حول السلم وفي استخدام تكتيكات السلم . ولكن سياسة كندي الخداعة للسلم ، شأنها شأن سياسته للحرب ، تخدم « الاستراتيجية العالمية » للاستعمار الأميركي .

ان « استراتيجية السلم » لكندي تهدف الى ضم العالم قاطبة الى « المجموعة العالمية الحرة » القائمة على أسس « قوانين وعدالة » الاستعمار الأميركي .

ان النقاط الأساسية في « استراتيجية السلم » لكندي هي :

دفع الحكم الاستعماري الأميركي الجديد في آسيا وافريقيا

وأميركا اللاتينية بالطرق السلمية ؛

التغلغل في الأقطار الاستعمارية والرأسمالية الأخرى والسيطرة عليها بالطرق السلمية ؛

تشجيع الأقطار الاشتراكية بالطرق السلمية على سلوك الطريق اليوغوسلافي « طريق التحول السلمي » ؛

اضعاف وتحطيم نضال شعوب العالم ضد الاستعمار ، بالطرق السلمية .

لقد أعلن كندي في صلف المغرور في الخطاب الذي ألقاه منذ وقت قريب على الجمعية العمومية للأمم المتحدة الشروط الآتية للسلم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي :

أولا : يجب ضم جمهورية ألمانيا الديمقراطية الى ألمانيا الغربية .

ثانيا : يجب ألا يسمح بوجود كوبا الاشتراكية .

ثالثا : يجب السماح للأقطار الاشتراكية في أوروبا الشرقية بـ « حرية الاختيار » . الأمر الذي يعني اعادة الرأسمالية الى هذه الأقطار .

رابعا : على الأقطار الاشتراكية ألا تؤيد النضالات الثورية التي تقوم بها الأمم والشعوب المضطَهدة .

ان بلوغ المرء أهدافه بـ « الطرق السلمية » كان دائما هو التكتيك التقليدي للمستعمرين والحكام الاستعماريين .

ان الطبقات الرجعية تعتمد دائما على تكتيكين لمواصلة حكمها في الداخل وارتكاب العدوان في الخارج . أحدهما الخداع بالكلمات العذبة والثاني هو الكبت الدموي بأسلوب الجزار . ويستخدم الاستعمار

دائما سياسته السلمية المخادعة وسياسته الحربية اما في وقت واحد أو على التعاقب ، وهما يكمل بعضهما البعض الآخر . وحكمة كندي الذي يمثل رأس المال الاحتكاري الأميركي لا يمكن أن تعبر عن نفسها فقط الا بمكر أعظم في استخدام هذين التكتيكين .

الا أن العنف دائما هو التكتيك الأساسي لدى الطبقات الرجعية الحاكمة ، والخداع بالكلمات العذبة يلعب دورا مساعدا فقط . ان المستعمرين يعتمدون دائما على مواقع القوة أثناء تقسيم مواقع نفوذهم . وقد وضح كندي هذه النقطة توضيحا تاما اذ قال : « في النهاية فان السبيل الوحيد للحفاظ على السلم هو الاستعداد الى أقصى الحدود للقتال لبلادنا ـ وأن نقصد هذا . » (١) ومنذ أن أمسك كندي بمقاليد الحكم سار على « استراتيجية الاستجابة المرنة » التي تطلبت بناء « قوات حربية مختلفة الأغراض » بسرعة وتدعيم « المنعة من جميع الجوانب » ، حتى تتمكن الولايات المتحدة من الدخول في أي حرب تشاؤها ، سواء كانت حربا شاملة أو حربا محدودة ، حربا نووية أو حربا تقليدية ، كبيرة أم صغيرة . وقد دفعت خطة كندي المخبولة هذه توسيع التسلح للولايات المتحدة الأميركية واستعداداتها الحربية الى ارتفاع لم يسبق له مثيل . ولننظر الى الحقائق التالية التي نشرتها مصادر رسمية أميركية :

أولا : ازدادت النفقات الحربية للحكومة الأميركية من ٤٦٧٠٠ مليون دولار في السنة المالية ١٩٦٠ الى ٦٠٠٠٠ مليون دولار في السنة

---

(١) كلمة كندي في الذكرى السنوية الثامنة لعيد المحاربين القدامى ، ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦١ .

المالية ١٩٦٤ ، أي أعلى مجموع وصلته في وقت السلم وأعظم مما كانت خلال الحرب الكورية .

ثانيا : أعلن كندي منذ وقت قريب أن عدد الأسلحة النووية التابعة لقوات الطوارىء الأميركية الاستراتيجية قد زاد مائة في المائة خلال العامين الماضيين وأكثر ، وأن زيادة مقدارها ٤٥ بالمائة حدثت في عدد فرق الجيش المستعدة للمقاتلة ، وأن مقدرة تأمين النقل الجوي لدى الطائرات قد زيدت بمقدار ١٧٥ بالمائة ، وأن زيادة هي خمسة أضعاف بالتقريب حدثت في « القوات الخاصة بحرب الأنصار وقوات مقاومة العصيان » (١) .

ثالثا : وضعت هيئة أركان التخطيط المشترك للأهداف الاستراتيجية لدى الولايات المتحدة ، خطط شن الحرب النووية ضد الاتحاد السوفياتي وغيره من الأقطار الاشتراكية . وقد أعلن روبرت . س . ماكنامارا وزير الدفاع الأميركي في بداية هذا العام :

« . . . لقد أعددنا خلال الفترة المعنية قوتين : قوة تتمكن بالفعل من تدمير كل من الأهداف العسكرية "السهلة المنال" (أي التي على ظهر الأرض) ، و"الصعبة المنال نوعا ما" (أي شبه المصانة) وعدد كبير من مواقع اطلاق الصواريخ المحصنة تماما في الاتحاد السوفياتي ؛ وقوة اضافية في شكل قوة معدة للاستخدام

(١) كلمة كندي في حفل عشاء الحزب الديمقراطي لزيادة التبرعات ، ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٣ .

أو في شكل احتياطي للاستخدام ضد المدن ومناطق الصناعة .» (١)

لقد دعمت الولايات المتحدة شبكة قواعدها للصواريخ النووية الموجهة ضد المعسكر الاشتراكي وقد زادت الى درجة عظيمة احكام تدابير استخدام غواصاتها الحاملة الصواريخ النووية في الخارج .

وفي نفس الوقت تحركت قوات كتلة حلف شمال الأطلسي تحت القيادة الأميركية الى جهة الشرق منذ هذا العام وتقربت من حدود جمهورية ألمانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا .

رابعا : لقد دعمت حكومة كندي تدابيرها العسكرية في آسيا وأميركا اللاتينية وافريقيا ، وبذلت جهودا ضخمة لتوسيع « القوات الخاصة » البرية والبحرية والجوية بغرض التمكن من الوقوف بوجه الحركة الثورية للشعوب في تلك المناطق . لقد حولت الولايات المتحدة جنوب الفيتنام الى حقق تجريب « للحرب الخاصة » ، وزادت قواتها هناك الى أكثر من ١٦ ألفا .

خامسا : عززت قياداتها الحربية . وأقامت « قيادة أميركية للهجوم » تسيطر على قوات برية وجوية مشتركة في درجة عالية من الاستعداد للقتال في أوقات السلم حتى يمكن ارسالها في أي وقت الى أي مكان في العالم لاثارة الحروب . كما أقامت مراكز قيادات عسكرية وطنية فوق الأرض وتحتها معا ، ونظمت مركز قيادة جوية للطوارىء يوجه من الطائرات ومركز قيادة بحرية للطوارىء يوجّه من السفن الحربية .

---

(١) بيان ماكنمارا أمام لجنة الخدمات العسكرية التابعة لمجلس النواب الأميركي ، ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣ .

ان هذه الحقائق تدل على أن المستعمرين الأميركيين هم أكثر العسكريين وحشية في الأزمنة الحاضرة ، وأكثر المتآمرين سعارا لشن حرب عالمية جديدة ، وألد أعداء السلم العالمي .

وهكذا يتضح أن المستعمرين الأميركيين لم يصبحوا ملائكة بزينهم الجمال ، بالرغم من ترتيل خروشوف للانجيل وانشاذه المزامير ، ولم يصبحوا بوذا يفيضون عطفا ورحمة ، بالرغم من صلوات خروشوف وحرقه البخور . ومهما يحاول خروشوف جهده لمساعدة المستعمرين الأميركيين ، فانهم لا يبدون أدنى شيء من التقدير . انهم يواصلون كشف تدليسهم بالسلم عن طريق النشاطات الجديدة المتزايدة العدوانية والحربية وهكذا يستمرون في صفع خروشوف على وجهه ويكشفون افلاس نظرياته المضحكة التي تبيض وجه الاستعمار . ان هذا لمحزن حقا للذين يدافعون طوعا عن الاستعمار الأميركي .

مسألة امكانية درء حرب عالمية جديدة

حقيقة أن المستعمرين وعلى رأسهم الولايات المتحدة يحضرون بنشاط لحرب عالمية جديدة وأن خطر حرب كهذه موجود فعلا . وعلينا أن نوضح هذه الحقيقة للشعوب .

ولكن هل يمكن درء حرب عالمية جديدة ؟

ان آراء الشيوعيين الصينيين حول هذه المسألة كانت واضحة للغاية دوما . لقد قدم الرفيق ماو تسي تونغ بعد الحرب العالمية الثانية تحليلا علميا للوضع العالمي فيما بعد الحرب ، وقدم الرأي القائل بأن حربا عالمية

جديدة يمكن درؤها .

وفي عام ١٩٤٦ ، قال الرفيق ماو تسي تونغ في حديثه المشهور مع المراسلة الأميركية أنا لويس سترونغ :

« ولكن اليوم ، ولما يمض سوى وقت قليل على نهاية الحرب العالمية الثانية ، فان كل هذه الضجة التي يثيرها الرجعيون الأميركيون حول موضوع الحرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، والجو الوخيم الذي يخلقونه ، لا بد أن يجعلا الناس يرون أهداف هؤلاء الرجعيين الحقيقية . ويبدو أنهم تحت ستار شعار معاداة الاتحاد السوفياتي الذي يرفعونه ، يشنون الهجمات الوحشية ضد العمال الأميركيين والعناصر الديمقراطية الأميركية ، ويحوّلون جميع البلدان التي تشكل أهدافا لتوسع الولايات المتحدة الى توابع لها . وأرى أن على الشعب الأميركي وشعوب جميع البلدان المهددة بالعدوان من قبل الولايات المتحدة أن تتحد لصد هجمات الرجعيين الأميركيين وخدمهم في مختلف البلدان ، لأن الانتصار الذي يحرز في هذا النضال هو وحده الذي سيحول دون حرب عالمية ثالثة ، والا فلا يمكن تجنب هذه الحرب . » (١)

لقد كانت ملاحظات الرفيق ماو تسي تونغ هذه موجهة ضد تقدير تشاؤمي للوضع الدولي في ذلك الوقت . وكان الاستعمار بقيادة الولايات المتحدة ورجعيو مختلف البلدان يزيدون من نشاطاتهم المعادية للسوفيت

---

(١) « المؤلفات المختارة لماو تسي تونغ » ، المجلد ٤ .

والمعادية للشيوعية والشعب بمرور الأيام ، ويطبلوا للقول بأن « الحرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لا محالة منها » وأن « نشوب حرب عالمية ثالثة لا يمكن تجنبه » . وروج رجعيو تشيان كاي شيك لهذا القول ترويجا عظيما بغرض اثارة الخوف في قلوب الشعب الصيني . وقد دخل الرعب قلوب بعض الرفاق نتيجة هذا الابتزاز وأصبحوا ضعاف القلوب في وجه الهجمات المسلحة التي شنها رجعيو تشيان كاي شيك بمساندة الاستعمار الأميركي ولم يجرءوا على ابداء معارضة حازمة للحرب المعادية للثورة بشن حرب ثورية . وعلى النقيض من ذلك أشار الرفيق ماو تسي تونغ الى أن حربا عالمية جديدة يمكن درؤها اذا تم شن نضالات حازمة فعالة ضد القوى الرجعية العالمية .

لقد برهن الانتصار العظيم الذي أحرزته الثورة الصينية على صحة استنتاج الرفيق ماو تسي تونغ .

لقد أحدث انتصار الثورة الصينية تغيرات هائلة في الميزان العالمي للقوى الطبقية . وقال الرفيق ماو تسي تونغ في يونيو (حزيران) ١٩٥٠ :

« ما زال خطر الحرب من قبل المعسكر الاستعماري موجودا ، ولذا ما زال احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة قائما . الا أن القوى التي تصد خطر الحرب وتحول دون نشوب حرب عالمية ثالثة تنمو نموا سريعا ، كما يرتفع الوعي السياسي للأغلبية الساحقة من شعوب العالم . ويمكن درء حرب عالمية جديدة اذا ما واصلت الأحزاب الشيوعية في العالم توحيد وتطوير جميع قوى السلم والديمقراطية

التي يمكن توحيدها . » (١)

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٧ ، قدم الرفيق ماو تسي تونغ لدى اجتماع الأحزاب الشقيقة تحليلا مفصلا للتغيرات التي طرأت على العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ووضّح أن الوضع العالمي قد وصل الى مفترق جديد . وقد وصف الوضع وصفا حيا باستعارة أخذها من قصة صينية كلاسيكية هي « أن ريح الشرق تتغلب على ريح الغرب » . وقال : « أعتقد أن ميزة الوضع الراهن هي أن ريح الشرق تتغلب على ريح الغرب ، أي أن القوى الاشتراكية قد أحرزت تفوقا ساحقا على القوى الاستعمارية . » (٢)

وقد وصل الى هذه النتيجة عن طريق تحليل العلاقات الطبقية الدولية . وقد وضع المعسكر الاشتراكي ، والطبقة العاملة العالمية ، والأحزاب الشيوعية ، والشعوب والأمم المضطَهدة ، والشعوب والأقطار المحبة للسلم ، بوضوح في جانب « ريح الشرق » بينما قصر « ريح الغرب » على القوة الحربية للاستعمار والرجعيين . والمعنى السياسي لهذه الاستعارة في أقصى درجات الوضوح والدقة . ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي وأتباعهم ، بتشويههم لهذه الاستعارة ووصفها بأنها مفهوم جغرافي أو عنصري أو مفهوم لطبيعة الجو ، كشفوا رغبتهم في حشر أنفسهم في صفوف « الغرب » بغرض التزلف الى الاستعمار وارضائه واثارة التعصب

---

(١) ماو تسي تونغ : « ناضلوا من أجل تحول جذري نحو الأفضل في الوضع المالي والاقتصادي للصين » ، « جينمينخيباو » ، ١٣ يونيو (حزيران) ١٩٥٠ .

(٢) ماو تسي تونغ : « حول الاستعمار وكل الرجعيين نمور من ورق » .

القومي في أوروبا وأميركا الشمالية .

ان المقصود الأساسي من قول الرفيق ماو تسي تونغ بأن « ريح الشرق تتغلب على ريح الغرب » هو توضيح الامكانيات النامية لدرء حرب عالمية جديدة ولمواصلة الأقطار الاشتراكية البناء في جو سلمي .

ان استنتاجات الرفيق ماو تسي تونغ هذه كانت ولا تزال في الأفكار التي ثابر الحزب الشيوعي الصيني على التمسك بها .

وهكذا يتضح أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد كانوا ولا يزالون ينشرون الأكاذيب عمدا بادعائهم بأن الحزب الشيوعي الصيني « لا يؤمن بامكانية درء حرب عالمية جديدة » (١) .

ويتضح مرة أخرى أن الاستنتاجات المتعلقة بامكانية درء حرب عالمية ثالثة قد قدمت من قبل الماركسيين اللينينيين منذ وقت بعيد ، ولم توضع أولا في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، كما ليست هي من « خلق » خروشوف .

هل حقيقة اذن أن خروشوف لم يخلق شيئا على الاطلاق ؟ كلا ، لقد خلق شيئا . ولكن هذا « الخلق » لسوء الحظ ليس ماركسيا لينينيا بأي حال من الأحوال ، بل هو خلق تحريفي .

فأولا : فسر خروشوف كما يحلو له امكانية درء حرب عالمية جديدة بأنها تعني الاحتمال الوحيد ، معتقدا أن خطر حرب عالمية جديدة أمر غير موجود .

---

(١) رسالة مفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الى المنظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي ، بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

ان رأي الماركسيين اللينينيين أنه بينما يجب علينا الاشارة الى امكانية درء حرب عالمية جديدة ، علينا أن نلفت الانتباه الى احتمال أن الاستعمار قد يشن حربا عالمية . وفقط بالانتباه الى الاحتمالين واتباع سياسات صحيحة والتحضير لوقوع كل من الاحتمالين يمكن حشد الجماهير بصورة فعالة لشن النضالات دفاعا عن السلم العالمي . وهكذا فقط يمكن للأقطار الاشتراكية وشعوبها والأقطار والشعوب المحبة للسلم ألا تقع فريسة الغفلة وعدم التحضير ، اذا ما فرض الاستعمار حربا عالمية على شعوب العالم .

الا أن خروشوف وآخرين يعارضون كشف خطر تدبير الاستعمار مؤامرة حرب جديدة . وحسب قولهم فان الاستعمار قد أصبح يحب السلم . ان هذا ليساعد المستعمرين على تخدير الجماهير ووهن عزيمتها النضالية فتفقد يقظتها ازاء خطر حرب جديدة يدبر لها الاستعمار .

وثانيا : فسر خروشوف كما يحلو له امكانية درء حرب عالمية جديدة بأنها تعني امكانية درء كل الحروب ، معتقدا أن النظرية اللينينية القائلة بأن الحرب حتمية مادام الاستعمار موجودا هي نظرية أصبحت بالية لا تساير العصر .

ان امكانية درء حرب عالمية جديدة أمر ، وامكانية درء كل الحروب بما فيها الحروب الثورية أمر آخر . ومن الخطأ التام الخلط بين الاثنتين .

ان تربة نشوب الحروب موجودة طالما ظل الاستعمار ونظام استغلال الانسان للانسان موجودين . وهذا قانون موضوعي اكتشفه لينين بعد دراسة علمية وافرة .

قال ستالين في عام ١٩٥٢ بعد توضيح امكانية درء حرب عالمية جديدة : « وبغرض ازالة احتمال نشوب الحرب ، من الضروري ازالة الاستعمار . » (١)

ان لينين وستالين على حق وخروشوف مخطىء .

ان التاريخ قد دل على أن حربين عالميتين فقط قد شنهما المستعمرون، الا أن المستعمرين قد شنوا حروبا لا حصر لها من أنواع أخرى . ومنذ الحرب العالمية الثانية تسبب المستعمرون بقيادة الولايات المتحدة بسياستهم العدوانية والحربية في حروب محلية وصدامات مسلحة مستمرة من كل شكل ونوع في أماكن عديدة ولا سيما في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية .

من الواضح أن حروب التحرر الوطني لا بد من حدوثها عندما يلجأ المستعمرون ، ولاسيما المستعمرون الأميركيون ، الى ارسال قواتهم أو الى استخدام عملائهم لمباشرة القمع الدموي على الأمم والأقطار المضطهدة التي تناضل من أجل الاستقلال الوطني وتدافع عنه .

قال لينين :

« ان انكار كل امكانية الحروب الوطنية في ظل الاستعمار خطأ من ناحية النظرية ولا شك أنه خطأ من ناحية تاريخية ، وهو من زاوية التطبيق العملي مساو للتعصب الأوروبي . » (٢)

ومن الواضح أيضا أن الحروب الثورية الأهلية لا مفر منها عندما

---

(١) ستالين : « مشاكل الاقتصاد الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي » .
(٢) لينين : « البرنامج الحربي للثورة البروليتارية » .

يكبت الرجعيون البرجوازيون الشعب في بلادهم نفسها بقوة السلاح .

قال لينين :

« . . . ان الحروب الأهلية هي أيضا حروب . وكل من يعترف بالصراع الطبقي لا يعجز عن الاعتراف بالحروب الأهلية التي هي في كل مجتمع طبقي أمر طبيعي ، وفي ظروف معينة هي امتداد وتطور وتفاقم حتمي للصراع الطبقي . ان كل الثورات العظمى قد برهنت على هذا . ان نبذ الحرب الأهلية ، أو نسيانها ، سوف يعني الغرق في قاع الانتهازية ونبذ الثورة الاشتراكية . » (١)

ان جميع الثورات العظمى في التاريخ تقريبا قد شنت خلال الحروب الثورية . وحرب الاستقلال في أميركا وحربها الأهلية كانتا من هذا النوع . والثورة الفرنسية هي مثال آخر . والثورة الروسية والثورة الصينية هما بالطبع مثالان آخران . كما أن الثورات في الفيتنام وكوبا والجزائر وغيرها أيضا أمثلة معروفة جدا .

لقد ذكر ماركس أثناء تلخيصه دروس كومونة باريس في خطابه في الذكرى السنوية السابعة للأممية الأولى في عام ١٨٧١ ، شروط القضاء على السيطرة الطبقية والاضطهاد الطبقي وقال « . . . قبل احداث مثل هذا التغيير لا بد من دكتاتورية البروليتاريا ، وشرطها الأساسي جيش من البروليتاريا . وعلى الطبقة العاملة أن تكسب حقها في تحررها في

---

(١) لينين : « البرنامج الحربي للثورة البروليتارية » .

ميدان المعركة . » (١)

وبناء على النظرية الماركسية اللينينية قدم الرفيق ماو تسي تونغ في عام ١٩٣٨ ، عندما تناول الحديث حول خبرة الثورة الروسية والثورة الصينية ، الاستنتاج المشهور القائل بأن « السلطة السياسية تنبت من فوهة البندقية » . وهذا الاستنتاج قد أصبح الآن أيضا هدفا لهجوم قادة الحزب الشيوعي السوفياتي . ويقولون ان هذا دليل على أن الصين « محبة للحرب » .

أيها الأصدقاء المحترمون ، ان مثل هذه الافتراءات التي تكيلونها قد دحضها الرفيق ماو تسي تونغ منذ وقت يرجع الى خمسة وعشرين عاما مضت ، حين قال :

« بناء على النظرية الماركسية الخاصة بالدولة ، فان الجيش هو الجزء الأساسي لسلطة الدولة . وكل من يريد الاستيلاء على سلطة الدولة والحفاظ عليها لا بد أن يكون له جيش قوي . ان بعض الناس يسخرون منا باعتبارنا ندعو الى الايمان بـ "القدرة الكاملة للحرب" . نعم ، نحن دعاة القدرة الكاملة للحرب الثورية وهذا شيء حسن ، لا سيء ، وهو أمر ماركسي . » (٢)

وما هو الخطأ في ملاحظة الرفيق ماو تسي تونغ ؟ ان الذين يرفضون كل الخبرة التاريخية المستخلصة في الثورات البرجوازية والبروليتارية

---

(١) « مؤلفات ماركس وأنجلز » .

(٢) ماوتسي تونغ : « مشاكل الحرب والاستراتيجية » .

خلال المئات الأخيرة من السنين هم الذين يرفضون هذا الرأي .

لقد خلق الشعب الصيني ببنادقه سلطة سياسية اشتراكية . وكل الناس ، ماعدا المستعمرين وأتباعهم ، يفهمون بسهولة أن هذا أمر جميل وعامل هام لصيانة السلم العالمي ولدرء حرب عالمية ثالثة .

ان الماركسيين اللينينيين لا يخفون آراءهم أبدا . ونحن نؤيد بكامل قلوبنا الحروب الثورية الشعبية لدى جميع الأقطار . وكما قال لينين فمثل هذه الحرب الثورية هي « حرب عرفت من بين جميع حروب التاريخ بأنها الوحيدة الشرعية والحقة والعادلة والعظيمة حقا » (١) . واذا اتهمنا بأننا محبون للحرب نسبة لهذا السبب ، فان هذا لا يبرهن الا على أننا نقف حقا الى جانب الشعوب والأمم المضطهدة ونحن ماركسيون لينينيون حقيقيون .

ان المستعمرين والمحرفين دائما ما يشجبون البلشفيك والقادة الثوريين أمثال لينين وستالين بأنهم « محبون للحرب » . ان حقيقة أننا نسب بالمثل اليوم من قبل المستعمرين والمحرفين ، تدل على أننا ظللنا رافعين الراية الثورية للماركسية اللينينية عاليا .

ان خروشوف وآخرين يروجون بقوة الرأي القائل بأنه بينما لا يزال الاستعمار موجودا يمكن درء جميع الحروب ويمكن ايجاه « عالم بلا أسلحة ولا قوات مسلحة ولا حروب » . وما هذا الا نظرية كاوتسكي « ما فوق الاستعمار » التي تم افلاسها منذ عهد بعيد . ان غرضهم تام الوضوح ، فهو جعل الشعوب تعتقد بأنه يمكن تحقيق السلم الدائم في

---

(١) لينين : « أيام ثورية » .

ظل الاستعمار . وهكذا يلغون الثورة وحروب التحرر الوطني والحروب الثورية الأهلية ضد الاستعمار وعملائه . ويساعدون فعلا بذلك المستعمرين في تحضيرهم لحرب جديدة .

الايمان الأعمى بالأسلحة النووية والابتزاز النووي
هما الأساسان النظريان
والسياسة المرشدة للتحريفية المعاصرة

ان روح نظرية قادة الحزب الشيوعي السوفياتي حول الحرب والسلم هي استنتاجهم القائل بأن ظهور الأسلحة النووية قد غير كل شيء وغير قوانين الصراع الطبقي .

وجاء في الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي « لقد غيرت الأسلحة الصاروخية ـ النووية التي خلقت في وسط قرننا هذا ، الأفكار القديمة حول الحرب . » كيف تغيرت هذه الأفكار ؟

ان رأي قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو أن الاختلاف بين الحروب العادلة وغير العادلة قد زال منذ ظهور الأسلحة النووية . انهم يقولون « ان القنبلة الذرية لا تتقيد بالمبدأ الطبقي » و« ان القنبلة الذرية لا تميز أين هو الاستعماري وأين هو الشغيل ، بل تضرب في مساحات ، ولهذا يهلك ملايين العمال مقابل احتكاري واحد . » (١)

---

(١) رسالة مفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الى المنظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي ، بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

ويرون أنه على الشعوب والأمم المضطَهدة أن تتخلى عن الثورة وتمتنع عن شن الحروب الثورية الشعبية وحروب التحرر الوطني العادلة نظرا لظهور الأسلحة النووية ؛ والا لقادت أمثال هذه الحروب الى فناء البشرية . ويقولون « قد تؤدي أي "حرب محلية" صغيرة الى حريق حرب عالمية » و« أي نوع من الحرب اليوم ، رغم نشوبه كحرب عادية غير نووية ، من المحتمل أن يتطور الى حريق صاروخي – نووي مدمر »(١) وهكذا « سوف نحطم سفينتنا سفينة نوح – الكرة الأرضية » .

ويرى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أنه على الأقطار الاشتراكية ألا تقاوم الابتزاز النووي والتهديد بالحرب اللذين يباشرهما الاستعمار بل عليها أن تركن لهما . قال خروشوف :

« ما من شك في أن حربا نووية حرارية عالمية ، اذا بدأها المجانين المستعمرون ، ستؤدي حتما الى سقوط النظام الرأسمالي ، الذي هو نظام يولد الحروب . ولكن هل ستفيد الأقطار الاشتراكية وقضية الاشتراكية في العالم قاطبة من كارثة نووية حرارية عالمية ؟ ان الذين يغمضون أعينهم عن عمد عن الحقائق هم وحدهم أولئك الذين يفكرون هكذا . أما الماركسيون اللينينيون فليس بوسعهم القول بأنهم يريدون اقامة مدنية شيوعية على أنقاض مراكز الثقافة العالمية ، على أرض تصبح جدباء مشبعة بسموم الغبار الحراري النووي . وليس من داع للقول بأن

(١) كلمة خروشوف في الراديو والتيليفيزيون ، ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٦١ .

مسألة الاشتراكية سوف تزول تماما بالنسبة لشعوب كثيرة ، نظرا لأن هذه الشعوب سوف تختفي ماديا من كوكبنا الأرضي . » (١)

وبالاختصار ، حسب رأي قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فان التناقض بين المعسكرين الاشتراكي والاستعماري ، والتناقض بين البروليتاريا والبرجوازية في الأقطار الرأسمالية ، والتناقض بين الأمم المضطَهدة والاستعمار قد اختفت كلها بظهور الأسلحة النووية . ولم يعد في العالم أي تناقض طبقي . فهم يعتبرون أن التناقضات في العالم المعاصر تنحصر كلها في تناقض واحد هو تناقضهم الوهمي المسمى بالتناقضات بين حياة الاستعمار والطبقات والأمم المضطَهدة من جانب وبين فنائها التام من الجانب الآخر .

وبناء على رأيهم قد ألقي بالماركسية اللينينية وبالتصريح والبيان وبالاشتراكية والشيوعية كلها الى مهب الرياح .

يا لصراحة « البرافدا » ! اذ قالت « ما فائدة المبدأ اذا قطع رأس الانسان ؟ » (٢)

ان هذا مساو للقول بأن جميع الثوريين الذين فقدوا حياتهم تحت سيوف الجلادين الرجعيين في سبيل نصر الثورات الروسية وثورة أكتوبر ، وجميع المحاربين الذين قدموا أرواحهم بشجاعة في الحرب المعادية للفاشستية ، وجميع الأبطال الذين سالت دماؤهم في النضال ضد

---

(١) كلمة خروشوف في المؤتمر السادس لحزب الوحدة الاشتراكية الألماني ، ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣ .

(٢) « يسار متطرف » ، « البرافدا » ، ١٦ أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

الاستعمار ولكسب الاستقلال الوطني ، وجميع الذين استشهدوا للقضية الثورية في العهود المنصرمة - كل هؤلاء كانوا أغبياء اذ ما الذي دعاهم الى التضحية برؤوسهم التزاما بالمبدأ ؟

ان هذه لفلسفة المرتدين قلبا وقالبا وظاهرا وباطنا . انها قول مخز لا سبيل الى وجوده الا في اعترافات مرتد .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، في استرشادهم بنظرية الايمان الأعمى بالأسلحة النووية والابتزاز النووي ، يعتقدون بأن الطريق لصيانة السلم العالمي ليس هو أن تتحد جميع قوى السلم الموجودة المعاصرة وتشكل أوسع جبهة متحدة للنضال ضد الاستعمار الأميركي وعملائه ، بل هو أن تتعاون الدولتان النوويتان الكبيرتان - الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي - بغرض تسوية مشاكل العالم .

قال خروشوف :

« نحن (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي) أقوى قطرين في العالم . اذا ما اتحدنا من أجل السلم فلا يمكن أن تنشب الحرب . وبالتالي اذا أراد أي مجنون في ذلك الوقت الحرب ، فما علينا الا أن نهز أصابعنا انذارا له . » (١)

وهكذا يتضح لكل انسان المدى الذي ذهب اليه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في اعتبار العدو صديقا لهم .

---

(١) مقابلة خروشوف مع المراسل الأميركي بي . ل . سيلزيبرجر ، في ٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١ ، « البرافدا » ، ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١ .

ولم يتردد قادة الحزب الشيوعي السوفياتي عن الهجوم على الخط الصحيح للحزب الشيوعي الصيني بالأكاذيب والافتراءات ، لغرض تغطية خطئهم . انهم يدعون بأن الحزب الشيوعي الصيني يريد ، بدعوته لتأييد حروب الشعوب من أجل التحرر الوطني والحروب الثورية الأهلية ، اثارة حرب نووية عالمية .

وهذه كذبة غريبة .

لقد رأى الحزب الشيوعي الصيني دائما أنه على الأقطار الاشتراكية أن تؤيد بنشاط النضالات الثورية لدى الشعوب بما في ذلك حروب التحرر الوطني والحروب الثورية الأهلية . وعدم تقديم هذا التأييد معناه نبذ واجبها البروليتاري الأممي . ورأينا في نفس الوقت أن جميع الشعوب والأمم المضطَهدة لا يمكنها أن تحرز تحررها الابالاعتماد على نضالها الثوري الحازم ، وما من أحد آخر بوسعه أن ينوب عنها في هذا الصدد .

لقد كان رأينا دائما هو أنه على الأقطار الاشتراكية ألا تستخدم الأسلحة النووية مطلقا بغرض تأييد حروب الشعوب من أجل التحرر الوطني والحروب الثورية الأهلية ، وليست لها مطلقا حاجة لذلك .

لقد كان رأينا دائما هو أنه على الأقطار الاشتراكية أن تحرز وتحافظ على التفوق النووي . وهذا وحده بوسعه أن يمنع المستعمرين من شن حرب نووية ، ويساعد على بلوغ المنع التام للأسلحة النووية .

لقد كان رأينا دائما هو أن الأسلحة النووية في يد قطر اشتراكي يجب أن تكون الى الأبد أسلحة دفاعية لمقاومة التهديد الاستعماري النووي . ولا يجب مطلقا على قطر اشتراكي أن يكون البادىء باستخدام

الأسلحة النووية ، كما لا يجب مطلقا أن يلعب بهذه الأسلحة أو ينغمس في الابتزاز النووي والمقامرة النووية .

اننا نعارض كلا من امتناع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الخاطيء عن تأييد النضالات الثورية التي تخوضها الشعوب ، كما نعارض موقفهم الخاطيء تجاه الأسلحة النووية . فبدلا من فحص أخطائهم يتهموننا بأننا نأمل في حدوث « صدام مباشر » (١) بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، وفي محاولة دفعهما في أتون حرب نووية .

ان جوابنا هو : كلا ، أيها الأصدقاء . من الجدير بكم أن توقفوا اتجاركم بالأكاذيب والافتراءات المثيرة . فالحزب الشيوعي الصيني يقاوم بحزم « صداما مباشرا » بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ليس بالقول فقط . بل عمل جاهدا بالفعل أيضا لتجنب صدام مسلح مباشر بينهما . والأمثلة على هذا هي الحرب الكورية ضد العدوان الأميركي التي حاربنا فيها جنبا الى جنب مع الرفاق الكوريين وكذلك نضالنا ضد الولايات المتحدة في مضائق تايوان . وقد فضلنا نحن تحمل التضحيات الجسيمة التي لا بد منها ووقفنا في خط الدفاع الأول عن المعسكر الاشتراكي حتى يبقى الاتحاد السوفياتي في الخط الثاني . فهل لدى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أي شعور بالخلق البروليتاري عندما يطبخون مثل هذه الأكاذيب ؟

---

(١) « الخط العام للحركة الشيوعية العالمية والخطة الانقسامية للقادة الصينيين » ، افتتاحية في مجلة « كوميونسيت » ، للاتحاد السوفياتي ، عدد ١٤ لعام ١٩٦٣ .

وفي الحقيقة لسنا نحن بل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم الذين تبجحوا دائما بأنهم سوف يستخدمون الأسلحة النووية لمساعدة النضالات المعادية للاستعمار لدى قطر أو آخر .

وكما يعرف كل انسان فان الشعوب والأمم المضطهدة لا تملك أسلحة نووية ولا تستطيع ولا تحتاج الى استخدام هذه الأسلحة للقيام بالثورات . ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعترفون هم أيضا بأنه كثيرا ما لا يوجد خط واضح للقتال بين الجانبين في حروب التحرر الوطني وفي الحروب الأهلية ، ولهذا فاستخدام الأسلحة النووية أمر خارج عن الموضوع . وبودنا اذن أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : ما هي حاجة قطر اشتراكي الى استخدام الأسلحة النووية في تأييد النضالات الثورية لشعب ما ؟

وبودنا أيضا أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : كيف يستخدم قطر اشتراكي الأسلحة النووية لتأييد النضالات الثورية التي تقوم بها الشعوب والأمم المضطهدة ؟ هل سوف يستخدم أسلحته النووية في منطقة تجري فيها حرب تحرر وطني أو حرب ثورية أهلية ، وهكذا يعرض الشعوب الثورية والمستعمرين معا الى الهجوم النووي ؟ أم هل يبدأ باستخدام الأسلحة النووية ضد القطر الاستعماري الذي يشن حربا تقليدية عدوانية في مكان آخر ؟ بالطبع من غير المسموح به بتاتا لقطر اشتراكي أن يستخدم الأسلحة النووية في كلا الحالتين .

في الحقيقة أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يلوحون بأسلحتهم النووية لا بغرض تأييد النضالات المعادية للاستعمار التي تقوم بها الشعوب حقا .

فهم أحيانا ينشرون فقط بيانا لا ينوون أبدا الوفاء بما جاء فيه ، بغرض كسب سمعة أدبية رخيصة .

وأحيانا ينغمسون في مقامرة نووية انتهازية غير مسئولة ، لحاجة في نفس يعقوب ، كما فعلوا مثلا أثناء أزمة الكاريبي .

وحالما يكشف ابتزازهم النووي ويقابل بالمثل ، يتقهقرون خطوة بعد أخرى ، وينتقلون من المغامرة الى الاستسلام ويخسرون كل شيء بمقامرتهم النووية .

ونود أن نذكر أن الشعب والجيش الأحمر السوفياتيين العظيمين قد كانا ولا يزالان قوة عظمى تصون السلم العالمي . الا أن أفكار خروشوف العسكرية التي تقوم على الايمان الأعمى بالأسلحة النووية والابتزاز النووي خاطئة تمام الخطأ .

ان خروشوف لا يبصر غير الأسلحة النووية . وحسب قوله « فان القوة الجوية والقوة البحرية قد فقدتا أهميتهما السابقة نسبة للمستوى الحالي للتكنيك الحربي كما هو عليه . وسيجري وضع أسلحة أخرى مكان هذه ، لا انقاصها . » (١)

وبالطبع فان تلك الوحدات والرجال ، الذين يقومون بأداء واجبات المقاومة فوق الأرض ، أصبحوا أقل أهمية من تلك . فقد قال : « ان الطاقة الدفاعية لقطر ما ، في عهدنا الحاضر ، لا يقررها عدد الرجال المسلحين ، أو الذين يرتدون الزي العسكري . . . ان المقدرة الدفاعية

---

(١) تقرير خروشوف الى دورة مجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ، يناير (كانون الثاني) ١٩٦٠ .

لقطر ما ترتكز الى درجة حاسمة على الطاقة النارية ووسائل الاطلاق التي يسيطر عليها ذلك القطر . » (١)

أما الميليشيا والشعب فان هؤلاء لا يكاد يكون لهم نفع . لقد أدلى خروشوف بالعبارة الشهيرة التالية ، ان الميليشيا ، بالنسبة الينا نحن المسلحين بالأسلحة النووية ، لا يعدون جنودا ، بل لحما انسانيا لا غير . (٢)

ان المجموعة الكاملة لنظريات خروشوف العسكرية تسير تماما على النقيض من تعاليم الماركسية اللينينية حول الحرب والجيش . واتباع نظريته الخاطئة هذه لا بد أن يقود الى تحلل الجيش ، ونزع المرء سلاحه المعنوي .

وبالطبع اذا قبل أي قطر اشتراكي استراتيجية خروشوف العسكرية الخاطئة ، سوف يضع نفسه بلا شك في موضع خطير للغاية .

قد يضفي خروشوف على نفسه لقب « بطل عظيم للسلم » ، ويقدم لنفسه جائزة سلم ، ويلصق على صدره أوسمة البطل ولكن مهما كان المدح لنفسه ، فليس بوسعه أن يستر أعماله الخطيرة ، أعمال اللعب بالأسلحة النووية بتهور وطيش ، كما ليس بوسعه أن يستر خضوعه في وجه الابتزاز النووي الاستعماري .

نضال أم استسلام ؟

ان السلم العالمي يمكن كسبه فقط بنضال الشعوب في جميع

---

(١) تقرير خروشوف الى دورة مجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ، يناير (كانون الثاني) ١٩٦٠ .

(٢) كلمة خروشوف في اجتماع ممثلي الأحزاب الشقيقة في بوخارست ، ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٠ .

الأقطار ، لا باستجدائه من المستعمرين . ويمكن صيانة السلم صيانة فعالة فقط بالاعتماد على جماهير الشعب وبشن نضال يكيل الصاع بالصاع ضد السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية . ان هذه هي السياسة الصحيحة .

ان النضال لكيل الصاع بالصاع نتيجة هامة توصل اليها الشعب الصيني خلال نضاله المطول ضد الاستعمار وعملائه .

قال الرفيق ماو تسي تونغ :

« ان تشيان كاي شيك يسعى دوما لأن ينتزع من الشعب أصغر ذرة من السلطة ، وأقل فائدة مكتسبة . ونحن ؟ ان سياستنا تكمن في أن نكيل له الصاع بالصاع ، وأن نقاتل في سبيل كل شبر من الأرض . اننا نعمل بنفس طريقته . »

وأضاف :

« فهو يجهد دوما لفرض الحرب على الشعب ، حاملا باليد اليسرى سيفا وباليمنى سيفا آخر . وعلى غراره ، نشهر نحن الآخرين سيوفا . » (١)

قال الرفيق ماو تسي تونغ في تحليله للوضع السياسي المحلي في عام ١٩٤٥ :

« ” ان كيل الصاع بالصاع “ يعتمد على الوضع . وأحيانا

---

(١) ماو تسي تونغ : « الوضع وسياستنا بعد النصر في حرب المقاومة ضد اليابان » .

يكون رفض المفاوضات كيلا للصاع بالصاع ، وأحيانا قبول المفاوضات يكون كيلا للصاع بالصاع ... واذا بدا القتال نقاتلهم نحن ، نقاتل لكسب السلم . فالسلم لا يأتي ما لم نسدد ضربات قوية الى الرجعيين الذين يجرءون على مهاجمة المناطق المحررة . » (١)

وقد استقصى الدرس التاريخي التالي من فشل ثورة الصين بين مام ١٩٢٤–١٩٢٧ :

« تشين تو سيو ... تجاه الهجمات المعادية للثورة التي شنت ضد الشعب ، لم يتبن سياسة كيل الصاع بالصاع والقتال في سبيل كل شبر من الأرض ، بشكل أضاع معه على الشعب في عام ١٩٢٧ ، وفي ظرف بضعة أشهر ، كافة الحقوق التي كان الشعب قد اكتسبها . » (٢)

ان الشيوعيين الصينيين يفهمون سياسة كيل الصاع بالصاع وقد التزموا بها . ونحن نعارض الاستسلام والمغامرة معا . وقد ضمنت هذه السياسة انتصار الثورة الصينية والنجاحات العظيمة التي تلت ذلك في نضال الشعب الصيني ضد الاستعمار .

ان جميع الشعوب الثورية توافق على هذه السياسة النضالية الصحيحة التي وضعها الشيوعيون الصينيون وترحب بها ، أما كل المستعمرين والرجعيين فيخافونها ويكرهونها .

---

(١) ماو تسي تونغ : « حول مفاوضات تشونكنغ » .
(٢) ماوتسي تونغ : « الوضع وسياستنا بعد النصر في حرب المقاومة ضد اليابان » .

ان سياسة كيل الصاع بالصاع التي وضعها الحزب الشيوعي الصيني يهاجمها بعنف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي . وهذا لا يدل الا على أنهم لا يريدون أبدا معارضة الاستعمار . ان غرضهم الوحيد من الهجوم على سياسة كيل الصاع بالصاع والتشنيع بها هو تغطية خطهم الخاطيء خط الاستجابة لمتطلبات الاستعمار والاستسلام له .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعتقدون أن النضال على أساس كيل الصاع بالصاع ضد الاستعمار سوف يقود الى توتر دولي . ويا له من أمر فظيع !

وبناء على منطقهم هذا ، يمكن السماح للمستعمرين بارتكاب العدوان على الآخرين ومباشرة تهديدهم لهم ، الا أنه لا يسمح لضحايا العدوان الاستعماري بالنضال ، ويمكن السماح للمستعمرين باضطهاد الآخرين ، الا أنه لا يسمح للمضطَهدين بالمقاومة . ان هذه محاولة سافرة لتخليص المستعمرين من مسئولية جرائمهم العدوانية . وهذه هي فلسفة الوحوش قلبا وقالبا .

ان التوتر الدولي هو نتاج السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية . ويحق للشعوب بالطبع أن تشن نضالا حازما ضد العدوان و التهديد الاستعماريين . لقد أوضحت الحقائق أنه عن طريق النضال وحده يمكن اجبار الاستعمار على التقهقر واحراز تخفيف حقيقي في التوتر الدولي . أما التقهقر الدائم في وجه المستعمرين فلا يؤدي الى تخفيف حقيقي للتوتر بل على العكس يشجع عدوانهم فقط .

لقد عارضنا دائما خلق الاستعمار التوتر الدولي ، ودعونا الى تخفيف مثل هذا التوتر . الا أن المستعمرين مصرون على ارتكاب العدوان

وعلى خلق التوتر في كل مكان ، ولا يؤدي هذا الا الى النقيض مما يرغبون فيه .

قال الرفيق ماو تسي تونغ :

« يعتقد المستعمرون الأميركيون بأنهم سوف يجنون الفائدة دائما من الأوضاع المتوترة ، الا أن الحقيقة هي أن التوتر الذي خلقته الولايات المتحدة قد قاد الى النقيض مما أملت فيه ، فهو يخدم في حشد الشعوب في العالم قاطبة ضد المعتدين الأميركيين.»

وقال أيضا : « اذا ثابرت الجماعات الاحتكارية الأميركية على سياساتها العدوانية والحربية فلابد أن يحل اليوم الذي تشنقهم فيه شعوب العالم قاطبة . » (١)

وجاء في تصريح عام ١٩٥٧ بحق : « ان هذه القوى الاستعمارية العدوانية المعادية للشعب تهيىء هي نفسها ، بسياستها ، هلاكها ، وتخلق هي نفسها ، حفار قبرها . »

ان هذه هي ديالكتيكية التاريخ . ويصعب جدا على الذين يعظمون ويعبدون المستعمرين أن يفهموا هذه الحقيقة .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعتقدون أن الحزب الشيوعي الصيني يرفض المفاوضات بدعوته الى النضال على أساس كيل الصاع بالصاع . وهذا هراء مرة أخرى .

---

(١) كلمة ماو تسي تونغ في المجلس الأعلى للدولة ، صحيفة «جينمينجيباو» ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٨ .

رأينا دائما هو أن من يرفضون المفاوضات في جميع الظروف ليسوا ماركسيين لينينيين بالتأكيد .

لقد أجرى الشيوعيون الصينيون مفاوضات مع الكومينتانغ مرات عديدة أثناء الحروب الثورية الأهلية . ولم يرفضوا المفاوضات حتى في عشية تحرير الأمة قاطبة .

قال الرفيق ماو تسي تونغ في مارس (آذار) ١٩٤٩ :

« سواء كانت مفاوضات السلم شاملة أو محلية ، علينا أن نكون على أهبة الاستعداد لاحتمال كهذا . علينا ألا نرفض الدخول في المفاوضات لأننا نخش المشاكل ونود تفادي التعقيدات ، كما علينا ألا نقبل الدخول في المفاوضات وأفكارنا غير واضحة تماما ، علينا أن نكون حازمين فيما يتعلق بالمبدأ ، كما علينا أن نتحلى بكل مرونة مسموح بها وضرورية لتنفيذ مبادئنا . » (١)

ومن ناحية عالمية فان الشيوعيين الصينيين في نضالهم ضد الاستعمار والرجعية يتخذون نفس الموقف السديد تجاه المفاوضات .

وفي أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥١ قال الرفيق ماو تسي تونغ مايلي حول مفاوضات الهدنة الكورية :

« لقد قلنا منذ وقت بعيد انه تجب تسوية المسألة الكورية بالطرق السلمية . ومازلنا نقول هذا حتى الآن . اذا كانت حكومة

(١) ماو تسي تونغ : « تقرير الى الدورة العامة الثانية للجنة المركزية السابعة للحزب الشيوعي الصيني » .

المتحدة الولايات راغبة في تسوية المسألة على أسس عادلة ومعقولة ، وأوقفت جميع أعمالها الخسيسة لتحطيم المفاوضات واعاقتها هذه ، الأعمال التي فعلتها في الماضي ، يمكن النجاح في مفاوضات الهدنة الكورية . والا فيصبح النجاح مستحيلا . » (١)

ان النضال الحازم ضد المستعمرين الأميركيين قد أجبرهم على قبول اتفاقية الهدنة الكورية أثناء المفاوضات .

وقد ساهمنا مساهمة نشطة في مؤتمر جنيف لعام ١٩٥٤ ، وساهمنا في اعادة السلم الى الهند الصينية .

واننا نستحسن المفاوضات حتى اذا كانت مع الولايات المتحدة التي احتلت أرضنا تايوان . لقد ظلت المحادثات الصينية الأميركية على مستوى السفراء جارية لأكثر من ثمانية أعوام حتى الآن .

لقد ساهمنا مساهمة نشطة في مؤتمر جنيف لعام ١٩٦١ حول المسألة اللاوسية وساهمنا في العمل للتوقيع على اتفاقيات جنيف لاحترام استقلال وحياد اللاوس .

فهل يسمح الشيوعيون الصينيون لأنفسهم وحدهم بالمفاوضات مع الأقطار الاستعمارية بينما يعارضون المفاوضات التي يجريها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مع قادة الأقطار الاستعمارية ؟

كلا ! بالطبع كلا !

---

(١) ماو تسي تونغ : « الخطاب الافتتاحي في الدورة الثالثة للجنة الوطنية الأولى للمؤتمر السياسي الاستشاري للشعب الصيني » ، صحيفة « جينمينجيباو » ٢٤ اكتوبر (كانون الأول) ١٩٥١ .

وفي الحقيقة أننا أيدنا بنشاط دائما كل أمثال هذه المفاوضات التي أجرتها الحكومة السوفياتية مع الأقطار الاستعمارية والتي هي تفيد ولا تعوق صيانة السلم العالمي .

قال الرفيق ماو تسي تونغ في يوم ١٤ مايو (أيار) ١٩٦٠ :

« اننا نؤيد عقد مؤتمر القمة سواء كان هذا المؤتمر يؤدي الى نتائج أم لا سواء صغيرة كانت أوكبيرة . الا أن كسب السلم العالمي يجب أن يكون في الأساس رهنا على النضال الحازم الذي تقوم به شعوب جميع الأقطار . » (١)

اننا نؤيد المفاوضات مع الأقطار الاستعمارية . ولكن من غير المسموح به اطلاقا تعليق الأمل في السلم العالمي على المفاوضات نشر الأوهام حول المفاوضات مما يؤدي الى شل العزيمة النضالية لدى الشعوب ، كما فعل خروشوف .

في الحقيقة أن موقف خروشوف الخاطىء من المفاوضات في حد ذاته مضر بالمفاوضات نفسها . وكلما تزايد تراجع خروشوف أمام المستعمرين وكلما زاد استجداؤه لهم ، كلما تعاظمت شهية المستعمرين . ان خروشوف الذي يظهر بمظهر أعظم متحمس للمفاوضات في التاريخ قد أصبح عاشقا غير مرغوب فيه مرارا وأضحوكة الضاحكين . لقد برهنت حقائق تاريخية لا حصر لها على أن المستعمرين والرجعيين لا يهمهم أبدا أمر الاعتناء بكرامة المستسلمين .

---

(١) حديث الرئيس ماو تسي تونغ مع ضيوف من آسيا وأميركا اللاتينيـة ، صحيفة « جينمينجيباو » ، ١٥ مايو (أيار) ١٩٦٠ .

وبغرض التلخيص نقول ، ان خلافاتنا مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي حول مسألة الحرب والسلم هي خلافات بين خطين مختلفين هما : هل تجب معارضة الاستعمار أم لا ، وهل يجب تأييد النضالات الثورية أم لا ، وهل يجب حشد جماهير شعوب العالم ضد المؤامرات الاستعمارية الحربية أم لا ، وما اذا كنا نريد الماركسية اللينينية أم لا .

لقد كان الحزب الشيوعي الصيني ، شأنه شأن سائر الأحزاب الثورية الحقيقية ، يقف دائما في مقدمة النضال ضد الاستعمار ومن أجل السلم العالمي . ورأينا أنه من الضروري لصيانة السلم العالمي كشف الاستعمار بصورة دائمة وتعبئة وتنظيم الشعوب في النضال ضد الاستعمار وعلى رأسه الولايات المتحدة ، ومن الضروري الاعتماد على نمو منعة المعسكر الاشتراكي والنضالات الثورية للبروليتاريا والشغيلة في جميع الأقطار ، وعلى النضالات التحررية للأمم المضطهدة ، وعلى نضالات جميع الشعوب والأقطار المحبة للسلم ، وعلى الجبهة المتحدة الواسعة ضد الاستعمار الأميركي وعملائه .

ان خطنا هذا يتماشى مع الخط العام لجميع الأحزاب الشيوعية الذي جاء في تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ .

وبهذا الخط يمكن رفع الوعي السياسي للشعوب بلا انقطاع وتوسيع النضال من أجل السلم العالمي في الاتجاه الصحيح .

وبهذا الخط يمكن بلا انقطاع تدعيم قوى السلم العالمية التي يشكل فيها المعسكر الاشتراكي نواة ، وتوجيه الضربات المتتابعة

الى قوى الحرب الاستعمارية واضعافها .

وبهذا الخط يمكن توسيع ثورات الشعوب بلا انقطاع وتقييد الاستعمار .

وبهذا الخط يمكن الافادة من جميع العوامل المتواجدة بما في ذلك التناقضات بين الاستعمار الأميركي والقوى الاستعمارية الأخرى ، وعزل الاستعمار الأميركي الى أبعد حدود .

وبهذا الخط يمكن تحطيم الابتزاز النووي الذي يسير عليه الاستعمار الأميركي ، واحباط خطته لشن حرب عالمية جديدة .

هذا هو خط الشعوب في جميع الأقطار لاكتساب النصر في الثورة والسلم العالمي معا . وهو الطريق الصحيح الفعال لصيانة السلم العالمي .

الا أن الخط الذي يسير عليه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعارض خطنا كما يعارض الخط العام الذي اتفق عليه جميع الماركسيين اللينينيين والشعوب الثورية معارضة تامة .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يوجهون رمح نضالهم لا الى عدو السلم العالمي بل الى المعسكر الاشتراكي ، وهكذا يضعفون ويحطمون نواة القوى التي تدافع عن السلم العالمي .

انهم يستخدمون الابتزاز النووي لارهاب شعوب الأقطار الاشتراكية ولمنعها من تأييد النضالات الثورية التي تقوم بها الشعوب والأمم المضطهدة وهكذا يساعدون الاستعمار الأميركي على عزل المعسكر الاشتراكي وعلى كبت ثورات الشعوب .

انهم يستخدمون الابتزاز النووي لارهاب الشعوب والأمم المضطهدة

ولمنعها عن القيام بالثورة ، ويتضامنون مع الاستعمار الأميركي في القضاء على « شرارات » الثورة ، وهكذا يمكنونه من تنفيذ سياساته العدوانية والحربية بحرية في المنطقة الوسطى الواقعة بين الولايات المتحدة والمعسكر الاشتراكي .

كما يرهبون أيضا حلفاء الولايات المتحدة ويمنعونهم عن النضال ضد السيطرة التي فرضتها عليهم ، وهكذا يساعدون الاستعمار الأميركي على استعباد هذه الأقطار وتمتين مركزه .

لقد تخلى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي باتباعهم هذا الخط في أعمالهم تخليا تاما عن النضال ضد السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية .

وهذا الخط يلغي من حيث الأساس الجبهة المتحدة ضد الاستعمار الأميركي وعملائه ومن أجل الدفاع عن السلم العالمي .

وهذا الخط يفرض أعظم انعزال لا على العدو الأساسي للسلم العالمي بل على قوى السلم العالمي .

وهذا الخط قد ألغى عمليا مهمة النضال لأجل الدفاع عن السلم العالمي .

ان هذا الخط يخدم « الاستراتيجية العالمية » للاستعمار الأميركي .

انه ليس طريق صيانة السلم العالمي ، بل الطريق المؤدية الى خطر أعظم للحرب والى الحرب نفسها .

ان العالم اليوم لم يعد كما كان عليه عشية الحرب العالمية الثانية . واليوم يوجد المعسكر الاشتراكي الجبار ، وتندفع حركة التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية الى أمام . وارتفع الوعي السياسي

لشعوب العالم الى درجة كبيرة . وقد تعززت قوة الشعوب الثورية في العالم الى درجة كبيرة . وسوف لا يسمح شعب الاتحاد السوفياتي وشعوب الأقطار الاشتراكية وشعوب العالم أجمع ، للقوى الاستعمارية الحربية والسائرين في ركابها بأن يسيطروا على مصائرها .

ان نشاطات المستعمرين والرجعيين العدوانية والحربية تعلم بالتدريج شعوب العالم لرفع وعيها السياسي . ان الخبرة الاجتماعية العملية هي المحك الوحيد للحقيقة . ونحن على ثقة بأن كثيرين من أصحاب الآراء الخاطئة حول مسألة الحرب والسلم سوف يغيرون أفكارهم بعد أن يتلقوا الدروس من المستعمرين والرجعيين . ولدينا أمل عظيم في هذا .

اننا نؤمن ايمانا لا يتزعزع بأن الشيوعيين والشعوب في العالم سوف يحطمون دون ريب الخطة الاستعمارية لشن حرب عالمية جديدة ويصونون السلم العالمي اذا فضحوا تدليس المستعمرين ، وكشفوا أكاذيب المحرفين ، ووضعوا على عواتقهم مهمة الدفاع عن السلم العالمي .

سياستان للتعايش السلمي متعارضتان تعارضا تاما

ـتعليق سادس على الرسالة المفتوحة
للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

بقلم هيئتي تحرير صحيفة « جينمينجيباو »
ومجلة « العلم الأحمر »
(١٢ ديسمبر " كانون الأول " ١٩٦٣)

ظل خروشوف والرفاق الآخرون يتحدثون منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي عن مسألة التعايش السلمي أكثر من أي شيء آخر .

ويدعي قادة الحزب الشيوعي السوفياتي المرة تلو الأخرى أنهم مخلصون لسياسة لينين في التعايش السلمي ، وأنهم قد طوروها بشكل خلاق . وينسبون كل الفضل في الانتصارات التي كسبتها شعوب العالم في نضالاتها الثورية الطويلة الى سياستهم في « التعايش السلمي » .

انهم يروجون الفكرة القائلة بأن الاستعمار ، والاستعمار الأميركي بشكل خاص ، يؤيد التعايش السلمي ، ويفترون بشكل مسعور على الحزب الشيوعي الصيني وجميع الأحزاب الماركسية اللينينية بأنها تعارض التعايش السلمي . حتى أن الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تفتري على الصين بأنها تحبذ « التنافس لشن حرب » مع المستعمرين .

انهم يصفون والأقوال والأعمال التي خانوا بها الماركسية اللينينية ، والثورة البروليتارية العالمية ، والقضية الثورية للشعوب والأمم المضطهدة ، بأنها تتفق مع سياسة لينين في التعايش السلمي .

ولكن هل تستطيع كلمة « التعايش السلمي » أن تكون حقا تميمة الوقاية لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي في خيانتهم للماركسية اللينينية ؟ كلا ، كلا مطلقا .

اننا نواجه الآن بسياستين للتعايش السلمي متعارضتين تعارضا تاما .

احداهما سياسة لينين وستالين للتعايش السلمي التي يدعو اليها الماركسيون اللينينيون بما فيهم الشيوعيون الصينيون .

والأخرى هي سياسة التعايش السلمي المعادية للينينية ، وهي ما يدعى بالخط العام للتعايش السلمي الذي يدعو اليه خروشوف والآخرون .

ولنتفحص الآن سياسة لينين وستالين للتعايش السلمي وسقط المتاع الذي يسميه خروشوف والآخرون بالخط العام للتعايش السلمي .

سياسة لينين وستالين للتعايش السلمي

كان لينين هو الذي ابتكر فكرة أنه على الدولة الاشتراكية أن تتبع سياسة تعايش سلمي تجاه البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة . وقد سار الحزب الشيوعي السوفياتي وحكومة الاتحاد السوفياتي تحت قيادة لينين وستالين على هذه السياسة الصحيحة لمدة طويلة .

ان مسألة التعايش السلمي بين الأقطار الاشتراكية والرأسمالية ما كان من الممكن لها أن تظهر قبل ثورة أكتوبر ، لأنه لم تكن هناك دولة اشتراكية . ومع ذلك فقد تنبأ لينين في عامي ١٩١٥ - ١٩١٦ ، على أساس تحليله العلمي للاستعمار ، بأن « الاشتراكية لا يمكنها أن تحقق النصر في جميع الأقطار في نفس الوقت . انها ستحقق النصر أولا في قطر أو بعض الأقطار ، بينما تبقى الأقطار الأخرى برجوازية

أو في مرحلة ما قبل البرجوازية لبعض الوقت . » (١) وبمعنى آخر ، فان الأقطار الاشتراكية ستعيش فترة معينة من الزمن ، جنبا الى جنب مع الأقطار الرأسمالية أو الأقطار في مرحلة ما قبل الرأسمالية . ان طبيعة النظام الاشتراكي بالذات تقرر أنه يجب على الأقطار الاشتراكية أن تنهج سياسة خارجية سلمية . وقال لينين : « ان الطبقة العاملة يمكنها وحدها ، عندما تنتزع السلطة ، أن تنهج سياسة سلام لا بالأقوال . . . بل بالأفعال . » (٢) ويمكن القول بأن آراء لينين هذه تشكل الأساس النظري لسياسة التعايش السلمي .

وبعد انتصار ثورة أكتوبر أعلن لينين للعالم في مناسبات عديدة أن السياسة الخارجية للدولة السوفياتية هي سياسة سلمية . ولكن المستعمرين كانوا مصممين على خنق الجمهورية الاشتراكية الحديثة العهد في مهدها . فشنوا تدخلا مسلحا ضد الدولة السوفياتية . وقد أشار لينين بصورة صحيحة الى أنه أمام هذا الوضع الذي يواجهنا « لن نستطيع أن نبقى في الوجود ، الا اذا دافعنا عن الجمهورية الاشتراكية بقوة السلاح » (٣) .

وفي عام ١٩٢٠ هزم الشعب السوفياتي العظيم التدخل الاستعماري المسلح . وظهر الى حيز الوجود توازن نسبي للقوى بين الدولة السوفياتية

---

(١) لينين : « البرنامج الحربية للثورة البروليتارية ».

(٢) لينين : « مشروع قرار حول الوضع السياسي الراهن » .

(٣) لينين : « تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البولشفيك) في مؤتمر الحزب الثامن » .

والأقطار الاستعمارية . وقد ثبتت الدولة السوفياتية على أقدامها بعد اختبار القوة خلال بضع سنوات . وبدأت تتحول من الحرب الى البناء السلمي . وفي هذه الظروف بالذات تقدم لينين بفكرة سياسة التعايش السلمي . والواقع أنه منذ ذلك الوقت فصاعداً لم يكن أمام المستعمرين من خيار غير أن « يتعايشوا » مع الدولة السوفياتية .

وخلال عهد لينين كان هذا التوازن على الدوام غير مستقر أبداً ، وكانت الجمهورية الاشتراكية السوفياتية عرضة لحصار رأسمالي شديد . وقد أشار لينين حينا بعد آخر الى أنه بسبب الطبيعة العدوانية للاستعمار ، ليس هناك من ضمان لأن تعيش الاشتراكية والرأسمالية في سلام لمدة طويلة .

وفي الظروف القائمة آنذاك ، لم يكن من الممكن للينين أن يحدد بالتفصيل محتوى سياسة التعايش السلمي بين الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة . ولكن لينين العظيم قد وضع لأول دولة لديكتاتورية البروليتاريا السياسة الخارجية الصحيحة ، وتقدم بالأفكار الأساسية لسياسة التعايش السلمي .

فماذا كانت أفكار لينين الأساسية حول هذه السياسة ؟

أولا : أشار لينين الى أن وجود الدولة الاشتراكية هو على النقيض من ارادة المستعمرين . وبالرغم من أنها تمسكت بسياسة خارجية سلمية ، الا أن المستعمرين كانوا لايرغبون في العيش بسلام معها ، وسيبذلون كل ما يمكنهم وسينتهزون كل فرصة لمقاومة وحتى تدمير الدولة الاشتراكية .

وقال لينين :

« ان الاستعمار العالمي ... لم يستطع ... أن يعيش جنبا الى جنب مع الجمهورية السوفياتية بسبب كل من موقفه الموضوعي والمصالح الاقتصادية للطبقة الرأسمالية الكامنة فيه . . .»(١)

ثم قال بعد ذلك :

« ... ان وجود الجمهورية السوفياتية جنبا الى جنب مع الدول الاستعمارية لوقت طويل هو أمر لا يتصور . ان أحد الجانبين يجب أن ينتصر في النهاية . وقبل أن تحل تلك النهاية سيكون من المحتم وقوع سلسلة من الاصطدامات المخيفة بين الجمهورية السوفياتية والدول البرجوازية . » (٢)

ولذلك أكد المرة تلو الأخرى بأن على الدولة الاشتراكية أن تحافظ على يقظة تامة تجاه الاستعمار .

« ... ان الدرس الذي يجب على العمال والفلاحين أن يتقنوه هو أنه يجب أن نكون على حذر ويقظة وأن نتذكر أننا محاطون برجال وطبقات وحكومات تعبر علنا عن كراهيتها المتناهية لنا . ويجب علينا أن نذكر أننا دوما على قيد شعرة من جميع

(١) لينين : «تقرير حول الحرب والسلم» ، ألقي في المؤتمر السابع للحرب الشيوعي الروسي (البولشنفيك) .

(٢) لينين : « تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البولشفيك) في مؤتمر الحزب الثامن » .

أنواع الغزو . » (١)

ثانيا ، أشار لينين الى أنه ، عن طريق النضال فقط ، أصبح بمقدور الدولة السوفياتية أن تعيش في سلام مع الأقطار الاستعمارية . وكان هذا نتيجة المحاولات المتعددة لاختبار القوة بين الأقطار الاستعمارية والدولة السوفياتية التي تبنت سياسة صحيحة ، واعتمدت على تأييد البروليتاريا والأمم المضطهدة في العالم ، وأفادت من التناقضات بين المستعمرين .

لقد قال لينين في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٩ :

« هذا هو الطريق دوما ـ عندما يغلب العدو يبدأ في الحديث عن السلام . لقد قلنا لهؤلاء السادة ، المستعمرين الأوروبيين ، المرة تلو الأخرى اننا نوافق على السلام ، ولكنهم ظلوا يحلمون باستعباد روسيا . ولقد أدركوا الآن أن أحلامهم لن تتحقق . » (٢)

وأشار في عام ١٩٢١ :

« ... ان الدول الاستعمارية مع كل كراهيتها لروسيا السوفياتية ورغبتها في الانقضاض عليها ، كان عليها أن تتخلى عن هذه الفكرة ، لأن انحلال العالم الرأسمالي يتقدم باطراد ، ووحدته

---

(١) لينين : « حول السياسات الداخلية والخارجية للجمهورية ، تقرير في مؤتمر السوفيات التاسع لعموم روسيا » .

(٢) لينين : « خطاب في المؤتمر الأول لعموم روسيا حول عمل الحزب في الريف » .

آخذة في التقلص أكثر فأكثر ، وضغط قوى الشعوب المضطهَدة المستعمَرة التي يبلغ تعدادها أكثر من ألف مليون نسمة يصبح أقوى في كل سنة ، وفي كل شهر ، بل في كل أسبوع . » (١)

ثالثا ، في تنفيذه لسياسة التعايش السلمي ، طبق لينين مبادىء مختلفة بالنسبة لمختلف أنواع الأقطار في العالم الرأسمالي .

فقد أولى اهتماما خاصا لاقامة علاقات ودية مع الأقطار التي كان يتهددها المستعمرون ويضطهدونها . وأشار الى أن « المصالح الأساسية لجميع الأمم التي تعاني من نير الاستعمار منسجمة » وأن « السياسة العالمية للاستعمار تؤدي الى اقامة علاقات أوثق وتحالف وصداقة بين جميع الأمم المضطهَدة » . وقال ان السياسة السلمية للدولة السوفياتية « ستفرض بشكل متزايد اقامة روابط أوثق بين جمهورية اتحاد روسيا الاشتراكية السوفياتية وعدد متنام من الدول المجاورة » (٢) .

وقال لينين أيضا :

« اننا نضع لأنفسنا الواجب الأساسي التالي : قهر المستغِلين وكسب المترددين الى جانبنا وهذا الواجب واجب على نطاق عالمي . ومن بين المترددين سلسلة كاملة من الدول البـرجوازية ، التي تكرهنا كدول برجوازية ، لكنها من الجهة الأخرى ، كدول

---

(١) لينين : «خطاب في اختتام المؤتمر الوطني العاشر للحزب الشيوعي الروسي (البولشفيك)» .
(٢) لينين : « عمل مجلس مفوضي الشعب ، تقرير في مؤتمر السوفيات الثامن لعموم روسيا » .

مضطهَدة ، تفضل السلام معنا . » (١)

أما بالنسبة لأسس السلام مع الأقطار الاستعمارية ، مثل الولايات المتحدة ، فقد قال : « ليمتنع الرأسماليون الأميركيون عن لمسنا . » « " ما هي العقبة لمثل هذا السلام ؟ " من جانبنا ، ليس هناك من عقبة ، بل من جانب الرأسماليين الأميركيين (وجميع الرأسماليين الآخرين) فالعقبة هي الاستعمار . » (٢)

رابعا ، لقد ابتكر لينين سياسة التعايش السلمي كسياسة تنهجها البروليتاريا الحاكمة تجاه الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة . ولم يجعلها أبدا مجمل السياسة الخارجية لدولة اشتراكية . فقد أوضح المرة تلو الأخرى أن المبدأ الأساسي للسياسة الخارجية هذه هو الأممية البروليتارية .

وقال لينين :

ان روسيا السوفياتية تعتبر أعظم فخر لها أن تساعد عمال العالم قاطبة في نضالهم الشاق للاطاحة بالرأسمالية (٣) .

وفي مرسوم السلام الذي صدر بعد ثورة أكتوبر ، دعا لينين ، عندما اقترح على جميع الدول المتحاربة سلاما فوريا بدون استقطاع

---

(١) لينين : « تقرير عن عمل اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا ومجلس مفوضي الشعب » .

(٢) لينين : « جواب على أسئلة لمراسل الصحيفة الأميركية نيويورك ايفنج جورنال » .

(٣) لينين : « الى المؤتمر العالمي الرابع للكومينترن و سوفيات بتروغراد لنواب العمال والجيش الأحمر » .

جزء من أراضيها أو عقوبات مالية ، العمال الواعين طبقيا في الأقطار الرأسمالية الى المساعدة عن طريق أشد الأعمال شمولا وتصميما ، « للسير بقضية السلم وفي الوقت نفسه للسير بقضية تحرير جماهير الشغيلة المستغَلين من جميع أشكال العبودية والاستغلال ، الى نهاية ناجحة » (١) .

ان مشروع برنامج الحزب الذي خطه لينين للمؤتمر السابع للحزب الشيوعي الروسي قد نص بوضوح على أن « تأييد الحركة الثورية للبروليتاريا الاشتراكية في الأقطار المتقدمة » و « تأييد الحركة الديمقراطية والثورية في جميع الأقطار بشكل عام وفي المستعمرات والبلدان التابعة بشكل خاص يشكلان النواحي الهامة لسياسة الحزب الدولية » (٢) .

خامسا ، اعتقد لينين دائما أنه من المستحيل للطبقات والأمم المضطهَدة أن تتعايش سلميا مع الطبقات والأمم المضطهِدة .

اذ أشار في « الاستنتاج حول المهمات الأساسية للمؤتمر الثاني للأممية الشيوعية » الى أنه :

« . . . حتى أكثر أقسام البرجوازية تعليما وديمقراطية لا تتردد الآن أبدا في اللجوء الى أي خدعة أو جريمة ، أو في ذبح ملايين العمال والفلاحين من أجل انقاذ ملكيتها الخاصة لوسائل الانتاج . »

---

(١) لينين : « خطاب حول السلم » الذي القي في المؤتمر الثاني لسوفيات نواب العمال والجيش لعموم روسيا .

(٢) لينين : « خطاب حول مسودة المشروع لبرنامج الحزب » الذي ألقي في المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الروسي (البولشفيك) .

هذا وكانت استنتاجات لينين كما يلي :

« . . . ان مجرد التفكير في اخضاع الرأسماليين سلميا لارادة أغلبية المستغلَين ، وفي الانتقال السلمي الاصلاحي الى الاشتراكية ، ليس في أقصى درجات الغباء وحسب ، بل وأيضا خداع صريح للعمال ، وتزيين لعبودية الأجر الرأسمالية واخفاء للحقيقة . » (١)

وقد أشار مرارا الى نفاق ما أسماه المستعمرون بالمساواة بين الأمم فقال :

« ان عصبة الأمم وكل سياسة الدول المتحالفة بعد الحرب تكشف هذه الحقيقة بوضوح وتمييز أكثر مما مضى ، اذ أنها في كل مكان تشدد النضال الثوري لكل من البروليتاريا في الأقطار المتقدمة وجماهير الشغيلة في المستعمرات والبلدان التابعة ، وتعجل انهيار الوهم الوطني للبرجوازية الصغيرة بأن الأمم يمكن أن تعيش بعضها مع البعض في سلام ومساواة في ظل الرأسمالية . » (٢)

ان ما سبق يشكل أفكار لينين الأساسية حول سياسة التعايش السلمي . لقد تمسك ستالين بسياسة لينين للتعايش السلمي . وخلال الثلاثين عاما التي قاد ستالين خلالها الاتحاد السوفياتي انتهج باستمرار سياسة

---

(١) لينين : « حول برنامج المهام الأساسية للمؤتمر الثاني للأممية الشيوعية » .

(٢) لينين : « مسودة أولية للموضوع حول المسألة الوطنية ومسألة المستعمرات » .

التعايش السلمي هذه . ولم يحدث قط الا عندما قام المستعمرون والرجعيون باستفزازات مسلحة وشنوا حروبا عدوانية ضد الاتحاد السوفياتي ، أن اضطر الاتحاد السوفياتي لخوض الحرب الوطنية الكبرى والقتال دفاعا عن النفس .

وقد أشار ستالين الى أن « علاقاتنا مع الأقطار الرأسمالية قائمة على الافتراض بأن التعايش بين نظامين متعارضين هو أمر ممكن » وأن « الحفاظ على علاقات سلمية مع الأقطار الرأسمالية هو واجب مفروض علينا » (١)

وأشار أيضا الى أن :

« التعايش السلمي بين الرأسمالية والشيوعية ممكن تماما ، شريطة أن تكون هناك رغبة متبادلة في التعاون ، واستعداد لتنفيذ الالتزامات التي يتعهد بها ، وتقيد بمبدأ المساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى . » (٢)

وبينما كان ستالين يتمسك بسياسة لينين للتعايش السلمي ، كان يعارض بحزم الامتناع عن تأييد ثورات الشعوب الأخرى من أجل التملق للاستعمار . وقد أكد بقوة وجود خطين متعارضين في السياسة

(١) ستالين : « تقرير اللجنة المركزية السياسي » الذي ألقي في المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي السوفياتي (البولشفيك) .

(٢) ستالين : « أجوبة على أسئلة محررين أميركيين »،« البرافدا » ، ٢ أبريل (نيسان) ١٩٥٢ .

الخارجية والى أنه لا مندوحة عن اتباع « هذا الخط أو ذاك » .

والخط الأول هو أن « نواصل اتباع سياسة ثورية ، حاشدين بروليتاريي ومضطهَدي جميع الأقطار حول الطبقة العاملة في الاتحاد السوفياتي - وفي هذه الحالة فان الرأسمال العالمي سيبذل كل ما يستطيعه ليعرقل تقدمنا » .

أما الخط الثاني فهو أن « ننبذ سياستنا الثورية ، وأن نوافق على القيام بعدد من التنازلات المبدئية تجاه الرأسمال العالمي — وفي هذه الحالة فان الرأسمال العالمي بلا شك لن يرفض "مساعدتنا" على تحويل بلدنا الاشتراكي الى جمهورية برجوازية "حسنة" » .

وقدم ستالين مثلا هو « أن أميركا تطلب أن نتخلى بشكل مبدئي عن سياسة تأييد حركة تحرر الطبقة العاملة في الأقطار الأخرى ، وهي تقول انه اذا ما قدمنا هذا التنازل فان كل شيء سيكون سهلا . . . أ فلا نقدم هذا التنازل ؟ »

وأجاب بالنفي قائلا : « . . . اننا لا يمكن أن نوافق على هذه التنازلات أو ما يماثلها دون أن نكذب على أنفسنا . . . » (١)

ان ملاحظات ستالين هذه لا تزال على جانب كبير من الأهمية العملية . وفي الواقع هناك سياستان خارجيتان متعارضتان تعارضا تاما ، وسياستان للتعايش السلمي متعارضتان تعارضا تاما . والواجب الهام لجميع الماركسيين اللينينيين هو أن يميزوا بينهما ، وأن يتمسكوا بسياسة لينين

---

(١) ستالين : « عمل الاجتماع المشترك للجنة المركزية ولجنة الرقابة المركزية المنعقد في أبريل (نيسان) » .

وستالين ، وأن يعارضوا بحزم كلا من السياستين اللتين شجبهما ستالين ، سياسة الخيانة والاستسلام والامتناع عن تأييد الثورة ، والسياسة التي تحول بلدا اشتراكيا الى جمهورية برجوازية « حسنة » .

الحزب الشيوعي الصيني
يتمسك بسياسة لينين للتعايش السلمي

تزعم الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي أن الحزب الشيوعي الصيني « ينقصه الايمان بامكانية التعايش السلمي » ، وتتهمه افتراء بأنه يعارض سياسة لينين للتعايش السلمي .

فهل هذا صحيح ؟ لا بالطبع .

ان كل من يحترم الحقائق يستطيع أن يرى بوضوح أن الحزب الشيوعي الصيني وحكومة جمهورية الصين الشعبية قد انتجها بلا هوادة سياسة لينين للتعايش السلمي بنجاح كبير .

فمنذ الحرب العالمية الثانية ، حصل تغير أساسي في الميزان العالمي للقوى الطبقية . وقد انتصرت الاشتراكية في عدد من الأقطار ، وظهر المعسكر الاشتراكي الى عالم الوجود . وتنمو حركة التحرر الوطني بسرعة ، كما ظهر عدد من الدول الوطنية التي حصلت حديثا على استقلالها السياسي. أما المعسكر الاستعماري فقد ضعف كثيرا ، وأخذت التناقضات بين الأقطار الاستعمارية تزداد حدة باستمرار . وهذا الوضع يوفر للأقطار الاشتراكية ظروفا أكثر ملاءمة لتطبيق سياسة التعايش السلمي تجاه الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة .

وفي هذه الظروف التاريخية الجديدة أغنى الحزب الشيوعي الصيني والحكومة الصينية سياسة لينين للتعايش السلمي أثناء تطبيقها .

لقد قال الرفيق ماو تسي تونغ عشية ميلاد جمهورية الصين الشعبية :

« . . . اننا نعلن للعالم أجمع أن ما نعارضه تمام المعارضة هو النظام الاستعماري ومؤامراته ضد الشعب الصيني . اننا على استعداد للمفاوضة مع أية حكومة أجنبية حول مسألة اقامة علاقات ديبلوماسية ، على أساس مبادىء المساواة والمنفعة المتبادلة والاحترام المتبادل للوحدة والسيادة الاقليميتين ، شريطة أن تكون هذه الحكومة على استعداد لفصم علاقاتها مع الرجعيين الصينيين ، وأن توقف التآمر معهم أو مساعدتهم وأن تتبنى موقفا وديا حقيقيا وليس زائفا تجاه الصين الشعبية . ان الشعب الصيني يرغب في أن يقيم تعاونا وديا مع شعوب جميع الأقطار وأن يستأنف ويوسع التجارة الدولية من أجل تطوير الانتاج ودفع الازدهار الاقتصادي . » (١)

ووفقا لهذه المبادىء التي قدمها الرفيق ماو تسي تونغ ، وضعنا سياستنا الخارجية السلمية في تعابير واضحة في البرنامج المشترك الذي تبناه المؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني في سبتمبر (أيلول ١٩٤٩) ، ومن ثم في دستور جمهورية الصين الشعبية الذي أجازه المجلس الوطني لنواب الشعب في سبتمبر (أيلول) ١٩٥٤ .

وقد ابتكرت الحكومة الصينية في عام ١٩٥٤ مبادىء التعايش السلمي

---

(١) ماو تسي تونغ : « خطاب في اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاستشاري السياسي الجديد » .

الخمسة المشهورة ، وهي الاحترام المتبادل للوحدة والسيادة الاقليميتين ، وعدم الاعتداء المتبادل ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للآخرين ، والمساواة والمنفعة المتبادلة ، والتعايش السلمي . وصغنا مع الأقطار الآسيوية والافريقية الأخرى المبادىء العشرة على أساس المبادىء الخمسة في مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ .

وقد لخص الرفيق ماو تسي تونغ في عام ١٩٥٦ تجربة بلادنا الواقعية في الشؤون الدولية ووضح بصورة أكثر المبادىء العامة لسياستنا الخارجية وقال :

« من أجل تحقيق سلام عالمي أبدي ، يجب علينا أن نطور تطويرا أكثر صداقتنا وتعاوننا مع الأقطار الشقيقة في المعسكر الاشتراكي وأن نعزز تضامننا مع جميع الأقطار المحبة للسلام . ويجب علينا أن نسعى لاقامة علاقات ديبلوماسية طبيعية على أساس الاحترام المتبادل للوحدة والسيادة الاقليميتين والمساواة والمنفعة المتبادلة مع جميع الأقطار التي ترغب في أن تعيش معنا بسلام . ويجب علينا أن نقدم تأييدا نشيطا لحركة الاستقلال الوطني والتحرر في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية وكذلك لحركة السلام والنضالات العادلة في جميع الأقطار في العالم . » (١)

وقال في عام ١٩٥٧ :

« ان سياستنا الأساسية ، حيث تكمن مصلحتنا الأساسية ،

---

(١) ماو تسي تونغ : « خطاب افتتاحي في المؤتمر الوطني الثامن للحزب الشيوعي الصيني » .

هي أن نعزز وحدتنا مع الاتحاد السوفياتي ، ووحدتنا مع جميع الأقطار الاشتراكية . »

« ثم ، هناك الأقطار الآسيوية والافريقية ، جميع الأقطار والشعوب المحبة للسلام ، يجب علينا أن نعزز ونطور وحدتنا معها . »

« أما بالنسبة للأقطار الاستعمارية ، فعلينا أيضا أن نتحد مع شعوبها ، ونكافح لنتعايش في سلام مع هذه الأقطار ، وأن نتاجر معها ، وأن نمنع وقوع أي حرب ممكنة ، ولكن يجب ألا تساورنا أية أفكار غير واقعية حول هذه الأقطار في أي ظرف من الظروف . » (١)

وقد تبنينا في شؤوننا الخارجية خلال الأربعة عشر عاما الماضية ، سياسات مختلفة تجاه الأنواع المختلفة من الأقطار ، ونوعنا سياساتنا وفقا للظروف المختلفة في الأقطار من نفس النوع .

فأولا : نميز بين الأقطار الاشتراكية والرأسمالية . ونحن نثابر على المبدأ الأممي البروليتاري للمساعدة المتبادلة بالنسبة للأقطار الاشتراكية. ونحن نتخذ صيانة وحدة جميع الأقطار في المعسكر الاشتراكي وتعزيزها كسياسة أساسية في علاقاتنا الخارجية .

ثانيا : نميز بين الأقطار الوطنية التي حصلت حديثا على استقلالها السياسي وبين الأقطار الاستعمارية .

ومع أن الأقطار الوطنية تختلف أساسا عن الأقطار الاشتراكية

---

(١) ماو تسي تونغ : « حول المعالجة الصحيحة للتناقضات داخل الشعب » .

في أنظمتها الاجتماعية والسياسية ، الا أن هناك تناقضا عميقا بينها وبين الاستعمار ، كما لها مصالح مشتركة مع الأقطار الاشتراكية ، هي مقاومة الاستعمار وصيانة الاستقلال الوطني والدفاع عن السلام العالمي . ولذلك فمن الممكن والعملي تماما للأقطار الاشتراكية أن تقيم علاقات للتعايش السلمي والتعاون الودي مع هذه الأقطار . ان اقامة مثل هذه العلاقات ذات أهمية عظيمة لتعزيز وحدة القوى المناوئة للاستعمار ، ولدفع نضال الشعوب المشترك ضد الاستعمار .

لقد تمسكنا دوما بسياسة توطيد وتطوير التعايش السلمي والتعاون الودي مع أقطار آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية . وفي الوقت نفسه ، خضنا نضالات مناسبة ضرورية ضد أقطار ، مثل الهند ، نقضت أو حطمت المبادىء الخمسة .

ثالثا : نميز بين الأقطار الرأسمالية العادية والأقطار الاستعمارية ، وكذلك بين الأقطار الاستعمارية المختلفة .

ولما أصبح ميزان القوى الطبقية على النطاق العالمي يرجح باطراد لصالح الاشتراكية ، وأصبحت القوى الاستعمارية أضعف في كل يوم ، وأصبحت التناقضات تتفاقم بينها ، فمن الممكن للأقطار الاشتراكية أن تجبر هذه الدولة الاستعمارية أوتلك على اقامة نوع من التعايش السلمي معها ، وذلك بالاعتماد على قوتها المتنامية ، وتوسع قوى الشعوب الثورية والوحدة مع الأقطار الوطنية ، ونضال جميع الشعوب المحبة للسلام ، وباستخدام التناقضات الداخلية للاستعمار .

وبينما نثابر على التعايش السلمي مع الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، نؤدي بثبات واجبنا الأممي البروليتاري . ونحن نؤيد بنشاط

حركات التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، وحركات الطبقة العاملة في أوروبا الغربية وأميركا الشمالية واوقيانوسيا ، ونضالات الشعوب الثورية وكذلك نضالات الشعوب ضد السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية وفي سبيل السلام العالمي .

ان لنا هدفا واحدا من كل ذلك ، الا وهو أن نوحد جميع القوى التي يمكن توحيدها ، باعتبار المعسكر الاشتراكي والبروليتاريا العالمية نواة لها ، وذلك لتشكيل جبهة موحدة عريضة ضد الاستعمار الأميركي وعملائه .

وعلى أساس المبادىء الخمسة للتعايش السلمي ، أقامت الحكومة الصينية خلال العشر سنوات الماضية ونيف ، علاقات ودية مع العديد من الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، وطورت معها تبادلات اقتصادية وثقافية . وعقدت الصين معاهدات صداقة ، ومعاهدات سلام وصداقة أو معاهدات صداقة وتعاون متبادل وعدم اعتداء متبادل مع اليمن وبورما ونيبال وأفغانستان غينيا وكمبوديا واندونيسيا وغانا . وقد سوّت بنجاح مسائل حدودها مع بورما ونيبال وباكستان وأفغانستان الخ . . تلك المسائل التي خلفها التاريخ .

وما من أحد يستطيع أن يطمس المنجزات الكبرى التي حصل عليها الحزب الشيوعي الصيني والحكومة الصينية في التمسك بسياسة لينين للتعايش السلمي .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي باختراعهم أكذوبة أن الصين تعارض التعايش السلمي ، انما تحدوهم دوافع خفية . واذا تحدثنا بصراحة فان هدفهم هو ستر بشاعتهم في خيانة الأممية البروليتارية والتواطؤ مع الاستعمار .

خط « التعايش السلمي » العام
لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي

لسنا نحن ، بل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم الذين ينتهكون في الواقع سياسة لينين للتعايش السلمي .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد طبلوا لمفهومهم للتعايش السلمي بأضخم العبارات . فما هي وجهات نظرهم الأساسية حول مسألة التعايش السلمي ؟

أولا : يزعم قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن التعايش السلمي هو المبدأ الأعلى الذي لايعلوه شيء لحل القضايا الاجتماعية المعاصرة . ويزعمون أن التعايش السلمي هو « البديل الأساسي في الأزمنة المعاصرة » و« المطلب الملح للعهد الحاضر » (١) . وهم يقولون ان « التعايش السلمي هو الطريق المقبول الأفضل والوحيد لحل القضايا ذات الأهمية الحيوية التي تواجه المجتمع » (٢) ، وان مبدأ التعايش السلمي يجب أن يصبح «القانون الأساسي لحياة المجتمع المعاصر بأسره » (٣) .

---

(١) بونوماريوف : « الراية الظافرة للشيوعيين في العالم » ، « البرافدا » ، ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٢ .

(٢) رومیانتسايف : « سلاحنا الأيديولوجي المشترك » ، مجلة « القضايا للسلم والاشتراكية » ، العدد الأول عام ١٩٦٢ .

(٣) خطاب خروشوف في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة ، ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٠ .

ثانيا : يعتبرون أن الاستعمار قد أصبح مستعدا لقبول التعايش السلمي ، ولم يعد عقبة له . وهم يقولون بأن هناك « عددا ليس قليلا من قادة الحكومات والدول في الأقطار الغربية يقفون الآن أيضا في سبيل السلام والتعايش السلمي » (١) ، وانهم « يدركون بجلاء أكثر وأكثر ضرورة التعايش السلمي » (٢) . هذا وقد أعلنوا بصخب شديد على وجه الخصوص « اعتراف » رئيس للولاياتِ المتحدة بـ « حكمة وواقعية التعايش السلمي بين الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة »(٣) .

ثالثا : انهم يدعون الى « التعاون الشامل » مع الأقطار الاستعمارية ، وعلى الأخص مع الولايات المتحدة . وهم يقولون ان الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة « سيكون في وسعهما ايجاد أساس لأعمال وجهود متفق عليها لخير البشرية بأجمعها » (٤) وأنهما تستطيعان « أن تسيرا قدما يدا بيد من أجل توطيد السلام واقامة تعاون دولي حقيقي بين جميع الدول » (٥) .

---

(١) خطاب خروشوف في جامعة كاد جياه مادا بجوغ جاكارتا ، اندونيسيا ، ٢١ فبراير (شباط) ١٩٦٠ .

(٢) تقرير ألقاه خروشوف في مجلس السوفيات الأعلى للاتحاد السوفياتي ، يناير (كانون الثاني) ١٩٦٠ .

(٣) مقال بقلم هيئة تحرير « الأزفيستيا » ، ٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦١ .

(٤) برقية التحية الى كندي من خروشوف وبريجينيف ، ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦١ .

(٥) خطاب ألقاه خروشوف في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة ، ٢٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٠ .

رابعا : وهم يقولون ان التعايش السلمي هو « الخط العام للسياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي وأقطار المعسكر الاشتراكي » (١) .

خامسا : ويقولون أيضا ان « مبدأ التعايش السلمي يقرر الخط العام للسياسة الخارجية للحزب الشيوعي السوفياتي والأحزاب الماركسية اللينينية الأخرى » (٢) ، وانه « أساس استراتيجية الشيوعية » في عالم اليوم ، وان جميع الشيوعيين قد جعلوا النضال في سبيل التعايش السلمي المبدأ العام لسياستهم » (٣) .

سادسا : انهم يعتبرون التعايش السلمي شرطا مسبقا لانتصار النضالات الثورية للشعوب . ويعتقدون أن الانتصارات التي أحرزتها شعوب مختلف الأقطار قد أحرزت في « ظروف التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة » (٤) . انهم يزعمون أنه « على وجه التحديد في ظروف التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، انتصرت الثورة الاشتراكية في كوبا ، وأحرز الشعب الجزائري استقلاله الوطني ، وأحرز أكثر من أربعين بلدا الاستقلال الوطني ، كما تنامت الأحزاب

---

(١) خطاب خروشوف في حفلة الاستقبال التي أقامتها سفارة جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية في الاتحاد السوفياتي ، ٥ يوليو (تموز) ١٩٦١ .

(٢) بونوماريوف : « بعض مشاكل الحركة الثورية » ، مجلة « القضايا للسلم والاشتراكية » ، العدد ١٢ عام ١٩٦٢ .

(٣) « التعايش السلمي والثورة » ، مجلة « الشيوعي » ، موسكو ، العدد ٢ ، عام ١٩٦٢ .

(٤) بونوماريوف : « مرحلة جديدة في الأزمة العامة للرأسمالية » ، « البرافدا » ، ٨ فبراير (شباط) ١٩٦١ .

الشقيقة عددا وقوة ، وازداد نفوذ الحركة الشيوعية العالمية »(١) .

سابعا : انهم يعتقدون أن التعايش السلمي هو « أفضل سبيل لمساعدة حركة العمال الثورية العالمية في تحقيق أهدافها الطبقية الأساسية » (٢) . وهم يصرحون بأن امكانية الانتقال السلمي الى الاشتراكية قد نمت في الأقطار الرأسمالية في ظل التعايش السلمي . وبالاضافة لهذا يعتقدون أن انتصار الاشتراكية في المباراة الاقتصادية « سيعني توجيه ضربة قاضية الى نظام العلاقات الرأسمالية بأسره » (٣) . انهم يذكرون أنه « عندما سيتمتع الشعب السوفياتي ببركات الشيوعية ، سيقول مئات الملايين من الناس على الأرض "اننا نريد الشيوعية !"» (٤) ، وان الرأسماليين حينذاك قد « ينضمون الى الحزب الشيوعي » .

أنظروا ، أية نقطة مشتركة بين هذه الآراء وسياسة لينين للتعايش السلمي ؟

ان سياسة لينين للتعايش السلمي هي سياسة تتبعها دولة اشتراكية في علاقاتها مع الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، الا أن

---

(١) رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المؤرخة في ٣٠ مارس (آذار) ١٩٦٣ الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني .

(٢) رسالة مفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الى المنظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

(٣) بونوماريوف : « بعض مشاكل الحركة الثورية » ، مجلة « القضايا للسلم والاشتراكية » ، العدد ١٢ عام ١٩٦٢ .

(٤) « برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي » الذي أجازه المؤتمر الثاني و العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي .

خروشوف يصف التعايش السلمي بأنه أعلى مبدأ يتحكم في حياة المجتمع الحديث .

ان سياسة لينين للتعايش السلمي تشكل مظهرا واحدا للسياسة الدولية للبروليتاريا الحاكمة ، الا أن خروشوف يمد نطاق التعايش السلمي ويحوله الى الخط العام للسياسة الخارجية للأقطار الاشتراكية ، وحتى أنه يمد نطاقه أكثر ويحوله الى الخط العام لجميع الأحزاب الشيوعية .

ان سياسة لينين للتعايش السلمي كانت موجهة ضد سياسات الاستعمار العدوانية والحربية ، الا أن تعايش خروشوف السلمي يتمشى مع حاجيات الاستعمار ويساعد السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية .

ان سياسة لينين للتعايش السلمي تستند الى وجهة نظر النضال الطبقي العالمي ، الا أن تعايش خروشوف السلمي يجهد لوضع التعاون الطبقي العالمي محل النضال الطبقي العالمي .

ان سياسة لينين للتعايش السلمي تنطلق من المهمة التاريخية للبروليتاريا العالمية ، ولذلك فهي تتطلب من الأقطار الاشتراكية أن تقدم ، أثناء اتباعها هذه السياسة ، تأييدا حازما للنضالات الثورية التي تشنها جميع الشعوب والأمم المضطهَدة ، الا أن تعايش خروشوف السلمي ينشد وضع المسالمة محل الثورة العالمية البروليتارية ، وهكذا ينبذ الأممية البروليتارية .

لقد حول خروشوف سياسة التعايش السلمي الى سياسة استسلام طبقي . فهو تحت ستار التعايش السلمي نبذ المبادىء الثورية لتصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ ، وجرد الماركسية اللينينية من روحها الثورية ، وأفسدها وشوهها أيما تشويه .

ان هذا لخيانة وقحة للماركسية اللينينية !

ثلاثة خلافات مبدئية

ان الخلاف حول مسألة التعايش السلمي بين قادة الحزب الشيوعي السوفياتي من جهة وبيننا وجميع الأحزاب الماركسية اللينينية وجميع الماركسيين اللينينيين من الجهة الأخرى ، ليس خلافا يكمن في ما اذا كان على الأقطار الاشتراكية أن تتبع سياسة التعايش السلمي ، بل هو خلاف مبدئي يتعلق بالموقف الصحيح من سياسة لينين للتعايش السلمي . ويتجلى هذا الخلاف بشكل أساسي في ثلاث مسائل .

المسأ الأولى هي : هل من الضروري من أجل تحقيق التعايش السلمي خوض نضالات ضد الاستعمار والرجعية البرجوازية أم لا ؟ وهل من الممكن عن طريق التعايش السلمي الغاء التعارض والنضال بين الاشتراكية والاستعمار أم لا ؟

ان الماركسيين اللينينيين يعتقدون دوما أنه فيما يتعلق بالأقطار الاشتراكية لا يوجد ثمة عقبة لتطبيق التعايش السلمي بين الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة . ان العقبات تأتي دوما من جانب المستعمرين والرجعيين البرجوازيين .

ان المبادىء الخمسة للتعايش السلمي قد وضعت لمكافحة السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية . وتبعا لهذه المبادىء لا يسمح في العلاقات الدولية بالاعتداء على أراضي وسيادة الأقطار الأخرى ، والتدخل في شؤونها الداخلية ، والاضرار بمصالحها ومركزها المتساوي ، أو شن

حرب عدوانية ضدها . ولكن من صميم طبيعة الاستعمار ذاتها ارتكاب العدوان ضد الأقطار والأمم الأخرى والرغبة في استعبادها . ومادام الاستعمار موجودا فطبيعته هذه لن تتغير أبدا . وهذا هو بالتحديد ما يجعل المستعمرين غير راغبين في قبول المبادىء الخمسة للتعايش السلمي . وهم يحاولون ، كلما كان ذلك ممكنا ، تحطيم الأقطار الاشتراكية والقضاء عليها ، ويرتكبون العدوان ضد الأقطار والأمم الأخرى ويحاولون استعبادها .

ان التاريخ يظهر أنه نظرا لأسباب موضوعية غير مؤاتية فقط ، لا يجرؤ المستعمرون على المخاطرة بحرب ضد الأقطار الاشتراكية أو انهم مجبرون على الموافقة على هدنة وقبول نوع معين من التعايش السلمي .

وكما يدل التاريخ ، كانت دوما هناك أيضا نضالات حادة معقدة بين الأقطار الاستعمارية والاشتراكية ، وقد بلغت في بعض الأحيان درجة صدامات عسكرية مباشرة أو حروب . وعندما لا تكون هناك حروب فعلية ، يشن المستعمرون حروبا باردة ظلوا يباشرونها بدون توقف منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، والواقع أن الأقطار الاستعمارية والاشتراكية قد ظلت في حالة تعايش حرب باردة . وفي الوقت الذي توسع فيه الأقطار الاستعمارية بنشاط تسلحها وتستعد للحرب ، تستخدم كل وسيلة لمقاومة الأقطار الاشتراكية سياسيا واقتصاديا وايديولوجيا وحتى أنها تقوم بالاستفزازات العسكرية والتهديدات الحربية ضدها . ان حرب المستعمرين الباردة ضد الأقطار الاشتراكية ومقاومة الأخيرة لها تشكلان مظاهر للنضال الطبقي العالمي .

ان المستعمرين يندفعون بخططهم العدوانية والحربية ليس ضد

الأقطار الاشتراكية وحسب بل في العالم بأسره ، وهم يحاولون قمع الحركات الثورية للشعوب والأمم المضطهدة .

وفي هذه الظروف ، يجب على الأقطار الاشتراكية أن تكافح بحزم مع شعوب جميع الأقطار الأخرى ضد السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية ، وأن تخوض نضالا يكيل الصاع بالصاع ضد الاستعمار . وهذا النضال الطبقي يستمر حتما ، تارة بشكل حاد ، وتارة بشكل أخف .

ولكن خروشوف يصم أذنيه عن هذه الحقائق الدامغة . وهو يعلن في كل مكان وعلى أوسع نطاق أن الاستعمار قد اعترف الآن بضرورة التعايش السلمي ، ويعتبر النضالات المناوئة للاستعمار التي تخوضها الأقطار الاشتراكية وشعوب العالم لا تتفق مع سياسة التعايش السلمي .

وفي رأي خروشوف ، انه على الأقطار الاشتراكية أن تقدم التنازل تلو الآخر أمام المستعمرين والرجعيين البرجوازيين ، وتواصل الاستسلام لهم حتى عندما يعرضونها للتهديدات الحربية والهجوم المسلح أو يتقدمون اليها بمطالب مذلة من شأنها أن تنتهك سيادتها وكرامتها .

ووفقا لهذا المنطق يصف خروشوف تقهقره المستمر ، واتجاره بالمبادىء ، وانقياده السهل لمطالب المستعمرين الأميركيين المذلة خلال أزمة الكاريبي بأنه « انتصار للتعايش السلمي » .

ووفقا لهذا المنطق يصف خروشوف تمسك الصين بالمبادىء الصحيحة حول مسألة الحدود الصينية الهندية ، والهجوم المضاد ضد هجوم الرجعيين الهنود العسكري ، دفاعا عن النفس ، الذي قامت به الصين عندما أصبح الوضع لا يحتمل ، يصفه بأنه « انتهاك للتعايش السلمي » .

وفي بعض الأحيان ، يتحدث خروشوف أيضا حول النضال بين النظامين الاجتماعيين المختلفين ، ولكن كيف يرى هذا النضال ؟

لقد قال خروشوف : « ان النضال الحتمي بين النظامين يجب جعله قاصرا على اتخاذ شكل تصارع للأفكار . . . » (١)

وهنا اختفى النضال السياسي !

وقد قال أيضا :

« ان المبدأ اللينيني للتعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية الاقتصادية والسياسية المختلفة لا يعني مجرد عدم وجود حرب ، وحالة مؤقتة لوقف غير مستقر لاطلاق النار ، فهو يستلزم الحفاظ على علاقات اقتصادية وسياسية ودية بين هذه الدول ، ويشتمل على اقامة وتطوير مختلف أشكال التعاون الدولي السلمي . » (٢)

وهنا اختفى النضال تماما !

وكالساحر ، يطلق خروشوف حيلة بعد أخرى ، فهو أولا يقلل من شأن القضايا الكبرى حتى يجعلها قضايا صغيرة ثم يقلل من شأن القضايا الصغيرة الى درجة الصفر . انه ينكر التعارض الأساسي بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي ، وينكر التناقض الأساسي بين المعسكرين

---

(١) تقرير ألقاه خروشوف في مجلس السوفيات الأعلى للاتحاد السوفياتي ، يناير (كانون الثاني) ١٩٦٠.

(٢) أجوبة خروشوف على أسئلة البروفسور النمساوي هانس تيرين ، « البرافدا » ، ٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢ .

الاشتراكي والاستعماري ، وينكر وجود النضال الطبقي العالمي . وهكذا يحول التعايش السلمي بين النظامين والمعسكرين الى « تعاون شامل » .

أما المسألة الثانية فهي هل يمكن جعل التعايش السلمي الخط العام للسياسة الخارجية للأقطار الاشتراكية ؟

اننا نعتقد أن الخط العام للسياسة الخارجية للأقطار الاشتراكية يجب أن يتضمن المبدأ الأساسي لسياستها الخارجية وأن يتضمن المحتوى الأساسي لهذه السياسة .

وما هو هذا المبدأ الأساسي ؟ انه الأممية البروليتارية .

قال لينين : « ان التحالف مع ثوريي الأقطار المتقدمة ومع جميع الأمم المضطهدة ضد أي من المستعمرين وضدهم جميعا — هو السياسة الخارجية للبروليتاريا . » (١) ان هذا المبدأ الأممي البروليتاري الذي وضعه لينين يجب أن يكون المرشد للسياسة الخارجية للأقطار الاشتراكية .

كان على كل قطر اشتراكي ، منذ أن تشكل المعسكر الاشتراكي ، أن يعالج ثلاثة أنواع من العلاقات في سياسته الخارجية ، أي علاقاته مع الأقطار الاشتراكية الأخرى ، ومع الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، ومع الشعوب والأمم المضطهدة .

ولذلك ، نرى أنه يجب أن يكون التالي هو المحتوى للخط العام للسياسة الخارجية للأقطار الاشتراكية : تطوير علاقات الصداقة والمساعدة

---

(١) لينين : « السياسة الخارجية للثورة الروسية » .

المتبادلة والتعاون بين أقطار المعسكر الاشتراكي وفقا لمبدأ الأممية البروليتارية ؛ والكفاح في سبيل التعايش السلمي على أساس المبادىء الخمسة مع الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، ومقاومة السياسات الاستعمارية العدوانية والحربية ؛ وتأييد ومساعدة النضالات الثورية التي تشنها جميع الشعوب والأمم المضطهدة . وهذه الأوجه الثلاثة متداخلة ولا يمكن حذف واحد منها .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد قصروا من جانب واحد الخط العام للسياسة الخارجية للأقطار الاشتراكية على التعايش السلمي . اننا نود أن نسأل : كيف يجب على دولة اشتراكية أن تعالج علاقاتها مع الأقطار الاشتراكية الأخرى ؟ وهل عليها أن تباشر مجرد علاقات تعايش سلمي معها ؟

بالطبع ، على الأقطار الاشتراكية أيضا أن تلتزم بالمبادىء الخمسة في علاقاتها المتبادلة ، ولا يسمح مطلقا لأي أحد منها أن يقوض الوحدة الاقليمية لقطر شقيق آخر ، ويضر باستقلاله وسيادته ، ويتدخل في شئونه الداخلية ، ويقوم بنشاطات تخريبية في داخله ، أو أن ينتهك مبدأ المساواة والمنفعة المتبادلة في علاقاته مع قطر شقيق آخر . ولكن مجرد تطبيق هذه المبادىء بعيد عن أن يكون كافيا . فقد ورد في تصريح عام ١٩٥٧ :

« . . . بيد أن هذه المبادىء الهامة ليست بالمبادىء الوحيدة التي تحدد جوهر العلاقات بين البلدان الاشتراكية . فالمساعدة المتبادلة الأخوية جزء لا يتجزأ من علاقاتها . وهذه المساعدة

المتبادلة هي التعبير الفعلي عن مبدأ الأممية الاشتراكية . »

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، بجعلهم التعايش السلمي الخط العام للسياسة الخارجية ، قد صفوا في الواقع علاقات الأممية البروليتارية في المساعدة المتبادلة والتعاون بين الأقطار الاشتراكية ، ووضعوا الأقطار الاشتراكية الشقيقة على نفس الصعيد مع الأقطار الرأسمالية . وهذا يعني تصفية المعسكر الاشتراكي .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد قصروا من جانب واحد الخط العام للسياسة الخارجية للدول الاشتراكية على التعايش السلمي . وبودنا أن نسأل : كيف يجب على قطر اشتراكي أن يعالج علاقاته مع الشعوب والأمم المضطَهدة ؟ هل يجب أن تكون العلاقة بين البروليتاريا التي في الحكم وبين اخوانها الطبقيين الذين لم يحرروا أنفسهم بعد ، أو بينها وبين جميع الشعوب والأمم المضطَهدة ، مجرد علاقة تعايش سلمي وليس علاقة مساعدة متبادلة ؟

لقد أكد لينين مرارا بعد ثورة أكتوبر أن وطن الاشتراكية الذي أسس ديكتاتورية البروليتاريا ، هو قاعدة لتطوير الثورة البروليتارية العالمية . وقال ستالين أيضاً : « ان الثورة التي انتصرت في قطر واحد يجب ألا تعتبر نفسها وحدة تكتفي بذاتها ، بل عونا ووسيلة للتعجيل بانتصار البروليتاريا في جميع الأقطار » (١) . وأضاف : « انها تشكل . . .

---

(١) ستالين : « ثورة أكتوبر وتكتيكات الشيوعيين الروس » .

قاعدة مانعة لتطور الثورة العالمية تطورا أكثر » (١) .

ولذلك فان الأقطار الاشتراكية في سياستها الخارجية لا تستطيع بأي حال من الأحوال أن تقصر نفسها على معالجة علاقاتها مع الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، بل يجب عليها أيضا أن تعالج بشكل صحيح العلاقات بين الأقطار الاشتراكية وعلاقاتها مع الشعوب والأمم المضطَهدة . ويجب عليها أن تجعل من تأييد النضالات الثورية التي تخوضها الشعوب والأمم المضطَهدة واجبها الأممي وجزءا هاما من سياستها الخارجية .

وعلى نقيض لينين وستالين ، يجعل خروشوف التعايش السلمي خطا عاما للسياسة الخارجية للأقطار الاشتراكية ، وبعمله هذا ، يستثني من هذه السياسة الواجب الأممي البروليتاري لتأييد ومساعدة النضالات الثورية التي تخوضها الشعوب والأمم المضطَهدة . ان هذا بعيد عن أن يكون « تطويرا خلاقا » لسياسة التعايش السلمي ، بل هو خيانة للأممية البروليتارية بحجة التعايش السلمي .

أما المسألة الثالثة فهي هل يمكن أن تكون سياسة التعايش السلمي للأقطار الاشتراكية الخط العام لجميع الأحزاب الشيوعية والحركة الشيوعية العالمية ؟ وهل يمكن أن تحل محل ثورة الشعوب ؟

اننا نعتقد بأن التعايش السلمي يقصد به علاقة بين الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة أي علاقة بين الأقطار المستقلة ذات السيادة .

---

(١) ستالين : « ثورة أكتوبر وتكتيكات الشيوعيين الروس » .

وبعد الانتصار في الثورة فقط يصبح من الممكن ومن الضروري للبروليتاريا أن تنهج سياسة التعايش السلمي . أما بالنسبة للشعوب والأمم المضطَهدة فان مهمتها أن تكافح من أجل تحررها والاطاحة بحكم الاستعمار وعملائه ، ولا ينبغي لها أن تمارس التعايش السلمي مع المستعمرين وعملائهم كما ليس من الممكن لها أن تفعل ذلك .

ولذلك ، فمن الخطأ تطبيق التعايش السلمي على العلاقات بين الطبقات المضطَهدة والمضطِهدة ، وبين الأمم المضطَهدة والمضطِهدة أو مد نطاق سياسة التعايش السلمي للبلدان الاشتراكية لتغدو سياسة للأحزاب الشيوعية والشعوب الثورية في العالم الرأسمالي أو لجعل النضالات الثورية للشعوب والأمم المضطَهدة خاضعة لسياسة التعايش السلمي للبلدان الاشتراكية .

اننا نعتقد دائما بأن التطبيق الصحيح لسياسة لينين للتعايش السلمي من جانب الأقطار الاشتراكية يساعد على تطوير قوتها وفضح سياسات الاستعمار العدوانية والحربية وتوحيد جميع الشعوب والأقطار المعادية للاستعمار ، ولذلك فهو يساعد نضالات الشعوب ضد الاستعمار وعملائه . وفي الوقت نفسه تساعد النضالات الثورية التي تخوضها شعوب العالم ضد الاستعمار وعملائه ، بضربها واضعافها بصورة مباشرة القوى العدوانية والحربية والرجعية ، تساعد قضية السلم العالمي والتقدم الانساني ، ولذلك فهي تساعد نضال الأقطار الاشتراكية في سبيل التعايش السلمي مع الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة . وهكذا فان تطبيق الأقطار الاشتراكية الصحيح لسياسة لينين حول التعايش السلمي ينسجم مع مصالح النضالات الثورية للشعوب في جميع الأقطار .

ومع ذلك فنضال الأقطار الاشتراكية من أجل التعايش السلمي مع الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة وثورة الشعوب في مختلف الأقطار ، هما شيئان مختلفان تماما .

لقد جاء في رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني المؤرخة في يوم ١٤ يونيو (حزيران) ردا على رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

« . . . أن ممارسة التعايش السلمي بين البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة أمر لا يسمح للبلدان التي تمارس التعايش السلمي ، ولا يمكنها أبدا ، أن تمس ولو شعرة من الأنظمة الاجتماعية للبلدان التي تتعايش معها سلميا . أما الصراع الطبقي والنضال من أجل التحرر الوطني والانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية في البلدان المختلفة فأمر آخر . وتلك كلها نضالات ثورية حادة نضالات حياة وموت ، تهدف الى تغيير النظام الاجتماعي. ولا يمكن أبدا أن يحل التعايش السلمي محل النضالات الثورية لدى الشعوب . والانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية في أي بلد يمكن تحقيقه فقط عبر الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا في ذلك البلد . »

وفي المجتمع الطبقي ، من الخطأ تماما اعتبار التعايش السلمي « الطريق المقبول الأفضل والوحيد لحل القضايا ذات الأهمية الحيوية التي تواجه المجتمع » و« القانون الأساسي لحياة المجتمع المعاصر بأسره » . ان هذا لمسالمة اجتماعية تنكر الصراع الطبقي ، وخيانة

واضحة للماركسية اللينينية .

لقد ميز الرفيق ماو تسي تونغ في عام ١٩٤٦ بين هاتين القضيتين وذكر بوضوح أن المساومات بين الاتحاد السوفياتي وبين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على بعض المشاكل « لا تتطلب من شعوب مختلف بلدان العالم الرأسمالي أن تلجأ الى مثلها في داخل بلدانها ، ذلك أن شعوب هذه البلدان ستواصل خوض نضالات مختلفة طبقا للظروف المختلفة » (١) .

وهذه هي سياسة ماركسية لينينية صحيحة . واسترشادا بهذه السياسة الصحيحة للرفيق ماو تسي تونغ واصل الشعب الصيني الثورة بحزم وعزم حتى النهاية وأحرز انتصارا عظيما لثورته .

وعلى النقيض من هذه السياسة الماركسية اللينينية يساوي قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بين مظهر واحد للسياسة التي تنهجها البروليتاريا الحاكمة في مجال علاقات دولتها مع الأقطار ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، وبين الخط العام لجميع الأحزاب الشيوعية ، ويحاولون أن يحلوا الأول محل الأخير طالبين من جميع الأحزاب الشيوعية والشعوب الثورية وجوب اتباع ما يسمونه بالخط العام للتعايش السلمي . وبينما لا يرغبون هم أنفسهم في الثورة ، يمنعون الآخرين من القيام بها . وبينما لا يقاومون هم أنفسهم الاستعمار ، يمنعون الآخرين من مقاومته .

ان الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي وأقوال خروشوف مؤخرا قد أنكرتا هذا بشدة ، وقيل ان اتهام قادة

---

(١) ماو تسي تونغ : « بعض التقديرات حول الوضع الدولي الراهن » .

الحزب الشيوعي السوفياتي بتوسيع نطاق التعايش السلمي حتى يشمل العلاقات بين الطبقات المضطَهدة والمضطِهدة ، وبين الأمم المضطَهدة والمضطِهدة هو « افتراء شنيع » . حتى أنهم ذكروا زيفا وبهتانا أن التعايش السلمي « لا يمكن توسيعه حتى يشمل النضال الطبقي ضد رأس المال في داخل الأقطار الرأسمالية وحتى يشمل حركة التحرر الوطني . »

ولكن هذه المراوغة عبث لا طائل منه :

وبودنا أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : ما دامت سياسة التعايش السلمي تشكل فقط مظهرا واحدا للسياسة الخارجية للبلدان الاشتراكية فلماذا قلتم حتى الآن انها تمثل « الخط الاستراتيجي لمرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية بكاملها على نطاق العالم » (١) ؟ أ لستم بمطالبتكم الأحزاب الشيوعية في جميع الأقطار الرأسمالية والأمم المضطَهدة أن تجعل التعايش السلمي خطها العام ، تهدفون الى احلال سياستكم « للتعايش السلمي » محل الخط الثوري للأحزاب الشيوعية ، وتهدفون الى مد نطاق سياسة التعايش السلمي وتطبيقها عمدا على العلاقات بين الطبقات المضطَهدة والمضطِهدة ، وبين الأمم المضطِهدة والمضطَهدة ؟

كما نود أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : ما دامت الشعوب تحرز الانتصار في ثورتها بالاعتماد بشكل رئيسي على نضالاتها

---

(١) « في سبيل وحدة وتضامن الحركة الشيوعية العالمية » ، مقال بقلم هيئة تحرير « البرافدا » ٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٣ .

الخاصة ، فكيف يمكن لهذا الانتصار أن يعزى للتعايش السلمي أو أن يوصف كثمرة له ؟ أو لا تعني مزاعمكم هذه اخضاع النضالات الثورية للشعوب لسياستكم حول التعايش السلمي ؟

ونود أيضا أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : ان المنجزات الاقتصادية للبلدان الاشتراكية والانتصارات التي أحرزتها في المباراة الاقتصادية مع البلدان الرأسمالية ستلعب بدون شك دورا ومثالا وهي حافز للشعوب والأمم المضطَهدة . ولكن كيف يمكن أن يقال ان الاشتراكية ستنتصر على نطاق العالم عن طريق التعايش السلمي والمباراة السلمية بدلا عن طريق النضالات الثورية للشعوب ؟

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يروجون القول بأن الاعتماد على التعايش السلمي والمباراة السلمية وحدهما كافٍ « لتوجيه ضربة ساحقة الى نظام العلاقات الرأسمالية بأسره » ، وتمهيد الطريق لتحقيق الانتقال السلمي الى الاشتراكية على نطاق العالم . وهذا يعادل القول بأن جميع الشعوب والأمم المضطَهدة لا تحتاج أبدا الى خوض النضال والقيام بالثورة والاطاحة بالحكم الرجعي للاستعمار والحكم الاستعماري وعملائهما ، بل عليها أن تنتظر بهدوء حتى تتفوق مستويات الانتاج ومستويات المعيشة في الاتحاد السوفياتي على مثيلاتها في البلدان الرأسمالية الأكثر تطورا ، حيث سيكون بمقدور جميع العبيد المضطَهدين والمستَغلين في العالم بأسره الولوج الى الشيوعية مع مضطهِديهم ومستِغليهم . أو ليست هذه محاولة من جانب قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لاحلال ما يسمونه بالتعايش السلمي محل النضالات الثورية للشعوب ولتصفية مثل هذه النضالات ؟

ان تحليلا لهذه المسائل الثلاث يجعل من الواضح أن خلافنا مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو خلاف أساسي مبدئي . وهو في جوهره يتركز فيما يلي : ان سياستنا للتعايش السلمي هي سياسة لينينية تستند الى مبدأ الأممية البروليتارية وتفيد قضية مقاومة الاستعمار والدفاع عن السلم العالمي وتتفق مع مصالح النضالات الثورية للشعوب والأمم المضطهَدة في العالم قاطبة . الا أن الخط العام المزعوم للتعايش السلمي الذي ينهجه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو خط معاد للينينية يتخلى عن مبدأ الأممية البروليتارية ويضر بقضية مقاومة الاستعمار والدفاع عن السلام العالمي ويخالف مصالح النضالات الثورية للشعوب والأمم المضطهَدة في العالم قاطبة .

الخط العام للتعايش السلمي لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي يفي بحاجيات الاستعمار الأميركي

ان الخط العام للتعايش السلمي الذي ينهجه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد رفضته بحزم جميع الأحزاب الماركسية اللينينية والشعوب الثورية ولكنه قوبل بالثناء الحار من قبل المستعمرين .

ان الناطقين بلسان الرأسمال الاحتكاري الغربي لا يكتمون اعجابهم بالخط العام للتعايش السلمي لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي . وهم يرون أن خروشوف « أفضل صديق للغرب في موسكو » (١) ويقولون ان

---

(١) « الى أي حد يجب أن نتودد الى نيكيتا ؟ » ، مجلة « تايم » للولايات المتحدة ، ٩ مارس (آذار) ١٩٦٢ .

« رئيس الوزراء السوفياتي نيكيتا خروشوف يتصرف كسياسي أميركي » (١) . ويقولون ان « الرفيق خروشوف يعتبر بالنسبة للعالم الحر أفضل رئيس وزراء لدى الروس . انه يؤمن حقا بالتعايش السلمي . » (٢) ويصرحون ان « امكانية تحسين العلاقات السوفياتية الأميركية هذه قد جعلت دوائر وزارة الخارجية الأميركية تشعر بأنه ينبغي للولايات المتحدة أن تسهل لخروشوف مهمته في نطاق حدود معينة » (٣) .

لقد ظل المستعمرون دوما معادين لسياسة التعايش السلمي للبلدان الاشتراكية صارخين بأن « عبارة " التعايش " بالذات مستهجنة ومكروهة » و« دعنا نلقي بفكرة التعايش المؤقت القلق الى كومة المهملات » (٤) . فلماذا يظهرون الآن اهتماما كبيرا كهذا بخط خروشوف العام للتعايش السلمي ؟ ذلك أن المستعمرين واثقون بفائدته لهم .

لقد ظل المستعمرون الأميركيون يتبنون بثبات التكتيك المزدوج للحرب والسلام من أجل تحقيق أهدافهم الاستراتيجية في تصفية

---

(١) خطاب هاريمان نائب وزير الخارجية الأميركية في التلفيزيون ١٨ أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

(٢) « كندي يساعد خروشوف » ، مجلة « تايم أند تايد » البريطانية ، ١٨- ٢٤ أبريل (نيسان) ١٩٦٣ .

(٣) نبأ من وكالة الأنباء الفرنسية من واشنطن في ١٤ يوليو (تموز) ١٩٦٣ حول التعليق الرسمي للحكومة الأميركية على الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي .

(٤) خطاب تيرون نائب وزير الخارجية الأميركية السابق حول السياسة الخارجية للولايات المتحدة ٢٠ ابريل (نيسان) ١٩٦٠ .

ثورات الشعوب وازالة المعسكر الاشتراكي من الوجود وبسط سيطرتهم على العالم . وعندما يجدون أن الوضع الدولي يتطور في غير صالحهم يضطرون للجوء بشكل متزايد الى حيل السلام بينما يواصلون توسيع تسلحهم واستعداداتهم الحربية .

لقد اقترح جون فوستر دالاس في عام ١٩٥٨ بأن على الولايات المتحدة أن تكرس نفسها « لاستراتيجية نبيلة » « لانتصار سلمي » (١) .

وبعد أن تولى كندي زمام الحكم واصل وطور « استراتيجية سلام » دالاس وتشدق بـ« التعايش السلمي » . وقال « ... اننا في حاجة الى سلاح أفضل كثيرا من القنبلة الهيدروجينية ... ان السلاح الأفضل هو التعاون السلمي . » (٢)

فهل يعني هذا أن المستعمرين الأميركيين يقبلون حقا التعايش السلمي ، أو كما يقول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعترفون بـ « حكمة وواقعية التعايش السلمي » ؟ كلا بالطبع .

ان قليلا من البحث الجدي يسهل على المرء اكتشاف المعنى والغرض الحقيقيين « للتعايش السلمي » الذي يدعو له المستعمرون .

فما معناه وغرضه الحقيقيان ؟

أولا : يحاول المستعمرون الأميركيون جهدهم ، باسم التعايش

---

(١) خطاب دالاس في الغرفة التجارية بولاية كاليفورنيا ٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٨ .

(٢) خطاب كندي في الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة ٢٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣ .

السلمي ، أن يغلوا أيدي الاتحاد السوفياتي والأقطار الاشتراكية الأخرى ويمنعوها من مساندة النضالات الثورية لشعوب العالم الرأسمالي .

لقد قال دالاس :

« ان حكومة الاتحاد السوفياتي يمكنها أن تضع حدا " للحرب الباردة " اذاما حررت نفسها من الاتجاه الذي حددته الشيوعية العالمية وسعت أولا الى رفاهية الأمة الروسية والشعب الروسي . وكذلك يمكن أن تنهي " الحرب الباردة " اذا ما تخلت الشيوعية العالمية عن أهدافها العالمية ... » (١)

وقال كندي : اذا أريد تحسين العلاقات الأميركية السوفياتية يجب على الاتحاد السوفياتي أن يتخلى عن برنامجه « لتعميم الشيوعية في العالم بأسره » كما يجب عليه أن « يتطلع فقط الى مصلحته الوطنية والى توفير حياة أفضل لشعبه في ظروف سلمية » (٢) .

وقال راسك بوضوح أكثر : « لن يكون هناك سلم دائم أكيد حتى يتخلى القادة الشيوعيون عن هدفهم في الثورة العالمية » . وقال أيضا ان هناك « دلائل تبرم » لدى القادة السوفيت « حول أعباء ومخاطر التزاماتهم تجاه الحركة الشيوعية العالمية » . وحتى أنه طلب من القادة

---

(١) خطاب دالاس في لجنة الشئون الخارجية التابعة للكونغرس الاميركي ، ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٩ .

(٢) حديث كندي مع آجوبي رئيس تحرير « الأزفيستيا » للاتحاد السوفياتي ، ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦١ .

السوفيت علنا بأن « يتقدموا من هنا ملقين جانبا الوهم بانتصار شيوعي عالمي » (١) .

ان معنى هذه الكلمات واضح جدا . فالمستعمرون الأميركيون يصفون النضالات الثورية التي تخوضها الشعوب والأمم المضطهَدة في العالم الرأسمالي من أجل تحررها بأنها حصيلة لمحاولات الأقطار الاشتراكية « تعميم الشيوعية في العالم بأسره » . وهم يقولون للقادة السوفيت : هل تريدون أن تعيشوا بسلام مع الولايات المتحدة ؟ حسنا جدا ! لكن شريطة أن لا تؤيدوا النضالات الثورية للشعوب والأمم المضطَهدة في العالم الرأسمالي ، ويجب أن تتعهدوا بأنها لن تهب بالثورة . ووفقا لأوهام المستعمرين الأميركيين ، فان هذا سيطلق العنان لهم لاخماد الحركات الثورية في العالم الرأسمالي وللسيطرة على سكانه الذين يشكلون ثلثي سكان العالم واستعبادهم .

ثانيا : يحاول المستعمرون الأميركيون ، باسم التعايش السلمي ، أن يندفعوا قدما بسياستهم في « التحول السلمي » تجاه الاتحاد السوفياتي والأقطار الاشتراكية الأخرى ويعيدوا الرأسمالية هناك .

لقد قال دالاس : « ان عدم استخدام القوة . . . يعني عدم الاحتفاظ بالوضع القائم ، بل يعني تغييرا سلميا » (٢) . « فلا يكفي

---

(١) خطاب راسك في المؤتمر الوطني لفيلق المحاربيين القدامى الاميركيين ، ١٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣ .

(٢) خطاب دالاس في مأدبة تقديم الجوائز لجمعية المحامية بولاية نيويورك ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٩ .

أن نقف موقف الدفاع . ان الحرية يجب أن تكون قوة ايجابية تستطيع أن تتغلغل . » (١) و « نحن نأمل في تشجيع تحول داخل العالم السوفياتي » (٢) .

وقال أيزنهاور : ان كل ما تستطيع الولايات المتحدة القيام به بالوسائل السلمية سيجري القيام به ، « من أجل أن تحصل في النهاية تلك الشعوب التي تقع تحت عبودية ديكتاتورية طاغية على الحق في تقرير مصائرها عن طريق الانتخاب الحر » (٣) .

وقال كندي : ان « الواجب هو أن نبذل كل ما بوسعنا لنرى أن التغيرات التي تجري . . . في الامبراطورية السوفياتية وجميع القارات . . . تقود الى حرية أكثر لعدد أكبر من الناس والى السلام العالمي » (٤) . وصرح بأنه « سينتهج سياسة تشجيع الحرية بصبر والضغط على الطغيان بحذر » تجاه الأقطار الاشتراكية في أوروبا الشرقية من أجل توفير « انتخاب حر » لشعوب هذه الأقطار (٥) .

---

(١) خطاب دالاس في الغرفة التجارية بولاية كاليفورنيا ، ٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٨ .

(٢) شهادة دالاس أمام لجنة الشئون الخارجية التابعة للكونغرس الاميركي ، ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٩ .

(٣) خطاب أيزنهاور في مؤتمر البولنديين المتجنسين بالجنسية الأميركية في شيغاغو ، ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٠ .

(٤) كندي : « استراتيجية السلم » .

(٥) خطاب كندي في مؤتمر البولنديين المتجنسين بالجنسية الأميركية في شيغاغو ، اليوم الأول أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٠

ان معنى هذه الكلمات واضح جدا أيضا . فالمستعمرون الأميركيون يفترون على النظام الاشتراكي بأنه « ديكتاتوري » و « طاغ » ، ويصفون اعادة الرأسمالية بأنها « انتخاب حر » . وهم يقولون للقادة السوفيت : هل ترغبون في العيش بسلام مع الولايات المتحدة ؟ حسن جدا ! ولكن هذا لا يعني أننا نعترف بالوضع القائم في الأقطار الاشتراكية . وعلى النقيض من ذلك ، يجب اعادة الرأسمالية هناك . وبمعنى آخر ، فالمستعمرون الأميركيون لن يرتضوا أبدا بحقيقة أن ثلث سكان العالم قد انطلق في الطريق الاشتراكي ، وسيحاولون دوما القضاء على جميع الأقطار الاشتراكية .

وباختصار ، فان ما يسميه المستعمرون الأميركيون بالتعايش السلمي يعني ما يلي : لا يسمح لشعب يعيش تحت السيطرة والعبودية الاستعماريتين بأن يجاهد في سبيل تحرره ، وينبغي لجميع أولئك الذين حرروا أنفسهم ، أن يعودوا مرة ثانية تحت السيطرة والعبودية الاستعماريتين ، ويجب على العالم أجمع أن ينضم الى « المجموعة العالمية (الأميركية) للأمم الحرة » .

وهكذا من السهل على المرء أن يرى لماذا يستسيغ المستعمرون الأميركيون تماما خط قادة الحزب الشيوعي السوفياتي العام للتعايش السلمي .

فبحجة التعايش السلمي ، يبذل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قصارى جهودهم ليتزلفوا للاستعمار الأميركي ، ويخدموا سياسته السلمية المخادعة عن طريق الزعم باستمرار بأن ممثلي الاستعمار الأميركي « يهتمون بالسلام » .

وبحجة التعايش السلمي ، يمد قادة الحزب الشيوعي السوفياتي نطاق سياسة التعايش السلمي ويطبقونها على العلاقات بين الطبقات المضطَهدة والمضطهِدة ، وبين الأمم المضطهَدة والمضطهِدة ، وهم يعارضون الثورة ، ويحاولون تصفيتها . وهذا يستجيب بالضبط لمتطلبات المستعمرين الأميركيين بأن على الدول الاشتراكية أن لا تؤيد ثورات الشعوب في العالم الرأسمالي .

وبحجة التعايش السلمي ، يحاول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي احلال التعاون الطبقي الدولي محل النضال الطبقي الدولي ، ويدعون الى « تعاون شامل » بين الاشتراكية والاستعمار ، وهكذا يفتحون الباب للتغلغل الاستعماري في الأقطار الاشتراكية . ان هذا يستجيب بالضبط لحاجات سياسة .« التحول السلمي » الاستعمارية الأميركية .

ان المستعمرين دوما أفضل أساتذة لنا بمثالهم السلبي . فدعنا نسرد هنا مقطعين من خطاب ألقاه دالاس بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي .

« ... لقد قلت ... ان هناك دليلا على وجود قوى داخل الاتحاد السوفياتي تتطلع الى مزيد من الليبرالية ...

... اذاما استمرت هذه القوى في النمو وواصلت استجماع قوتها داخل الاتحاد السوفياتي ، لأمكننا أن نعتقد ، وأن نأمل بحق ، كما قلت ، في عقد من الزمن أو ربما في جيل واحد بتحقيق الهدف العظيم لسياستنا ، وهو ظهور روسيا حيث يحكم أناس يستجيبون لرغبات الشعب الروسي ، وقد تخلوا عن مطامعهم

الجشعة في حكم العالم ، ويمتثلون لمبادىء الأمم المتحضرة وتلك المبادىء التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة . » (١)

ثم استطرد يقول :

« ... ان المطمح البعيد المدى ، وحقا أستطيع أن أقول اليقين البعيد المدى ، هو أنه سوف يكون هناك تحول في السياسات الراهنة للحكام السوفيت بحيث أنهم سيغدون قوميين أكثر ، وأمميين أقل . » (٢)

والواضح أن شبح دالاس كان يلازم متلبسا خونة الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية ، بحيث أنهم أصبحوا مذهولين بالخط العام « للتعايش السلمي » حتى أنهم لم يفكروا ليروا كيف أن أعمالهم تستجيب لرغبات الاستعمار الأميركي .

التعاون السوفياتي الأميركي هو قلب وروح الخط العام للتعايش السلمي لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بينما ظلوا يتغنون بالتعايش السلمي في السنوات الأخيرة لم ينتهكوا في الواقع مبدأ الأممية البروليتارية

---

(١) مؤتمر صحافي عقده دالاس ، ١٥ مايو (أيار) ١٩٥٦ .

(٢) مؤتمر صحافي عقده دالاس ، ٢٨ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٨ .

فحسب ، بل انهم لم يمتثلوا أيضا لمبادىء التعايش السلمي الخمسة في مسلكهم تجاه الصين وعدد من الأقطار الاشتراكية الأخرى . واذا تحدثنا بصراحة فان دعوتهم المستمرة للتعايش السلمي كخط عام لسياستهم الخارجية يعادل الطلب بأن على جميع الأقطار الاشتراكية والاحزاب الشيوعية أن تخضع لأمنيتهم العزيزة في التعاون السوفياتي الأميركي .

ان قلب و روح الخط العام للتعايش السلمي الذي ينتهجه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو التعاون السوفياتي الأميركي للسيطرة على العالم .

أنظروا الى التصريحات العجيبة التي أطلقوها :

« ان أكبر دولتين معاصرتين — الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة — قد خلفتا بعيدا أي بلد آخر في العالم . » (١)

« كل من هاتين الدولتين يقود مجموعة كبيرة من الدول ، فالاتحاد السوفياتي يقود النظام الاشتراكي العالمي ، والولايات المتحدة تقود المعسكر الرأسمالي » (٢) .

« اننا (أي الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة) أقوى بلدين في العالم ، واذا ما اتحدنا في سبيل السلام فلن تكون هناك حرب . وبالتالي اذا ما أراد أي مجنون في ذلك الوقت الحرب فما علينا الا أن نهز أصابعنا انذارا له . »

« . . . اذاما كان هناك اتفاق بين ن . س . خروشوف رئيس

---

(١) ن . ن . ياكوفليف : « منذ ٣٠ عاما . . . » ، الكراس الذي كتبه بمناسبة الذكرى السنوية الثلاثين لتأسيس العلاقات الديبلوماسية السوفياتية الأميركية .

(٢) نفس المصدر السابق .

الحكومة السوفياتية ، وجون كندي رئيس الولايات المتحدة ، فسيكون هناك حل للقضايا الدولية التي تعتمد عليها مصائر البشرية . » (١)

اننا نود أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : طالما كان تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ يقولان بوضوح ان الاستعمار الأميركي هو ألد عدو لشعوب العالم والقوة الرئيسية للعدوان والحرب ، فكيف يمكنكم أن « تتحدوا » مع العدو الرئيسي للسلام العالمي « لصيانة السلام » ؟

اننا نود أن نسألهم : هل من الممكن أن لا يكون هناك حق لأكثر من مائة بلد وأكثر من ثلاثة آلاف مليون من الناس في تقرير مصيرهم ؟ وهل يجب عليهم أن يخضعوا ، سمعا وطاعة ، لسيطرة « العملاقين » و « أعظم دولتين » ، الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ؟ أو ليس هذيانكم المغرور هذا تعبيرا عن تعصب الدولة الكبرى ظاهرا وباطنا وعن سياسات القوة قلبا وقالبا ؟

اننا نود أن نسألهم كذلك : هل تتصورون حقا أنه اذا ما توصل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وحدهما الى اتفاق ، واذا ما توصل « الرجلان العظيمان » الى اتفاق ، فان مصير البشرية سيتقرر وجميع المشاكل الدولية ستسوى ؟ انكم مخطئون ، ومخطئون أفدح الخطأ . ذلك أنه منذ العهد المغرق في القدم لم تكن الأمور تحدث بهذه الطريقة ، ناهيك عن احتمال حدوثها على هذا النحو في ستينيات القرن العشرين .

---

(١) خطاب غروميكو في مجلس السوفيات الأعلى للاتحاد السوفياتي ، ١٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٢ .

ان العالم اليوم حافل بالتناقضات المعقدة ، التناقض بين المعسكرين الاشتراكي والاستعماري ، والتناقض بين البروليتاريا والبرجوازية في الأقطار الرأسمالية ، والتناقض بين الأمم المضطَهدة والاستعمار ، والتناقضات فيما بين الأقطار الاستعمارية ، وفيما بين الجماعات الرأسمالية الاحتكارية في الأقطار الاستعمارية . فهل ستختفي هذه التناقضات اذا ما توصل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الى اتفاق ؟

ان البلد الوحيد الذي يتطلع اليه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو الولايات المتحدة ، ففي سبيل تحقيق التعاون السوفياتي الأميركي ، لا يتورعون عن خيانة حلفاء الشعب السوفياتي الحقيقيين ، بما في ذلك اخوانهم الطبقيون وجميع الشعوب والأمم المضطَهدة ، التي لا تزال تعيش تحت النظام الاستعماري ـ الرأسمالي .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يسعون جاهدين لتحطيم المعسكر الاشتراكي . ويستخدمون كل نوع من الأكاذيب والافتراءات ضد الحزب الشيوعي الصيني ، ويقومون بالضغط السياسي والاقتصادي على الصين . أما بالنسبة لألبانيا الاشتراكية فلن يرضيهم شيء أقل من القضاء عليها . وقد قاموا بالضغط ، يدا بيد مع الاستعمار الأميركي ، على كوبا الثورية ، طالبين منها التضحية بسيادتها وكرامتها .

ويسعى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جاهدين لتخريب النضالات الثورية التي تخوضها الشعوب ضد الاستعمار وعملائه . هم يعملون كمبشرين للاصلاح الاجتماعي ، ويشلون الارادة الكفاحية الثورية للبروليتاريا وحزبها السياسي في مختلف الأقطار . ومن أجل التمشي مع حاجات الاستعمار ، يخربون حركة التحرر الوطني ، ويصبحون

أكثر فأكثر مدافعين وقحين عن الحكم الاستعماري الأميركي الجديد .

فما الذي حصل عليه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي من الاستعمار الأميركي مقابل الجهود النشيطة التي بذلوها والثمن المرتفع الذي دفعوه في سبيل تحقيق التعاون السوفياتي الأميركي ؟

فمنذ عام ١٩٥٩ ، أصبح خروشوف مشغول البال باجتماعات الذروة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . فقد راودته أحلام عديدة محببة ونشر الكثير من الأوهام حولها . وامتدح أيزنهاور بحرارة بأنه « رجل عظيم » « يدرك السياسات الكبرى » (١) . وقد أثنى بحماس على كندي كـ « رجل يتفهم المسؤولية العظمى التي تقع على كاهل حكومتي دولتين قويتين مثل هاتين الدولتين » (٢) . هذا وقد أقام قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ضجة كبرى حول « روح كامب دافيد » ، وزعموا أن اجتماع فيينا « حدث ذو أهمية تاريخية » . وقد ادعت الصحافة السوفياتية أنه اذا ما جلس رئيسا الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على نفس المنضدة ، سيصل التاريخ الى « نقطة تحول جديدة » ، وأنه اذا ما تصافح « الرجلان العظيمان » فان مصافحتهما ستدشن « عصرا جديدا » في العلاقات الدولية .

ولكن كيف يعامل الاستعمار الأميركي قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ؟ لقد صرح أيزنهاور بعد أكثر من شهر بقليل من محادثات

---

(١) خطاب خروشوف في مأدبة أقامها عمدة نيويورك على شرفه ، ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٩ .

(٢) خطاب خروشوف في الراديو والتلفيزيون ، ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٦١ .

كامب دافيد ، قائلا : « انني لم أعرف أي روح لكامب دافيد » . وبعد سبعة أشهر من المحادثات أرسل طائرة التجسس يوتو (U-2) لتتوغل في الاتحاد السوفياتي ، محطما بذلك مؤتمر الذروة للدول الأربع . هذا ولم يمض وقت طويل على اجتماع فيينا ، حتى تقدم كندي بالشروط المتعجرفة التالية لعشرين سنة من السلم بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وهي امتناع الاتحاد السوفياتي عن تأييد النضالات الثورية لأي شعب ، واعادة الرأسمالية الى الأقطار الاشتراكية في أوروبا الشرقية . وبعد عام أو أكثر من اجتماع فيينا ، أمر كندي بفرض حصار عسكري قرصني على كوبا وخلق أزمة الكاريبي .

وبعد البحث والتنقيب بين الأسافل والأعالي ، والتنبيش بين الأحياء والموات ، أين يمكن للمرء أن يجد « روح كامب دافيد » و« نقطة تحول في تاريخ البشرية » و « عصرا جديدا في العلاقات الدولية » ؟

وبعد توقيع المعاهدة الثلاثية للحظر الجزئي للتجارب النووية ، قام قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بدعاية كبيرة لما يسمى بروح موسكو . فقد تحدثوا عن الحاجة الى « الضرب على الحديد الساخن » ، وقالوا « ان الشروط المؤاتية متوفرة » لدى الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة للتوصل الى المزيد من الاتفاقيات ، وأعلنوا أن اتخاذ موقف « الانتظار » و « ليس هناك من عجلة » أمر سيء (١) .

وما هي « روح موسكو » ؟ دعنا ننظر الى الأحداث الأخيرة :

لقد عقد قادة الحزب الشيوعي السوفياتي اجتماعا في موسكو

---

(١) مقال بقلم مراقب نشر في « الأزفستيا » ، ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

من أجل خلق جو أرحب « للتعاون السوفياتي الأميركي » وذلك احتفالا بالذكرى الثلاثين لاقامة العلاقات الديبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . وفي الوقت ذاته ، أرسلوا وفدا ثقافيا الى الولايات المتحدة لحضور الاحتفالات هناك . ولكن ماذا كانت حصيلة حماس قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ؟ لقد رفض كافة موظفي السفارة الأميركية في موسكو حضور اجتماع موسكو ، وأصدرت وزارة الخارجية الأميركية مذكرة خاصة تطلب فيها من الرأي العام الأميركي مقاطعة الوفد الثقافي السوفياتي ، الذي شجب أعضاؤه على أنهم « أناس خطرون للغاية ومريبون » .

وبينما كان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يدعون الى « التعاون السوفياتي الأميركي » أرسلت الولايات المتحدة الجاسوس بارجورن ليقوم بالتجسس في الاتحاد السوفياتي . وكانت الحكومة السوفياتية محقة جدا باعتقال هذا الجاسوس . ولكن بعد أن هدد كندي بأن نجاح صفقة القمح بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي « يعتمد على جو معقول في كلا البلدين » ، هذا الجو الذي وصفه بأنه قد « تضرر كثيرا باعتقال بارجورن » ، بادرت الحكومة السوفياتية الى اطلاق سراح الجاسوس الأميركي بسرعة بدون أي محاكمة ، بسبب « قلق كبار المسؤولين الأميركيين على مصير بارجورن » ، أي على مصير جاسوس « أكدت التحقيقات .. أنه قد قام بنشاطات تجسسية ضد الاتحاد السوفياتي » .

هل كل هذه المظاهر لـ « روح موسكو » ؟ اذا كان الأمر كذلك ، فانه لمحزن جدا .

موسكو ! العاصمة الباهرة لأول قطر اشتراكي ، والاسم المجيد الذي تعزه الملايين العديدة من البشر في العالم قاطبة منذ ثورة أكتوبر العظمى ! ان هذا الاسم يستخدمه الآن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ليستروا ممارستهم القذرة للتواطؤ مع المستعمرين الأميركيين . يا له من عار لم يسبق له مثيل !

كم من مرة تفوه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بكلمات معسولة عن المستعمرين الأميركيين واستجدوهم الحسنات ، وكم من مرة صبوا غضبهم على الأقطار والأحزاب الشقيقة وقاموا بالضغط عليها ، وكم من الحيل والأحابيل العديدة قاموا بها حيال الشعوب الثورية في مختلف الأقطار ! لم يكن كل ذلك الا من أجل استجداء « الصداقة » و « الثقة » من الاستعمار الأميركي . ولكن بينما تذبل الزهور من عطش الحب ، يواصل الجدول القاسي القلب خريره غير عابىء . ان كل ما تلقاه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي من المستعمرين الأميركيين هو الاهانة ثم الاهانة والاهانة على الدوام !

بعض النصائح الى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي

هل حدث في أية مناسبة خلال أيام المقاومة القاسية للتدخل الاستعماري المسلح ووسط اللهيب المتأجج للحرب الوطنية الكبرى ، تحت قيادة لينين وستالين أن انحنى الشعب السوفياتي العظيم أمام المصاعب ؟ وهل ركع مرة واحدة أمام العدو ؟ واليوم ، قد أصبح الوضع العالمي أكثر ما يكون مؤاتاة للثورة ، والاشتراكية أكثر منعة

من أي وقت مضى ، ولم يكن الاستعمار ليواجه أبدا مثل هذه المصاعب ، ومع ذلك يا لها من صورة مخزية يرهب بها الاستعمار الأميركي أول دولة اشتراكية أسسها لينين ، ويا لها من صورة مخزية يمتهن بها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي المعسكر الاشتراكي ! هل من المعقول اذن لنا ، ولأي ماركسي لينيني ، أو شعب ثوري ألا يأسوا ويحزنوا لهذا ؟

وهنا نود أن نقدم بعض النصائح المخلصة لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي .

ان لدى الولايات المتحدة ، أشرس بلد استعماري ، هدفا استراتيجيا جنونيا هو السيطرة على العالم ، فهي تقمع النضالات الثورية التي تخوضها الشعوب والأمم المضطهَدة بشكل مسعور ، وقد أعلنت صراحة عن نيتها باعادة أوروبا الشرقية الى ما يسمى بـ « المجموعة العالمية للأمم الحرة » ، فكيف لكم أن تتصوروا أن أقسى ضربات المستعمرين الأميركيين خلال متابعتهم خططهم العدوانية للسيطرة على العالم بأسره ستنزل على رؤوس الآخرين فقط ، وليس على رأس الاتحاد السوفياتي ؟

ان الولايات المتحدة بلد استعماري ، والاتحاد السوفياتي بلد اشتراكي . فكيف يمكنكم أن تتوقعوا « تعاونا شاملا » بين بلدين لهما نظامان اجتماعيان مختلفان تماما ؟

ان هناك خداعا وتنافسا حتى بين الولايات المتحدة والدول الاستعمارية الأخرى ، ولن تقنع الولايات المتحدة الا بعد أن تدوس هذه الدول بالأقدام . فكيف يمكنكم اذن أن تتصوروا أن الولايات المتحدة الاستعمارية ستعيش في وئام مع الاتحاد السوفياتي الاشتراكي ؟

أيها الرفاق قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ! فكروا في الأمر مليا بحكمة وروية . هل يمكن الاعتماد على الاستعمار الاميركي

عندما تهب العاصفة في العالم ؟ لا ! ان المستعمرين الأميركيين لا يعتمد عليهم ، شأنهم شأن كل المستعمرين والرجعيين . ان الحلفاء الذين يعتمد الاتحاد السوفياتي عليهم هم فقط بلدان المعسكر الاشتراكي الشقيقة ، والأحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة ، وجميع الشعوب والأمم المضطهَدة .

ان قوانين التطور التاريخي تعمل مستقلة عن ارادة أي شخص . وليس من أحد يستطيع القضاء على المعسكر الاشتراكي والحركة الثورية للشعوب والأمم المضطهَدة ، أو أن يمنعها من النمو . ان الذي يخون شعوب المعسكر الاشتراكي والعالم ، ويحلم بالسيطرة على الكرة الأرضية ، بالتواطؤ مع الاستعمار الأميركي ، لا بد أن ينتهي الى نهاية سيئة . ومن الخطأ والخطر جدا لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن يفعلوا ذلك .

ان الوقت لم يفت بعد على قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ليكبحوا جماح أنفسهم على شفير الهاوية . لقد حان لهم الوقت لينبذوا خطهم العام للتعايش السلمي ويعودوا الى سياسة لينين للتعايش السلمي ، الى طريق الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية .

قادة الحزب الشيوعي السوفياتي
أكبر الانقساميين في عهدنا الحاضر

ـ تعليق سابع على الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

بقلم هيئتي تحرير صحيفة « جينمينجيباو »

ومجلة « العلم الأحمر »

(٤ فبراير " شباط " ١٩٦٤)

لم يحدث أبدا من قبل أن أصبحت وحدة الحركة الشيوعية العالمية مهددة بهذه الصورة الخطيرة كما هي الآن ، بسبب هذا الفيضان من الايديولوجية التحريفية المعاصرة . وعلى المحيط العالمي وفي داخل أحزاب معينة ، يجري نضال حاد بين الماركسية اللينينية والتحريفية . ان الحركة الشيوعية العالمية مواجهة بخطر الانقسام بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل .

ان المهمة الملحة التي تواجه الشيوعيين والبروليتاريا وجميع الشعوب الثورية في العالم هي صيانة وحدة المعسكر الاشتراكي ووحدة الحركة الشيوعية العالمية .

لقد بذل الحزب الشيوعي الصيني جهودا دائبة لا تعرف الكلل لصيانة وتدعيم وحدة المعسكر الاشتراكي ووحدة الحركة الشيوعية العالمية بما يتماشى مع الماركسية اللينينية والمبادىء الثورية لتصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ . ان موقف الحزب الشيوعي الصيني الذي لا يتزعزع كان وما يزال وسيكون هو التمسك بالمبدأ والوحدة ، وازالة الخلافات لتدعيم النضال ضد عدونا المشترك .

لقد عبر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي دون كلل منذ أن سلكوا طريق التحريفية عن اخلاصهم لوحدة الحركة الشيوعية العالمية . ولقد أصبحوا نشطين مؤخرا بصفة خاصة في الضجيج من أجل « الوحدة » . وهذا يذكر الناس بما قاله انجلز قبل تسعين عاما مضت : « على المرء

ألا يسمح لنفسه بأن ينخدع بالصراخ من أجل " الوحدة " . وأكثر من تتردد هذه الكلمة على شفاههم هم أكبر من يبذرون الشقاق . . . »

« . . . ان أكبر الانعزاليين وأكبر المتعطشين للجدال والصعاليك هم أحيانا أقوى الناس صراخا من أجل الوحدة . » (١)

وبينما يظهر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أنفسهم بمظهر أبطال الوحدة يحاولون الصاق طابع الانقسامية على الحزب الشيوعي الصيني . لقد قالت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في رسالتها المفتوحة :

« ان القادة الصينيين يحطمون لا وحدة المعسكر الاشتراكي وحسب بل وحدة الحركة الشيوعية العالمية قاطبة ، واطئين مبادىء الأممية البروليتارية بأقدامهم وناقضين بفظاظة مقاييس العلاقات بين الأحزاب الشقيقة . »

وظلت المقالات التي تلت هذه الرسالة في الصحافة السوفياتية تلعن الشيوعيين الصينيين باعتبارهم « انعزاليين » و « انقساميين » .

ولكن ما هي الحقائق ؟ ومن الذي يحطم وحدة المعسكر الاشتراكي ؟ ومن الذي يحطم وحدة الحركة الشيوعية العالمية ؟ ومن الذي يدوس بالأقدام على مبادىء الأممية البروليتارية ؟ ومن الذي ينقض بفظاظة مقاييس العلاقات بين الأحزاب الشقيقة ؟ وبمعنى آخر ، من هم الانقساميون الحقيقيون ظاهرا وباطنا ؟

وفقط عندما تتم الاجابة على هذه الأسئلة بصورة صحيحة يمكننا

---

(١) « من انجلز الى أ . ببل ، ٢٠ يونيو (حزيران) ١٨٧٣ » .

أن نجد السبيل الى صيانة وتدعيم وحدة المعسكر الاشتراكي ووحدة الحركة الشيوعية العالمية ، وأن نتغلب على خطر الانقسام .

استعراض للتاريخ

وبغرض الوصول الى فهم واضح لطبيعة الانقسامية في الحركة الشيوعية العالمية الراهنة ، وبغرض شن النضال ضدها بالطرق الصحيحة ، لنستعرض تاريخ الحركة الشيوعية العالمية خلال أكثر من مائة سنة مضت .

ان النضال بين الماركسية اللينينية والانتهازية ، وبين القوى التي تصون الوحدة والتي تخلق الانقسامات يتخلل كل تاريخ تطور الحركة الشيوعية . وهذا هو الحال بالنسبة الى الأقطار منفردة وعلى الصعيد العالمي . وفي هذا النضال المطول ، أوضح ماركس وانجلز ولينين على المستوى النظري الجوهر الحقيقي للوحدة البروليتارية ، وضربوا بأعمالهم أمثلة باهرة في مكافحة الانتهازية والتحريفية والانقسامية .

لقد أسس ماركس وانجلز في عام ١٨٤٧ أول منظمة عالمية للطبقة العاملة ، هي العصبة الشيوعية . وفي « البيان الشيوعي » الذي وضعاه برنامجا للعصبة ، رفعا النداء النضالي « يا عمال العالم اتحدوا ! » وقدما توضيحا منتظما وكاملا للشيوعية العلمية وهكذا وضعا الأساس الايديولوجي لوحدة البروليتاريا العالمية .

لقد عمل ماركس وانجلز طوال حياتهما بلا انقطاع من أجل هذه الوحدة التي تقوم على المبدأ للبروليتاريا العالمية .

وفي عام ١٨٦٤ وبغرض توحيد حركة العمال لجميع الأقطار ، أسسا الأممية الأولى التي هي اتحاد العمال العالمي . ولقد شنا طوال فترة الأممية الأولى نضالا مبدئيا ضد الباكونينيين والبروودونيين والبلانكيين واللاساليين وغيرهم ، وكان أعنف نضال هو ضد الانقساميين الباكونينيين .

لقد هاجم الباكونينيون نظرية ماركس من أول البداية ، واتهموا ماركس بأنه « يريد جعل برنامجه الخاص ومذهبه الشخصي سائدين في الأممية » . ولكن في الحقيقة هم الذين حاولوا فرض عقائد طائفتهم على الأممية واستبدال برنامج الأممية ببرنامج باكونين الانتهازي . لقد لجأوا الى حيلة بعد حيلة ، حاشدين « أغلبية » بالقسر وباللين ومنغمسين في نشاطات انعزالية وانقسامية .

وبغرض صيانة الوحدة الحقيقية للبروليتاريا العالمية ، وقف ماركس وانجلز موقفا لا مساومة فيه من حيث المبدأ ضد تحدي الانقساميين الباكونينيين المكشوف للأممية الأولى . وفي عام ١٨٧٢ فصل الباكونينيون الذين ثابروا على نشاطاتهم الانقسامية من الأممية الأولى في مؤتمرها في الهيق (Hague) الذي ساهم ماركس بشخصه فيه .

قال انجلز ، اذا اتخذ الماركسيون في الهيق موقفا غير مبدئي وتصالحيا تجاه النشاطات الانقسامية التي قام بها الباكونينيون لتمخضت عن ذلك نتائج خطيرة على حركة الطبقة العاملة العالمية . وقال : « لتحطمت اذن الأممية تحطيما كاملا ـ نتيجة " الوحدة " . » (١)

ولقد كافحت الأممية الأولى تحت قيادة ماركس وانجلز ضد

---

(١) « من انجلز الى أ . ببل ، ٢٠ يونيو (حزيران) ١٨٧٣ » .

الانتهازية والانقسامية ووضعت الأسس لسيادة الماركسية في حركة الطبقة العاملة العالمية .

وباعلان نهاية الأممية الأولى في عام ١٨٧٦ ، بدأ تأسيس الأحزاب الاشتراكية العمالية الجماهيرية على التوالي في أقطار عديدة . ولقد تتبع ماركس وانجلز تأسيس وتطور هذه الأحزاب باهتمام دقيق ، أملا منهما أن تؤسس وتتطور على أسس الشيوعية العلمية .

وقد أبدى ماركس وانجلز عناية خاصة واهتماما خاصا بالحزب الاشتراكي - الديمقراطي الألماني الذي كان يحتل مركزا هاما وقتذاك في حركة الطبقة العاملة في أوربا . ووجها النقد المرير في مناسبات كثيرة الى الحزب الألماني نظرا لروحه المتعفنة روح التساوم مع الانتهازية سعيا وراء « الوحدة » .

وفي عام ١٨٧٥ وجها نقدا الى الحزب الاشتراكي - الديمقراطي الألماني نظرا لاندماجه باللاساليين على حساب المبدأ والى « برنامج غوتا » الذي نتج عن ذلك . وأوضح ماركس أن هذا الاندماج « قد كلف غاليا جدا » و « أن برنامج غوتا كان برنامجا غير مقبول تماما وأنه يفسد الحزب » (١) . وأوضح انجلز أنه كان « ركوعا أمام اللاسالية من قبل كل البروليتاريا الاشتراكية الألمانية » . وأضاف قائلا : « أنا على يقين أن الاندماج على هذه الأسس سوف لا يعيش عاما واحدا . » (٢)

وفي نقد « برنامج غوتا » قدم ماركس المبدأ المعروف القائل بأنه

---

(١) « من ماركس الى و . براك ، ٥ مايو (أيار) ١٨٧٥ » .
(٢) « من أنجلز الى أ . ببل ، ١٨ - ٢٨ مارس (آذار) ١٨٧٥ » .

بالنسبة الى الماركسيين « ما من مساومة حول المبادىء » (١) .

وبعد ذلك وجه ماركس وانجلز أيضا نقدا لاذعا الى قادة الحزب الألماني نظرا لسماحهم بنشاطات الانتهازيين في داخل الحزب . وقال ماركس : ان هؤلاء الانتهازيين « حاولوا استبدال أسس النظرية المادية بالأساطير المعاصرة بآلهتها للعدالة والحرية والمساواة والاخاء » (٢) ، وكان هذا « افسادا للحزب والنظرية » (٣) . وكتب ماركس وانجلز في خطابهما الدوري الى قادة الحزب الألماني :

« لقد ركزنا لما يقرب من أربعين عاما على النضال الطبقي باعتباره القوة المحركة المباشرة للتاريخ وركزنا بصفة خاصة على النضال الطبقي بين البرجوازية والبروليتاريا باعتباره الرافعة الكبرى للثورة الاجتماعية المعاصرة . فيستحيل علينا أن نتعاون مع أناس يريدون ازالة هذا الصراع الطبقي من الحركة . » (٤)

وعندما تأسست الأممية الثانية تحت نفوذ انجلز في عام ١٨٨٩ كان ذلك في فترة كانت الرأسمالية تتطور فيها تطورا « سلميا » . وبينما أصبحت الماركسية واسعة الانتشار وأصبح « البيان الشيوعي » البرنامج المشترك لعشرات ملايين العمال في كل مكان خلال هذه

---

(١) « من ماركس الى و. براك ، ٥ مايو (أيار) ١٨٧٥ » .

(٢) « من ماركس الى ف . أ . سورق ، ١٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٧٧ » .

(٣) « من ماركس الى ف . أ . سو رق ، ١٩ سبتمبر (أيلول) ١٨٧٩ » .

(٤) « من ماركس وأنجلز الى أ . ببل ، وو . ليبكنخت ، وو . براك وغيرهم (خطاب دوري) ، ١٧ - ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٨٧٩ » .

الفترة ، قدست الأحزاب الاشتراكية في أقطار عديدة الشرعية البرجوازية تقديسا أعمى بدلا من الافادة منها وأصبحت أحزابا تدعو الى الشرعية مما فتح أبواب الفيضان للانتهازية .

ولذلك ظلت حركة الطبقة العاملة العالمية ، طوال فترة الأممية الثانية ، منقسمة الى جماعتين رئيسيتين هما الماركسيون الثوريون والانتهازيون ـ الماركسيون المزيفون .

لقد شن انجلز نضالا لا يعرف المصالحة ضد الانتهازيين . وقد فند بحدة خاصة هذرهم حول التطور السلمي للرأسمالية الى اشتراكية . وقال عن الانتهازيين الذين ظهروا بمظهر الماركسيين ان « ماركس ليكرر لهؤلاء السادة ما قاله هايني لمقلديه : لقد زرعت التنانين ولكنني جنيت البراغيث » (١) .

وبعد وفاة انجلز في عام ١٨٩٥ ، ظهرت هذه « البراغيث » تحرف الماركسية بصورة علنية ومنتظمة ، واستولت بالتدريج على قيادة الأممية الثانية .

وبعد انجلز حمل لينين العظيم ، بصفته الثوري البارز في حركة الطبقة العاملة العالمية ، المسئولية الضخمة للدفاع عن الماركسية ومعارضة تحريفية الأممية الثانية .

وعندما نبح محرفو الأممية الثانية صائحين بأن الماركسية « لم تكن كاملة » وقد « فات أوانها » ، أعلن لينين برزانة « أن موقفنا يقوم تماما على أساس النظرية الماركسية » ، « لأن النظرية الثورية

---

(١) « رسالة أنجلز الى باول لافارق ، ٢٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٩٠ » .

توحد كل الاشتراكيين » (١) .

لقد ناضل لينين قبل كل شيء من أجل تأسيس حزب ماركسي في روسيا . وبغرض بناء حزب من نوع جديد يختلف أساسيا عن الأحزاب الانتهازية في الأممية الثانية ، كافح كفاحا لا مساومة فيه ضد الأجنحة المختلفة المعادية للماركسية في داخل الحزب العمالي الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي .

وكان في داخل الحزب العمالي الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي ، شأنه شأن غيره من أحزاب الأممية الثانية ، جماعة ثورية وجماعة انتهازية . وكان البلشفيك بقيادة لينين يمثلون الأولى وكان المنشفيك يمثلون الثانية .

وكافح البلشفيك بقيادة لينين كفاحا مطولا نظريا وسياسيا ضد المنشفيك بغرض صيانة وحدة الحزب البروليتاري ونقاء صفوفه ، ونجحوا أخيرا في عام ١٩١٢ في فصل المنشفيك الذين كانوا يصرون على انتهازيتهم ونشاطاتهم الانقسامية ، من الحزب .

أما كل الجماعات الانتهازية فقد عيرت لينين بأهج العبارات وأشدها سما . وقد لجأت الى كل سبيل لالصاق بطاقة الانقسامي به . أما تروتسكي فهاجم بلا تورع لينين والحزب البلشفي ، بعد أن حشد الى جانبه كل الجماعات المعادية للينين رافعا راية « لاتحزبية » ، ووصف لينين بأنه « مغتصب » و « انقسامي » . وأجاب لينين بأن تروتسكي الذي تظاهر بأنه « لاتحزبي » هو الذي أصبح يمثل أفظع

---

(١) لينين : « برنامجنا » .

بقايا التحزبية » (١) ، و« أسوأ الانقساميين » (٢) .

قال لينين بوضوح : « الوحدة ـ انها قضية عظيمة وشعار عظيم ! الا أن قضية العمال تتطلب وحدة الماركسيين ، لا وحدة الماركسيين مع من يعارضون الماركسية ويشوهونها . » (٣)

لقد كان نضال لينين ضد المنشفيك نضالا ذا مغزى عالمي عظيم ، نظرا لأن المنشفيكية كانت شكلا وفصيلة من تحريفية الأممية الثانية في روسيا ، وكان يؤيدها القادة المحرفون للأممية الثانية .

وفي الوقت الذي كان لينين يكافح فيه المنشفيك ، شن سلسلة من النضالات ضد تحريفية الأممية الثانية .

لقد نقد لينين قبل الحرب العالمية الأولى محرفي الأممية الثانية نظريا وسياسيا وحاربهم وجها لوجه في مؤتمري شتودقارد وكوبنهاقن .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى خان قادة الأممية الثانية البروليتاريا علنا . وخدمة لمصالح المستعمرين حثوا البروليتاريا في الأقطار المختلفة لذبح بعضهم البعض ، وهكذا أحدثوا أخطر انقسام وسط البروليتاريا العالمية . وكما قالت روزا لوكسمبرج فان المحرفين حولوا الشعار القديم المفتخر « يا عمال العالم اتحدوا ! » الى أمر عسكري في ميدان القتال هو « ياعمال العالم اذبحوا بعضكم بعضا ! » (٤)

---

(١) لينين : « تحطيم الوحدة باسم الوحدة » .

(٢) لينين : « انهيار كتلة " أغسطس" » .

(٣) لينين : « الوحدة » .

(٤) « مجموعة الخطب والمقالات المختارة لروزالوكسمبرج » .

كان الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي في ألمانيا التي هي موطن ماركس أقوى الأحزاب وأعظمها نفوذا في الأممية الثانية . وكان هو الحزب الأول الذي وقف آنذاك مع مستعمري بلاده ، وهكذا أصبح المجرم الأساسي في قسم حركة الطبقة العاملة العالمية .

وفي هذه اللحظة الحرجة ، تقدم لينين الى الأمام ليكافح بحزم دفاعا عن وحدة البروليتاريا العالمية .

وأعلن لينين ، في مقاله « واجبات الاشتراكية ـ الديمقراطية الثورية في الحرب الأوربية » الذي نشر في أغسطس (آب) ١٩١٤ ، انهيار الأممية الثانية وأدان بقساوة معظم قادتها ولا سيما قادة الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي الألماني نظرا لخيانتهم الصريحة للاشتراكية .

ونظرا لأن محرفي الأممية الثانية حولوا تحالفهم السري مع البرجوازية الى تحالف علني ولأنهم أحدثوا انقساما لا سبيل الى ازالته في حركة الطبقة العاملة العالمية قال لينين :

« من المستحيل أداء مهام الاشتراكية في الوقت الحاضر ، ومن المستحيل بلوغ وحدة أممية حقيقية للعمال دون قطع العلاقات بحزم مع الانتهازية ودون توضيح افلاسها المحتوم للجماهير . » (١)

ولهذا الغرض أيد لينين بحزم الماركسيين في أقطار أوربية عديدة لقطع العلاقات مع الانتهازيين ودعا بلا تردد الى تأسيس الأممية الثالثة لتحل محل الأممية الثانية التي أفلست حتى تمكن اعادة بناء

---

(١) لينين : « الحرب والحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي » .

الوحدة الثورية للبروليتاريا العالمية :

وفي مارس (آذار) عام ١٩١٩ تم تأسيس الأممية الثالثة . وقد ورثت المنجزات الايجابية التي أحرزتها الأممية الثانية ، ونبذت ما كان للأممية الثانية من سقط متاع للانتهازية وللعصبية الاجتماعية للبرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، وهكذا سمحت للقضية الثورية للبروليتاريا العالمية بالنمو المتسع والمتعمق .

ان نظرية لينين وتطبيقه قد دفعا الماركسية الى مرحلة جديدة في تطورها هي مرحلة اللينينية . وعلى أساس الماركسية اللينينية تم تدعيم وحدة البروليتاريا العالمية ووحدة الحركة الشيوعية العالمية تدعيما أكثر وتوسيعهما الى حدود أكبر .

خبرة ودروس

ما الذي يعلمنا اياه تاريخ تطور الحركة الشيوعية العالمية ؟

أولا : يعلمنا أن الحركة العمالية العالمية ، شأنها شأن كل شيء آخر ، تتجه نحو الانقسام الى قسمين . وان الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية يتحتم انعكاسه على الصفوف الشيوعية . وانه لا بد أن يظهر نوع أو آخر من الانتهازية أثناء تطور الحركة الشيوعية ، ولا بد أن ينغمس الانتهازيون في نشاطات انقسامية معادية للماركسية اللينينية ، وأن يشن الماركسيون اللينينيون النضال ضد الانتهازية والانقسامية . وعن طريق هذا الصراع بين الأضداد بوجه التحديد ، تطورت الماركسية اللينينية وحركة الطبقة العاملة العالمية . وكذلك عن طريق هذا الصراع دعمت

وقوت حركة الطبقة العاملة العالمية وحدتها القائمة على أساس الماركسية اللينينية .

قال انجلز :

« لا بد لحركة البروليتاريا من المرور بمراحل مختلفة من التطور ؛ وفي كل مرحلة يتوقف جزء من الناس ولا يساهمون في التقدم الى أمام . ويوضح هذا وحده أنه لماذا ان "تضـــامـــن البروليتاريا" بالفعل يتحقق في كل مكان وسط مختلف التجمعات الحزبية التي تواصل فيما بينها صراعا للحياة والموت . . . » (١)

وهذا ما حدث بالضبط . فالعصبة الشيوعية والأممية الأولى والأممية الثانية ، التي كان كل منها موحداً في الأصل ، انقسم كل منها الى قسمين أثناء تطوره وأصبح جزئين متعارضين . وفي كل مرة من المرات دفع النضال العالمي ضد الانتهازية والانقسامية حركة الطبقة العاملة العالمية الى أمام الى مرحلة جديدة ومكنها من احراز وحدة أقوى وأمتن وأوسع على أسس جديدة . وكان انتصار ثورة أكتوبر وتأسيس الأممية الثالثة أعظم منجزات أحرزت في النضال ضد تحريفية الأممية الثانية وانقساميتها .

الوحدة والصراع أو حتى الانقسامات ، والوصول الى وحدة جديدة على أسس جديدة ــ هذا هو ديالكتيك تطور الطبقة العاملة العالمية .

ثانيا : يعلمنا تاريخ الحركة الشيوعية العالمية أن الصراع بين المدافعين عن الوحدة وبين من يخلقون الانقسامات ، في كل فترة من فترات تطور

---

(١) « من أنجلز الى أ . ببل ، ٢٠ يونيو (حزيران) ١٨٧٣ » .

الحركة الشيوعية ، هو في جوهره صراع بين الماركسية اللينينية وبين الانتهازية والتحريفية ، بين من يتمسكون بالماركسية وبين من يخونون الماركسية .

وعلى الصعيد العالمي وفي كل قطر من الأقطار ، يمكن احراز وحدة بروليتارية حقيقية فقط على أساس الماركسية اللينينية .

وعلى الصعيد العالمي وفي كل قطر من الأقطار ، حيثما طغت الانتهازية والتحريفية ، يصبح الانقسام أمرا لا محالة منه في صفوف البروليتاريا . وكل انقسام في الحركة الشيوعية تسببه على الدوام معارضة الانتهازيين والتحريفيين للماركسية اللينينية وخيانتهم لها .

ما هي الانقسامية ؟

معنى الانقسامية هو هجر الماركسية اللينينية . وكل من يعارض ويخون الماركسية اللينينية ويحطم أسس الوحدة البروليتارية هو انقسامي .

ومعناها هجر الحزب البروليتاري الثوري . وكل من يثابر على خط تحريفي ويحول حزبا ثوريا بروليتاريا الى حزب اصلاحي برجوازي هو انقسامي .

ومعناها هجر البروليتاريا الثورية والجماهير العريضة من الشغيلة . وكل من يسير على برنامج وخط مضادين للارادة الثورية والمصالح الأساسية للبروليتاريا والشغيلة هو انقسامي .

قال لينين : « حيثما التقت أغلبية العمال الواعين طبقيا حول قرارات مدققة واضحة توجد وحدة الآراء والعمل » (١) ، بينما الانتهازية « هي

---

(١) لينين : « تحطيم الوحدة باسم الوحدة » .

في الحقيقة انقسام بمعنى أنها تخدر دون أي شيء من الخجل العزيمة للأغلبية من العمال » (١) .

ان الانقسامية بتحطيمها الوحدة البروليتارية تخدم البرجوازية وتقابل حاجياتها . ان السياسة الدائمة للبرجوازية هي خلق الانقسامات في صفوف البروليتاريا . وأشر أسلوب لها في القيام بهذا هو شراء وتربية عملاء لها في داخل صفوف البروليتاريا . وعملاء البرجوازية هم بالضبط الانتهازيون والمحرفون . وبدلا من السعي الى توحيد البروليتاريا للكفاح ضد البرجوازية ، يطلبون من البروليتاريا التعاون مع البرجوازية . وهذا ما فعله محرفو الأممية الثانية أمثال برنشتاين وكاوتسكي . وفي الوقت الذي كان يرتجف فيه الاستعمار خوفا للغاية من أن تتحد البروليتاريا في جميع الأقطار لكي تحول الحرب الاستعمارية الى حروب أهلية ، ظهروا وخلقوا الانقسام في حركة الطبقة العاملة العالمية ودعوا للتعاون بين البروليتاريا والبرجوازية .

ان الانقساميين في صفوف الشيوعيين هم الذين يهجرون الماركسية اللينينية والحزب البروليتاري الثوري والبروليتاريا الثورية والجماهير العريضة من الشغيلة لمقابلة حاجيات البرجوازية ويظلون انقساميين حتى اذا كانوا لفترة ما في جانب الأغلبية أو كانوا يحتلون مناصب قيادية .

لقد كان المحرفون الذين يمثلهم برنشتاين وكاوتسكي هم في جانب الأغلبية في أيام الأممية الثانية ، بينما كان الماركسيون الذين يمثلهم لينين في جانب الأقلية . الا أنه كان من الواضح أن برنشتاين وكاوتسكي وغيرهما من الانتهازيين كانوا هم الانقساميين ، لا الثوريين أمثال لينين .

---

(١) لينين : « تحطيم الوحدة باسم الوحدة » .

في عام ١٩٠٤ ، كان المنشفيك هم الانقساميين بالرغم من أنهم اغتصبوا واحتلوا مناصب قيادية في الهيئات المركزية للحزب العمالي الاشتراكي – الديمقراطي الروسي . وقال لينين في ذلك الوقت : « ان الهيئات القيادية (الصحيفة المركزية واللجنة المركزية والمجلس العام) قد هجرت الحزب » ، و« ان هذه الهيئات القيادية قد وضعت نفسها خارج الحزب . وما من مكان وسط ، على المرء أن يقرر أن يقف اما مع الهيئات القيادية أو مع الحزب . » (١)

وبالاختصار ، فان الانتهازية والتحريفية هما المصدر السياسي والايديولوجي للانقسامية . والانقسامية هي التعبير التنظيمي للانتهازية والتحريفية . ويمكن القول أيضا بأن الانتهازية والتحريفية هما انقسامية كما هما انعزالية أيضا . ان المحرفين هم اكبر وافظع انقساميين وانعزاليين في الحركة الشيوعية .

ثالثا : ان تاريخ الحركة الشيوعية العالمية يعلمنا أيضا أن الوحدة البروليتارية قد تدعمت وتطورت عبر النضال ضد الانتهازية والتحريفية والانقسامية . والنضال من أجل الوحدة يرتبط بصورة لا تنفصم بالنضال من أجل المبدأ .

ان الوحدة التي تتطلبها البروليتاريا هي وحدة طبقية ، وحدة ثورية ، وحدة ضد العدو المشترك ومن أجل الهدف العظيم – الشيوعية . ان الماركسية اللينينية هي الأساس النظري والسياسي لوحدة البروليتاريا العالمية . وبوسع البروليتاريا العالمية أن تحرز الانسجام التنظيمي ووحدة العمل فقط عندما يكون لديها الوحدة النظرية والسياسية .

---

(١) لينين : « رسالة الى حلقة زيورخ من البلشفيك » .

ان الوحدة الثورية الحقيقية للبروليتاريا يمكن احرازها فقط بالتمسك بالمبدأ وبالماركسية اللينينية . والوحدة التي تشترى بنبذ المباديء وبالتمرغ في الوحل مع الانتهازيين لا تسمى وحدة بروليتارية ، بل على النقيض من ذلك كما قال لينين « تعني بالفعل وحدة البروليتاريا مع البرجوازية المحلية ، وانقساما في البروليتاريا العالمية ، ووحدة الأذناب ، وانقسام الثوريين »(١)

وقال أيضا : « لأن البرجوازية سوف لا تموت ما لم تتم الاطاحة بها » فان التيار الانتهازي الذي ترشوه البرجوازية وتسانده هو أيضا « سوف لا يموت اذا لم يقتل ، أي اذا لم تتم الاطاحة به ولم يحرم من كل نفوذ بين البروليتاريا الاشتراكية » ، ولذلك من الضروري شن « نضال لا رحمة فيه ضد تيار الانتهازية » (٢) .

وعلى الماركسيين اللينينيين ألا يساوموا بمبادئهم أمام تحدي الانتهازيين والمحرفين الذين يعملون على قسم الحركة الشيوعية العالمية علنا ، بل عليهم أن يكافحوا بحزم هذه الانقسامية . ان هذه وصية عظيمة القيمة تركها ماركس وانجلز ولينين كما هي الطريق الصحيح الوحيد لصيانة وحدة الحركة الشيوعية العالمية .

أكبر الانقساميين في عهدنا الحاضر

ان أحداث السنوات القريبة الماضية تدل على أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بقيادة خروشوف أصبحوا الممثلين الرئيسيين للتحريفية المعاصرة

---

(١) لينين : « الصوت العادل لاشتراكي فرنسي » .

(٢) نفس المصدر السابق .

وأكبر الانقساميين في الحركة الشيوعية العالمية .

لقد شكل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بين المؤتمرين العشرين والثاني والعشرين لهذا الحزب نظاما شاملا للتحريفية . وقد وضعوا خطا تحريفيا يعارض الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا ، ويتكون هذا الخط من « التعايش السلمي » و« المباراة السلمية » و« الانتقال السلمي » و« دولة كل الشعب » و « حزب كل الشعب » . وقد حاولوا فرض هذا الخط التحريفي على جميع الأحزاب الشقيقة عوضا عن الخط العام للحركة الشيوعية العالمية الذي وضع في اجتماعي الأحزاب الشقيقة في عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦٠ . وهاجموا كل من ثابر على الخط الماركسي اللينيني وقاوم خطهم التحريفي .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم الذين حطموا أسس وحدة الحركة الشيوعية العالمية وخلقوا الخطر العظيم الراهن للانقسام بخيانتهم للماركسية اللينينية والأممية البروليتارية وبدفعهم خطهم التحريفي والانقسامي .

وبدلا من العمل على تدعيم وتوسيع المعسكر الاشتراكي ، لجأ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الى محاولة قسمه وتفكيكه ، وهكذا جعلوا المعسكر الاشتراكي الرائع في حالة فوضى .

لقد نقضوا المباديء المرشدة في العلاقات بين الأقطار الشقيقة كما وردت في التصريح والبيان ، وساروا على سياسة عصبية الدولة الكبيرة والأنانية القومية تجاه الأقطار الاشتراكية الشقيقة ، وهكذا حطموا وحدة المعسكر الاشتراكي .

لقد انتهكوا بلا تورع سيادة الأقطار الشقيقة وتدخلوا في شئونها

الداخلية وقاموا بالنشاطات الهدامة وسعوا بكل سبيل الى السيطرة على الأقطار الشقيقة .

وباسم « توزيع العمل على النطاق العالمي » يعارض قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن تتخذ الأقطار الشقيقة سياسة بناء الاشتراكية بالاعتماد على جهودها الخاصة وتطور اقتصادها على أسس مستقلة ، محاولين تحويلها الى بلدان تابعة لهم اقتصاديا . لقد سعوا جاهدين الى اجبار تلك الأقطار الشقيقة التي هي متخلفة نسبيا اقتصاديا ، على التخلي عن التصنيع وجعلها موارد لهم يأخذون منها المواد الخام وأسواقا لمنتجاتهم الفائضة .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لا يتورعون عن القيام بأي عمل في سيرهم على سياسة عصبية الدولة الكبيرة . لقد باشروا دائما الضغط السياسي والاقتصادي وحتى العسكري على الأقطار الشقيقة .

لقد دعا قادة الحزب الشيوعي السوفياتي علنا الى الاطاحة بقادة الحزب والحكومة في ألبانيا ، وقطعوا بفظاظة جميع العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية معها ، وحرموها كما يفعل الطغاة من حقوقها المشروعة بصفتها عضوا في منظمة حلف وارسو ومجلس العون الاقتصادي المتبادل .

لقد ناقض قادة الحزب الشيوعي السوفياتي المعاهدة الصينية السوفياتية للصداقة والتحالف والعون المتبادل ، وقرروا من جانب واحد سحب ١٣٩٠ خبيرا سوفياتيا كانوا يعملون في الصين ، ومزقوا ٣٤٣ عقدا وعقدا اضافيا حول استخدام الخبراء ، وألغوا ٢٥٧ مشروعا للتعاون العلمي والتكنيكي ، وباشروا سياسة الحجر والتمييز في التجارة ضد الصين . وقد أثاروا حوادث على الحدود الصينية السوفياتية وقاموا بنشاطات هدامة

واسعة النطاق في سينكيانغ . وقد ذهب خروشوف في أكثر من مناسبة الى حد القول الى بعض الرفاق القياديين في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أن عناصر معينة معادية للحزب في داخل الحزب الشيوعي الصيني هي من « خير أصدقائه » . وأثنى على العناصر الصينية المعادية للحزب لهجومها على الخط العام للحزب من أجل البناء الاشتراكي ، والقفزة الكبرى الى أمام ، والكومونات الشعبية ووصف أعمالها بأنها « رجولية » .

ان مثل هذه الأعمال التي تسيء الى العلاقات بين الدول بصورة خطيرة هي نادرة الوقوع حتى بين الأقطار الرأسمالية . الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي اتخذوا مرة بعد أخرى تجاه الأقطار الاشتراكية الشقيقة خطوات كهذه في أقصى درجات التطرف وتدعو الى الدهشة . ومع ذلك يستمرون في النباح بأنهم « مخلصون للأممية البروليتارية » . وبودنا أن نسأل : هل في أعمالكم هذه كلها ذرة واحدة من الأممية ؟

ان عصبية الدولة الكبيرة والانقسامية لدى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي تتوهجان أيضا في معاملتهم للأحزاب الشقيقة .

ومنذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي حاول قادته تحت ستار « مقاومة عبادة الفرد » تغيير قيادات الأحزاب الشقيقة الأخرى حتى تساير رغبتهم ومشيئتهم . وحتى الوقت الراهن ما زالوا يصرون على اعتبار « مقاومة عبادة الفرد » شرطا مسبقا لاعادة الوحدة و« مبدءا » « ملزما لكل حزب شيوعي . » (١)

---

(١) « في سبيل وحدة وتضامن الحركة الشيوعية العالمية » ، مقال بقلم هيئة تحرير « البرافدا » ٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٣ .

وعلى النقيض من المباديء المرشدة للعلاقات بين الأحزاب الشقيقة ، التي وردت في التصريح والبيان ، يتجاهل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي المركز المستقل والمتساوي للأحزاب الشقيقة مصرين على تأسيس نوع من السيطرة الأبوية الاقطاعية على الحركة الشيوعية العالمية وعلى تحويل العلاقات بين الأحزاب الشقيقة الى علاقات اقطاعية بين الأب وأبنائه . لقد وصف خروشوف أكثر من مرة حزبا شقيقا بأنه « صبي أبله » ، وسمى نفسه بـ « أمه » (١) . وبنفسيته الاقطاعية في تمجيد نفسه ، ليس لديه أي احساس بالخجل .

لقد تجاهل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي تجاهلا تاما مبدأ الوصول الى الاجماع عن طريق التشاور بين الأحزاب الشقيقة ، وأصدروا كعادتهم قرارات ديكتاتورية وأمروا الآخرين كما حلا لهم . لقد مزقوا بلا اكتراث اتفاقيات مشتركة مع أحزاب شقيقة ، واتخذوا من جانبهم وحدهم قرارات حول قضايا هامة ذات أهمية مشتركة للأحزاب الشقيقة وفرضوا عليها الأمر الواقع .

لقد نقض قادة الحزب الشيوعي السوفياتي المبدأ القائل بأن الخلافات بين الأحزاب الشقيقة يجب أن تسوى عن طريق المشاورات الحزبية الداخلية . فاستخدموا أولا مؤتمر حزبهم الخاص ثم مؤتمرات أحزاب شقيقة أخرى كمنابر لشن هجمات علنية واسعة النطاق ضد تلك الأحزاب

---

(١) حديث خروشوف مع غاردنر كولس موزع مجلة « لوك » الأميركية ، ٢٠ ابريل (نيسان) ١٩٦٢ وتقرير خروشوف في دورة مجلس السوفيات الأعلى للاتحاد السوفياتي ، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٢ .

الشقيقة التي تتمسك بحزم بالماركسية اللينينية .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعتبرون الأحزاب الشقيقة بيادق على رقعة شطرنجهم الدبلوماسية . ويتصرف خروشوف على عجل وبلا ثبات ، تارة بصورة عنيفة وتارة لينة ، يوما بطريقة وبغيرها في اليوم التالي ، الا أنه يصر على أن ترقص الأحزاب الشقيقة على كل نغمة يعزفها دون أن تعرف من أين والى أين .

لقد أثار قادة الحزب الشيوعي السوفياتي القلاقل وخلقوا الانقسامات في عدد كبير من الأحزاب الشيوعية ، بتشجيع من يتبعون خطهم التحريفي في هذه الأحزاب على مهاجمة القيادة ، أو اغتصاب مراكز قيادية ، ومهاجمة الماركسيين اللينينيين وحتى فصلهم من تلك الأحزاب بصورة غير شرعية . وهذه السياسة الانقسامية التي يسير عليها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هي التي أدت الى الانقسامات التنظيمية في الأحزاب الشقيقة في عدد كبير من الأقطار الرأسمالية .

لقد حول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » التي هي في الأصل مجلة مشتركة للأحزاب الشقيقة ، الى أداة لنشر التحريفية والانعزالية والانقسامية ولشن الهجمات الشرسة على الأحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة ، مما يناقض الاتفاق الذي عقد في الاجتماع الذي تم فيه تأسيس المجلة .

وبالاضافة لهذا يفرضون الخط التحريفي على المنظمات الديمقراطية العالمية ، ويحاولون تغيير الخط الصحيح المنتهج من قبل هذه المنظمات ، وخلق الانقسامات فيها .

لقد قلب قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قلبا تاما الأعداء والرفاق .

فقد وجهوا رمح الصراع الذي يجب أن يكون ضد الاستعمار الأميركي وعملائه ، الى الأحزاب والأقطار الشقيقة الماركسية اللينينية .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مصرون على السعي الى التعاون السوفياتي الأميركي للسيطرة على العالم ، وهم يعتبرون الاستعمار الاميركي – ألد أعداء شعوب العالم – أعظم صديق يعتمدون عليه ، بينما يعاملون الأحزاب والأقطار الشقيقة التي تلتزم بالماركسية اللينينية معاملة الأعداء . انهم يتواطئون مع الاستعمار الأميركي ، والرجعيين في مختلف الأقطار ، وطغمة تيتو المرتدة ، والجناح اليميني من الاشتراكيين – الديمقراطيين على حد السواء لمعارضة الأقطار الاشتراكية الشقيقة ، والأحزاب الشقيقة ، وجميع الماركسيين اللينينيين والشعوب الثورية في جميع الأقطار .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، عندما يخيل اليهم أنهم قد قبضوا على قطعة من التبن من أيزنهاور أو كندي أو أشباههما من الآخرين وأصبحوا يعتقدون أن الأمور تسير بسهولة من أجلهم ، يطيرون فرحا ويسددون الضربات بوحشية الى الأحزاب والأقطار الشقيقة التي تلتزم بالماركسية اللينينية ويحاولون عبثا التضحية بالأحزاب والأقطار الشقيقة على مذبح صفقاتهم السياسية مع الاستعمار الأميركي .

وعندما تصاب سياساتهم الخاطئة بالخسران ويجدون الأمور عندهم تسير بصعوبة ، يصبحون أكثر غضبا واحمرارا في الوجوه مما مضى ، ثم يسددون الضربات بوحشية مرة أخرى الى الأحزاب والأقطار الشقيقة التي تلتزم بالماركسية اللينينية ويحاولون جعل الآخرين ضحايا فدائية لأخطائهم .

تدل هذه الحقائق المذكورة آنفا على أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي

قد سلكوا سبيل الخيانة التامة للأممية البروليتارية ، اذ أنهم يناقضون مصالح الشعب السوفياتي والمعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية ، ومصالح جميع الشعوب الثورية .

تدل هذه الحقائق بوضوح على أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يضعون تحريفيتهم ضد الماركسية اللينينية ، وعصبية الدولة الكبيرة التي يتحلون بها وأنانيتهم القومية ضد الأممية البروليتارية ، وانعزاليتهم وانقساميتهم ضد الوحدة العالمية للبروليتاريا . وهكذا انقلبواهم أنفسهم ، شأنهم شأن كل الانتهازيين والمحرفين في الماضي ، الى خالقي انقسامات في عدد كبير من الأحزاب الشقيقة والمعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية قاطبة .

ان تحريفية وانقسامية قادة الحزب الشيوعي السوفياتي تشكلان خطرا أعظم من أي خطر يشكله أي انتهازيين وانقساميين آخرين سواء في الماضي أو الحاضر . وكما يعرف كل انسان فان هذه التحريفية تحدث في الحزب الشيوعي السوفياتي ـ ذلك الحزب الذي خلقه لينين والذي تمتع بأعظم هيبة بين جميع الأحزاب الشيوعية ، وتحدث في الاتحاد السوفياتي العظيم ـ أول قطر اشتراكي . ومنذ سنوات عديدة وضع الماركسيون اللينينيون والشعوب الثورية في كل العالم الحزب الشيوعي السوفياتي في مكانة رفيعة من نفوسهم وقدروه تقديرا عظيما ، كما اعتبروا الاتحاد السوفياتي قاعدة للثورة العالمية ونموذجا للنضال . الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد استغلوا كل هذا ، استغلوا هيبة الحزب الذي خلقه لينين وهيبة أول قطر اشتراكي ، لتغطية جوهر تحريفيتهم وانقساميتهم ولخداع من لا يزالون في جهل بالحقيقة ، وفي نفس الوقت

يصرخ هؤلاء السادة المتمرسون في الخداع المزدوج « الوحدة ، الوحدة ، » بينما ينغمسون فعلا في الانقسام . وخداعهم هذا يربك الناس الى حدود معينة والى وقت معين وقد حالت الثقة التقليدية بالحزب الشيوعي السوفياتي ، والجهل بالحقائق بين عدد ليس قليلا من الناس وبين معرفة تحريفية وانقسامية قادة الحزب الشيوعي السوفياتي على الفور .

ونظرا لأن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يباشرون سلطة الدولة في قطر اشتراكي كبير له نفوذ عالمي واسع ، أضر خطهم التحريفي والانقسامي بالحركة الشيوعية العالمية وقضية الثورة العالمية للبروليتاريا ضررا أعظم مما لأي انتهازيين وانقساميين في الماضي .

ويمكن القول بأن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم أكبر المحرفين كما هم أكبر الانعزاليين والانقساميين الذين عرفهم التاريخ .

لقد اتضح فعلا أن تحريفية وانقسامية قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد ساعدتا الى درجة عظيمة على انتشار فيضان التحريفية على صعيد عالمي وقدمتا خدمات هائلة للاستعمار والرجعيين في جميع الأقطار .

ان تحريفية وانقسامية قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هما نتاج نمو وفيضان العناصر البرجوازية في داخل الاتحاد السوفياتي ، ونتاج سياسة الاستعمار ولا سيما سياسة الاستعمار الأميركي – سياسة الابتزاز النووي و« التحويل السلمي » . وبالتالي تخدم نظرياتهم وسياساتهم التحريفية والانقسامية لا القوى الرأسمالية الواسعة الانتشار في الداخل وحسب ، بل الاستعمار أيضا ، كما تشل العزيمة الثورية لشعوب العالم وتعرقل النضال الثوري الذي تشنه .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في الحقيقة قد كسبوا المدح

والتصفيق الحارين من الاستعمار وعملائه .

ان المستعمرين الأميركيين يمدحون خروشوف على الخصوص لنشاطاته الانقسامية في الحركة الشيوعية العالمية . ويقولون : « يبدو من الواضح أن خروشوف راغب رغبة صادقة كافية في انفراج مع الغرب حتى أنه أصبح راغبا في مواجهة خطر الانقسام في الحركة الشيوعية للحصول على هذا الانفراج . » (١) « لقد حطم نيكيتا خروشوف بصورة قاطعة الكتلة الموحدة التي كانت في أيام ستالين . وقد تكون هذه اعظم خدمة أداها خروشوف — لا الى الشيوعية بل الى العالم الغربي . » (٢) و« علينا أن نظهر الامتنان لسوء معاملته للعلاقة بينه وبين الصينيين . . . علينا أن نمتن له لادخاله الاضطراب الى الحركة الشيوعية العالمية بواسطة عدد كبير من الابتكارات المفاجئة المليئة بالغرور . » (٣)

انهم يعتقدون بحزم أن خروشوف هو « أطيب رئيس وزراء سوفياتي يتوقع الغرب أن يعامله . . . وعلى الغرب ان يحاول الآن أن يتجنب أي عمل من شأنه أن يضعف موقفه أكثر » (٤) . ويقولون : « ان الحكومة

---

(١) « فرص للدبلوماسية ـ شقوق في الكتل » ، في مجلة « نايسا » الأسبوعية الأميركية ، ٩ فبراير (شباط) ١٩٦٣ .

(٢) « موسكو وبكين : الى أي درجة وصل الانقسام ؟ » ، مجلة « نيوزويك » ، ٢٦ مارس (آذار) ١٩٦٢ .

(٣) « هل غير خروشوف أساليبه بتوقيع معاهدة حظر التجارب ؟ » ، مقال في « أنباء أميركا والشئون العالمية » ، ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٣ .

(٤) « أميركا تعتقد أن الوحدة الشيوعية قد أصبحت فعلا ماضيا » ، في « تايمز » البريطانية ، ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢ .

الأميركية مقتنعة الآن بأنه على الولايات المتحدة أن تقدم أقصى درجات العون لخروشوف في نزاعه مع الصين الحمراء . » (١)

أما التروتسكيون الذين أفلسوا منذ وقت بعيد سياسيا فأصبحوا من بين الذين يصفقون لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي . والأوائل يؤيدون الأواخر بنشاط في مسائل أساسية كمسألة الموقف تجاه ستالين وتجاه الاستعمار الأميركي وتجاه المحرفين اليوغوسلاف . ويقولون : « ان الوضع الذي خلقه المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي وخاصة المؤتمر الثاني والعشرون مؤات بصورة واضحة لاعادة النشاط الى حركتنا في دول العمال نفسها . » (٢) « لقد استعددنا الأكثر من ٢٥ عاما وعلينا أن ندخل الآن ، ونتحرك بنشاط وحيوية . » (٣) « فيما يتعلق باتجاه خروشوف سوف نقدم العون الانتقادي لنضاله من أجل ازالة الستالينية وآثارها وضد الاتجاهات الأكثر محافظة . . . » (٤)

تأملوا ! ان كل أعداء الثورة يؤيدون قادة الحزب الشيوعي السوفياتي

---

(١) أنظر مجلة « نيوزوك » ، أول يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

(٢) « الوضع العالمي ومهامنا » ، قرار اتخذه مؤتمر اعادة التوحيد للأممية الرابعة المزعومة للتروتسكيين بتاريخ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ .

(٣) « المرحلة الجديدة للثورة الروسية وأزمة الستالينية » ، قرار متخذ في دورة اللجنة الوطنية للحزب العمالي الاشتراكي التروتسكي في الولايات المتحدة ، ١٣ - ١٥ أبريل (نيسان) ١٩٥٦ .

(٤) « صدى المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي » ، قرار اتخذته أمانة السر العالمية للأممية الرابعة المزعومة للتروتسكيين ، ٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦١ .

بهمة ونشاط . والسبب في ذلك هو أنهم وجدوا لغة مشتركة مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في موقفهم من الماركسية الاينينية والثورة العالمية، وأن الخط التحريفي والانقسامي لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي يقابل الحاجيات المعادية للثورة لدى الاستعمار الأميركي .

وكما قال لينين ان البرجوازية تفهم « أن النشطين في حركة الطبقة العاملة الذين يلتزمون بالاتجاه الانتهازي هم يدافعون عن البرجوازية أقوى من البرجوازية نفسها » (١) . ان السادة المستعمرين يسمحون بفرح وسرور لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي بتنظيف الطريق لتحطيم قضية الثورة البروليتارية العالمية .

وبعد أن خلق قادة الحزب الشيوعي السوفياتي خطر الانقسام الخطير في الحركة الشيوعية العالمية ، يحاولون الآن ازاحة المسئولية بتعييرهم الحزب الشيوعي الصيني والأحزاب الماركسية اللينينية الأخرى متهمينها بجريمة « الانقسامية » و« الانعزالية » ، ومؤلفين مجموعة من التهم ضدها .

وهنا نجد أنه من الضروري أن نعالج بعض افتراءاتهم الرئيسية وندحضها واحدة اثر واحدة .

دحض تهمة « معاداة السوفيت »

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يتهمون كل من يقاومون وينقدون تحريفيتهم وانقساميتهم بأنهم « يعادون السوفيت » . ان هذه تهمة مرعبة .

---

(١) لينين : « المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية » .

وهل يعارض الانسان أول قطر اشتراكي في العالم والحزب الذي أسسه لينين العظيم ؟ يالها من وقاحة !

ولكننا ننصح قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بألا ينغمسوا في التشخيص المسرحي ، فتهمة « معاداة السوفيت » لا يمكن الصاقها بنا أبدا .

كما ننصح قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أيضا بألا يفتنوا بأنفسهم، فتهمة « معاداة السوفيت » لا يمكن أبدا أن تسكت الماركسيين اللينينيين.

فلقد كن الشيوعيون الصينيون دائما مع كل الشيوعيين والشعوب الثورية في العالم قاطبة احتراما قلبيا وحبا خالصا للشعب السوفياتي العظيم وللدولة السوفياتية والحزب الشيوعي السوفياتي . اذ أن الشعب السوفياتي هو الذي أضاء تحت قيادة حزب لينين الشعلة الظافرة لثورة أكتوبر ، وفتح العهد الجديد للثورة البروليتارية العالمية ، وسار في الطليعة على طريق الشيوعية في السنوات التي اعقبت ذلك ؛ وأن الحزب الشيوعي السوفياتي والدولة السوفياتية هما اللذان سارا تحت قيادة لينين وستالين على سياسة ماركسية لينينية داخلية وخارجية ، وأحرزا نجاحات لم يسبق لها مثيل في البناء الاشتراكي ، وقدما أعظم مساهمة للانتصار في الحرب ضد الفاشية ، وقدما العون الأممي للنضالات الثورية التي خاضتها البروليتاريا والشغيلة في كل الأقطار .

قال ستالين قبل وفاته بفترة ليست طويلة :

« . . . ان اعجاب ممثلي الأحزاب الشقيقة بجرأة حزبنا ونجاحه أضفى عليه لقب "الفصيلة الهجومية" في الحركة الثورية وحركة العمال العالميتين . فبهذا عبروا عن الأمل بأن تساعد نجاحات هذه

"الفصيلة الهجومية" على تخفيف عبء الشعوب التي ترزح تحت قيود الرأسمالية . وأنا أعتقد أن حزبنا لم يخيب هذه الآمال . . .» (١)

لقد صدق ستالين بقوله أن الحزب الشيوعي السوفياتي الذي أنشأه لينين لم يخيب آمال كل الشيوعيين . لقد كان الحزب الشيوعي السوفياتي جديرا بالاعجاب والتأييد اللذين كسبهما من كل الأحزاب الشقيقة بما في ذلك الحزب الشيوعي الصيني .

ولكن منذ المؤتمر العشرين ظل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بقيادة خروشوف يشنون الهجوم العنيف على ستالين ويسيرون في طريق التحريفية . فهل يمكن القول بأنهم لم يخيبوا آمال كل الشيوعيين ؟ كلا فهذا لا يمكن .

لقد ذكرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في « اقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية » أن المطالب المشتركة لدى شعوب المعسكر الاشتراكي والبروليتاريا والشغيلة في العالم هي أنه ينبغي لجميع الأحزاب الشيوعية في المعسكر الاشتراكي :

أولا : أن تلتزم بالخط الماركسي اللينيني ، وتتبع سياسات ماركسية لينينية صحيحة داخلية وخارجية ؛

ثانيا : أن تدعم ديكتاتورية البروليتاريا والتحالف بين العمال والفلاحين تحت قيادة البروليتاريا ، وتسير بالثورة الاشتراكية الى أمام حتى النهاية في الميادين الاقتصادية والسياسية والايديولوجية ؛

---

(١) خطاب ستالين في المؤتمر التاسع عشر للحزب .

ثالثا : أن تطور روح المبادرة والخلق لدى الجماهير الشعبية الغفيرة ، وتنهض بالبناء الاشتراكي بصورة مخططة ، وتطور الانتاج ، وتحسن معيشة الشعب ، وتعزز الدفاع الوطني ؛

رابعا : أن تدعم وحدة المعسكر الاشتراكي على أساس الماركسية اللينينية ، وتؤيد البلدان الاشتراكية الأخرى على أساس الأممية البروليتارية ؛

خامسا : أن تعارض السياسات العدوانية والحربية التي يتبعها الاستعمار ، وتدافع عن السلم العالمي ؛

سادسا : أن تعارض السياسات المعادية للشيوعية والشعب والثورة ، التي يباشرها الرجعيون في جميع البلدان ؛

سابعا : أن تساعد النضالات الثورية التي تخوضها الطبقات والأمم المضطهدة في العالم بأسره .

وتضيف اللجنة المركزية في الاقتراح ان انجاز جميع الأحزاب الشيوعية في المعسكر الاشتراكي هذه المطالب هو « واجبها تجاه شعوبها وتجاه البروليتاريا والشغيلة في العالم » .

وبدلا عن هذا تخلى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي عن هذه المطالب، وخيبوا رجاء الأحزاب الشقيقة ، وساروا على خط تحريفي وانقسامي . وهذا لا ينقض مصالح البروليتاريا والشغيلة في العالم وحسب ، بل مصالح الحزب الشيوعي السوفياتي والدولة السوفياتية والشعب السوفياتي أيضا .

ان من يعادون السوفيت ليسوا سوى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي

وعلى رأسهم خروشوف :

لقد أنكر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ستالين انكارا تاما وطلوا أول ديكتاتورية للبروليتاريا وأول نظام اشتراكي بطلاء قاتم وفظيع . وما طبيعة هذا ان لم يكن معاداة للسوفيت ؟

لقد أعلن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ازالة ديكتاتورية البروليتاريا ، وبدلوا الطبيعة البروليتارية للحزب الشيوعي السوفياتي ، وفتحوا الباب على مصراعيه لسيول القوى الرأسمالية في الاتحاد السوفياتي . وما طبيعة هذا ان لم يكن معاداة للسوفيت ؟

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يسعون الى التعاون بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، يتذللون بلا كلل للاستعمار الأميركي مما أسبل العار على الاتحاد السوفياتي العظيم . فما طبيعة هذا ان لم يكن معاداة للسوفيت ؟

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يسيرون على سياسة عصبية الدولة الكبيرة ، ويعاملون الأقطار الاشتراكية الشقيقة كأنما هي تابعة وهكذا حطموا هيبة الدولة السوفياتية . فما طبيعة هذا ان لم يكن معاداة للسوفيت؟

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعوقون ويعارضون النضال الثوري للشعوب الأخرى ويلعبون دور المدافعين عن الاستعمار والحكم الاستعماري الجديد ، وهكذا لطخوا التقليد الاممي المجيد لحزب لينين . فما طبيعة هذا ان لم يكن معاداة للسوفيت ؟

وبالاختصار ، ان اعمال قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد جلبت العار الشنيع على الاتحاد السوفياتي العظيم وعلى الحزب الشيوعي السوفياتي كما ألحقت الضرر البليغ بالمصالح الأساسية للشعب السوفياتي . انها

أعمال معادية للسوفيت ظاهرا وباطنا .

ومن الطبيعي في هذه الظروف أن يعرض الحزب الشيوعي الصيني والأحزاب الماركسية اللينينية الأخرى والماركسيون اللينينيون ، بالاسترشاد بمبدأ الأممية البروليتارية ، الخط التحريفي والانقسامي لدى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الى نقد حازم بغرض صيانة نقاء الماركسية اللينينية ووحدة الحركة الشيوعية العالمية . ونحن نعارض فقط الأخطاء التحريفية والانقسامية لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي . ونحن نفعل هذا من أجل الدفاع عن الحزب الشيوعي السوفياتي الذي أسسه لينين ولصيانة المصالح الأساسية للاتحاد السوفياتي ، أول قطر اشتراكي ، ومصالح الشعب السوفياتي الأساسية . فكيف اذن يوصف هذا بأنه معاداة للسوفيت؟

ان دفاع المرء عن الاتحاد السوفياتي أو معارضته له أمر يرتكز على ما اذا كان يدافع حقا عن خط الماركسية اللينينية ومبدأ الأممية البروليتارية أم لا ، وما اذا كان يدافع فعلا عن المصالح الأساسية للحزب السوفياتي والدولة السوفياتية والشعب السوفياتي أم لا . ان تعريض قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الى النقد الجدي نتيجة تحريفيتهم وانقساميتهم معناه الدفاع عن الاتحاد السوفياتي . وعلى النقيض من ذلك فان السير على خط تحريفي وانقسامي ، كما يفعل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، معناه بالفعل معاداة الاتحاد السوفياتي ؛ ونقل هذا الخط الخاطيء نقلا حرفيا او الخضوع له لا يعني دفاعا حقيقيا عن الاتحاد السوفياتي ، بل يعني مساعدة قادة الحزب الشيوعي السوفياتي على تخريب المصالح الأساسية للشعب السوفياتي .

ويحق أن نستعيد الى الأذهان في هذا الصدد موقف لينين ازاء قادة

الحزب الاشتراكي – الديمقراطي الألماني في السنوات المبكرة من القرن العشرين . لقد كان هذا الحزب آنذاك أكبر الأحزاب وأعظمها نفوذا في الأممية الثانية . ولكن حالما اكتشف لينين ان الانتهازية تكمن بين قادته أوضح دون مواربة للاشتراكيين – الديمقراطيين الروس أنه لا يجب « أن يتخذوا مظهرا معيبا للغاية من الاشتراكية – الديمقراطية الألمانية مثالا يحتذون به » (١) وأضاف :

« علينا أن ننقد أخطاء القادة الألمان دون خوف وبصراحة اذا أردنا أن نظل صادقين لروح ماركس ونساعد الاشتراكيين الروس على أن يتحملوا مسئولية المهام الحاضرة لحركة العمال .»(٢)

ونود ، في روح ما أوصى به لينين ، أن نقدم النصح لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي : اذا لم تصلحوا أخطاءكم التحريفية ، فسوف نواصل نقدنا اياكم « دون خوف وبصراحة » خدمة لمصلحة الحزب الشيوعي السوفياتي والدولة السوفياتية والشعب السوفياتي ومصلحة ووحدة المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية .

دحض تهمة « اغتصاب القيادة »

يعزى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي نقدنا ومعارضتنا لخطهم

---

(١) لينين : « المؤتمر الاشتراكي العالمي في سيتاتجارت » .

(٢) لينين : « مقدمة لكراس فوينوف (أ . ف . لوناتشارسكي) حول موقف الحزب تجاه النقابات » .

التحريفي والانقسامي الى رغبة منا في « اغتصاب القيادة » :

فأولا نريد أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : تقولون نحن نريد اغتصاب القيادة ، فممن نريد اغتصابها ؟ ومن في يده القيادة الآن ؟ وهل يوجد في الحركة الشيوعية العالمية شيء يسمى قيادة تتحكم في جميع الأحزاب الشقيقة ؟ وهل هذه القيادة في يدكم ؟

من الواضح أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعتبرون أنفسهم القادة الطبيعيين الذين بوسعهم أن يتحكموا في جميع الأحزاب الشقيقة . وبناء على منطقهم فان برنامجهم وقراراتهم وبياناتهم كلها قوانين مجردة عن الخطأ . وكل ملاحظة أو كلمة ينبس بها خروشوف هي مرسوم امبراطوري ، بصرف النظر عن كونها خاطئة أو سخيفة . وعلى كل الأحزاب الشقيقة أن تخضع لها وتسمعها وتطيعها بينما يحرم عليها اطلاقا أن تنقدها أو تعارضها . ان هذا طغيان مائة في المائة ، وهو ايديولوجية الاوتوقواطيين الاقطاعيين في أتم مظاهرها .

الا أننا يجب أن نقول لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن الحركة الشيوعية العالمية ليست كتلة اقطاعية . ان جميع الأحزاب الشقيقة مستقلة ومتساوية سواء كانت كبيرة أم صغيرة ، جديدة أم قديمة ، وسواء كانت في الحكم أو خارجه . وما من اجتماع للأحزاب الشقيقة ، وما من اتفاق أجازته بالاجماع قد نص على أن بعض الأحزاب أرفع منزلة والأخرى أحط مرتبة ، أو أن حزبا واحدا يقود والأخرى تتبعه ، أو أن حزبا هو أب وأحزابا أخرى هي الأبناء ، أو أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم الحكام العلويون فوق الأحزاب الشقيقة الأخرى .

ان تاريخ الحركة الثورية البروليتارية العالمية أوضح أنه نظرا للتطور

غير المتوازي للثورة ، في مرحلة تاريخية معينة ، سارت البروليتاريا وحزبها في قطر أو آخر في طليعة الحركة .

وذكر ماركس وانجلز أن الحركة النقابية في بريطانيا والنضال السياسي للطبقة العاملة الفرنسية كانا على التوالي في طليعة الحركة البروليتارية العالمية. وبعد هزيمة كومونة باريس ، قال انجلز : « ان العمال الألمان قد تقدموا في الفترة الحالية الى طليعة النضال البروليتاري . » وأضاف :

« أما الى متى سوف تسمح لهم الأحداث بشغل منصب الشرف فهذا ما لا يمكن التنبؤ به . . . الا أن النقطة الأساسية هي صيانة الروح الأممية الحقيقية ، التي لا تسمح ببروز أية عصبية وطنية ، وترحب بسرور بكل تقدم جديد لحركة البروليتاريا بصرف النظر عن الأمة التي تحدثه . » (١)

في بداية القرن العشرين كسبت الطبقة العاملة الروسية التي وقفت في مقدمة حركة البروليتاريا العالمية ، النصر في الثورة البروليتارية لأول مرة في التاريخ .

قال لينين في عام ١٩١٩ :

« لقد انتقلت القيادة في الأممية البروليتارية الثورية في الوقت الحاضر – ولكن ليس لفترة طويلة دون شك – الى الروس ، كما

(١) أنجلز : « مقدمة " حرب الفلاحين في ألمانيا " » .

كانت في الفترات المختلفة من القرن التاسع عشر ، في أيادي الانجليز ثم الفرنسيين ثم الألمان . » (١)

ان « الطليعة » التي أشار اليها انجلز أو « القيادة » التي أشار اليها لينين ، لا تعني بأي حال من الأحوال أن أي حزب في طليعة حركة الطبقة العاملة العالمية يمكنه أن يصرف الأوامر على بقية الأحزاب الشقيقة ، أو أنه يجب على الأحزاب الشقيقة الأخرى أن تطيعه . وعندما كان الحزب الاشتراكي ــ الديمقراطي الألماني في مقدمة الحركة قال انجلز : « ليس له من حق يخول له الحديث باسم البروليتاريا الأوربية ، وعلى الخصوص لا حق يخول له أن يقول شيئا مزيفا . » (٢) وعندما كان الحزب البلشفي الروسي في الطليعة قال لينين : « . . . وبينما نتنبأ بكل مرحلة من التطور في الأقطار الأخرى ، علينا ألا نصدر أي أوامر من موسكو . » (٣)

وحتى مركز الطليعة الذي أشار اليه انجلز ولينين لا يبقى بدون تغير لفترة طويلة ، ولكنه ينتقل تبعا للظروف المتغيرة . وهذا الانتقال لا تقرره الرغبات الذاتية لأي فرد أو حزب ، بل تقرره الظروف التي يخلقها التاريخ . واذا تغيرت الظروف فقد تنتقل أحزاب أخرى الى طليعة الحركة .

---

(١) لينين : « الأممية الثالثة ومركزها في التاريخ » .

(٢) « من أنجلز الى أ . ببل ، ١٨ ـ ٢٨ مارس (آذار) ١٨٧٥ » .

(٣) لينين : «خطاب حول برنامج الحزب في المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الروسي (البولشفيك)»

وعندما يسلك حزب كان يحتل في الأصل مركز الطليعة ، سبيل التحريفية لا بد أن يفقد هذا المركز حتى اذا كان أكبر حزب وأعظم الأحزاب نفوذا . والحزب الاشتراكي – الديمقراطي الألماني قدم مثلا على هذا .

في احدى الفترات من تاريخ الحركة الشيوعية العالمية ، كانت الأممية الشيوعية قيادة ممركزة للأحزاب الشيوعية في العالم . وقد لعبت دورا تاريخيا عظيما في تأسيس ونمو الأحزاب الشيوعية في أقطار عديدة . ولكن عندما نضجت الأحزاب الشيوعية وأصبح وضع الحركة الشيوعية العالمية معقدا بصورة متزايدة ، لم تعد القيادة الممركزة للأممية الشيوعية ضرورية أوممكنة . وفي عام ١٩٤٣ قالت رئاسة اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية في قرار تقترح فيه حل الكومنترن :

« . . . ونظرا لأن الوضع في داخل الأقطار على انفراد وفي العالم أصبح معقدا أكثر ، سيقابل حل قضايا الحركة العمالية في كل قطر من الأقطار عن طريق مركز عالمي صعابا لا يمكن التغلب عليها . »

وقد دلت الأحداث على أن هذا القرار يساير الواقع وهو صحيح .

ان مسألة : من له الحق في قيادة الآخرين لم تنشأ في الحركة الشيوعية العالمية الراهنة . فالأحزاب الشقيقة يجب أن تكون مستقلة ومتساوية تماما كما يجب أن تكون متحدة في نفس الوقت . وعليها فيما يتعلق بالقضايا ذات المصلحة المشتركة أن تصل الى الاجماع في الآراء عن طريق المشاورات ، وأن تنسق أعمالها في النضال من أجل الهدف المشترك . وهذه المباديء المرشدة في العلاقات بين الأحزاب

الشقيقة وردت بوضوح في تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعتبرون انفسهم قادة للحركة الشيوعية العالمية ويعاملون كل الأحزاب الشقيقة معاملة التابعين لهم ، وهذا يعد نقضا تاما لهذه المباديء التي وردت في التصريح والبيان .

ومن الطبيعي للأحزاب الشقيقة ، نظرا للظروف التاريخية الماضية المختلفة لكل منها ، أن تجد نفسها في أوضاع مختلفة . فالأحزاب التي كسبت النصر في ثوراتها تختلف عن الأحزاب التي لم تكسبه بعد ، والتي كسبت النصر في وقت مبكر تختلف عن الأحزاب التي كسبت النصر متأخرة . الا أن هذه الفوارق تعني فقط أن الأحزاب المنتصرة ، ولا سيما الأحزاب التي كسبت النصر مبكرا ، عليها أن تتحمل مسئولية أممية أعظم في عون الأحزاب الشقيقة الأخرى ، ولا تعني أبدا أن لديها حقا في السيطرة على الأحزاب الشقيقة الأخرى .

ان لينين وستالين هما اللذان بنيا الحزب الشيوعي السوفياتي . وقد كان هذا الحزب أول حزب كسب النصر في الثورة البروليتارية ، وحقق ديكتاتورية البروليتاريا ، وشرع في العمل للبناء الاشتراكي . فمن المنطقي اذن أنه يجب على الحزب الشيوعي السوفياتي أن يرث التقليد الثوري الذي خلفه لينين وستالين وأن يتحمل مسئولية أعظم في عون الأحزاب والأقطار الشقيقة الأخرى وأن يقف في طليعة الحركة الشيوعية العالمية .

وباعتبار هذه الظروف التاريخية ، عبر الحزب الشيوعي الصيني عن خالص الأمل بأن يتحمل الحزب الشيوعي السوفياتي هذه المهمة التاريخية المجيدة . وفي عام ١٩٥٧ لدى اجتماع الأحزاب الشقيقة

في موسكو ، أكد وفدنا وجوب اعتبار الاتحاد السوفياتي رأسا للمعسكر الاشتراكي . وكان السبب في ذلك أنه بالرغم من أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد ارتكبوا بعض الأخطاء ، الا أنهم قبلوا في النهاية تصريح موسكو الذي أجيز بالاجماع من قبل الأحزاب الشقيقة ، وكان اقتراحنا بأن يعين الاتحاد السوفياتي رأسا للمعسكر الاشتراكي ، مضمنا في التصريح .

وكان رأينا هو أن وجود رأس لا يناقض مبدأ المساواة بين الأحزاب الشقيقة . ولا يعني هذا أن للحزب الشيوعي السوفياتي أي حق في السيطرة على الأحزاب الشقيقة الأخرى ، بل يعني أن يتحمل الحزب الشيوعي السوفياتي على كاهله مسئولية وواجبات أعظم .

الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لم يكونوا راضين بمنصب « الرأس » هذا . وقد شكا منه خروشوف في مناسبات عديدة . وقال : « ما هي الفائدة المادية التي " تقدمها لنا عبارة على الرأس " ؟ انها لا تقدم لنا لا لبنا ولا زبدا ، ولا بطاطس أو خضارا أو مساكن . ولكن قد تقدم شيئا أدبيا ؟ كلا ، لا شيء على الاطلاق ! » (١) وقال بعد ذلك أيضا : « ما هي فائدة عبارة " على الرأس " لنا ؟ لتذهب الى الجحيم هذه العبارة ! » (٢)

---

(١) خطاب خروشوف في مأدبة أقيمت على شرف وفود الأحزاب الشقيقة للبلدان الاشتراكية ٤ فبراير (شباط) ١٩٦٠ .

(٢) خطاب خروشوف في اجتماع المندوبين لـ ١٢ حزبا شقيقا في بخارست ، ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٠ .

يقول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أنه لا رغبة لهم في منصب « الرأس » ، الا أنهم بالفعل يطالبون بامتيازات تجعلهم يتحكمون في جميع الأحزاب الشقيقة . وهم لا يتطلبون من أنفسهم الوقوق في طليعة الحركة الشيوعية العالمية باتباع الخط الماركسي اللينيني وتأدية واجبهم البروليتاري الأممي ، ولكنهم يطلبون من جميع الأحزاب الشقيقة أن تطيع عصا ارشادهم وأن تتبعهم على طريق التحريفية والانقسامية .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بسيرهم على طريق التحريفية والانقسامية قد فقدوا بصورة أوتوماتيكية مركز « الرأس » في الحركة الشيوعية العالمية. واذا أطلق عليهم لقب « الرأس » الآن فلا يعني هذا سوى أنهم على رأس المحرفين والانقساميين .

ان المسألة التي تواجه اليوم جميع الشيوعيين والحركة الشيوعية العالمية قاطبة ليست هي مسألة من هو القائد ومن يقاد ، بل هي مسألة ما اذا كان المرء يتمسك بالماركسية اللينينية والأممية البروليتارية أم يستسلم الى تحريفية وانقسامية قادة الحزب الشيوعي السوفياتي . ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بنشرهم فرية أننا نريد « اغتصاب القيادة » يصرون في الحقيقة على أن تطأطيء جميع الأحزاب الشقيقة بما في ذلك حزبنا ، رؤوسها طوعا لقيادتهم التحريفية والانقسامية .

دحض تهمة « الخروج على مشيئة الأغلبية » و « نقض النظام العالمي »

كثيرا ما لجأ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في هجومهم على

الحزب الشيوعي الصيني منذ عام ١٩٦٠ الى اتهامنا بأننا « نخرج على مشيئة الأغلبية » و « ننقض النظام العالمي » . فلنستعرض مناظرتنا معهم حول هذه المسألة .

في اجتماع بخارست في يونيو (حزيران) ١٩٦٠ ، شن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هجوما مفاجئا على الحزب الشيوعي الصيني بتوزيعهم رسالة اعلام تهاجم الحزب الشيوعي الصيني وبمحاولتهم اجباره على الخضوع لهم بحشد أغلبية . الا أن محاولتهم لم تنجح . وبعد هذا الاجتماع قدموا حجة أن الأقلية يجب أن تخضع للأغلبية في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة ، وطالبوا الحزب الشيوعي الصيني بأن « يحترم الآراء والمشيئة التي تم التعبير عنها بالاجماع » في اجتماع بخارست ، تحت ستار أن مندوبي عشرات الأحزاب قد عارضوا وجهات نظر الحزب الشيوعي الصيني .

وقد دحضت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني هذا الحجة الخاطئة في رسالتها بتاريخ ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٠ ردا على رسالة اعلام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي . وأوضحت :

« ... فيما يتعلق بالمبادىء الأساسية للماركسية اللينينية فان مسألة من هو المصيب ومن هو المخطىء بالضبط ، لا يمكن الحكم عليها في كل حالة عن طريق من في جانبه الأغلبية ، ومن في جانبه الأقلية . والحقيقة رغم كل شيء هي الحقيقة . والخطأ لا يمكن قلبه الى صواب رغما عن وجود أغلبية مؤقتة ، كما لا يمكن أن يقلب الصواب الى خطأ رغما عن وجود أقلية

مؤقتة . »

الا أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في رسالتها المؤرخة في الخامس من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٠ رددت الهذر حول خضوع الأقلية للأغلبية في الحركة الشيوعية العالمية . وفضلا عن ذلك أوردت فقرة من مقال لينين « ” السبعة “ في الدوما » لتتهم الحزب الشيوعي الصيني قائلة « من لا يرغب في احترام رأي الأغلبية من الأحزاب الشقيقة هو في جوهره يعارض وحدة وتضامن الحركة الشيوعية العالمية » .

وفي اجتماع الأحزاب الشقيقة في موسكو عام ١٩٦٠ ، فند وفد الحزب الشيوعي الصيني مرة أخرى هذر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هذا . وأعلن أنه من الخطأ تماما تطبيق مبدأ خضوع الأقلية للأغلبية في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة في الظروف القائمة اليوم فعلا التي لا توجد فيها قيادة ممركزة مثل قيادة الكومنترن ، كما ليست مرغوبا فيها . أما في داخل الحزب فان مبدأ خضوع الأقلية للأغلبية ، وخضوع المنظمات الأدنى للمنظمات الأعلى تجب مراعاته . الا أنه لا يمكن تطبيقه على العلاقات بين الأحزاب الشقيقة . اذ أن كل حزب شقيق في علاقاته المتبادلة مع الأحزاب الشقيقة الأخرى يحافظ على استقلاله ، كما يتحد في نفس الوقت مع الأحزاب الأخرى . ولا توجد هنا العلاقات التي تخضع الأقلية بمقتضاها للأغلبية ، ناهيك عن وجود علاقة تخضع بمقتضاها منظمة حزبية أدنى لمنظمة حزبية أعلى . والطريقة الوحيدة لمعالجة القضايا ذات الأهمية المشتركة بين الأحزاب الشقيقة هي الوصول عن طريق المناقشات الى اتفاق اجماعي بما يتماشى مع مبدأ المشاورة .

وقد أوضح وفد الحزب الشيوعي الصيني أن ايراد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في رسالتها مبدأ خضوع الأقلية للأغلبية ، معناه أنها قد أنكرت انكارا تاما مبدأ الوصول الى الاتفاق الاجماعي عن طريق المشاورة . وتساءل وفدنا : « على أي دستور فوق الأحزاب ترتكز اليه اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي عندما تتقدم بمبدأ تنظيمي كهذا ؟ ومتى وأين أقرت الأحزاب الشيوعية والعمالية في جميع الأقطار دستورا فوق الأحزاب كهذا ؟ »

ثم كشف وفد الحزب الشيوعي الصيني حيلة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في تركها عمدا كلمة « الروسي » عندما نقلت في رسالتها فقرة تعالج القضايا في داخل الحزب العمالي الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي من مقال لينين « " السبعة " في الدوما » ، وذلك أنها حاولت مد نطاق مبدأ خضوع الأقلية للأغلبية الذي يسرى مفعوله في داخل الحزب ، حتى يشمل العلاقات بين الأحزاب الشقيقة .

ثم ذكر وفد الحزب الشيوعي الصيني :

« ... وحتى في داخل حزب ما حيث تجب مراعاة مبدأ خضوع الأقلية للأغلبية ، من ناحية تنظيمية ، لا يمكن القول بأنه فيما يتعلق بقضايا الفهم الايديولوجي يمكن فرز الصواب من الخطأ على أساس أين يوجد رأي الأغلبية وأين يوجد رأي الأقلية في جميع الأوقات . وفي هذا المقال بالذات « " السبعة " في الدوما » ، شجب لينين بحدة الأعمال المحتقرة التي ارتكبها السبعة من المصفين في فرع الحزب في الدوما والذين استغلوا وجود أغلبية بصوت واحد

لكبت الماركسيين الذين كانوا في جانب الأقلية . وأوضح لينين أنه بالرغم من أن السبعة من المصفين كانوا يشكلون أغلبية ، الا أنهم لا يقدرون على أن يمثلوا الرغبة الموحدة ، والقرارات الموحدة ، والتكتيك الموحد لدى الأغلبية من العمال المتقدمين الواعين الروس الذين كانوا منظمين في روح ماركسية ، ولذلك فان كل صرخاتهـم حول الوحدة ما هي الا نفاق محض . " ان السبعة لاحزبيين يريدون أكل الستة ماركسيين ويطالبون بأن يسمى هذا بوحدة . " وواصل القول بأن هؤلاء الستة ماركسيين في فرع الحزب في الدوما بوجه التحديد هم الذين كانوا يتصرفون " تبعا لمشيئة الأغلبية من البروليتاريا " ، وانه يمكن الحفاظ على الوحدة فقط اذا كان أولئك السبعة مندوبين " ينبذون سياسة الكبت التي باشروها " » .

وواصل وفد الحزب الشيوعي الصيني قوله بأن كلمات لينين تدل على :

« . . . أنه حتى في جماعة حزبية لا يشترط أن تكون الأغلبية دائما على صواب . وانه أحيانا على النقيض من ذلك ، يكون واجبا على الأغلبية أن " تنبذ سياسة الكبت التي تمارسها " اذا أريد الحفاظ على الوحدة . وهذا هو الحال بالضبط من حيث العلاقات بين الأحزاب الشقيقة . لقد نقل رفاق اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي على عجل فقرة عن لينين دون فهم معناها فهما تاما ، وبالاضافة لهذا حذفوا عمدا كلمة هامة . وحتى بفعلهم هذا فشلوا في الوصول الى غرضهم ! »

لقد نقلنا باسهاب فقرات من خطاب وفد الحزب الشيوعي الصيني لدى اجتماع ١٩٦٠ في موسكو بغرض توضيح أن التهمة السخيفة التي وجهها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الينا بأننا « نخرج على مشيئة الأغلبية » قد دحضناها دحضا تاما منذ وقت بعيد . ونظرا لأن الحزب الشيوعي الصيني وغيره من الأحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة عارض بوجه التحديد هذا الهذر ، أورد مبدأ الوصول الى الاجماع عن طريق التشاور بين الأحزاب الشقيقة في بيان عام ١٩٦٠ .

الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ظلوا حتى الآن يصرخون قائلين بأن « ترضخ الأقلية الى الأغلبية » . والمعنى الوحيد لهذا أنهم يريدون انكار المركز المستقل والمتساوي لجميع الأحزاب الشقيقة وازالة مبدأ الوصول الى الاجماع عن طريق التشاور بينها . وهم يحاولون اجبار بعض الأحزاب الشقيقة على الرضوخ الى مشيئتهم تحت ستار « الأغلبية » ، واستخدام الأرجحية المزيفة التي حصلوا عليها بهذه الصورة للهجوم على أحزاب ماركسية لينينية شقيقة . ان أعمالهم هذه في حد ذاتها انعزالية وانقسامية وتناقض التصريح والبيان .

واذا تحدث المرء اليوم عن نظام عالمي ملزم لجميع الأحزاب الشيوعية فهذا لا يعني سوى مراعاة المبادىء المرشدة في العلاقات بين الأحزاب الشقيقة التي وردت في التصريح والبيان . لقد أوردنا عددا عظيما من الحقائق للبرهان على أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم الذين نقضوا هذه المبادىء ليس الآخرين .

واذا أصر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي على تحديد أين « الأغلبية » وأين « الأقلية » ، فنود أن نقول لهم بصراحة تامة اننا لا نعترف بأغلبيتهم .

اذ أن « الأغلبية » التي تعتمدون عليها هي أغلبية مزيفة . والأغلبية الحقيقية ليست في جانبكم . وهل حقيقة أن أعضاء الأحزاب الشقيقة الذين يتمسكون بالماركسية اللينينية هم أقلية في الحركة الشيوعية العالمية ؟ انكم أنتم وأتباعكم منعزلون انعزالا عظيما عن الجماهير ، اذن كيف يمكن اعتبار الجماهير العظمى من الأعضاء الحزبيين والشعب ، التي تعارض خطكم الخاطىء جزءا من « أغلبيتكم » ؟

ان القضية الأساسية هي : من يقف مع الجماهير العريضة من الشعب ؟ ومن يمثل مصالحها الأساسية ؟ ومن يعكس مشيئتها الثورية ؟

قال لينين في عام ١٩١٦ حول الوضع في الحزب الاشتراكي — الديمقراطي الألماني ما يلي :

« ان ليبكنخت وريلي هما فقط اثنان ضد مائة وثمانية . الا أن هذين الاثنين يمثلان الملايين من الشعب ، والجماهير المستغلة والأغلبية الساحقة من السكان ، ومستقبل البشرية ، والثورة التي تنمو وتنضج بمرور كل يوم . ان المائة وثمانية يمثلون فقط الروح الخسيسة لفئة ضئيلة من عملاء البرجوازية وسط البروليتاريا . » (١)

ان أكثر من تسعين في المائة من سكان العالم اليوم يرغبون في الثورة ، بما في ذلك من ليسوا واعين سياسيا الآن ولكنهم حتما سيصبحون كذلك . ان الأغلبية الحقيقية هي بجانب الأحزاب الماركسية اللينينية

---

(١) لينين : « رسالة مفتوحة الى بوريس . سوفارين » .

الثورية والماركسيين اللينينيين الذين يمثلون المصالح الأساسية لشعوب العالم لا الفئة الضئيلة من المحرفين التي خانت هذه المصالح .

دحض تهمة « مساندة الجماعات المعادية للحزب في الأحزاب الشقيقة »

ألقى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في رسالتهم المفتوحة بالتهمة الافترائية بأن « قادة الحزب الشيوعي الصيني ينظمون ويساندون مختلف الجماعات المعادية للحزب من المنبوذين الذين يعارضون الأحزاب الشيوعية في الولايات المتحدة والبرازيل وايطاليا وبلجيكا واستراليا والهند » .

فما هي الحقيقة ؟

الحقيقة هي أن الانقسامات التي حدثت في أحزاب شيوعية معينة في السنوات القريبة الماضية ، كانت تعزى لدرجة كبيرة الى تطبيق قادة الحزب الشيوعي السوفياتي خطهم التحريفي والانقسامي قسرا .

ان بعض قادة أحزاب شيوعية معينة حرفوا الحركة الثورية في بلدانهم عن طريقها وألحقوا أضرارا بالغة بالقضية الثورية في بلدانهم ، لأنهم قبلوا الخط التحريفي الذي فرضه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي عليهم قسرا ، أو لأن خطهم التحريفي الخاص وجد التشجيع من قادة الحزب الشيوعي السوفياتي . وبسيرهم في أعقاب قادة الحزب الشيوعي السوفياتي وضرب الطبول لهم في الصراع بين الخطين في الحركة الشيوعية العالمية يؤثرون على وحدة الحركة تأثيرا معاكسا . ومن المحتم

أن يثير هذا استياءا واسع النطاق في داخل أحزابهم نفسها ، ومقاطعة ومعارضة من جانب الماركسيين اللينينيين في الأحزاب .

وتقليدا لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، يسير أتباعهم على سياسة انقسامية في داخل أحزابهم نفسها . انهم ينقضون مبدأ المركزية الديمقراطية ، اذ أنهم يمنعون المناقشات الحزبية الداخلية العادية للخلافات المتعلقة بخط الحزب وللقضايا الكبرى التي تواجه الحركة الشيوعية العالمية الراهنة . وبالاضافة لهذا يلجأون بصورة غير شرعية الى ابعاد ومهاجمة وحتى فصل الشيوعيين الذين يلتزمون بالمبدأ . ومن المحتم ، نتيجة هذا ، أن يتخذ الصراع بين الخطين في داخل هذه الأحزاب شكلا حادا بصفة خاصة .

ان الصراع في داخل هذه الأحزاب الشيوعية في جوهره يصبح ما اذا يتبع الانسان الخط الماركسي اللينيني أم الخط التحريفي ، وما اذا يجعل الحزب الشيوعي طليعة حقيقية للبروليتاريا وحزبا ثوريا بروليتاريا حقيقيا ، أم يحول الى خادم للبرجوازية وفصيلة من الأحزاب الاشتراكية - الديمقراطية .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يرسمون في رسالتهم المفتوحة صورة مشوهة للصراع في داخل الأحزاب الشيوعية في الولايات المتحدة والبرازيل وايطاليا وبلجيكا واستراليا والهند . وهم يحقرون بأفظع العبارات أولئك الماركسيين اللينينيين الذين أبعدتهم وهاجمتهم الجماعات التحريفية في أحزاب هذه البلدان .

فهل يمكن لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن يخفوا أو يغيروا الحقيقة حول الصراع في داخل هذه الأحزاب الشيوعية بتسمية الأبيض

بالأسود والأسود بالأبيض ؟ كلا ليس بوسعهم هذا بالتأكيد !

فلنأخذ على سبيل المثال الصراع الداخلي الحزبي في الحزب الشيوعي البلجيكي .

ان الخلافات كانت موجودة في داخل هذا الحزب لمدة طويلة : وأصبح الصراع في داخل الحزب متزايد الحدة بازدياد غوص الجماعة القيادية الأصلية أعمق وأعمق في وحل التحريفية وتخليها عن الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية .

وقد تمادت الجماعة التحريفية في الحزب الشيوعي البلجيكي أثناء التمرد المعادي للثورة في هنغاريا الى درجة اصدار بيان تدين فيه الاتحاد السوفياتي لمساعدته الجماهير الكادحة الهنغارية لقمع التمرد : وقد عارضت هذه الجماعة التحريفية مقاومة الشعب الكونغولي المسلحة للقمع الدموي من قبل الحكام الاستعماريين البلجيكيين ، وأيدت استخدام المستعمرين الأميركيين الأمم المتحدة للتدخل في حركة الاستقلال الوطني في الكونغو ولكبتها : ولقد تفاخرت هذه الجماعة دون احساس بالعار بأنها كانت أول من وجهوا النداء الى الأمم المتحدة مبدين « الرغبة في تطبيق قرارات الأمم المتحدة بكاملها وعلى جناح السرعة » (١) .

وقد مدحت هذه الجماعة التحريفية البرنامج التحريفي لطغمة

---

(١) مقابلة أرنيست برنيل مع مراسل صحيفة « لومانيتيه » حول مسألة الكونغو ، صحيفة « العلم الأحمر » للحزب الشيوعي البلجيكي ، ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٦٠ .

تيتو قائلة بأنه « يحتوي على أفكار تغني الماركسية اللينينية » (١) .

وقد حقرت بيان عام ١٩٦٠ دون تورع بقولها ان محتوياته كانت كلها في حالة فوضى وان « في كل عشرين سطرا توجد عبارة مناقضة للخط العام للبيان » (٢) .

وحطمت هذه الجماعة التحريفية ، خلال الاضراب الكبير للعمال البلجيكيين حوالي نهاية عام ١٩٦٠ وبداية عام ١٩٦١ ، مشيئة العمال في الكفاح ، اذ أنها شجبت مقاومتهم لكبت البوليس والدرك قائلة بأنها « أعمال طائشة ولا تدل على روح المسئولية » (٣) .

ومن الطبيعي ، في وجه هذه الخيانات لمصالح الطبقة العاملة البلجيكية والبروليتاريا العالمية ، أن يناضل الماركسيون اللينينيون بقيادة الرفيق جاك قريبا ضد هذه الجماعة التحريفية بصورة جدية ، وقد كشفوا ودحضوا أخطاء الجماعة التحريفية في داخل الحزب وقاطعوا وعارضوا بحزم خطها التحريفي .

وهكذا من الواضح أن الصراع داخل الحزب الشيوعي البلجيكي

---

(١) « الحزب الشيوعي البلجيكي ومؤتمر رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف » ، تعليق صحيفة « العلم الأحمر » ، ٢٢ ابريل (نيسان) ١٩٥٨ .

(٢) خطاب جين بلوم في مؤتمر بروكسل الاقليمي ، ٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦١ ، مأخوذ من مقال جاك قريبا « في سبيل الوحدة الماركسية اللينينية للحزب وفي سبيل الوحدة الماركسية اللينينية للحركة الشيوعية العالمية » ، صحيفة « العلم الأحمر » ، ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٦٢ .

(٣) جين بلوم : « في سبيل انتصار كامل وسريع : اقتراحات للحزب الشيوعي » ، صحيفة « العلم الأحمر » ، ٢٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٠ .

هو صراع بين الخط الماركسي اللينيني والخط التحريفي .

كيف عالجت الجماعة التحريفية في الحزب الشيوعي البلجيكي هذا الصراع الداخلي ؟ لقد سارت على سياسة انعزالية وانقسامية ، واستخدمت وسائل غير شرعية لمهاجمة وابعاد أولئك الشيوعيين الذين ثابروا على اتخاذ موقف ماركسي لينيني مبدئي . وفي المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي البلجيكي رفضت هذه الجماعة السماح لجاك قريبا وغيره من الرفاق حق الحديث وقررت ، متجاهلة المعارضة الواسعة من الأعضاء ، فصلهم بدون صفة شرعية من الحزب .

وفي هذه الظروف كافح الماركسيون اللينينيون في بلجيكا بحزم بقيادة الرفيق جاك قريبا متمسكين بالخط الثوري ضد الخط التحريفي والانقسامي الذي سارت عليه الجماعة القيادية الأصلية وكافحوا لاعادة بناء الحزب الشيوعي البلجيكي . أليست هذه الأعمال صحيحة غاية الصحة ولا تستحق اللوم أبدا ؟

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، بتأييدهم وتشجيعهم علانية للجماعة التحريفية في الحزب البلجيكي على مهاجمة وابعاد الماركسيين اللينينيين البلجيكيين ، قد كشفوا أنهم هم أنفسهم الذين خلقوا انقسامات في الأحزاب الشقيقة .

أما فيما يتعلق بالحزب الشيوعي الهندي فالوضع أحرج من هذا .

لقد أوضحنا ، على أساس مجموعة كبيرة من الحقائق في مقال « مرآة للمحرفين » الذي نشرته هيئة تحرير « جينمينجيباو » في التاسع من مارس (آذار) ١٩٦٣ ، أن العصبة المرتدة بقيادة دانجي قد خانت الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية ، وخانت القضية الثورية للبروليتاريا

الهندية والشعب الهندي ، وسلكت سبيل العصبية القومية والاستسلام الطبقي . ولقد اغتصبت هذه العصبة قيادة الحزب الشيوعي الهندي ، وظلت تحول الحزب مسايرة لمشيئة كبار الرأسماليين والاقطاعيين الهنود الى ذيل لحكومة نهرو التي تمثل مصالح هؤلاء .

فما الذي حدث للحزب الشيوعي الهندي منذ ذلك الوقت ؟

ان كل انسان يرى الآن أن عصبة دانجي مازالت تسير على طريق الخيانة . ومازالت تدعو الى التعاون الطبقي و « تحقيق الاشتراكية » في الهند عبر حكومة نهرو . وقد أيدت بنشاط ميزانية حكومة نهرو الضخمة لتوسيع السلاح والاستعدادات الحربية ، واجراءاتها لاستنزاف دم الشعب . وفي أغسطس (آب) ١٩٦٣ ، خربت غدرا الاضراب الذي نظمه مليون من الناس في بومباي ضد سياسة حكومة نهرو للضرائب والفوائد الباهظة . وحاولت منع عقد اجتماع جماهيري في كلكتا للمطالبة باطلاق سراح الشيوعيين الهنود ، وقد حضره مائة ألف من الناس . ومازالت تواصل نشاطاتها المسعورة المعادية للصين ، وتأييدها لسياسة حكومة نهرو التوسعية ، كما تتبع سياسة حكومة نهرو الخاصة بتأجير نفسها للاستعمار الأميركي .

ان دانجي وجماعته يلاقون معارضة ومقاطعة متزايدتين من الجماهير العريضة من أعضاء الحزب الشيوعي الهندي كلما ازداد انكشاف قسماتهم بصفتهم مرتدين . وقد اتضح لعدد متزايد من الشيوعيين الهنود أن دانجي وجماعته هم آفة على الحزب الشيوعي الهندي والأمة الهندية . وهؤلاء الشيوعيون الهنود هم يناضلون الآن لاحياء التقليد

الثوري المجيد الكفاحي للحزب . انهم الممثلون الحقيقيون للبروليتاريا الهندية والشعب الهندي وأملهما .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يصرخون بضجة وصخب حول مساندة الحزب الشيوعي الصيني « للمنبوذين » و « المرتدين » ، الا أنهم هم الذين يساندون المنبوذين والمرتدين ظاهرا وباطنا من أمثال دانجي وجماعته .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يسبون شيوعيين في أقطار عديدة ممن يجرءون على مكافحة التحريفية والانقسامية ، واصفينهم بأنهم « منبوذون » و « مرتدون » و « عناصر معادية للحزب » . ولكن ما الذي فعله هؤلاء الشيوعيون ؟ انهم لم يفعلوا شيئا سوى الالتزام بالماركسية اللينينية والاصرار على ضرورة وجود حزب ثوري وخط ثوري . وهل يعتقد قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فعلا أن سبهم بوسعه أن يرهب هؤلاء الماركسيين اللينينيين ، ويجعلهم يتخلون عن نضالهم من أجل الخط الصحيح وضد الخط الخاطىء ، ويمنعهم من التمسك به حتى النهاية ؟ ان هذا التفكير المتلهف لا يمكن تحويله الى واقع ملموس أبدا .

ان الثوريين الحقيقيين و المناضلين الثوريين البروليتاريين الحقيقيين والماركسيين اللينينيين الحقيقيين ـ الماديين المناضلين ـ في كل مكان وزمان ، هم جسورون لا يخافون تعيير الرجعيين والمحرفين . لأنهم يعرفون أن أمثالهم من « المجهولين » هم الذين يمثلون المستقبل لا أولئك الذين يبدون عمالقة مرهبين في الظاهر ـ الرجعيون والمحرفون .

ان جميع الرجال العظماء كانوا مجهولين . ان الذين يبدون غير مهمين أول الأمر هم الذين يكتب لهم النصر حتما في النهاية ، بشرط أن يمتلكوا ناصية الحقيقة ويتمتعوا بمساندة الجماهير . لقد صحت حقيقة هذا بالنسبة الى لينين والأممية الثالثة . وعلى النقيض من ذلك فان المرموقين والفرق البارزة لا بد أن تنحدر وتتضاءل وتتعفن حالما تفقد امتلاك الحقيقة ولهذا تفقد مساندة الجماهير . ولقد صحت حقيقة هذا بالنسبة لبرنشتاين وكاوتسكي والأممية الثانية . ان كل شيء يتجه الى التغير الى نقيض نفسه في ظروف معينة .

ان الشيوعيين هم صناع الثورة . واذا رفضوا القيام بالثورة ، لا يعدون ماركسيين لينينيين ، بل يصبحون محرفين أو ما شابههم . ان الشيوعيين بصفتهم ماركسيين لينينيين يجب أن يلتزموا بطبيعتهم بموقفهم الثوري ويعارضوا التحريفية . كما يجب على الحزب الماركسي اللينيني بالطبع أن يساند بحزم الثوريين والشيوعيين الذين يعارضون التحريفية .

ان الحزب الشيوعي الصيني لم يخف موقفه أبدا . فنحن نؤيد كل الرفاق الثوريين الذين يلتزمون بالماركسية اللينينية . ولدينا في الحركة الشيوعية العالمية صلات بالمحرفين ، فلماذا اذن لا يسعنا أن تكون لنا صلات بالماركسيين اللينينيين ؟ ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يصفون تأييدنا للماركسيين اللينينيين في الأقطار الأخرى بأنه عمل انقسامي . ولكن في رأينا أنه لا يخرج عن كونه التزاما بروليتاريا أمميا ومن واجبنا أن نقوم به .

لقد عبر الماركسيون اللينينيون في جميع الأقطار ، دون خوف

من الصعوبات أو الطغيان ومتمسكين بالحقيقة ومقدمين على النضال ، عن الروح الثورية العظيمة للمناضلين الشيوعيين . ومن بين هؤلاء المناضلين الأبطال الشيوعيون البلجيكيون الذين يمثلهم جاك قريبا ورفاق آخرون ، والشيوعيون البرازيليون الذين يمثلهم جوآ أماز وناس وموريسيو قرابويس وغيرهم من الرفاق ، والشيوعيون الاستراليون الذين يمثلهم ي . ف . هيل ورفاق آخرون ، والشيوعيون السيلانيون الذين يمثلهم بريمالال كوماراسيري ، وناقالينقام سانموقاتاسان ورفاق آخرون ، والماركسيون اللينينيون العديدون في داخل وخارج الأحزاب الشيوعية في الهند وايطاليا وفرنسا والولايات المتحدة وغيرها . لقد قدموا مساهمات هامة الى قضية البروليتاريا العالمية المشتركة بتمسكهم بالنظرية الماركسية اللينينية الثورية ، وبالعمل دواما على بناء أحزاب ثورية طليعية للبروليتاريا مسلحة بالمبادىء الماركسية اللينينية ، وبمثابرتهم على اتباع الخط الثوري الذي ينطبق مع المصالح الأساسية للبروليتاريا والشغيلة الآخرين في أقطارهم . انهم جديرون بالاحترام والعطف والتأييد من جميع الناس المناضلين من أجل انتصار الشيوعية في العالم .

وبالاختصار وبصرف النظر عن القطر أو المكان ، فحيثما يوجد الاضطهاد توجد المقاومة ؛ وحيثما يوجد المحرفون يوجد الماركسيون اللينينيون يكافحون ضدهم ؛ وحيثما يوجد فصل للماركسيين اللينينيين من الحزب والاجراءات الانقسامية الأخرى ضدهم ، لابد أن يظهر ماركسيون لينينيون بارزون وأحزاب ثورية قوية . ان تغيرات على النقيض مما توقع المحرفون المعاصرون تحدث الآن . والمحرفون يخلقون

أضدادهم بأنفسهم ، ولا بد أن يدفنهم هؤلاء الأضداد . فهذا قانون موضوعي حتمي .

المناظرة العلنية الراهنة

ان المناظرة العظيمة الراهنة في الحركة الشيوعية العالمية ، في التحليل النهائي ، تتمركز حول ما اذا يجب الالتزام بالماركسية اللينينية أم بالتحريفية ، وما اذا يجب الالتزام بالأممية البروليتارية أم بعصبية الدولة الكبيرة ، وما اذا يرغب في الوحدة أم في الانقسام . لقد بدأت هذه المناظرة حول المبادىء الأساسية منذ وقت طويل عقب المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، واستمرت في المحادثات الداخلية بين الأحزاب الشقيقة لوقت طويل بعض الشيء الى أن أصبحت علنية قبل اكثر من عامين .

وكما يعرف كل انسان فان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم أول من أثاروا المجادلات العلنية في الحركة الشيوعية العالمية ، وأصروا على مواصلتها .

وفي مؤتمرهم الثاني والعشرين في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١ ، شنوا هجوما علنيا على حزب العمل الألباني . وعارض الرفيق شو ان لاي ، رئيس وفد الحزب الشيوعي الصيني لدى المؤتمر ، في خطابه عمل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هذا وأوضح أنه لا يمكن اعتباره تعبيرا عن موقف ماركسي لينيني جاد . فماذا كان رد

قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ؟ لقد أعلنوا أنهم « مصيبون كل الصواب » (١) وقد اتخذوا « الموقف المبدئي الماركسي اللينيني الحقيقي الصحيح الوحيد » (٢) ، ببدئهم المجادلة العلنية.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢ ، اقترح حزب شغيلة الفيتنام « وجوب ايقاف الهجوم المتبادل في الاذاعة والصحافة بين الأحزاب » . وأيد الحزب الشيوعي الصيني وحزب العمل الألباني وغيرهما من الأحزاب الشقيقة هذا الاقتراح . الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي رفضوا في الحقيقة التزاما محددا بايقاف المجادلات العلنية . وبدلا من ايقافهم الهجوم العلني على حزب العمل الألباني ، دبروا هجمات علنية على الحزب الشيوعي الصيني أيضا في مؤتمرات خمسة من الأحزاب الشقيقة في أوربا تعاقبت في أواخر عام ١٩٦٢ وأوائل عام ١٩٦٣ ، وشنوا فيها جولة أخرى من الجدال العلني وعلى نطاق أوسع . ولم يترك لنا هذا مجالا للخيار الا الاجابة العلنية على المهاجمين .

وبالرغم من اننا لم نرد على كل الهجمات التي وجهتها الينا الأحزاب الشقيقة ، الا أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في رسالتها الجوابية الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في مارس (آذار) ١٩٦٣ ذكرت أننا بغرض خلق جو ملائم للمحادثات المقررة بين الحزبين الصيني والسوفياتي سوف نوقف الردود العلنية مؤقتا في الصحافة

---

(١) خطاب ختامي لخروشوف في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١ .

(٢) « راية عهدنا » ، مقال بقلم هيئة تحرير « البرافدا » ، ٢١ فبراير (شباط) ١٩٦٢ .

ابتداء من التاسع من مارس (آذار) مع الاحتفاظ بحقنا في الرد العلني . الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في عشية المحادثات اتخذوا خطوة أخرى هي الهجوم العلني على الحزب الشيوعي الصيني بالاسم في بيان وقرارات حزبهم .

وفي الرابع عشر من يوليو (تموز) وفي وسط المحادثات بين وفدي الحزبين الصيني والسوفياتي في موسكو ، نشرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي رسالتها المفتوحة الموجهة الى منظمات الحزب على مختلف المستويات والى كل الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي ، وشوهت فيها الحقائق وخلطت بين الصواب والخطأ وهاجمت وعيرت بلا تورع وبصورة ديماغوغية الحزب الشيوعي الصيني والرفيق ماو تسي تونغ . وهكذا اتخذ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي خطوة أبعد في اثارة المناظرة العلنية على نطاق أوسع مما مضى .

ومنذ الخامس عشر من يوليو (تموز) ١٩٦٣ فصاعدا ، افترى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي على الصين وهاجموها باعتبارها عدوهم الأول ، مستخدمين جميع الوسائل التي في متناولهم مثل البيانات الحكومية ، وخطب القادة ، والاجتماعات ، والمقالات ، ومديرين عجلة جميع أجهزتهم الدعائية ، من الصحافة المركزية حتى المحلية ومن الاذاعة حتى محطات التلفيزيون . وبين ١٥ يوليو (تموز) و٣١ أكتوبر (تشرين الأول) ، نشرت ٢٦ صحيفة ومجلة مركزية في الاتحاد السوفياتي وحدها ١١١٩ مقالا كتبته هيئات التحرير ، وافتتاحية ، وتعليقا ، ومقالا موقعا ، ورسالة من القراء ، ورسما كاريكاتوريا هوجم فيها الحزب الشيوعي الصيني وقادته ماو تسي تونغ وليو شاو تشي

وشو ان لاي ورفاق آخرون بالاسم . وتدل الأرقام غير النهائية على أساس دراسة الخمس عشرة صحيفة ناطقة باسم اتحاد الجمهوريات ، على أن ما لا يقل عن ٧٢٨ مقالا مشابها لهذا معاديا للصين قد ظهر في الصحافة السوفياتية المحلية في نفس تلك الفترة .

لقد نشرنا في صحفنا أهم هذه المواد الدعائية المعادية للصين بما فيها الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي التي نشرناها بنصها الكامل مرتين وأذعناها على كل العالم بأكثر من عشر لغات أجنبية حتى نطلع من لهم اهتمام بهذه المناظرة العلنية على وجهات نظر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي . ونحن لم ننشر كل مقال سوفياتي هاجم الصين لسبب بسيط هو أن هذه المقالات عديدة وتكرر نفس الشيء في أغلب الأحيان ، وأن صحافتنا محدودة المساحة . وقد جمعت دار نشرنا كل هذه المواد وسوف نطبعها في شكل كتب .

لقد نشر الجانب السوفياتي حوالي ألفي مقال ومواد أخرى معادية للصين . وبناء على مبدأ المساواة بين جميع الأحزاب الشقيقة فان للجانب الصيني الحق في نشر عدد متساو من الردود والمواد .

ونظرا لأن الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تعالج قضايا كثيرة تمس سلسلة من القضايا النظرية الأساسية في الماركسية اللينينية وأحداثا كبرى عديدة وقعت خلال الأعوام السبعة أو الثمانية الماضية في الحركة الشيوعية العالمية ، بدأت هيئتا تحرير صحيفة « جينمينجيباو » ومجلة « العلم الأحمر » بعد دراسة دقيقة نشر سلسلة من التعليقات ابتداءا من ٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٣ . ونشرنا حتى الآن سبعة تعليقات فقط على هذه الرسالة المفتوحة ، بما فيها هذا التعليق .

ولم ينته بعد تعليقنا على هذه الرسالة . أما فيما يتعلق بالعدد الضخم من المقالات المعادية للصين التي نشرتها الصحافة المركزية أو المحلية في الاتحاد السوفياتي ، فلم نبدأ حتى الاجابة عليها .

لقد دعا خروشوف في اجاباته على الصحفيين في ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٣ الى وقف المناظرة العلنية . ولكن تبع ذلك أن واصلت الصحافة السوفياتية نشر المقالات التي تهاجم الصين .

ومنذ وقت قريب ، اقترح قادة الحزب الشيوعي السوفياتي من جديد ايقاف المناظرة العلنية وقالوا انها « ألحقت ضررا بالغا بالحركة الشيوعية». الا أنهم قالوا في الماضي ان المجادلات العلنية هي « في صالح كل الحركة الشيوعية العالمية » (١) و« الموقف المبدئي الماركسي اللينيني الحقيقي الصحيح الوحيد » (٢) . وبودنا أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : أي لعبة هذه ، تقولون شيئا في وقت ما وآخر مخالفا له في وقت آخر ؟

ونود أيضا أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : هل من مبدأ المساواة بين الأحزاب الشقيقة أن تطلبوا منا أن نلزم الصمت بعد أن نشرنا أقل من عشر مقالات ردا على مقالاتكم وغيرها من المواد ، التي بلغت ألفين وهاجمتم فيها الصين ؛ هذا ولم ننه حتى الآن ردنا على رسالتكم المفتوحة ؟ وهل يتماشى مع مبدأ النقاش الديمقراطي أن يفرغ صبركم

---

(١) « نحو انتصارات جديدة للشيوعية » ، مقال بقلم هيئة تحرير « الشيوعي » للاتحاد السوفياتي ، العدد ١٦ عام ١٩٦١ .

(٢) « راية عهدنا » ، مقال بقلم هيئة تحرير « البرافدا » ، ٢١ فبراير (شباط) ١٩٦٢ .

وتتضايقوا وترفضوا حتى السمع ونحن لم نقل الا شيئا بسيطا بينما أنتم تكلمتم كثيرا ولمدة طويلة ؟

ونود أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مرة أخرى : أ لم تهددوا تهديدا مباشرا عندما أعلنتم دون مواربة في بيان الحكومة السوفياتية في ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٣ أن الصينيين اذا واصلوا المجادلة « عليهم أن يفهموا بوضوح أن الردع الحازم في أقصى درجات الحازم سيقابلهم من قبل الحزب الشيوعي السوفياتي وكل الشعب السوفياتي في هذا الطريق » ؟ وهل تعتقدون حقا أن الآخرين يضطرون بخضوع الى اطاعة أوامركم ويرتعدون هلعا عندما يسمعون زئيركم ؟ نقول لكم بصراحة ، كنا ننتظر بشغف منذ ٢١ سبتمبر (أيلول) لنرى ما هو « الردع الحازم في أقصى درجات الحزم » .

أيها الرفاق والأصدقاء ، أنتم مخطئون ، مخطئون تمام الخطأ .

ان هذه المناظرة العلنية تجري الآن ، فيجب أن تسير تبعا للقانون . واذا كنتم تعتقدون أنكم قلتم ما فيه الكفاية فعليكم أن تتيحوا للجانب الآخر فرصة كافية للرد . واذا كنتم تعتقدون أنكم لديكم الكثير مما يستحق القول فنرجوكم أن تقولوه بأجمعه ولكن عندما تفعلون هذا أتركوا الجانب الآخر يقول ما يريد أيضا بصورة تامة . وبالاختصار ، يجب أن تكون الحقوق متساوية . أو لم تقولوا أنتم أيضا ان الأحزاب الشقيقة متساوية ؟ فلماذا اذن تعطون أنفسكم الحق في بدء الجدال العلني كلما حلا لكم ذلك وأردتم مهاجمة الأحزاب الشقيقة ؛ وتحرمون الأحزاب الشقيقة المهاجمة من حقها في الرد العلني عندما تفضلون ايقاف الجدال ؟

لقد أثار قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بدون اكتراث الجدال العلني

ومدوا نطاقه وأصروا عليه ، ولكنهم بدأوا الآن يطبلون لايقاف المجادلات العلنية . ما الذي يكمن وراء كل هذا ؟

من الواضح أن الأمور لم تتطور كما توقع من بدءوا هذه المجادلات. والمناظرة العلنية التي ظن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أنها ستكون في مصلحتهم تتطور الآن بالاتجاه المعاكس لرغبتهم . والحقيقة ليست في جانب قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، ولهذا لا يسعهم في الهجوم على الآخرين ، الا الاعتماد على الأكاذيب والافتراءات ، وتشويه الحقائق وخلط الصواب والخطأ . وعندما تتطور المناظرة وتتطلب تقديم الحقائق واصدار الأحكام تبعا للمنطق ، يجدون الأرض تميد تحت أقدامهم ويتملكهم الفزع .

قال لينين ذات مرة انه بالنسبة الى المحرفين « ما من شيء مقيت وغير مرغوب فيه وغير مقبول أكثر من توضيح الخلافات الأساسية حول النظرية والبرنامج والتكتيك والتنظيم » (١) .

وهذا هو الوضع الذي وجد قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أنفسهم فيه .

ان موقف الحزب الشيوعي الصيني من المجادلات العلنية معروف للجميع . ومنذ البداية كان رأينا هو وجوب حل الخلافات بين الأحزاب الشقيقة عن طريق المشاورة الداخلية . ولم نثر نحن المجادلات العلنية ولم نرغب فيها .

وطالما بدأت المناظرة العلنية فعلا ، وقال قادة الحزب الشيوعي

---

(١) لينين : « مزيد من القول حول المكتب الاشتراكي العالمي والمصفين » .

السوفياتي أيضا انها « تقتدي بأساوب لينين » (١) ، فيجب اذن أن تجرى على أساس المناقشة الديمقراطية وباستخدام أسلوب تقديم الحقائق واجراء الأحكام تبعا للمنطق حتى يتبين كل شيء .

وأهم من ذلك هو أنه طالما خان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي علنا الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية ومزقوا علنا التصريح والبيان ، فعليهم ألا يتوقعوا منا أن نحجم عن الدفاع عن الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية والمبادىء الثورية للتصريح والبيان . وطالما كانت المناظرة متعلقة بقضايا مبدئية كبرى في الحركة الشيوعية العالمية ، فيجب أن تمحص تمحيصا كاملا تاما . وهذا أيضا موقف ماركسي لينيني جاد .

ان جوهر المسألة هو أن الخلافات الراهنة الموجودة في الحركة الشيوعية العالمية هي بين الماركسية اللينينية والتحريفية ، بين الأممية البروليتارية وعصبية الدولة الكبيرة . ولا يمكن حل هذه الخلافات المبدئية الأساسية من أساسها بايقاف المناظرة العلنية . وعلى النقيض من هذا ، فقط عن طريق المناظرة العلنية ، وتقديم الحقائق ، والوصول الى الأحكام المنطقية ، يمكن توضيح الأمور ، والتمييز بين الصواب والخطأ ، وصيانة وتعزيز وحدة الحركة الشيوعية العالمية القائمة على أساس الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية .

ان الماركسية اللينينية علم ، والعلم لا يخشى المناظرة ، وكل شيء يرهب المناظرة ليس علما . والمناظرة الراهنة الكبرى في الحركة

---

(١) « المؤتمر التاريخي للحزب اللينيني » ، افتتاحية « البرافدا » ، ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦١ .

الشيوعية العالمية تجبر الشيوعيين والثوريين والشعوب الثورية في جميع الأقطار على التفكير ، والتأمل بجد في القضايا المتعلقة بالثورة في بلدانهم نفسها وبالثورة العالمية بما يتماشى مع النظريات الأساسية للماركسية اللينينية . وسوف يتمكن الناس عن طريق هذه المناظرة من تمييز الصواب عن الخطأ ، والماركسية اللينينية الحقيقية عن المزيفة . وعن طريق هذه المناظرة العظيمة سوف يتم حشد جميع القوى الثورية في العالم ، وسوف يتم صقل كل الماركسيين اللينينيين ايديولوجيا وسياسيا ، وسوف يستطيعون مزج الماركسية اللينينية بالواقع المحدد في بلدانهم نفسها بصورة ناضجة أكثر . وهكذا سيتم بالتأكيد اغناء الماركسية اللينينية أكثر ، وتطويرها تطويرا أعظم ، ويتم رفعها الى مستوى أرقى .

السبيل الى صيانة الوحدة وتدعيمها

ان التحريفية وعصبية الدولة الكبيرة لدى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي تسببان خطرا لم يسبق له مثيل من قبل على وحدة المعسكر الاشتراكي ووحدة الحركة الشيوعية العالمية . وباتخاذ موقف التحريفية وعصبية الدولة الكبيرة ، يقف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي موقف الانقسام . وطالما كانوا يتخذون هذا الموقف التحريفي ووقف عصبية الدولة الكبيرة انما يعملون بالفعل لوحدة مزيفة وانقسام حقيقي ، مهما تحدثوا بصوت عال بعبارات عن « الوحدة » وعيروا الآخرين واصفينهم بأنهم « انقساميون » و« انعزاليون » .

ان الحزب الشيوعي الصيني وجميع الأحزاب الماركسية اللينينية

الأخرى وكل الماركسيين اللينينيين يتمسكون بالماركسية اللينينية والأممية البروليتارية . وهذا هو الموقف الصحيح الوحيد لصيانة وتدعيم الوحدة الحقيقية للمعسكر الاشتراكي وللحركة الشيوعية العالمية .

والماركسية اللينينية والأممية البروليتارية تشكلان أسس هذه الوحدة . وفقط على هذه الأسس يمكن بناء وحدة الأحزاب والأقطار الشقيقة . ووحدة كهذه سوف تكون أمرا خارجا عن الموضوع اذا فارق المرء هذه الأسس . والنضال من أجل الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية يعني النضال من أجل وحدة الحركة الشيوعية العالمية . والمثابرة على المبدأ وصيانة الوحدة هما أمران لا ينفصم بعضهما عن البعض .

واذا كان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يرغبون في الوحدة رغبة صادقة ولم يكونوا يتظاهرون بهذه الرغبة وحسب ، فعليهم أن يلتزموا باخلاص بالنظريات الأساسية للماركسية اللينينية وبالتعاليم الماركسية اللينينية المتعلقة بالطبقات والنضال الطبقي ، وبالدولة والثورة ولا سيما بالثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا . ومن غير المسموح به مطلقا لهم أن يضعوا التعاون الطبقي أو الاستسلام الطبقي مكان الصراع الطبقي ، والاصلاح الاجتماعي أو المسالمة الاجتماعية محل الثورة البروليتارية ، ومن غير المسموح به لهم أيضا أن يزيلوا ديكتاتورية البروليتاريا تحت أي ستار كان .

واذا كان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يرغبون رغبة صادقة في الوحدة ولم يكونوا يتظاهرون بهذه الرغبة وحسب ، فعليهم أن يلتزموا بحزم بالمبادىء الثورية لتصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ . ومن غير المسموح به مطلقا أن يضعوا برنامج حزبهم الخاص محل البرنامج العام الذي اتفقت

عليه الأحزاب الشقيقة بالاجماع .

واذا كان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يرغبون رغبة صادقة في الوحدة ولم يكونوا يتظاهرون بهذه الرغبة وحسب ، فعليهم أن يرسموا خطا واضحا مميزا بين الأعداء والرفاق ، وأن يتحدوا مع جميع الأقطار الاشتراكية ، وجميع الأحزاب الشقيقة الماركسية اللينينية ، وبروليتاريا العالم قاطبة ، وجميع الشعوب والأمم المضطهدة ، وجميع الأقطار والشخصيات المحبة للسلم ، بغرض معارضة الاستعمار الأميركي — العدو الأساسي لشعوب العالم ، وعملائه . ومن غير المسموح به اطلاقا أن يعاملوا الأعداء معاملة الأصدقاء والأصدقاء معاملة الأعداء ، وأن يتحدوا مع المستعمرين الأميركيين ورجعيي مختلف الأقطار وطغمة تيتو المرتدة لمعارضة الأقطار والأحزاب الشقيقة وكل الشعوب الثورية ، في محاولة فاشلة للسعي للسيطرة على العالم عن طريق التعاون الأميركي السوفياتي .

واذا كان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يرغبون رغبة صادقة في الوحدة ولم يكونوا يتظاهرون بهذه الرغبة وحسب ، فعليهم أن يكونوا أمناء للأممية البروليتارية ويلتزموا التزاما دقيقا بالمبادىء المرشدة للعلاقات بين الأقطار والأحزاب الشقيقة التي وردت في التصريح والبيان . ومن غير المسموح به مطلقا أن يستبدلوا هذه بسياسات عصبية الدولة الكبيرة والأنانية القومية . وبمعنى آخر :

عليهم يراعوا مبدأ التضامن ، وألا يرصوا مطلقا عددا من الأحزاب الشقيقة للهجوم على الأحزاب الشقيقة الأخرى وللانغماس في

النشاطات الانعزالية والانقسامية ؛

عليهم أن يلتزموا بمبدأ العون المتبادل والمساعدة المتبادلة ، وألا يحاولوا أبدا السيطرة على الآخرين باسم المساعدة ، أو ينتهكوا سيادة ومصالح الأقطار الشقيقة أو يعارضوا بناءها الاشتراكية بالاعتماد على نفسها ، تحت ستار « توزيع العمل على النطاق العالمي » ؛

عليهم أن يراعوا مبدأ الاستقلال والمساواة ، وألا يضعوا أنفسهم أبدا فوق الأحزاب الشقيقة الأخرى أو يفرضوا برنامج حزبهم الخاص وخطه وقراراته على الأحزاب الشقيقة الأخرى ، وألا يتدخلوا أبدا في الشئون الداخلية للأحزاب الشقيقة ويقوموا تحت ستار « مقاومة عبادة الفرد » بالنشاطات الهدامة ، وألا يعاملوا الأحزاب الشقيقة كأنما هي ملكيتهم الخاصة أو يعاملوا الأقطار الشقيقة كأنما هي تابعة لهم ؛

عليهم أن يلتزموا بمبدأ الوصول الى الاجماع عن طريق المشاورة ، وألا يفرضوا خط حزبهم الخاطىء باسم ما يدعونه بالأغلبية أو يستخدموا مؤتمرات حزبهم أو مؤتمرات الأحزاب الأخرى وأشكالا مثل القرارات والبيانات وخطب القادة ليوجهوا الهجوم العلني الى الأحزاب الشقيقة الأخرى بالاسم ، وأكثر من ذلك ألا يمدوا نطاق الخلافات الايديولوجية الى نطاق العلاقات بين الدول .

وبالاختصار ، اذا كان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يرغبون رغبة صادقة في وحدة المعسكر الاشتراكي ووحدة الحركة الشيوعية العالمية ، فعليهم أن يهجروا تماما خطهم التحريفي وخط عصبية الدولة الكبيرة

والخط الانقسامي . ان وحدة المعسكر الاشتراكي ووحدة الحركة الشيوعية العالمية تمكن صيانتهما وتدعيمهما فقط بالاخلاص للماركسية اللينينية والأممية البروليتارية ، وبمعارضة التحريفية المعاصرة والجمود العقائدي المعاصر ، وعصبية الدولة الكبيرة وغيرها من مظاهر القومية البرجوازية ، والانعزالية والانقسامية ، لا بالأقوال فقط بل بالأفعال . هذا هو السبيل الوحيد المقبول الى صيانة الوحدة وتدعيمها .

ان الوضع العالمي الراهن ، ككل ، مؤات للغاية . ولقد كسبت الحركة الشيوعية العالمية انتصارات باهرة ، مما نتج عنه تغير أساسي في ميزان القوى الطبقية العالمي . وتواجه الحركة الشيوعية العالمية في الوقت الحاضر الهجوم من تيار مضاد للتحريفية والانقسامية . ان هذه الظاهرة تنطبق مع قانون التطور التاريخي . وبالرغم من أنهما تخلقان صعابا مؤقتة للحركة الشيوعية العالمية وبعض الأحزاب الشقيقة ، الا أنه من الأمور الحسنة أن كشفت قسمات المحرفين الحقيقية وظهر الصراع بين الماركسية اللينينية والتحريفية .

وما من شك أبدا في أن الماركسية اللينينية سوف تواصل البرهان على حيويتها الفياضة وتكتسح العالم بأجمعه ؛ وأن الحركة الشيوعية العالمية سوف تنمو منعتها ويزيد اتحادها على أساس الماركسية اللينينية ؛ وأن قضية البروليتاريا العالمية وثورة شعوب العالم سوف تكسب انتصارات باهرة أكثر . ان التحريفية المعاصرة سيكون الافلاس التام حليف مصيرها .

وبودنا أن ننصح قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بأن يفكروا في الأمور بهدوء : الى أين سيقود تمسككم بالتحريفية والانقسامية ؟ وبودنا أن نتوجه بالنداء المخلص مرة أخرى الى قادة الحزب الشيوعي

السوفياتي : نتمنى أن تتمكنوا من العودة الى الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية ، والى المبادىء الثورية لتصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ ، والى المبادىء المرشدة للعلاقات بين الأحزاب والأقطار الشقيقة التي وردت في هاتين الوثيقتين حتى تمكن على هذه الأسس المبدئية ازالة الخلافات وتدعيم وحدة الحركة الشيوعية العالمية ووحدة المعسكر الاشتراكي والوحدة بين الصين والاتحاد السوفياتي .

بالرغم من وجود خلافاتنا الخطيرة مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي، لنا ثقة كاملة بالجماهير الواسعة من أعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي والشعب السوفياتي ، الذي نشأ تحت ارشاد لينين وستالين . ان الشيوعيين الصينيين والشعب الصيني ، كما فعلوا دائما ، سوف يدافعون بلا تردد عن الوحدة بين الصين والاتحاد السوفياتي ويدعمون ويطورون الصداقة العميقة الجذور بين شعبينا .

يا شيوعيي العالم قاطبة ، اتحدوا على أساس الماركسية اللينينية !

الثورة البروليتارية وتحريفية خروشوف

ـ تعليق ثامن على الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

بقلم هيئتي تحرير صحيفة « جينمينجيباو » ومجلة « العلم الأحمر »

(٣١ مارس " آذار " ١٩٦٤)

سيناقش هذا المقال مسألة « الانتقال السلمي » المعروفة . فلقد أصبحت هذه المسألة معروفة ولفتت أنظار كل الناس ، والسبب في ذلك يعود الى أن خروشوف أثارها في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي وجعلها كاملة منتظمة اتخذت شكل برنامج في المؤتمر الثاني والعشرين حيث وطد أفكاره التحريفية ضد الأفكار الماركسية اللينينية . وقد عزفت الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٦٣ هذه النغمة القديمة أيضا .

وفي تاريخ الحركة الشيوعية العالمية ، دائما ما عبرت خيانة جميع المحرفين للماركسية والبروليتاريا عن نفسها بصورة مركزة في معارضتهم للثورة العنيفة ولديكتاتورية البروليتاريا وفي ترويجهم للانتقال السلمي من الرأسمالية الى الاشتراكية . وهذا هو الحال أيضا مع تحريفية خروشوف. وخروشوف فيما يتعلق بهذه المسألة تلميذ لبرنشتاين وكاوتسكي كما هو تلميذ لبراودر وتيتو .

لقد لاحظنا منذ أيام الحرب العالمية الثانية ظهور التحريفية البراودرية ، والتحريفية التيتوية ، ونظرية « الاصلاح في التركيب » . وهذه الفصائل من التحريفية هي ظواهر محلية في صفوف الحركة الشيوعية العالمية . الا أن تحريفية خروشوف التي ظهرت وسادت في قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، أصبحت قضية كبرى ذات أهمية شاملة بالنسبة الى صفوف الحركة الشيوعية العالمية تؤثر تأثيرا حاسما على نجاح أو فشل كل القضية

الثورية للبروليتاريا العالمية .

وهذا ما يجعلنا نكتب هذا المقال لنجيب على المحرفين بعبارات أوضح من ذي قبل .

أحد تلامذة برنشتاين وكاوتسكي

بدأ خروشوف منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي يتقدم بطريق « الانتقال السلمي » ، أي « الانتقال الى الاشتراكية عبر الطريق البرلماني » (١) ، هذا الطريق الذي يعارض طريق ثورة أكتوبر معارضة تامة .

فلنمحص « الطريق البرلماني » الذي يروج له خروشوف وأمثاله .

يعتقد خروشوف أن البروليتاريا يمكنها ، في ظل ديكتاتورية البرجوازية ووفقا للقوانين الانتخابية البرجوازية ، أن تكسب أغلبية لا تتزعزع في البرلمان . ويقول انه في الأقطار الرأسمالية : « ... سوف تصبح الطبقة العاملة ، بحشدها الفلاحين الكادحين والمثقفين وكل القوى الوطنية حول نفسها وبانزال الردع الحازم بالعناصر الانتهازية التي ترفض التخلي عن سياسة المساومة مع الرأسماليين والاقطاعيين ، في وضع يمكنها من هزيمة القوى الرجعية التي تقف ضد مصالح الشعب ، ومن كسب أغلبية لاتتزعزع في البرلمان » (٢) .

---

(١) تقرير خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، فبراير (شباط) ١٩٥٦ .

(٢) نفس المصدر السابق .

ويرى خروشوف أن البروليتاريا اذا تمكنت من كسب الأغلبية في البرلمان فان هذا سيكون مساويا للاستيلاء على سلطة الدولة وتحطيم جهاز الدولة البرجوازي . وقال ، بالنسبة الى الطبقة العاملة « . . . فان كسب أغلبية في البرلمان وتحويله الى جهاز لسلطة الشعب ، مع وجود حركة ثورية قوية في البلاد ، يعني تحطيم الجهاز العسكري البيروقراطي للبرجوازية واقامة دولة بروليتارية شعبية جديدة في شكل برلماني » (١).

ويرى خروشوف أن البروليتاريا اذا تمكنت من كسب أغلبية لا تتزعزع في البرلمان فان هذا وحده سوف يمكنها من تحقيق التحول الاشتراكي للمجتمع . وقال ان كسب أغلبية لا تتزعزع في البرلمان « من شأنه أن يخلق للطبقة العاملة في عدد من الأقطار الرأسمالية والأقطار التي كانت مستعمرات في الماضي ، الظروف اللازمة لاحراز تحولات اجتماعية أساسية » (٢) . وقال أيضا : « . . . ان الوضع الراهن يمنح الطبقة العاملة في عدد من الأقطار الرأسمالية فرصة حقيقية لتوحيد الأغلبية الساحقة من الشعب تحت قيادتها ولضمان تحويل وسائل الانتاج الأساسية الى أيادي الشعب » (٣) .

ان برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي يتضمن « أن الطبقة العاملة في

---

(١) خطاب خروشوف في اجتماع عام للمنظمات الحزبية لمدرسة الحزب من المرتبة العليا التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، وأكاديمية العلوم الاجتماعية ، ومعهد الأبحاث للماركسية اللينينية ، ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٦١ .

(٢) تقرير خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، فبراير (شباط) ١٩٥٦ .

(٣) نفس المصدر السابق .

عدد كبير من الأقطار يمكنها أن تجبر البرجوازية على اتخاذ اجراءات تفوق حدود الاصلاحات العادية ، حتى قبل الاطاحة بالرأسمالية » (١). وحتى أن البرنامج يذكر أنه من الممكن في ظل ديكتاتورية البرجوازية أن يظهر وضع في أقطار معينة ، « تفضل البرجوازية فيه الموافقة على أن تُشترى منها وسائل الانتاج الأساسية » (٢) .

ان البضاعة التي يروجها خروشوف ليست جديدة وما هي الا طبعة ثانية لتحريفية الأممية الثانية وبعث للبرنشتاينية والكاوتسكية .

ان أهم مميزات خيانة برنشتاين للماركسية كانت هي ترويجه للطريق البرلماني المشروع ومعارضته للثورة العنيفة ولتحطيم جهاز الدولة القديم ومعارضته لديكتاتورية البروليتاريا .

كان رأي برنشتاين أن الرأسمالية يمكنها أن « تنمو » بصورة سلمية و« تصبح اشتراكية » . فلقد قال ان النظام السياسي للمجتمع البرجوازي المعاصر « يجب ألا يحطم ، وكل ما يحتاج اليه هو أن يطور أكثر»(٣)؛ وقال « نحن الآن بالتصويت والتظاهرات وأمثالها من وسائل الضغط نحقق اصلاحات كان تحقيقها يتطلب ثورة دامية قبل مائة عام . » (٤)

وكان رأيه أن الطريق البرلماني المشروع هو الطريق الوحيد لتحقيق

---

(١) « برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي » الذي أجازه المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) برنشتاين : « الشروط المسبقة للاشتراكية ومهام الحزب الاشتراكي – الديمقراطي » .

(٤) نفس المصدر السابق .

الاشتراكية . وقال ، اذا ما أصبح للطبقة العاملة « الحق العام والمساواة في الانتخاب ، يكون قد تم بلوغ المبدأ الاجتماعي الذي هو الشرط الأساسي للتحرر . » (١)

وقال « سوف يحين اليوم الذي تصبح فيه الطبقة العاملة قوية التعداد ومهمة تجاه كل المجتمع حتى يمكن القول ان قصر الحكام سوف يعجز عن تحمل ضغطها فينهار كأنما من تلقاء نفسه » (٢) .

قال لينين : « ان البرنشتاينيين قبلوا الماركسية من قبل ويقبلونها اليوم بشرط أن يحذف جانبها الثوري المباشر . اذ أنهم لا يعتبرون النضال البرلماني أحد الأسلحة الصالحة خاصة لفترات تاريخية محددة ، بل يعتبرونه الشكل الأساسي والشكل الوحيد للنضال تقريبا ، مما يجعل كلمات "القوة" و"الانتزاع" و"الديكتاتورية" أشياء لا حاجة اليها.»(٣)

كان السيد كاوتسكي خلفا لائقا لبرنشتاين . ولقد روج هو بهمة ، كما فعل برنشتاين ، للطريق البرلماني وعارض الثورة العنيفة وديكتاتورية البروليتاريا . وقال ، في ظل النظام الديمقراطي البرجوازي « لم يعد هناك مجال للنضال المسلح كوسيلة لتسوية النزاع الطبقي » (٤) ، وقال « مما يضحك الدعوة الى الاطاحة السياسية بالعنف » (٥) . وهاجم لينين

---

(١) برنشتاين : « ما هي الاشتراكية ؟ »

(٢) برنشتاين : « الاضراب الجماهيري السياسي والوضع السياسي للحزب الاشتراكي – الديمقراطي في ألمانيا » .

(٣) لينين : « انتصار " الكاديت " ومهام الحزب العمالي » .

(٤) كاوتسكي : « التفسير المادي للتاريخ » .

(٥) كاوتسكي : « الاشتراكية – الديمقراطية ضد الشيوعية » .

وحزب البلشفيك حين وصفهم بأنهم « كقابلة مستعجلة تستخدم العنف لتجعل امرأة حبلى تلد جنينها في شهرها الخامس بدلا من التاسع » (١) .

لقد كان كاوتسكي مصابا لا أمل في شفائه بداء هوس البرلمانية . فلقد صرح بعبارة ذائعة الصيت هي « أن الهدف من نضالنا السياسي ما زال ، كما كان من قبل ، هو الاستيلاء على سلطة الدولة عن طريق كسب الأغلبية في البرلمان وبتحويل البرلمان الى سيد للحكومة » (٢) .

كما قال أيضا : « الجمهورية البرلمانية — على رأسها ملكية على الطراز الانجليزي أو بدون ملكية كهذه — في نظري هي الأساس الذي تنمو منه الديكتاتورية البروليتارية والمجتمع الاشتراكي . وهذه الجمهورية هي "دولة المستقبل" التي يجب أن نسعى نحوها . » (٣)

لقد نقد لينين عبارات كاوتسكي السخيفة هذه نقدا لاذعا .

وأعلن لينين مستنكرا كاوتسكي : « ان السفلة أو بسطاء العقول وحدهم هم الذين يقولون انه يجب على البروليتاريا قبل كل شيء أن تكسب الأغلبية في الانتخابات التي تجرى تحت نير البرجوازية وفي ظل نير عبودية الأجر ، وعليها بعد ذلك أن تنتزع السلطة . ان هذه قمة الرعونة أو الرياء . ومعنى ذلك استبدال الصراع الطبقي والثورة بالتصويت في ظل النظام القديم والسلطة القديمة . » (٤)

---

(١) كاوتسكي : « الثورة البروليتارية وبرنامجها » .

(٢) كاوتسكي : « تكتيكات جديدة » .

(٣) « رسالة كاوتسكي الى مايلين ، ١٥ يوليو (تموز) ١٨٩٣ » .

(٤) لينين : « التحيات الى الشيوعيين الايطاليين والفرنسيين والألمان » .

وقال لينين في تعليق جارح على طريق كاوتسكي البرلماني : « ما هذا الطريق سوى أتم وأسفل أنواع الانتهازية . اذ أنه يعني قبول الثورة باللسان وخيانتها بالفعل » (١) .

وقال : ان كاوتسكي ، عند تفسيره لمفهوم ديكتاتورية البروليتاريا « على أنها تعني شطب العنف الثوري الذي تباشره الطبقة المضطهدة ضد مضطهديها ، قد حطم الرقم العالمي القياسي للتشويه الليبرالي للماركسية . » (٢)

لقد اقتطفنا فيما سبق من أقوال خروشوف وبرنشتاين وكاوتسكي ومن نقد لينين للأخيرين ، بصورة مطولة بعض الشيء بغية أن ندلل على أن تحريفية خروشوف ما هي الا برنشتاينية وكاوتسكية في العصر الراهن ظاهرا وباطنا . ان خيانة خروشوف للماركسية ، كما كان الحال بالنسبة لبرنشتاين وكاوتسكي ، تظهر في أجلى صورها في معارضته للعنف الثوري ، وفيما يقوم به من أفعال « ليشطب العنف الثوري » . ولقد فقد برنشتاين وكاوتسكي الآن في هذا الصدد لقبهما اذ حاز عليه خروشوف لأنه سجل رقما قياسيا عالميا جديدا . ان خروشوف تلميذ جدير لبرنشتاين وكاوتسكي ، وقد تفوق على معلميه .

الثورة العنيفة قاعدة عامة للثورة البروليتارية

يخبرنا تاريخ حركة الطبقة العاملة قاطبة أن الاعتراف أو عدم الاعتراف بالثورة العنيفة باعتبارها قاعدة عامة للثورة البروليتارية ، وأن الاعتراف

---

(١) لينين : « الدولة والثورة » .

(٢) لينين : « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » .

أو عدم الاعتراف بضرورة تحطيم جهاز الدولة القديم ، وبضرورة احلال ديكتاتورية البروليتاريا محل ديكتاتورية البرجوازية ، دائما ما كانا يشكلان خطا فاصلا بين الماركسيين وكل أنواع الانتهازية والتحريفية، وبين الثوريين البروليتاريين وكل المرتدين عن البروليتاريا .

وتبعا للتعاليم الأساسية للماركسية اللينينية فان القضية الرئيسية في كل ثورة هي قضية سلطة الدولة . وان القضية الرئيسية في الثورة البروليتارية هي قضية الاستيلاء على سلطة الدولة وتحطيم جهاز الدولة البرجوازي بالعنف ، واقامة ديكتاتورية البروليتاريا واحلال الدولة البروليتارية محل الدولة البرجوازية .

ودائما ما أعلنت الماركسية بصراحة حتمية الثورة العنيفة . وتبين بأن الثورة العنيفة هي القابلة التي تهيء لولادة المجتمع الاشتراكي وأنها الطريق الوحيد لاستبدال ديكتاتورية البرجوازية بديكتاتورية البروليتاريا ، وأنها قاعدة عامة للثورة البروليتارية .

وتعلمنا الماركسية بأن الدولة نفسها هي نوع من العنف . وان العنصرين الرئيسيين اللذين يتركب منهما جهاز الدولة هما الجيش والشرطة . ويدل التاريخ على أن جميع الطبقات الحاكمة تعتمد على العنف بغرض الحفاظ على حكمها .

ان البروليتاريا تفضل بالطبع الحصول على السلطة بالطرق السلمية . الا أن دلائل تاريخية وافرة تبرهن على أن الطبقات الرجعية لا تتخلى مطلقا عن السلطة من تلقاء نفسها ، وأنها دائما ما كانت البادئة باستخدام العنف لقمع الحركة الثورية الجماهيرية ، ولاثارة الحرب الأهلية ، الأمر الذي يدعو الى التفكير الجاد في النضال المسلح باعتباره قضية الساعة .

قال لينين : « ما من ثورة عظيمة واحدة حدثت في التاريخ ، بدون حرب أهلية ، وما من ماركسي جاد سوف يؤمن بأنه من الممكن احداث الانتقال من الرأسماليةِ الى الاشتراكية بدون حرب أهلية . » (١)

ان الثورات العظيمة التي حدثت في التاريخ والتي أشار اليها لينين تشمل الثورة البرجوازية أيضا . ومع أن الثورة البرجوازية هي ثورة تطيح بها طبقة مستغلة بأخرى عن الحكم ، الا أنها لا يمكن أن تحدث بدون حرب أهلية . فكيف اذن لا تحدث حرب أهلية نتيجة الثورة البروليتارية التي هي ثورة تنشب بهدف ازالة جميع طبقات ونظم الاستغلال .

وباعتبار أن الثورة العنيفة هي قاعدة عامة للثورة البروليتارية ، أوضح لينين مرارا « أن فترة طويلة مليئة بـ "آلام المخاض" تقع بين الرأسمالية والاشتراكية ، وأن العنف دائما ما كان قابلة تولد المجتمع القديم .»(٢) « ان الدولة البروليتارية ، أي ديكتاتورية البروليتاريا ، لا يمكن أن تحل محل الدولة البرجوازية عن طريق "التلاشي التدريجي" ، بل القانون العام هو أن تحل الدولة البروليتارية محل الدولة البرجوازية فقط عن طريق ثورة عنيفة » (٣) ، و « ان ضرورة تثقيف الجماهير بصورة منتظمة بهذا ، وبالتحديد بفكرة الثورة العنيفة هذه ، تكمن في جذور جميع تعاليم ماركس وانجلز » (٤) .

---

(١) لينين : « نبوءة » .

(٢) لينين : « الذين يفزعهم انهيار القديم والذين يناضلون من أجل الجديد » .

(٣) لينين : « الدولة والثورة » .

(٤) نفس المصدر السابق .

وقال ستالين أيضا ان الثورة العنيفة التي تقوم بها البروليتاريا أي ديكتاتورية البروليتاريا هي « شرط حتمي ولا غنى عنه » (١) للسير قدما نحو الاشتراكية في جميع الأقطار الواقعة تحت حكم رأس المال .

هل يمكن احداث تحول جذري للنظام البرجوازي بدون ثورة عنيفة وبدون ديكتاتورية البروليتاريا ؟ لقد أجاب ستالين على هذا السؤال وقال : « كلا بوضوح . والتفكير في أن ثورة كهذه يمكن القيام بها بصورة سلمية ، في نطاق الديمقراطية البرجوازية التي تلائم حكم البرجوازية ، اما أن يكون جنونا وفقدانا للفهم الانساني العادي ، واما أن يكون خيانة معيبة مكشوفة للثورة البروليتارية . » (٢)

ووفقا للنظرية الماركسية اللينينية المتعلقة بالثورة العنيفة وبالارتكاز على الخبرة الجديدة للثورة البروليتارية والثورة الديمقراطية الشعبية بقيادة البروليتاريا ، وضع الرفيق ماو تسي تونغ رأيه المأثور الشهير والقائل بأن « السلطة السياسية تنبت من فوهة البندقية » .

قال الرفيق ماو تسي تونغ : « ... ان الثورات والحروب الثورية محتمة الوقوع في المجتمع الطبقي وما من قفزة بغياب هذه ، يمكن احرازها في التطور الاجتماعي ، كما سوف تستحيل الاطاحة بالطبقات الرجعية الحاكمة ويستحيل على الشعب أن يكسب السلطة السياسية.»(٣)

وقال : « ان الاستيلاء على السلطة بالقوة المسلحة وتسوية المسألة

(١) ستالين : «الاستنتاج عن تقرير " الانحراف الاشتراكي – الديمقراطي في حزبنا" » .

(٢) ستالين : « حول بعض قضايا اللينينية » .

(٣) ماو تسي تونغ : « حول التناقض » .

عن طريق الحرب ، هما المهمة الأساسية وأرقى شكلين للثورة . ان هذا المبدأ الماركسي اللينيني الثوري ساري المفعول عموما ويمكن تطبيقه على الصين وعلى جميع الأقطار الأخرى . » (١)

وقال : « تعلمنا خبرة الصراع الطبقي في عهد الاستعمار أن الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة تتمكن من هزيمة البرجوازية والاقطاعيين المسلحين ، فقط بقوة السلاح . وتبعا لهذا يمكن القول بأنه يمكن بالسلاح ولا شيء سواه تغيير العالم كله . » (٢)

وملخص القول هو أن الثورة العنيفة هي قاعدة عامة للثورة البروليتارية ، وهذا مبدأ أساسي للماركسية اللينينية . وخروشوف يخون الماركسية ، اللينينية فيما يتعلق بهذه القضية البالغة الأهمية بالذات .

نضالنا ضد تحريفية خروشوف

عندما قدم خروشوف مسألة « الطريق البرلماني » لأول مرة في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، اعتبر الحزب الشيوعي الصيني أن هذا كان خطأ عظيما ، كان نقضا للنظريات الأساسية للماركسية اللينينية ويستحيل قبوله على الاطلاق .

ولكن نظرا لأن تحريفية خروشوف كانت وقتذاك في مرحلتها الابتدائية ، ولم يكن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أثاروا المجادلات العلنية بعد ،

---

(١) ماو تسي تونغ : « قضايا الحرب والاستراتيجية » .
(٢) نفس المصدر السابق .

أمسكنا لحين من الوقت عن كشف خطأ خروشوف الذي ارتكبه بتقديمه « الطريق البرلماني » كما لم ننقده علنا أيضا . ولكننا وضحنا ، مقابل رأيه الخاطىء ، الرأي الماركسي اللينيني في شكل ايجابي في مستنداتنا ومقالاتنا . وقمنا في نفس الوقت بالنضال الملائم والضروري ضد رأيه الخاطىء في المحادثات الداخلية الحزبية وفي الاجتماعات بين الأحزاب الشقيقة .

وقلنا بوضوح في تلخيصنا لخبرة الثورة الصينية ، في التقرير السياسي الذي قدمته اللجنة المركزية لحزبنا الى المؤتمر الوطني الثامن للحزب في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٥٦ :

« وبينما يعمل حزبنا من أجل الاصلاح بالطرق السلمية ، لا يسمح لنفسه بأن يفقد يقظته أو يتخلى عن سلاح الشعب . . . »

« ان الشعب ، على النقيض من الرجعيين ، ليس محبا للحرب . . . ولكن عندما يضطر الشعب الى حمل السلاح ، يصبح له كامل الحق في ذلك . ومعارضة الشعب في حمل السلاح ومطالبته بالرضوخ والتسليم أمام العدو المهاجم يعني السير على خط انتهازي. فهنا تصبح مسألة اتباع خط ثوري أم خط انتهازي مسألة كبرى تتعلق بما اذا كان على شعبنا البالغ عدده ٦٠٠ مليون أن يستولي على السلطة السياسية عندما تكون الظروف ناضجة أم لا . لقد اتبع حزبنا الخط الثوري والنتيجة في ذلك هي أن لدينا الآن جمهورية الصين الشعبية . »

وفيما يتعلق بهذه المسألة فان وجهات النظر الماركسية اللينينية

التي اتخذها المؤتمر الوطني الثامن للحزب الشيوعي الصيني كانت تعارض وجهات النظر التحريفية التي اعتنقها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي .

وفي ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٥٦ ، أوضحنا طريق ثورة أكتوبر بصورة ايجابية في مقال نشرناه بعنوان « مزيد من القول حول الخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا » ، وهكذا نقدنا في الحقيقة ما يسمى بالطريق البرلماني الذي وضعه خروشوف ليعارض به طريق ثورة أكتوبر .

وفي محادثات عديدة خاصة مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، نقد الرفاق القياديون في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني وجهات نظر خروشوف الخاطئة نقدا جديا . وتمنينا بكل اخلاص أن يصلح أخطاءه .

وعند اجتماع ممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية في عام ١٩٥٧ ، دخل وفد الحزب الشيوعي الصيني في مناظرة حادة مع وفد الحزب الشيوعي السوفياتي فيما يتعلق بمسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

وأشارت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في مسودتها الأولى للتصريح والتي قدمتها أثناء التحضير لاجتماع موسكو ، فقط الى امكانية الانتقال السلمي ولم تذكر شيئا حول احتمال الانتقال غير السلمي ؛ وأشارت الى الطريق البرلماني وحده ولم تذكر شيئا عن وسائل النضال الأخرى ، وفي نفس الوقت علقت الآمال في كسب سلطة الدولة بواسطة الطريق البرلماني على « الأعمال المتفق عليها بين الشيوعيين والاشتراكيين » . ولم يكن بوسع اللجنة المركزية

للحزب الشيوعي الصيني بالطبع أن توافق على كتابة هذه الأفكار الخاطئة التي تشط عن الماركسية اللينينية في الوثيقة المبرمجة لجميع الأحزاب الشيوعية والعمالية .

وبعد أن قدم وفد الحزب الشيوعي الصيني نقده ، قدمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي مسودة ثانية للتصريح . وبالرغم من اضافة بعض العبارات حول احتمال الانتقال غير السلمي اليها ، كانت صيغة ما ورد حول الانتقال السلمي فيها لم تزل تعكس الآراء التحريفية التي قدمها خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي .

لقد عبر وفد الحزب الشيوعي الصيني عن عدم موافقته على هذه الآراء الخاطئة بعبارات واضحة . وفي ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٧ ، وضح آراءه الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بطريقة منتظمة حول مسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، كما قدم اليها أيضا عرضا عاما كتابيا بهذا الصدد .

والنقاط الأساسية في عرضنا العام الكتابي كانت ملخصة كما يلي :

« يكون من المفيد تاكتيكيا الاشارة الى الرغبة في الانتقال السلمي ولكن من غير الملائم الافراط في التركيز على امكانية الانتقال السلمي . ومن الضروري الاستعداد في كل وقت من الأوقات لردع الهجمات المعادية للثورة ؛ والاطاحة ، في مفترق الثورة الحرج عندما تقوم الطبقة العاملة فعلا بالاستيلاء على سلطة الدولة ، بالبرجوازية بالقوة المسلحة اذا استخدمت البرجوازية

القوة المسلحة لكبت ثورة الشعب (ويتحتم عموما أن تلجأ البرجوازية لهذا) .

و تجب الافادة افادة كاملة من النضال البرلماني كشكل من أشكال النضال ، الاأن دوره محدود . والمهم للغاية هو السير بالعمل الشاق ، عمل تجميع القوى الثورية . ويجب ألا يفسر الانتقال السلمي بصورة تجعله يعني فقط الانتقال عن طريق أغلبية برلمانية . فالمسألة الأساسية هي مسألة جهاز الدولة ، وهي بالتحديد تحطيم جهاز الدولة القديم (وأساسا القوات المسلحة) واقامة جهاز دولة جديد (وأساسا القوات المسلحة) .

ان الأحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية ليست أحزابا اشتراكية . وفيما عدا أجنحة يسارية معينة فانها أحزاب برجوازية سياسية في قناع جديد . وموقفنا فيما يتعلق بقضية الثورة الاشتراكية يختلف اختلافا أساسيا عن موقف الأحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية . وهذا الاختلاف لايجب تغطيته بأي حال من الأحوال .

ان آراءنا هذه تساير الماركسية اللينينية مسايرة تامة .

ولم يستطع رفاق وفد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي معارضتها وقتذاك ، ولكنهم طلبوا منا مرارا أن نراعي حاجياتهم الداخلية ، وعبروا عن الأمل بأن تكون صياغة هذه المسألة في مسودة التصريح بصورة تظهر بعض الصلة بالصياغة التي وضعها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي .

لقد دحضنا الأفكار الخاطئة لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي وقدمنا عرضا عاما كتابيا يوضح آراءنا . ونظرا لهذا السبب ومن أجل النضال المشترك ضد العدو ، استجاب وفد الحزب الشيوعي الصيني للالتماس المتكرر من قبل رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي ووافق على أن تعتبر مسودة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المتعلقة بهذه المسألة أساسا بينما اكتفى بادخال تعديلات على بعض النقاط منها .

كان أملنا أن يستيقظ رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي بهذه المناظرة ويدركوا أخطاءهم ويصلحوها . ولكن على النقيض مما أملنا فيه ، لم يفعل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هذا .

وفي اجتماع الأحزاب الشقيقة عام ١٩٦٠ ، دخل وفد الحزب الشيوعي الصيني مرة أخرى في مناظرات حادة متكررة مع وفد الحزب الشيوعي السوفياتي حول مسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وقد كشفنا ونقدنا بصورة شاملة كاملة أفكار خروشوف التحريفية . وقد تمسك الجانبان ، الصيني والسوفياتي ، أثناء الاجتماع بموقفيهما ولم يكن الاتفاق ممكنا . وتمشيا مع الرغبة العامة التي أبدتها الأحزاب الشقيقة في وضع وثيقة مشتركة في الاجتماع ، قدم وفد الحزب الشيوعي الصيني تنازلا آخر في النهاية حول هذه المسألة ووافق على ادراج الصياغة الحرفية التي وردت في تصريح عام ١٩٥٧ بشأنها ، ووافق على ادراجها في بيان عام ١٩٦٠ ، وكان السبب أيضا هو مراعاة حاجيات قادة الحزب الشيوعي السوفياتي . وقد وزعنا في نفس الوقت في هذا الاجتماع عرضا عاما خاصا بآرائنا حول مسألة الانتقال السلمي

باسم الحزب الشيوعي الصيني بتاريخ ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٧ ، وأوضحنا أن مراعاتنا لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي فيما يتعلق بهذه المسألة ، هي آخر مراعاة لهم وسوف لا نكرر هذا مرة أخرى .

اذا نقدنا بعضُ الرفاق بأننا أخطأنا حين أبدينا تلك المراعاة لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي في ذلك الوقت ، فنحن على استعداد تام لقبول هذا النقد .

نظرا لأن صياغة مسألة الانتقال السلمي في التصريح والبيان كانت على أساس مسودات الحزب الشيوعي السوفياتي وهي في بعض أجزائها نفس الصياغة التي وضعها المؤتمر العشرون ، أصبحت في صياغة المسألة هذه بصورة عامة نواقص وأخطاء خطيرة ، حتى بالرغم من ترقيعها هنا وهناك . وبينما توضح الصياغة في الوثيقتين أن الطبقات الحاكمة لا تتخلى عن السلطة أبدا باختيارها ، تقول فضلا عن ذلك بأن سلطة الدولة يمكن كسبها في عدد من الأقطار الرأسمالية بدون حرب أهلية ؛ وبينما تقول بوجوب شن النضال الجماهيري الواسع بالاضافة الى النضال البرلماني لتحطيم مقاومة القوى الرجعية ، تقول أيضا بأن أغلبية غير متزعزعة يمكن الحصول عليها في البرلمان وهكذا يمكن تحويل البرلمان الى أداة لخدمة الشغيلة ؛ وبينما تشير الى الانتقال غير السلمي ، تمتنع عن التركيز على أهمية الثورة العنيفة باعتبارها قاعدة عامة . لقد استغل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي نقاط الضعف والأخطاء هذه التي جاءت في التصريح والبيان وتذرعوا بها لترويج تحريفية خروشوف .

يجب أن نعلن بمهابة أن الحزب الشيوعي الصيني ظل يتمسك بآرائه المختلفة عن الصياغة التي وردت في تصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ حول مسألة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . ولم يحدث أبدا أن أخفينا آراءنا . ونرى أنه ، مراعاة لمصلحة القضية الثورية للبروليتاريا العالمية وبغرض سد الطريق أمام المحرفين حتى لا يسيئوا استعمال هاتين الوثيقتين المبرمجتين للأحزاب الشقيقة ، من الضروري تعديل صياغة هذه المسألة في التصريح والبيان عن طريق المشاورات المشتركة بين الأحزاب الشيوعية والعمالية حتى تساير المبادىء الماركسية اللينينية الثورية .

وبهدف مساعدة القراء على الالمام بوجهات نظر الحزب الشيوعي الصيني بكاملها حول هذه المسألة ، نعيد نشر النص الكامل للعرض العام للآراء حول مسألة الانتقال السلمي الذي قدمه وفدنا الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٧ كملحق لهذا المقال (١) .

لقد أحرز نضال الأحزاب الماركسية اللينينية والماركسيين ضد تحريفية خروشوف في العالم في السنوات الثماني الماضية تقدما عظيما . فلقد عرفت أعداد متزايدة من الناس القسمات الحقيقية لتحريفية خروشوف . ومع ذلك ، ما زال قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يلجأون الى الخدع والمماحكة ، محاولين بجميع السبل ترويج سقط متاعهم .

---

(١) أنظر الملحق الأول لـ « أصل الخلافات وتطورها بين قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي وبيننا » .

ولهذا مازال من الضروري لنا أن ندحض سفسطة « الانتقال السلمي » .

السفسطة لا يمكن أن تبدل التاريخ

يشوه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مؤلفات ماركس ولينين علنا ، كما يشوهون التاريخ علنا أيضا ، لكي يستروا خيانتهم للماركسية اللينينية ويبرروا خطهم التحريفي .

انهم يجادلون قائلين : ألم يكن ماركس « يعترف بامكانية (الانتقال السلمي) في انجلترا وأميركا » ؟ (١) ان هذه الحجة في حقيقة الأمر استعاروها من المرتد كاوتسكي الذي استعمل نفس الأسلوب لتشويه وجهات نظر ماركس حتى يتمكن من معارضة الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا .

حقيقة أن ماركس قال في سبعينيات القرن التاسع عشر « ان العمال (في بلاد مثل الولايات المتحدة وبريطانيا) يمكنهم بلوغ هدفهم بالطرق السلمية » . ولكنه أكد في نفس الوقت أن هذا الاحتمال أمر شاذ . وقال « حتى اذا كان الحال كذلك ، علينا أن نعترف أيضا بأن القوة في معظم أقطار القارة يجب أن تستخدم كرافعة لثورتنا » (٢) . وأضاف قائلا : « دائما ما أظهرت البرجوازية الانجليزية استعدادها

---

(١) كوسينين وغيره : « أسس الماركسية اللينينية » .

(٢) « خطاب ماركس في اجتماع جماهيرى في أمستردام بعد اختتام مؤتمر الهيق » .

لقبول قرار الأغلبية طالما كانت تسيطر هي على احتكار الانتخابات . ولكن صدقوني انه ، عندما تجد هذه البرجوازية نفسها في جانب الأقلية فيما يتعلق بالمسائل التي تعتبرها ذات أهمية حيوية ، سيظهر هنا نوع جديد من حرب ملاك الرقيق . » (١)

قال لينين في نقده للمرتد كاوتسكي : « ان الحجة القائلة بأن ماركس قد افترض في سبعينيات القرن التاسع عشر امكانية الانتقال السلمي الى الاشتراكية في انجلترا وأميركا ما هي الا حجة مغالط ، أو اذا قلنا بصراحة ، هي حجة مخادع يتلاعب بالعبارات المقتطفة والمراجع . اذ أولا ، أن ماركس اعتبر هذا الاحتمال أمرا شاذا حتى في ذلك الوقت . وثانيا ، لم يكن الرأسمال الاحتكاري ، أي الاستعمار ، موجودا وقتذاك . وثالثا ، لم تكن في انجلترا وأميركا في ذلك الوقت عسكرية ، كما هو الحال الآن ، تخدم بصفتها الجهاز الرئيسي للدولة البرجوازية . » (٢)

وقال لينين ان الاستعمار ، بطبيعة خصائصه الاقتصادية الأساسية ، يتميز بـ« أدنى قدر من الصلة بالسلم والحرية ، وبأعظم قدر شامل لتطوير العسكرية » . ان « " العجز عن رؤية " هذا » أثناء مناقشة مسألة التغير السلمي أو العنيف معناه « النزول الى مستوى عميل سافل للبرجوازية أو شيء تابع لها » (٣) .

---

(١) ماركس : « محضر المحادثة بين كارل ماركس و مراسل صحيفة " العالم " » .

(٢) لينين : « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » .

(٣) نفس المصدر السابق .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعزفون اليوم نغمة كاوتسكي القديمة ، وما طبيعة هذا ان لم يكن انحطاطا الى مستوى فصيلة عميل سافل للبرجوازية ؟

ويلجأ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الى حجة أخرى هي : ألم يكن لينين « يقبل من ناحية المبدأ امكانية الثورة السلمية » ؟ (١) وهذه سفسطة أسوأ مما سبق .

كان رأي لينين لبعض الوقت بعد ثورة فبراير (شباط) ١٩١٧ « أن هذه الثورة في روسيا قد تكون ، بصورة خارجة على العادة ، ثورة سلمية » (٢) . وقد وصف هذه الثورة بأمر « خارج على العادة » نظرا للظروف الخاصة التي كانت موجودة آنذاك : « ان جوهر المسألة هو أن السلاح كان في أيادي الشعب ، ولم يحدث ضغط من الخارج على الشعب » (٣) . ولكن في يوليو (تموز) عام ١٩١٧ ، باشرت الحكومة البرجوازية المعادية للثورة القمع المسلح لجماهير الشعب وسالت دماء العمال والجنود في شوارع بتروغراد . وبعد هذا الحادث . أعلن لينين قائلا « لقد تلاشت بالتأكيد كل الآمال في تطور الثورة الروسية بصورة سلمية » (٤) . وفي أكتوبر (تشرين الأول) عام

---

(١) « نظرية لينين حول الثورة الاشتراكية والواقعة الراهنة » ، مجلة « الشيوعي » للاتحاد السوفياتي ، العدد ١٣ عام ١٩٦٠ .

(٢) لينين : « خطاب حول موقف الحكومة الموقتة » ألقي في مؤتمر السوفيات الأول لنواب العمال والجنود لعموم الروس .

(٣) لينين : « حول الشعارات » .

(٤) لينين : « الوضع السياسي » .

١٩١٧ ، قاد لينين والحزب البلشفي العمال والجنود بحزم الى القيام بانتفاضة مسلحة والاستيلاء على سلطة الدولة . وأوضح لينين في يناير (كانون الثاني) عام ١٩١٨ أن « النضال الطبقي . . . قد تحول الى حرب أهلية » (١) . وقد اضطرت الدولة السوفياتية الى شن حرب ثورية أخرى استمرت ثلاثة أعوام ونصف والى بذل تضحيات كبيرة حتى تمكنت بعد ذلك من تحطيم التمرد المعادي للثورة في الداخل وصد التدخل المسلح من الخارج معا . وحينذاك فقط تدعم انتصار الثورة . وقال لينين في عام ١٩١٩ : « لقد أحرز العنف الثوري نجاحات باهرة في ثورة أكتوبر » (٢) .

أما الآن فقد بلغت الوقاحة بقادة الحزب الشيوعي السوفياتي درجة تجعلهم يقولون ان ثورة أكتوبر « كانت ثورة غير دامية الى أبعد الحدود بين جميع الثورات » (٣) ، وانها « أنجزت بطريقة سلمية تقريبا » (٤) . ان مزاعمهم هذه تناقض حقائق التاريخ مناقضة تامة . وكيف يواجهون الشهداء الثوريين الذين ضحوا بدمائهم وأرواحهم لخلق أول دولة اشتراكية في العالم ؟

عندما نقول ان التاريخ العالمي لم يقدم حتى اليوم سابقة تدل

---

(١) لينين : « شخصية جاءت من العالم الآخر » .

(٢) لينين : « منجزات السلطة السوفياتية ومصاعبها» .

(٣) « لينين وعهدنا » ، مجلة « الشيوعي » للاتحاد السوفياتي ، العدد ٥ عام ١٩٦٠ .

(٤) خطاب ميكويان في جلسة المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، ١٦ فبراير (شباط) ١٩٥٦ .

على الانتقال السلمي من الرأسمالية الى الاشتراكية ، يخاتل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قائلين « توجد خبرة عملية تبرهن على انجاز الثورة الاشتراكية بالطرق السلمية » . ويقولون وهم يغمضون أعينهم عن رؤية كل الحقائق « لقد أسست ديكتاتورية البروليتاريا في هنغاريا في عام ١٩١٩ بالطرق السلمية » (١) .

فهل هذا صحيح ؟ كلا ، ليس كذلك ! ولننظر فيما قاله بيلا كون قائد الثورة الهنغارية بهذا الشأن .

لقد أسس الحزب الشيوعي الهنغاري في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩١٨ . وما ان أسس هذا الحزب الفتي حتى اندفع في النضال الثوري وأعلن أن شعار الثورة الاشتراكية هو « انزعوا سلاح البرجوازية ، وسلحوا البروليتاريا وأسسوا السلطة السوفياتية » (٢) . لقد عمل الحزب الشيوعي الهنغاري بنشاط في جميع الميادين لاحداث انتفاضة مسلحة . فقد سلح العمال ، وسعى لكسب القوات الحكومية العسكرية ولتنظيم الجنود المسرحين ، ونظم المظاهرات المسلحة ، وقاد العمال فطردوا رؤساءهم واحتلوا المصانع ، وقاد العمال الزراعيين للاستيلاء على الضياع الكبيرة ، ونزع سلاح ضباط الجيش والجنود والشرطة الرجعيين ، وجمع ما بين الاضرابات والانتفاضات المسلحة وهلم جرا .

ان الثورة الهنغارية في الحقيقة زاخرة بالنضال المسلح بمختلف

---

(١) « الماركسية اللينينية – أساس وحدة الحركة الشيوعية » ، مقال بقلم هيئة تحرير « الشيوعي » للاتحاد السوفياتي ، العدد ١٥ عام ١٩٦٣ .

(٢) بيلا . كون : « دروس حول الثورة البروليتارية الهنغارية » .

أشكاله وعلى مختلف نطقه . كتب بيلاكون ما يلي : « منذ أول يوم تأسس فيه الحزب الشيوعي حتى استلام السلطة ، ازداد قرب الصدامات المسلحة مع جهاز الدولة البرجوازي من بعضها على الدوام . ومنذ ١٢ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩١٨ عندما خرجت حامية بودابست المسلحة الى الشوارع متظاهرة ضد وزير الحرب في الحكومة الموقتة . . . لم يمر يوم واحد بالتقريب لم تكتب الصحافة فيه عن الصدامات الدامية بين العمال والجنود الثوريين من جهة والوحدات المسلحة لقوات الحكومة من الجهة الأخرى ، ولا سيما بينهم وبين قوات الشرطة . لقد نظم الشيوعيون عددا لا يحصى من الانتفاضات لا في بودابست وحدها بل في المقاطعات أيضا . » (١) ان قول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بأن الثورة الهنغارية كانت مثلا على الانتقال السلمي ما هو الا كذب صريح لا يعرف الخجل .

لقد ادعت الصحافة السوفياتية أن الحكومة البرجوازية الهنغارية آنذاك « استقالت من تلقاء نفسها » (٢) . وقد تكون هذه هي الحجة الوحيدة التي يرتكزون عليها . ولكن ما هي الحقائق ؟

كان رأي كارولئي رئيس الحكومة البرجوازية الهنغارية في ذلك الوقت واضحا تماما فيما يتعلق بهذه النقطة ، فقد صرح بالآتي : « لقد وقعت اعلانا يختص باستقالتي الشخصية وتحويل السلطة الى البروليتاريا ،

---

(١) بيلا . كون : «لماذا انتصرت الثورة البروليتارية في الهنغاريا » .

(٢) « كيف تتطور عملية الثورة العالمية » ، صحيفة « روسيا السوفياتية » ، أول أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

هذه السلطة التي قد سبق في الحقيقة أن استولت البروليتاريا عليها وأعلنت كسبها من قبل . . . وأنا لم أسلم السلطة الى البروليتاريا ، اذ أن البروليتاريا قد كسبت هذه السلطة فعلا من قبل لأنها شكلت جيشا اشتراكيا حسب خطة موضوعة . » ولهذا السبب أوضح بيلا كون أن القول بأن البرجوازية قد سلمت السلطة السياسية طائعة مختارة الى البروليتاريا ما هو الا « خرافة » خادعة (١) .

لقد هزمت ثورة عام ١٩١٩ الهنغارية . وقال لينين في تمحيص السبب الرئيسي لفشلها ان الخطأ القاتل الذي ارتكبه الحزب الشيوعي الهنغاري الناشىء كان عدم حزمه الى درجة كافية في ممارسة الديكتاتورية على العدو ، بل تردد في اللحظة الحرجة . وبالاضافة لهذا لم يتخذ الحزب الهنغاري خطوات صحيحة لمقابلة مطلب الفلاحين لحل مسألة الأرض ، ولهذا عزل نفسه عن الفلاحين . ومن الأسباب الهامة الأخرى لهزيمة الثورة أن الحزب الشيوعي الهنغاري كان قد اندمج في الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي الانتهازي .

وما يقوله قادة الحزب الشيوعي السوفياتي حين يدعون بعناد بأن الثورة الهنغارية في ١٩١٨ ـ ١٩١٩ كانت نموذجا « للانتقال السلمي » ما هو الا تشويه محض للتاريخ .

وبالاضافة لهذا يدعي قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن الطبقة العاملة التشيكوسلوفاكية « قد كسبت السلطة بالطريق السلمي » (٢) .

---

(١) بيلا. كون : « دروس حول الثورة البروليتارية الهنغارية » .

(٢) كلمة بريجينيف في المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ، ٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٢ .

وهذا تشويه باطل آخر للتاريخ .

لقد أسست سلطة الشعب الديمقراطية في تشيكوسلوفاكيا في مجرى الحرب ضد الفاشستية ، ولم تؤخذ « بصورة سلمية » من يد البرجوازية . فلقد قاد الحزب الشيوعي الجماهير خلال الحرب العالمية الثانية في حرب الأنصار والانتفاضات المسلحة ضد الفاشست ، وأباد قوات الفاشستية الألمانية وحكم عملائها في تشيكوسلوفاكيا بمساعدة الجيش السوفياتي ، وأسس حكومة ائتلافية تمثل الجبهة الوطنية . لقد كانت هذه الحكومة في طبيعتها ديكتاتورية ديمقراطية شعبية تحت قيادة البروليتاريا أي أنها كانت شكلا من أشكال ديكتاتورية البروليتاريا .

وفي فبراير (شباط) عام ١٩٤٨ ، تآمر الرجعيون في داخل تشيكوسلوفاكيا بمساندة الاستعمار الأميركي بتنظيم انقلاب معاد للثورة استعدادا للاطاحة بحكومة الشعب عن طريق التمرد المسلح . الا أن الحكومة بقيادة الحزب الشيوعي أرسلت قواتها المسلحة مباشرة ونظمت مظاهرات جماهيرية مسلحة ، وهكذا حطمت مؤامرة البرجوازية للعودة الى السلطة عن طريق التمرد المعادي للثورة . وتدل هذه الحقائق بوضوح على أن حادث فبراير (شباط) لم يكن انتزاع الطبقة العاملة السلطة السياسية « سلميا » من أيدي البرجوازية ، بل كان قمعا للانقلاب المعادي للثورة الذي نظمته البرجوازية ، هذا القمع الذي نظمته الطبقة العاملة عن طريق جهاز الدولة الذي كان تحت سيطرتها ولاسيما عن طريق قواتها المسلحة الخاصة بها .

قال قوتوالد في تلخيصه لحادث فبراير (شباط) : « لقد قلنا حتى قبل حادث فبراير (شباط) : ان أحد التغيرات الأساسية ،

بالمقارنة بالوضع ما قبل الحرب ، هو بالتحديد أن جهاز الدولة قد أصبح يخدم طبقات جديدة لا الطبقات الحاكمة السابقة . لقد أوضح حادث فبراير (شباط) أن جهاز الدولة بهذا المفهوم قد لعب دورا بارزا . » (١)

كيف اذن تعتبر الحقائق السالفة الذكر سابقات تدل على الانتقال السلمي ؟

قال لينين : « لجأ كاوتسكي الى كل هذه الحجج والسفسطة والتزييفات المفتعلة لفصل نفسه عن الثورة العنيفة ، ولاخفاء شططه عنها وتحوله الى سياسة العمال الليبرالية أي الى البرجوازية . » وأضاف « هذا جوهر المسألة . » (٢)

لماذا اذن شوه خروشوف بدون خجل مؤلفات ماركس ولينين ، وزيف التاريخ ، ولجأ الى المخادعة ؟ نقول مرة أخرى ، هذا جوهر المسألة .

الأكاذيب لاتحجب الواقع

ان الحجة الرئيسية التي يبرر بها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي خط « الانتقال السلمي » المعادي للثورة هي أن الظروف التاريخية قد تغيرت .

---

(١) خطاب قوتوالد في الدورة العامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ، ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ .

(٢) لينين : « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » .

أما فيما يختص بتقدير التغيرات التي طرأت على الظروف التاريخية منذ الحرب العالمية الثانية والنتائج التي تستخلص منها ، فان آراء الماركسيين اللينينيين تختلف اختلافا كليا عن آراء خروشوف .

يرى الماركسيون اللينينيون أن الظروف التاريخية قد تغيرت تغيرا جذريا منذ الحرب . ويظهر هذا التغير بصورة رئيسية في الازدياد العظيم في قوى الاشتراكية البروليتارية ، وفي الضعف العظيم الذي طرأ على قوى الاستعمار . فلقد ظهر منذ الحرب المعسكر الاشتراكي الجبار وسلسلة كاملة من الدول الوطنية المستقلة الجديدة الى حيز الوجود ، وتتابعت النضالات الثورية المسلحة واحدا اثر الآخر ، كما حدث مد جديد في الحركات الجماهيرية في الأقطار الرأسمالية وتوسع عظيم لصفوف الحركة الشيوعية العالمية . ان الحركة البروليتارية الاشتراكية الثورية العالمية ، والحركة الوطنية الديمقراطية الثورية في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية أصبحتا تيارين تاريخيين رئيسيين في العهد الحاضر .

أوضح الرفيق ماو تسي تونغ مرارا في الفترة المبكرة لما بعد الحرب أن ميزان القوى العالمي أصبح في صالحنا وليس في صالح العدو ، وأن هذا الوضع الجديد « قد أوجد امكانيات أوسع من ذي قبل لتحرر الطبقة العاملة والأمم المضطهدة في العالم ، كما فتح طريقا أكثر واقعية نحو هذا التحرر . » (١)

كما أوضح الرفيق ماو تسي تونغ أيضا : « ان منطق المستعمرين

---

(١) ماو تسي تونغ : « يا قوى العالم الثورية ، اتحدي لمقاومة العدوان الاستعماري ! »

وجميع الرجعيين في العالم هو خلق القلاقل ، ثم الفشل ، وخلق القلاقل مرة أخرى ، ثم الفشل مرة أخرى ، الى يوم فنائهم . هذا هو منطقهم عند معالجتهم لقضية الشعب ، ولا يفعلون أبدا ما يناقض هذا المنطق ، هذا قانون ماركسي . وعندما نقول ، " ان الاستعمار شرس " فانما نعني أن طبيعته لا يمكن أن تتغير ، وأن المستعمرين سوف لا يرمون بمدى الجزارين أبدا ، وأنهم سوف لا يصبحون أبدا آلهة للرحمة والعدل الى يوم فنائهم . » (١)

ان الماركسيين اللينينيين ، بالارتكاز على التغيرات التي طرأت على الظروف ما بعد الحرب والتي هي مؤاتية بالمزيد للثورة وبالارتكاز على قانون أن الاستعمار والرجعية سوف لا يغيران أبدا طبيعتهما ، يستخلصون نتائج مؤداها أن الثورة يجب أن تدفع الى أمام ، انهم يرون أنه لا بد من الافادة افادة كاملة من هذا الوضع المؤاتي ، وأنه على ضوء الظروف المحددة في الأقطار المختلفة يجب تطوير النضالات الثورية بحيوية ونشاط ، كما يجب التحضير لانتزاع النصر في الثورة .

الا أن خروشوف ، بحجة هذه التغيرات التي طرأت على ظروف ما بعد الحرب ، يصل الى نتيجة أنه تجب معارضة الثورة والغاؤها ، ويرى أنه ، نظرا للتغير الذي طرأ على ميزان القوى العالمي ، قد تغيرت طبيعة الاستعمار والرجعية ، وتغير قانون الصراع الطبقي ، وأصبح طريق ثورة أكتوبر العام والنظرية الماركسية اللينينية المتعلقة بالثورة البروليتارية قديمين فات أوانهما .

---

(١) ماو تسي تونغ : « اطرحوا أوهامكم واستعدوا للنضال » .

ان خروشوف وأمثاله ينشرون قصة كاحدى قصص ألف ليلة وليلة . ورأيهم « أن ظروفا ملائمة عالمية ومحلية تتهيأ الآن لتمكين الطبقة العاملة في عدد من الأقطار الرأسمالية من انجاز الثورة الاشتراكية بصورة سلمية . » (١)

وقالوا : « في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، لجأت البرجوازية الرجعية في عدد كبير من الأقطار الأوروبية ، وهي تطور وتحسن بلا انقطاع أجهزتها البوليسية البيروقراطية ، الى كبت الحركات الجماهيرية للشغيلة بصورة وحشية ، ولم تترك بذلك أي احتمال لاحراز الثورة الاشتراكية بالطريق السلمي . » ولكن حسب قولهم ، قد تغير هذا الوضع الآن (٢) .

وقالوا : « لقد حدثت في العلاقات بين القوى على المحيط العالمي تغيرات جذرية هي في صالح الاشتراكية » ، مما « شل تدخل الرجعية العالمية في الشئون الداخلية للبلدان التي تقوم بالثورة » (٣) و« هذا يقلل من احتمالات شن البرجوازية للحروب الأهلية » (٤) .

الا أن أكاذيب خروشوف وأمثاله لا يمكنها أن تحجب الواقع .

فلقد برزت منذ الحرب العالمية الثانية حقيقتان أولاهما أن المستعمرين

---

(١) « الحرب والثورة » ، مجلة « الشيوعي » للاتحاد السوفياتي ، العدد ٤ ، عام ١٩٦١ .

(٢) كوسينين وغيره : « أسس الماركسية اللينينية » .

(٣) « نظرية لينين حول الثورة الاشتراكية والوقت الراهن » ، مجلة « الشيوعي » للاتحاد السوفياتي ، العدد ١٣ ، عام ١٩٦٠ .

(٤) « الحرب والثورة » ، مجلة « الشيوعي » للاتحاد السوفياتي ، العدد ٤ ، عام ١٩٦١ .

والرجعيين يدعمون في كل مكان أجهزة استخدام العنف بغرض كبت الجماهير بقسوة وبلا رحمة ، والثانية هي أن الاستعمار بقيادة الولايات المتحدة يباشر تدخلاته المسلحة المعادية للثورة في كل جزء من أجزاء العالم .

لقد أصبحت الولايات المتحدة الأميركية الآن عسكرية أكثر من أي وقت مضى ، ولقد زادت عدد قواتها الى أكثر من مليونين وسبعمائة ألف جندي ، أي أحد عشر ضعفا بالمقارنة بعدد قواتها في عام ١٩٣٤ ، وتسعة أضعاف مجموع قواتها في عام ١٩٣٩ . كما أصبحت لديها أعداد كبيرة من المنظمات البوليسية والتجسسية الى درجة أن بعض كبار الرأسماليين الأميركيين اضطروا الى الاعتراف بأنها أصبحت الدولة الأولى في العالم في هذا الصدد ، وأنها فاقت ألمانيا الهتلرية الى حدود بعيدة .

لقد ازداد الجيش النظامي لبريطانيا من حوالي ربع مليون من الرجال في عام ١٩٣٤ الى أكثر من أربعمائة وعشرين ألفا في عام ١٩٦٣ ، كما ازدادت قوات الشرطة فيها من سبعة وستين ألفا في عام ١٩٣٤ الى سبعة وثمانين ألفا في عام ١٩٦٣ .

ولقد ازداد جيش فرنسا النظامي من ستمائة وخمسين ألفا في عام ١٩٣٤ الى أكثر من سبعمائة وأربعين ألفا في عام ١٩٦٣ ، كما ازدادت قوات شرطتها وقوات الأمن فيها من ثمانين ألفا في عام ١٩٣٤ الى مائة وعشرين ألفا في عام ١٩٦٣ .

ان بقية الأقطار الاستعمارية وحتى الأقطار الرأسمالية العادية لا تشذ فيما يتعلق بهذا التدعيم الواسع النطاق للقوات المسلحة والشرطة .

ان خروشوف يستخدم بحماس شعار نزع السلاح التام الشامل بغرض تخدير الجماهير . لقد ظل يرتله منذ سنوات خلت حتى الآن . الا أن الحقيقة الواقعية هي أنه لا يوجد حتى ظل لنزع السلاح التام الشامل . وفي كل مكان من المعسكر الاستعماري الذي تترأسه الولايات المتحدة ، يجد المرء اندفاعا تاما وشاملا للتسلح وتوسيعا وتدعيما لأجهزة الكبت العنيف .

فلماذا تدعم البرجوازية بهذا الشكل المسعور من قواتها المسلحة وشرطتها في وقت السلم ؟ وهل يعقل أن يكون غرضها أمرا غير كبت الحركات الجماهيرية للشغيلة في داخل البلاد ، بل هوايجاد ضمان لهم حتى يستولوا على سلطة الدولة بالطرق السلمية ؟ أولم ترتكب البرجوازية الحاكمة في السنوات التسع عشرة التي خلت منذ الحرب ما يكفي من الأعمال الوحشية باستخدام الجنود ورجال الشرطة لكبت العمال المضربين والجماهير الشعبية المناضلة من أجل حقوقها الديمقراطية ؟

لقد نظم الاستعمار الأميركي خلال السنوات التسع عشرة الماضية كتلا عسكرية وعقد معاهدات عسكرية مع ما يزيد على أربعين قطرا . كما أنشأ أكثر من ألفين ومائتي قاعدة عسكرية ومنشأة عسكرية في جميع أجزاء العالم الرأسمالي . ويزيد عدد قواته المسلحة المقيمة في الخارج على أكثر من مليون جندي . و« قيادته الهجومية » تشرف على ادارة قوة متحركة برية وجوية مشتركة هي على استعداد في جميع الأوقات لترسل الى أي مكان لكبت ثورة الشعب .

ولم يقتصر المستعمرون الأميركيون وغيرهم من المستعمرين خلال الأعوام التسعة عشر الماضية على تقديم كل عون الى الرجعيين في

مختلف البلدان لمساعدتهم على كبت الحركات الثورية للشعوب في بلدانهم بالذات ، بل دبروا ونفذوا بصورة مباشرة عددا كبيرا من أنواع العدوان والتدخل المسلحين المعاديين للثورة ، أي أنهم صدروا الثورة المعاكسة . لقد ساعد الاستعمار الأميركي تشيانغ كاي شيك ، على سبيل المثال ، على شن الحرب الأهلية في الصين ، وأرسل قواته الى اليونان وقاد الهجوم على مناطق الشعب اليوناني المحررة ، وشن الحرب العدوانية في كوريا ، وأنزل قواته في لبنان لتهديد الثورة في العراق ، وساعد وحث الرجعيين اللاوسيين على مد نطاق الحرب الأهلية ، ونظم ووجه ما يسمى بقوة تابعة للأمم المتحدة لكبت حركة الاستقلال الوطني في الكونغو ، ونظم الغزوات المعادية للثورة على كوبا . ومازال يكبت النضال التحرري لشعب جنوب الفيتنام . واستخدم القوة المسلحة منذ وقت قريب لكبت النضال العادل الذي خاضه شعب باناما للدفاع عن سيادته ، كما ساهم في التدخل المسلح في قبرص .

ان الاستعمار الأميركي لا يدبر باصرار أعماله لكبت جميع ثورات الشعوب وحركات التحرر الوطني والتدخل فيها وحسب ، بل يحاول أيضا التخلص من نظم الحكم البرجوازية التي تبدي بعض مظاهر الوطنية . وخلال السنوات التسع عشرة الماضية ، دبرت الحكومة الأميركية عددا كبيرا من الانقلابات العسكرية المعادية للثورة في عدد من أقطار آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، وحتى أنها استخدمت العنف لازاحة بعض الدمى ممن خلقتهم بنفسها من أمثال نغو دين ديم حالما وجدت أنهم لا يلائمون أغراضها : بالضبط كما يقول المثل « يُقتل الحمار حالما يعجز عن ادارة حجر الرحى » .

لقد برهنت الحقائق على أنه ، بغرض القيام بالثورة واحراز التحرر ، لا بد لجميع الشعوب والأمم المضطهدة من أن تعرف كيف تقابل الكبت العنيف الذي تلجأ اليه الطبقات الرجعية الحاكمة في بلدانها بالذات ، ليس هذا وحسب ، بل عليها أن تكون على أهبة الاستعداد لمقابلة التدخل المسلح من قبل الاستعمار ولا سيما من الاستعمار الأميركي . وبدون استعداد كهذا وبدون ردع العنف المعادي للثورة ردعا حازما باستخدام العنف الثوري كلما دعت الضرورة الى ذلك ، تصبح الثورة أمرا خارجا عن الموضوع ، ناهيك عن انتصارها .

واذا لم تدعم الأقطار التي كسبت استقلالها قواتها المسلحة ، واذا لم تستعد لمقابلة وردع العدوان والتدخل الاستعماريين المسلحين ، واذا لم تتمسك بسياسة خوض النضالات ضد الاستعمار ، سوف لا تتمكن من صيانة استقلالها الوطني ناهيك عن ضمان تقدم القضية الثورية .

وبودنا أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : طالما كنتم تتحدثون بهذه الطلاقة والسهولة عن القسمات الجديدة لوضع ما بعد الحرب فكيف تناسيتم عن عمد ذكر أهم قسمة وأوضحها الا وهي أن المستعمرين الأميركيين وغيرهم من المستعمرين يباشرون كبت الثورة في كل مكان ؟ انكم لا تكلون أبدا عن الحديث حول الانتقال السلمي ، ولكن لماذا لم تنبسوا مطلقاً ولو بكلمة واحدة توضحون بها للناس الأسلوب والطريقة اللذين يجب أن يتخذوهما لمقابلة الأجهزة المتضخمة للقمع العنيف التي كونها المستعمرون والرجعيون ؟ انكم تحجبون بدون خجل حقائق الكبت الوحشي الدموي الذي يمارسه المستعمرون والرجعيون

ضد حركات التحرر الوطني وضد الحركات الشعبية الثورية عن الأنظار ، وتنشرون الأوهام بأن الأمم والشعوب المضطهدة يمكنها أن تحرزا النصر بالطرق السلمية ، أليس من الواضح أنكم تحاولون شل يقظة الشعوب ، وتطييب خاطر الجماهير الحانقة الغاضبة وتهدئتها بالوعود الجوفاء بمستقبل ناصع البياض ، وتعارضون ثورتها ، وهكذا تتصرفون في الواقع كشركاء للاستعمار ورجعيي مختلف البلدان ؟

ومن الصالح ، فيما يتعلق بهذه المسألة ، أن نجعل جون فوستر دالاس الهالك ، الذي كان وزير خارجية الولايات المتحدة في الماضي ، معلما لنا بالأمثلة السلبية .

قال دالاس في خطاب ألقاه في ٢١ يونيو (حزيران) عام ١٩٥٦ ان كل الأقطار الاشتراكية حتى الآن قد تأسست بـ« استخدام العنف ». ثم قال « ان الحكام السوفيت يقولون الآن بأنهم سوف ينبذون استخدام العنف » ، « اننا نرحب بهذه التطورات وسوف نحث عليها » (١) .

كان دالاس ، بصفته حاميا أمينا للنظام الرأسمالي ، يدرك كل الادراك بالطبع الدور المهم الذي يلعبه العنف في الصراع الطبقي ، وفي الوقت الذي رحب فيه بنبذ خروشوف للثورة العنيفة ، أكد تأكيدا عظيما حاجة البرجوازية لتدعيم عنفها المعادي للثورة حتى تواصل حكمها وتحافظ عليه . وقال في خطاب آخر « ان الشيء الأساسي من بين جميع مهام الحكومة هو حماية رعاياها (يجب أن تُقرأ كـ « الطبقات

---

(١) خطاب دالاس في مؤتمر كيوانيس السنوي العالمي الواحد والأربعين ، ٢١ يونيو (حزيران) ١٩٥٦ .

الرجعية الحاكمة ») من العنف . . . لهذا السبب ، ففي كل مجموعة انسانية متمدينة ، يساهم الأفراد فيها في الحفاظ على قوة بوليسية كسلاح للقانون والنظام » (١) .

لقد صدق دالاس حين نطق بهذا . اذ أن الأساس السياسي لحكم الاستعمار وكل الرجعية ما هو الا « قوة بوليسية » . وطالما ظل هذا الأساس قائما بدون مساس ، يصبح كل ما عداه عديم الأهمية ويصبح حكم الاستعمار والرجعية غير متزعزع . وكلما حاول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي حجب حقيقة اعتماد البرجوازية على العنف لمواصلة حكمها وكلما زادوا من نشر خرافة الانتقال السلمي التي رحب بها دالاس ترحيبا حارا ، كشفوا عن قسماتهم الحقيقية ولونهم الحقيقي بصفتهم خلانا للمستعمرين في معارضتهم للثورة .

دحض « الطريق البرلماني »

ان فكرة « الطريق البرلماني » التي روج لها محرفو الأممية الثانية قد دحضها لينين دحضا تاما وأصبحت معيبة عديمة الاعتبار منذ مدة طويلة . الا أن الطريق البرلماني في نظر خروشوف يبدو كأنما فجأة أصبح ساري المفعول بعد الحرب العالمية الثانية .

فهل يتفق ذلك مع الواقع ؟ كلا بالطبع .

---

(١) خطاب دالاس في مأدبة الغداء التي أقامتها وكالة الاسوشيتد بريس يوم ٢٢ ابريل (نيسان) ١٩٥٧ .

لقد أوضحت الأحداث منذ الحرب العالمية الثانية مرة بعد أخرى أن العنصر الأساسي في جهاز الدولة البرجوازي هو القوة المسلحة لا البرلمان . وما البرلمان سوى حلية وستار الحكم البرجوازي . والخيار بين النظام البرلماني أو عدمه ، واعطاء البرلمان سلطة أعظم أم أقل ، واستخدام قانون انتخابي أو آخر ، دائما ما تمليه حاجيات الحكم البرجوازي ومصالحه . وطالما كانت البرجوازية تسيطر على الجهاز العسكري البيروقراطي ، اما أن يكون احراز البروليتاريا « أغلبية لا تتزعزع في البرلمان » عن طريق الانتخابات أمرا مستحيلا واما أن تكون هذه « الأغلبية التي لاتتزعزع » أغلبية لا يعتمد عليها . أما تحقيق الاشتراكية بواسطة « الطريق البرلماني » فهو أمر مستحيل تماما ولا يعدو أن يكون قولا أكثر خداعا .

ان حوالي نصف الأحزاب الشيوعية في الأقطار الرأسمالية مازالت أحزابا غير شرعية في نظر القانون وطالما كانت هذه الأحزاب تفقد المركز الشرعي فان مسألة كسب أغلبية برلمانية تصبح بالطبع أمرا خارجا عن الموضوع .

ان الحزب الشيوعي الاسباني ، على سبيل المثال ، يعيش في ظل الارهاب الأبيض وما من فرصة يخوض فيها الانتخابات . ومن السخافة والأمور المفجعة أن يظلع قادة شيوعيون اسبانيون من أمثال إباروري وراء خروشوف داعين معه الى ممارسة « الانتقال السلمي » في اسبانيا .

ومع بقاء كل الحظر الجائر الذي تفرضه القوانين الانتخابية البرجوازية في تلك الأقطار الرأسمالية حيث الأحزاب الشيوعية أحزاب شرعية في

نظر القانون ويمكنها أن تساهم في الانتخابات ، يصعب جدا عليها أن تكسب أغلبية الأصوات في ظل الحكم البرجوازي . وحتى اذا حصلت على أغلبية الأصوات ، يمكن للبرجوازية أن تحول بين الشيوعيين وبين الحصول على أغلبية المقاعد في البرلمان وذلك بتعديل القوانين الانتخابية أو بغير ذلك من الطرق .

لقد لجأ الرأسماليون الاحتكاريون الفرنسيون ، على سبيل المثال ، مرتين منذ الحرب العالمية الثانية الى تعديل القانون الانتخابي مما نتج عنه في كلا الحالتين انخفاض شديد في عدد المقاعد البرلمانية التي في يد الحزب الشيوعي الفرنسي . ففي الانتخابات البرلمانية في عام ١٩٤٦ ، كسب الحزب الشيوعي الفرنسي ١٨٢ مقعدا ، ولكن كانت نتيجة تعديل الرأسماليين الاحتكاريين لقانون الانتخابات في الانتخابات البرلمانية عام ١٩٥١ هي انخفاض عدد مقاعد الحزب الشيوعي الفرنسي الى ١٠٣ مقاعد ، أي أن الخسارة كانت ٧٩ مقعدا . وفي انتخابات عام ١٩٥٦ ، كسب الحزب الشيوعي الفرنسي ١٥٠ مقعدا ، ولكن قبل اجراء الانتخابات البرلمانية في عام ١٩٥٨ ، عدل الرأسماليون الاحتكاريون قانون الانتخابات مرة أخرى مما نتج عنه انحدار فظيع في عدد مقاعد الحزب الشيوعي الفرنسي الى عشرة مقاعد ، أي بخسارة ١٤٠ مقعدا .

وحتى اذا كسب حزب شيوعي ما في ظروف معينة أغلبية المقاعد البرلمانية أو اشترك في الحكومة نتيجة انتصار انتخابي ، سوف لا يستطيع تغيير طبيعة البرلمان البرجوازية أو طبيعة الحكومة البرجوازية ، ناهيك عن تحطيم جهاز الدولة القديم وبناء جهاز جديد . من المستحيل

تماما احداث تغيير اجتماعي أساسي بالاعتماد على البرلمانات أو الحكومات البرجوازية . وبمقدور البرجوازية الرجعية التي تسيطر على جهاز الدولة أن تعلن بطلان الانتخابات ، وتحل البرلمان ، وتبعد الشيوعيين من الحكومة ، وتعلن عدم شرعية الحزب الشيوعي ، وتلجأ الى القوة الغاشمة لكبت الجماهير والقوى التقدمية .

وفي عام ١٩٤٦ ، على سبيل المثال ، أيد الحزب الشيوعي في شيلي الحزب الراديكالي البرجوازي فكسب الأخير انتصارا انتخابيا وتشكلت حكومة ائتلافية بمساهمة الشيوعيين . وفي ذلك الوقت ، تمادى قادة الحزب الشيوعي في شيلي الى حد وصف هذه الحكومة التي كانت تسيطر عليها البرجوازية بأنها « حكومة ديمقراطية شعبية » . ولكن البرجوازيين أجبروهم في أقل من عام واحد على ترك الحكومة ، واعتقلوا الشيوعيين بالجملة ، وجعلوا الحزب الشيوعي خارجا على القانون في عام ١٩٤٨ .

عندما ينحط حزب عمالي فيصبح عميلا للبرجوازية ، قد تسمح له البرجوازية باحراز أغلبية في البرلمان وبتكوين الحكومة . وهذا هو الحال مع الأحزاب الاشتراكية ــ الديمقراطية البرجوازية في أقطار معينة . الا أن هذا لا يخدم الا في صيانة وتدعيم ديكتاتورية البرجوازية ، وليس بمقدوره أبدا ، ولو بأقل درجة كانت ، تبديل مركز البروليتاريا التي هي طبقة مضطهَدة ومستَغلة . ان حقائق مثل هذه تقدم مزيدا من الشواهد على افلاس الطريق البرلماني .

كما أوضحت الحقائق التاريخية أيضا منذ الحرب العالمية الثانية أن القادة الشيوعيين ، اذا آمنوا بالطريق البرلماني ووقعوا فريسة المرض

العضال لـ « هوس البرلمانية » ، سوف لا يصبحون خلاة الوفاض وحسب ، بل سيغرقون حتما في مستنقع التحريفية ويخربون بذلك القضية الثورية للبروليتاريا .

ودائما ما كان هناك خلاف أساسي بين الماركسيين اللينينيين من جانب والانتهازيين والمحرفين من الجانب الآخر حول الموقف الملائم الذي يجب اتخاذه تجاه البرلمانات البرجوازية .

ودائما ما كان رأي الماركسيين اللينينيين أنه ينبغي للحزب البروليتاري في ظروف معينة أن يساهم في النضال البرلماني وأن يستخدم منبر البرلمان لكشف الطبيعة الرجعية للبرجوازية لتعليم الجماهير مما يساعده على حشد القوى الثورية . ومن الخطأ رفض الافادة من هذا النوع القانوني من النضال عندما تدعو الحاجة الى ذلك . ولكن لا يجب أبدا على الحزب البروليتاري أن يجعل النضال البرلماني عوضا عن الثورة البروليتارية وبديلا لها ، أو تراوده الأحلام بأن الانتقال الى الاشتراكية يمكن تحقيقه بواسطة الطريق البرلماني . وعليه أن يركز الانتباه طوال الوقت على النضالات الجماهيرية .

قال لينين : « على حزب البروليتاريا الثورية أن يساهم في الشئون البرلمانية البرجوازية بغرض توعية الجماهير ، هذه التوعية التي يمكن حدوثها أثناء الانتخابات وفي الصراع بين الأحزاب في البرلمان . الا أن قصر الصراع الطبقي على الصراع البرلماني أو اعتبار الصراع البرلماني أرقى أشكال النضال وأحسمها مما يجعل جميع أشكال النضال الأخرى وقفا على الصراع البرلماني ، معناه بالفعل الهروب الى جانب

البرجوازية والسير ضد البروليتاريا . » (١)

واستنكر لينين محرفي الأممية الثانية لمطاردتهم ظل البرلمانية وتخليهم عن المهمة الثورية مهمة الاستيلاء على سلطة الدولة ، لأنهم حولوا الحزب البروليتاري الى حزب انتخابي ، الى حزب برلماني ، حزب ملحق بالبرجوازية وأداة للحفاظ على ديكتاتورية البرجوازية : ان خروشوف وأتباعه الذين يدعون الآن الى الطريق البرلماني لا ينتظرهم سوى نفس المصير الذي واجهه محرفو الأممية الثانية .

دحض « معارضة الانتهازية اليسارية »

لقد اختلقت الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي سلسلة من الأكاذيب عندما تطرقت الى مسألة الثورة البروليتارية ، فهي تزعم بأن الحزب الشيوعي الصيني يدعو الى « وضع شعار شن الثورة البروليتارية فورا » حتى اذا لم يكن هنالك وضع ثوري ، وأنه يدعو الى نبذ « النضال في سبيل حقوق الشغيلة الديمقراطية ومصالحهم الحيوية في البلدان الرأسمالية » (٢) وأنه يجعل النضال المسلح مسألة « مطلقة » (٣) وهكذا . وكثيرا ما يلصق قادة الحزب الشيوعي السوفياتي

---

(١) لينين : « انتخابات المجلس الدستوري وديكتاتورية البروليتاريا » .

(٢) رسالة مفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الى المنظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

(٣) « الماركسية اللينينية – أساس وحدة الحركة الشيوعية » ، مقال بقلم هيئة تحرير « الشيوعي » للاتحاد السوفياتي ، العدد ١٥ ، عام ١٩٦٣ .

بطاقات تحمل أشياء مثل « الانتهازية اليسارية » و « المغامرة اليسارية » و « التروتسكية » بالحزب الشيوعي الصيني .

وحقيقة الأمر أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يطلقون هذه الضوضاء بغرض ستر خطهم التحريفي الذي يعارض الثورة ويلغيها . وما يهاجمونه باعتباره « انتهازية يسارية » ما هو الا الخط الماركسي اللينيني الثوري .

ودائما ما كان رأينا أن الثورة لا تحدث فقط لمجرد الرغبة فيها ، بل ويستحيل حدوثها ما لم تكن هنالك ظروف ثورية موضوعية . الا أن نشوب الثورة وانتصارها لا يعتمدان على وجود الوضع الثوري الموضوعي وحسب ، بل يعتمدان أيضا على التحضيرات والجهود التي تبذلها القوى الثورية الذاتية .

وتنشأ المغامرة « اليسارية » اذا فشل الحزب البروليتاري في تقدير الظروف الموضوعية والقوى الذاتية للثورة تقديرا صحيحا ، وشن بتهور ثورة قبل نضوج الظروف الثورية . وتنشأ الانتهازية اليمينية أي التحريفية اذا لم يقم الحزب البروليتاري بتحضير نشط للثورة قبل نضوج الظروف الثورية ، أو لم يجرؤ على قيادة الثورة والاستيلاء على سلطة الدولة عندما يكون الوضع الثوري موجودا والظروف الثورية ناضجة لذلك .

ان المهمة الأساسية البالغة الأهمية للحزب البروليتاري ، الى أن يحين وقت الاستيلاء على سلطة الدولة ، هي التركيز على العمل الشاق لتجميع القوى الثورية . ويجب أن يكون الهدف الرئيسي من قيادة النضال اليومي قيادة نشطة هو بناء قوة ثورية بالتدريج و التحضير بغرض انتزاع النصر في الثورة عندما تنضج الظروف . على الحزب البروليتاري أن يستخدم الأشكال المختلفة من النضال اليومي لرفع

الوعي السياسي لدى البروليتاريا وجماهير الشعب ، ولتدريب القوى الطبقية الخاصة به ، ولصقل مقدرته الكفاحية ، وللتحضير للثورة من ناحية ايديولوجية وسياسية وتنظيمية وعسكرية . وبهذا وحده ، لا تفوت عليه فرصة الاستيلاء على النصر عندما تكون الظروف قد نضجت للثورة . وان لم يفعل الحزب البروليتاري هذا ، فانه سيفوت فرصة القيام بالثورة حتى ولو كان الوضع الثوري الموضوعي قائما .

الا أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بينما يؤكدون بلاكلل عدم الامكانية للقيام بالثورة في حالة انعدام الظروف الثورية ، يتجنبون مسألة الكيفية التي يقوم بها الحزب البروليتاري بالنضال اليومي الثوري ويجمع بها القوة الثورية قبل حلول الوضع الثوري . انهم في الحقيقة ينبذون مهمة بناء القوة الثورية بالتدريج والتحضير للثورة بحجة عدم وجود الوضع الثوري .

وصف لينين ذات مرة موقف المرتد كاوتسكي تجاه مسألة الوضع الثوري وصفا ممتازا اذ قال ، اذا حان الوضع الثوري « يصبح هو أيضا على استعداد ليكون ثوريا ! ولكن علينا أن نقول حينذاك ان كل وغد من الأوغاد . . . سوف يعلن أنه ثوري ! واذا لم يحن الوضع الثوري ، يدير كاوتسكي وجهه عن الثورة ! » وكما أوضح لينين فان كاوتسكي مثال طبق الأصل للسذج ، والفارق بين ماركسي ثوري وساذج هو أن الماركسي لديه الشجاعة على « اعداد البروليتاريا وجميع الجماهير الكادحة والمستغلة للثورة » (١) . وبوسع الناس أن يحكموا

---

(١) لينين : « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » .

بأنفسهم ما اذا كان خروشوف وأتباعه يضاهون السذج من أمثال كاوتسكي الذين استنكرهم لينين أم لا .

دائما ما كان رأينا أنه يجب على الأحزاب البروليتارية في الأقطار الرأسمالية أن تقود الطبقة العاملة والشغيلة الآخرين بنشاط في النضال ضد رأس المال الاحتكاري ، وللدفاع عن الحقوق الديمقراطية ، ولتحسين ظروف المعيشة ، ولمعارضة المستعمرين لزيادة التسلح والاعداد للحرب ، وللدفاع عن السلم العالمي ، ولمساندة النضالات الثورية التي تخوضها الأمم المضطهدة مساندة قوية .

وعلى الأحزاب البروليتارية في الأقطار الرأسمالية التي تتعرض لعدوان الاستعمار الأميركي وسيطرته وتدخله وارهابه أن ترفع عاليا الراية الوطنية لمعارضة الاستعمار الأميركي ، وأن توجه النضال الجماهيري في الأساس نحو الاستعمار الأميركي من جهة ونحو الكتل الرأسمالية الاحتكارية والقوى الرجعية المحلية الأخرى التي تخون المصالح الوطنية من جهة أخرى . عليها أن توحد جميع القوى التي يمكن توحيدها وتشكل جبهة متحدة ضد الاستعمار الأميركي وعملائه .

وفي السنوات الأخيرة ، ظلت الطبقة العاملة والشغيلة الآخرون في عدد كبير من الأقطار الرأسمالية يشنون نضالات جماهيرية واسعة لم توجه الضربات الى رأس المال الاحتكاري المحلي والقوى الرجعية الأخرى وحدها بل قدمت أيضا سندا قويا للنضالات الثورية التي خاضتها شعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ولبلدان المعسكر الاشتراكي . ودائما ما قدرنا هذه المساهمة حق قدرها .

على الشيوعيين وهم يقودون النضالات اليومية قيادة نشطة ، أن

يربطوا هذه النضالات بالنضال من أجل المصالح العامة والطويلة الأمد ، وأن يعلموا الجماهير في الروح البروليتارية الثورية ، وأن يرفعوا بلا انقطاع وعيها السياسي ويجمعوا القوة الثورية بغرض انتزاع النصر في الثورة عندما يحين الوقت لذلك . ورأينا هذا ينطبق انطباقا تاما على الماركسية اللينينية .

ان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، على النقيض من آراء الماركسيين اللينينيين ، ينشرون الاعتقاد بأن « المهام الديمقراطية والاشتراكية في الأقطار الرأسمالية العالية التطور ترتبط ببعضها البعض وتتداخل الى درجة يصعب معها رسم أي خط فاصل بينها » (١) . ويفعلون هذا بغرض وضع النضالات اليومية محل النضالات الطويلة الأمد ، ولوضع الاصلاحية محل الثورة البروليتارية .

قال لينين : « ما من اصلاح يدوم أويصبح حقيقيا وجادا اذا لم تسنده الأساليب الثورية لنضال الجماهير . » ان الحزب العمالي الذي « لا يجمع بين هذا النضال من أجل الاصلاحات وبين الأساليب الثورية لحركة العمال ، قد يتحول الى طائفة منعزلة وقد يبتر عن الجماهير ، و . . . هذا أكبر خطر يهدد انتصار الاشتراكية الثورية الحقيقية » (٢)

وقال لينين : « كل مطلب ديمقراطي . . . هو ، بالنسبة للعمال الواعين طبقيا ، ثانوي بالنسبة للمصالح الأعلى للاشتراكية » (٣) .

---

(١) « نظرية لينين حول الثورة الاشتراكية والوقت الراهن » ، مجلة « الشيوعي » للاتحاد السوفياتي ، العدد ١٣ ، عام ١٩٦٠ .

(٢) لينين : « الى أمين سر " عصبة الدعاية الاشتراكية " » .

(٣) لينين : « حول سخرية بالماركسية و"الاقتصادية الاستعمارية" » .

وبالاضافة لهذا اقتطف لينين مايلي عن انجلز في مؤلفه « الدولة والثورة » : ان نسيان الموقف الأساسي العظيم في غمرة المصالح الموقتة اليومية ، والنضال والسعي للنجاح الموقت بدون اعتبار للعواقب المستقبلة ، والتضحية بمستقبل الحركة لأجل حاضرها معناه انتهازية وانتهازية خطيرة فيما يتعلق بهذا .

لقد ارتكز لينين بالتحديد الى هذا ، عندما نقد كاوتسكي بـ « مدح الاصلاحية والاستسلام للبرجوازية الاستعمارية ، وبلومه الثورة واقلاعه عنها » (١) . وقال « ان البروليتاريا تكافح للاطاحة بالبرجوازية الاستعمارية بطريقة ثورية » بينما يكافح كاوتسكي « لـ " تحسين " الاستعمار عن طريق الاصلاح ، ولملائمته في الوقت الذي يستسلم فيه اليه » (٢) .

ان نقد لينين لكاوتسكي هو تصوير صحيح لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي اليوم .

دائما ما كان رأينا أنه لأجل قيادة الطبقة العاملة وجماهير الشعب في الثورة يقتضى أن يقدر حزب البروليتاريا على تملك كل أشكال النضال وعلى الجمع بين أشكال مختلفة من النضال حتى يتمكن بسرعة من احلال شكل محل الآخر تبعا لتغير ظروف النضال . وسوف لا يكون حزب البروليتاريا قاهرا لا يغلب في جميع الأحوال ان لم يتملك تماما جميع أشكال النضال مثل النضال السلمي والمسلح ، العلني

---

(١) لينين : « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » .

(٢) نفس المصدر السابق

والسري ، القانوني وغير الشرعي ، البرلماني والجماهيري ، كما عليه أن يتملك شكلي النضال المحلي والعالمي .

ان انتصار الثورة الصينية يعزى بالتحديد الى تملك الشيوعيين الصينيين تملكا تاما وبمهارة لجميع أشكال النضال ، بما يتماش مع الخصائص المحددة للثورة الصينية ، بعد أن تعلموا من الخبرة التاريخية للنضال الذي شنته البروليتاريا العالمية . وبالرغم من أن النضال المسلح كان هو الشكل الرئيسي في الثورة الصينية الاأن انتصار الثورة الصينية لما كان ممكنا بدون الافادة من أشكال النضال الأخرى .

في مجرى الثورة الصينية كافح الحزب الشيوعي الصيني في جبهتين ، فقد كافح ضد الانحراف اليميني نحو القانونية وكافح ضد الانحراف « اليساري » نحو عدم القانونية ، وربط بين النضال القانوني وغير القانوني ربطا صحيحا . وجمع على نطاق البلاد بأسرها وبصورة صحيحة بين النضال في مناطق القواعد الثورية وبين النضال في المناطق التي كانت تحت سيطرة الكومينتانغ ، بينما جمع بصورة صحيحة في المناطق التي كانت تحت سيطرة الكومينتانغ بين العمل العلني والسري ، وأفاد افادة تامة من الفرص القانونية والتزم بدقة بقوانين الحزب الخاصة بالعمل السري . لقد أنجبت الثورة الصينية أساليب معقدة ومتنوعة من النضال كانت تلائم ظروفها المحددة .

يدرك الحزب الشيوعي الصيني ادراكا تاما من خبرته العملية الطويلة بأنه من الخطأ رفض النضال القانوني وحصر عمل الحزب في حدود ضيقة مما يؤدي الى عزله عن الجماهير . الا أنه لا يجب على المرء أبدا أن يصبر على القانونية التي يروج لها المحرفون أو يتحملها .

اذ أن المحرفين يرفضون النضال المسلح وكل أنواع النضالات غير القانونية الأخرى ، وينغمسون فقط في النضال القانوني والنشاط القانوني ، ويحصرون عمل الحزب والنضال الجماهيري في النطاق الذي تسمح به الطبقات الحاكمة . انهم يحطون برنامج الحزب الأساسي وحتى أنهم ينبذونه وينبذون الثورة ويكيفون أنفسهم حتى يلائموا نظم القانون الرجعية ملاءمة تامة .

ان القانونية البرجوازية ، كما أوضح لينين في نقده بصورة صحيحة ، قد حطت من مركز المحرفين من أمثال كاوتسكي وجعلتهم متعفنين منذهلين . وقال « هكذا يبيعون حق البروليتاريا في الثورة نظير فتات لا يسمن ولا يغني من جوع قدم الى المنظمات التي يعترف بها قانون البوليس الراهن » (١) .

وبينما يتحدث قادة الحزب الشيوعي السوفياتي وأتباعهم عن استخدام جميع أشكال النضال يقفون في الحقيقة الى جانب القانونية ، وينبذون هدف الثورة البروليتارية متذرعين بأشكال النضال المتغيرة . وهذا معناه ، مرة أخرى ، استبدال اللينينية بالكاوتسكية .

دائما ما يستغل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مؤلف لينين العظيم « مرض " اليسارية " الطفولي في الحركة الشيوعية » بغرض تبرير خطهم الخاطىء حتى جعلوه « حجة » يشنون بها هجومهم على الحزب الشيوعي الصيني .

ولا جدوى من هذا بالطبع . ومؤلف لينين هذا ، كغيره من مؤلفاته ،

---

(١) لينين : « افلاس الأممية الثانية » .

يخدم فقط كسلاح في يد الماركسيين اللينينيين لمقاومة مختلف أنواع الانتهازية ولا يمكن أبدا أن يخدم كأداة تبرير للمحرفين .

وعندما نقد لينين مرض « اليسارية » الطفولي وطالب حزب البروليتاريا بأن يكون ماهرا في تطبيق التاكتيكات الثورية وأن يحضر بصورة أحسن للثورات ، كان قد انفصل في ذلك الوقت عن محرفي الأممية الثانية وأسس الأممية الثالثة .

وفي الحقيقة أن لينين كتب في هذا المؤلف أن العدو الأساسي في الحركة العمالية العالمية في ذلك الوقت كان هو الفصيلة الكاوتسكية من الانتهازية . وقد أكد مرارا أنه ما لم يتم الانفصال عن التحريفية سوف يصبح الحديث عن اجادة التاكتيكات الثورية أمرا لا محل له .

ان أولئك الرفاق الذين نقدهم لينين « ليساريتهم » الطفولية ، كانوا كلهم راغبين في الثورة ، بينما خروشوف محرف اليوم يقف ضدها ، ويجب درجه في نفس الفصيلة التي انتمى اليها كاوتسكى وليس لديه أي حق في الحديث عن مسألة مكافحة مرض « اليسارية » الطفولي .

ان أبطل الأشياء هي أن تلصق قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي طابع « التروتسكية » بالحزب الشيوعي الصيني . وفي الحقيقة أن خروشوف نفسه هو الذي ورث مخلفات التروتسكية وأصبح يقف مع تروتسكيي الوقت الحاضر .

ان التروتسكية تعبر عن نفسها بطرق مختلفة فيما يتعلق بمختلف المسائل ، ودائما ما ترتدي قناع « اليسارية المتطرفة الى أقصى الحدود » ، الا أن جوهرها هو معارضة الثورة والغاء الثورة .

وفيما يتعلق بالحقيقة الأساسية ــ حقيقة معارضة الثورة البروليتارية

وديكتاتورية البروليتاريا فان التروتسكية وتحريفية الأممية الثانية هما نفس الشيء في الأصل . وهذا هو السبب الذي دعا ستالين لتكرار القول بأن التروتسكية هي فصيلة من المنشفيكية ، هي الكاوتسكية والاشتراكية الديمقراطية وهي الفصيلة الهجومية للبرجوازية المعادية للثورة .

ان تحريفية خروشوف الراهنة هي في جوهرها أيضا تعارض الثورة وتلغيها . ولهذا فالنتيجة المنطقية الوحيدة هي أن تحريفية خروشوف ليست مصنوعة من نفس مادة الكاوتسكية وحسب بل تلتقي بالتروتسكية في مجرى واحد لمعارضة الثورة . ومن الأجدر لخروشوف أن يلصق طابع التروتسكية بنفسه .

خطان مختلفان ونتيجتان مختلفتان

ان التاريخ أعظم شاهد . ان خبرة غنية قد أحرزت في الحركة الشيوعية العالمية وفي النضالات الثورية التي خاضتها الشعوب منذ الحرب العالمية الثانية . وكانت هذه الخبرة نوعين – نوعا ناجحا والآخر فاشلا . ويلزم الشيوعيين والشعوب الثورية في كل الأقطار استخلاص النتائج الصحيحة من هذه الخبرة التاريخية .

ان الأقطار التي نجحت في القيام بثورات اشتراكية في أوربا الشرقية وآسيا وأميركا اللاتينية ، منذ الحرب ، يعزى سبب نجاحها في تلك الثورات الى أنها اتبعت الخط الماركسي اللينيني الثوري وطريق ثورة أكتوبر . وبالاضافة الى خبرة ثورة أكتوبر ، أصبحت الآن هناك خبرة ثورات الصين ، والأقطار الاشتراكية في أوربا الشرقية ، وكوريا ،

والفيتنام ، وكوبا . لقد أغنت الثورات الظافرة في هذه الأقطار الماركسية اللينينية وطورتها كما أغنت خبرة ثورة أكتوبر وطورتها .

ان جميع هذه الثورات ، بلا استثناء ، من الصين الى كوبا قد كسبت عن طريق النضال المسلح وبالكفاح ضد العدوان والتدخل الاستعماريين المسلحين .

لقد انتصر الشعب الصيني في ثورته بعد أن شن الحروب الثورية لمدة اثنتين وعشرين سنة بما فيها ثلاثة أعوام من حرب التحرر الشعبية ، ألحق فيها هزيمة تامة شاملة بطغمة تشيان كاي شيك الرجعية التي ساندها الاستعمار الأميركي بكل ما هو ممكن لديه .

ولقد خاض الشعب الكوري النضال الثوري المسلح ضد الاستعمار الياباني لمدة خمسة عشر عاما منذ ثلاثينيات القرن العشرين ، وأسس خلال هذا النضال قواته الثورية المسلحة ووسعها ، وأحرز النصر أخيرا بمساعدة الجيش السوفياتي . ولم يتوطد انتصار الثورة في جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بعد تأسيسها الا بعد ثلاثة أعوام من الحرب ضد عدوان الاستعمار الأميركي المسلح .

لقد استولى الشعب الفيتنامي على سلطة الدولة عن طريق انتفاضة أغسطس (آب) المسلحة في عام ١٩٤٥ ، ولم يكد يستولي على سلطة الدولة حتى خاض حربا للتحرر الوطني ضد الاستعمار الفرنسي استمرت لثمانية أعوام وسحق التدخل العسكري الذي قام به الاستعمار الأميركي ، وبعد ذلك فقط انتصر في شمال الفيتنام . ومازال شعب جنوب الفيتنام يشن الآن نضالا بطوليا ضد عدوان الاستعمار الأميركي المسلح .

وبدأ الشعب الكوبي انتفاضته المسلحة في عام ١٩٥٣ وخاض حربا

ثورية شعبية لأكثر من عامين ، وتمكن بعد ذلك من الاطاحة بحكم الاستعمار الأميركي في كوبا وحكم باتستا عميله الكوبي . وحطم الشعب الكوبي بعد انتصار ثورته الغزوات المسلحة التي قام بها المرتزقة للمستعمرين الأميركيين ، وصان بذلك ثمار ثورته .

هذا قد تم تأسيس الأقطار الاشتراكية الأخرى أيضا عن طريق النضال المسلح .

فما هي الخبرة الرئيسية التي تستخلص من نجاح الثورات البروليتارية في هذه الأقطار التي تمتد من الصين الى كوبا بعد الحرب العالمية الثانية ؟

أولا : ان الثورة العنيفة هي قاعدة عامة للثورة البروليتارية . وعلى البروليتاريا أن تخوض النضال المسلح وتحطم جهاز الدولة القديم وتؤسس ديكتاتورية البروليتاريا حتى تحقق الانتقال الى الاشتراكية .

ثانيا : ان الفلاحين هم الحلفاء الذين تعتمد عليهم البروليتاريا أعظم الاعتماد . وعلى البروليتاريا أن تتكل على الفلاحين كل الاتكال ، وأن تؤسس جبهة موحدة واسعة قائمة على أساس التحالف بين العمال والفلاحين ، وأن تصر على قيادة البروليتاريا في الثورة .

ثالثا : ان الاستعمار الأميركي هو العدو الرئيسي لثورة الشعوب في جميع الأقطار . وعلى البروليتاريا أن ترفع عاليا الراية الوطنية لمعارضة الاستعمار الأميركي وعليها أن تتذرع بالشجاعة لكي تكافح بعزيمة راسخة ضد المستعمرين الأميركيين وعملائهم في بلادها .

رابعا : ان ثورة الأمم المضطهدة هي حليف لا غنى عنه للثورة البروليتارية . وعلى عمال كل الأقطار أن يتحدوا ، كما عليهم أن يتحدوا مع جميع الأمم المضطهدة وجميع القوى المعارضة للاستعمار وعملائه

ليشكلوا جبهة موحدة عالمية واسعة .

خامسا : لا بد من وجود ثوري للقيام بالثورة . وانتصار الثورة البروليتارية وانتصار ديكتاتورية البروليتاريا مستحيلان بدون حزب ثوري بروليتاري يؤسس وفقا للنظرية والأسلوب الثوريين الماركسيين اللينينيين ، وهذا الحزب لا يقبل المصالحة مع التحريفية والانتهازية كما يتخذ الموقف الثوري تجاه الطبقات الرجعية الحاكمة وسلطة دولتها .

والاصرار على النضال الثوري المسلح في الدرجة الأولى من الأهمية لا للثورة البروليتارية وحسب ، بل للثورة الوطنية الديمقراطية التي تقوم بها الأمم المضطهدة أيضا . ولقد ضرب انتصار حرب التحرر الوطني التي خاضها الشعب الجزائري مثلا حسنا في هذا الصدد .

لقد دل تاريخ الأحزاب البروليتارية قاطبة منذ الحرب على أن الأحزاب التي اتبعت الخط الثوري واتخذت الاستراتيجية الصحيحة والتكتيكات الصحيحة وقادت الجماهير بحيوية ونشاط لخوض النضالات الثورية ، لا بد أن تتمكن من دفع القضية الثورية الى الأمام خطوة فخطوة نحو النصر ، ولا بد من أن تنمو قوتها بحيوية عظيمة . كما دل هذا التاريخ على أن كل الأحزاب التي اتبعت خطا انتهازيا غير ثوري وقبلت خط خروشوف — خط « الانتقال السلمي » ، لا بد أن تلحق ضررا بالغا خطيرا بالقضية الثورية ، وتحول نفسها الى أحزاب اصلاحية عديمة الحيوية ، أو تتحلل تماما وتنحط حتى تصبح أدوات تستخدمها البرجوازية ضد البروليتاريا . والأدلة على هذا ليست قليلة .

لقد كان رفاق الحزب الشيوعي العراقي في الماضي مليئين بالحماس الثوري . الا أنه فرض عليهم قبول خط خروشوف التحريفي بواسطة

الضغط الخارجي وفقدوا يقظتهم تجاه الثورة المضادة . وضحى أثناء الانقلاب المسلح المعادي للثورة رفاق قياديون بأرواحهم ببطولة ، وقتل آلاف من الشيوعيين والثوريين العراقيين بصورة وحشية ، وتشتت شمل الحزب الشيوعي العراقي الذي كان منيعا وقويا ، وأصيبت القضية الثورية العراقية بنكسة خطيرة . ان هذا درس مفجع في تاريخ الثورة البروليتارية ، انه لدرس كتب بالدماء .

أما قادة الحزب الشيوعي الجزائري فقد استجابوا كل الاستجابة لعصا ارشاد خروشوف وقادة الحزب الشيوعي الفرنسي وقبلوا الخط التحريفي المعارض للنضال المسلح قبولا تاما . الا أن الشعب الجزائري رفض الاصغاء الى هذا الترهات الممجوجة وكافح بشجاعة ضد الاستعمار من أجل الاستقلال الوطني وشن حربا تحررية وطنية لأكثر من سبعة أعوام وأجبر الحكومة الفرنسية أخيرا على الاعتراف باستقلال الجزائر . الا أن الحزب الشيوعي الجزائري الذي تبع الخط التحريفي لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد فقد ثقة الشعب الجزائري كما فقد مركزه في الحياة السياسية الجزائرية .

وخلال الثورة الكوبية ، رفض قادة الحزب الشعبي الاشتراكي اتباع الخط الماركسي اللينيني الثوري ، خط النضال المسلح الثوري الصحيح واتبعوا على النقيض من ذلك خط خروشوف التحريفي فدعوا الى « الانتقال السلمي » وعارضوا الثورة العنيفة . وفي هذه الظروف ، حق للماركسيين اللينينيين في خارج الحزب الكوبي وفي داخله ، الذين يمثلهم الرفيق كاسترو ، أن يتجاهلوا أولئك القادة الذين عارضوا الثورة العنيفة فاتحدوا مع الشعب الكوبي الثوري وقاموا بالثورة وكسبوا أخيرا انتصارا ذا مغزى تاريخي عظيم .

ان قادة معينين من قادة الحزب الشيوعي الفرنسي يمثلهم توريز ، قد ظلوا يسيرون على خط تحريفي منذ مدة بعيدة ، وروجوا « للطريق البرلماني » مستجيبين لعصا ارشاد خروشوف ، وأنزلوا الحزب الشيوعي بالفعل الى مستوى حزب اشتراكي ديمقراطي . انهم امتنعوا عن تأييد المطامح الثورية لدى الجماهير الشعبية تأييدا نشطا ، وطووا الراية الوطنية لمعارضة الاستعمار الأميركي . وكانت نتيجة اتباعهم لهذا الخط التحريفي هي أن الحزب الشيوعي الذي كان في يوم من الأيام يتمتع بنفوذ عظيم بين الشعب ، أصبح معزولا بصورة متزايدة عن الجماهير ويتدهور أكثر وأكثر.

ان قادة معينين من قادة الحزب الشيوعي الهندي يمثلهم دانجي ، قد ساروا منذ وقت بعيد على خط تحريفي ، ونكسوا راية الثورة وامتنعوا عن قيادة الجماهير في نضالاتها الوطنية الديمقراطية الثورية . وانزلقت طغمة دانجي أكثر وأكثر في طريق التحريفية المنحدر وانحطت فأصبحت شرذمة من التعصبيين القوميين وأداة يستخدمها كبار ملاك الأراضي والبرجوازيين الهنود لتنفيذ سياساتهم الرجعية ، وأصبحت مرتدة عن البروليتاريا .

ويبرهن هذا السجل على أن الخطين المختلفين اختلافا أساسيا يقودان الى نتيجتين تختلفان اختلافا أساسيا . ان كل هذه الدروس جديرة بفحص دقيق .

من براودر وتيتو الى خروشوف

ان لتحريفية خروشوف أسبابا تاريخية واجتماعية عميقة وتحمل طابع العصر . وكما قال لينين ، فان « الانتهازية ليست أمرا عرضيا ،

وليست اثما أو هفوة أو خيانة يرتكبها أفراد ، بل هي النتاج الاجتماعي لحقبة تاريخية بأكملها » (١) .

لقد أنتجت الحركة الشيوعية العالمية أثناء تقدمها العظيم منذ الحرب العالمية الثانية ، نقيضها من بين صفوفها ، وهذا النقيض هو تيار التحريفية المضاد الذي يعارض الاشتراكية والماركسية اللينينية و الثورة البروليتارية . وقد مثل هذا التيار بصورة رئيسية براودر ، وأعقبه تيتو ، ثم أعقبه الآن خروشوف . وما تحريفية خروشوف سوى مواصلة وتطوير للبراودرية والتيتوية .

بدأ براودر يكشف عن تحريفيته حوالي عام ١٩٣٥ . فقد بجل الديمقراطية البرجوازية وألـّهها ، وتخلى عن كل نقد ضروري للحكومة البرجوازية واعتبر ديكتاتورية البرجوازية أمرا جميلا للشيوعيين وأصبح شعاره « الشيوعية هي جعل القرن العشرين متأمركا » (٢) .

وأصبح براودر ، بعد تأسيس الجبهات الموحدة ضد الفاشستية على الصعيدين العالمي والمحلي خلال الحرب العالمية الثانية ، مهووسا بـ « الديمقراطية » و« التقدم » و« الحكمة » البرجوازية ، وذلل نفسه أمام البرجوازية وانحط فأصبح استسلاميا قلبا وقالبا .

لقد روج براودر لطقم كامل من وجهات النظر التحريفية التي تجمل البرجوازية وتعارض الثورة وتلغيها .

لقد أعلن أن « تصريح طهران » الذي وقعه الاتحاد السوفياتي والولايات

---

(١) لينين : « افلاس الأممية الثانية » .

(٢) أنظر « تاريخ الحزب الشيوعي الأميركي » الذي كتبه ويليام فوستر .

المتحدة وبريطانيا فتح عهدا « للثقة والتعاون الطويلي الأمد » بين الرأسمالية والاشتراكية ومن شأنه أن يضمن « سلما مستقرا جيلا بعد جيل »(١) .

ونشر الاعتقاد بأن الاتفاقيات الدولة التي وقعها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا تمثل « أعظم المصالح الحيوية لكل أمة وكل شعب في العالم بلا استثناء » (٢) . وأن أي فوضى داخلية بعد ذلك سوف « تجافي مستقبل النظام في العالم » ولهذا كان رأيه هو أنه من الضروري معارضة « الانفجارات التي تحدث نتيجة النزاع الطبقي » في داخل البلاد و« التقليل الى أبعد الحدود » من الصراع الطبقي الداخلي و« وضع حد معين لا يتخطاه » هذا الصراع (٣) .

ونشر الرأي القائل بأن حربا جديدة ستكون « كارثة حقيقية تحطم جزءا كبيرا من العالم » ، وقد « ترمي . . . بمعظم العالم الى الوحشية لخمسين أو مائة سنة » ، وأنه من الضروري « التركيز على وجود اتفاقيات تتعدى حدود كل الفوارق الطبقية » حتى تمكن ازالة كوارث الحرب (٤).

وقد دعا الى تحقيق الاشتراكية بـ « الاعتماد كليا على الاقناع الديمقراطي والايمان » (٥) وأعلن أن أقطارا معينة بعد الحرب العالمية الثانية « كسبت الظروف الملائمة التي يمكن أن يحدث فيها انتقال سلمي

---

(١) براودر : « طهران : طريقنا في الحرب والسلم » .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) براودر : « طهران وأميركا » .

(٤) براودر : « الشيوعيون والوحدة الوطنية » .

(٥) براودر : « طريق النصر » .

الى الاشتراكية » (١) .

وأنكر الدور المستقل للأحزاب البروليتارية وأعلن أن « الأهداف السياسية العملية » للشيوعيين « سوف تكون ، في جميع النقاط الأساسية ولوقت طويل ، على اتفاق مع أهداف عدد من اللاشيوعيين يفوق عدد الشيوعيين بحدود عظيمة » (٢) .

ومسترشدا بهذه الأفكار حل الحزب الشيوعي الأميركي .

ولقد قادت تحريفية براودر لحين من الوقت القضية الثورية للبروليتاريا الأميركية الى حافة الهاوية ، وسممت الأحزاب البروليتارية في بعض الأقطار الأخرى بسم التصفية .

لقد عارض عدد كبير من الشيوعيين الأميركيين ، وعلى رأسهم الرفيق ويليام فوستر ، خط براودر التحريفي كما رفضته ودحضته أحزاب شقيقة كبيرة . الا أن الحركة الشيوعية العالمية ككل لم تنقد الاتجاه التحريفي الذي كانت تمثله البراودرية نقدا شاملا ولم تحاسبه حسابا عسيرا . وتطور الاتجاه التحريفي في الظروف الجديدة بعد الحرب مرة ثانية بين صفوف الشيوعيين في أقطار معينة .

لقد ظهر أولا نمو الاتجاه التحريفي في الأقطار الرأسمالية في حقيقة أن قادة أحزاب شيوعية معينة قد تخلوا عن الخط الماركسي اللينيني الثوري واحتضنوا خط « الانتقال السلمي » . ونظرية تولياتي ، نظرية «الاصلاح في التركيب » ، التي تدعو الى احراز البروليتاريا لقيادة الدولة بالأساليب

---

(١) براودر : « الشيوعية العالمية وسياسة الولايات المتحدة الخارجية » .

(٢) براودر : طهران : طريقنا في الحرب والسلم » .

القانونية التي تهيئها الديمقراطية البرجوازية والى تحقيق التحول الاشتراكي للاقتصاد الوطني عن طريق « التأميم » و« التخطيط » اللذين يخدمان مصالح رأس المال الاحتكاري هي مثال طبق الأصل لهذا الخط . ومن الممكن تبعا لهذا الخط ، اقامة علاقات اشتراكية جديدة للانتاج وتحقيق الانتقال الى الاشتراكية بدون تحطيم جهاز الدولة البرجوازي . وهذا يعني في الحقيقة جعل الشيوعية تنحط حتى تصبح اشتراكية — ديمقراطية .

ولقد ظهر الاتجاه التحريفي في الأقطار الاشتراكية أول الأمر في يوغوسلافيا . ان الاستسلام للاستعمار الأميركي هو ميزة هامة لتحريفية تيتو . فلقد باعت طغمة تيتو نفسها جسما وروحا للاستعمار الأميركي ، وهي لم تعد الرأسمالية وحسب الى يوغوسلافيا بل أصبحت أداة استعمارية لتحطيم المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية ، وهي تلعب دور فصيلة خاصة للاستعمار الأميركي لنسف الثورة العالمية .

ولخدمة الاستعمار الأميركي ولمعارضة الثورة البروليتارية والغائها ، زعمت طغمة تيتو علنا أن الثورة العنيفة قد « ازداد عدم جدواها كوسيلة لحل التناقضات الاجتماعية » (١) ، و« ان عملية التطور التدريجي نحو الاشتراكية » عن طريق البرلمان البرجوازي « لم تعد ممكنة وحسب ، بل أصبحت حقيقة واقعية » (٢) . وهي تضع الرأسمالية بالفعل على قدم المساواة مع الاشتراكية ، زاعمة أن عالم اليوم « ككل قد "انغمس"

---

(١) ي . كوسانوفيتش : « المادية التاريخية » .

(٢) أدفارد كاردل : « الديمقراطية الاشتراكية في التطبيق في يوغوسلافيا » .

بعمق في الاشتراكية وأصبح اشتراكيا » (١) كما تقول « ان المسألة ــ مسألة الاشتراكية أم الرأسمالية ــ هي مسألة قد حلت على نطاق عالمي »(٢).

ان تحريفية براودر ونظرية الاصلاح في التركيب وتحريفية تيتو قد أصبحت كلها مظاهر رئيسية للاتجاه التحريفي منذ الحرب العالمية الثانية .

وقد أصبح خط خروشوف التحريفي خط « الانتقال السلمي » و« التعايش السلمي » و« المباراة السلمية » ، منتظما مكتملا بين المؤتمر العشرين والمؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي . وقد ظل يروج لهذه البضاعة المغشوشة في كل مكان مناديا بأنها « خلق جديد » . الا أنها ليست شيئا جديدا ، وما هي الا خليط أعيد خلقه ومبهرج من التحريفية البراودرية ونظرية الاصلاح في التركيب والتحريفية التيتوية . وتمارس تحريفية خروشوف الاستسلام للاستعمار الأميركي في العلاقات الدولية ، كما تمارس الاستسلام للطبقات الرجعية الحاكمة في الأقطار الاستعمارية والرأسمالية ، بينما تحث على تطوير القوى الرأسمالية في الأقطار الاشتراكية .

واذا ما نظرنا الى برنشتاين وكاوتسكي وغيرهما من محرفي الأممية الثانية حوالي فترة الحرب العالمية الأولى باعتبارهم ينتمون الى عائلة واحدة وسلالة واحدة لأدركنا أن نفس النظرة تنطبق على براودر وتيتو وخروشوف

---

(١) م . تودوروفيتش : « حول تصريح خاص بالعلاقات بين رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف والحزب الشيوعي السوفياتي » .

(٢) م . بيروفيتش : « الاقتصاد السياسي » .

بعد الحرب العالمية الثانية .

لقد أوضح براودر هذه النقطة جيدا عندما كتب في عام ١٩٦٠ ، « لقد اعتنق خروشوف الآن "البدعة" التي طردت أنا بسببها من الحزب الشيوعي في عام ١٩٤٥ » . وأضاف قائلا ان سياسة خروشوف الجديدة « هي تقريبا باللفظ نفس الخط الذي دعوت له قبل خمسة عشر عاما . وهكذا أصبحت جريرتي – على الأقل في الوقت الحاضر – هي المذهب الصحيح الجديد » (١) .

لقد اعترف خروشوف بنفسه هو وطغمة تيتو « ينتمون الى نفس الفكرة وترشدهم نفس النظرية » .

وجوهر المسألة هو أن تحريفية خروشوف هي أكثر سما من تحريفية برنشتاين وكاوتسكي وبراودر وتيتو . والسبب في ذلك هو أن الاتحاد السوفياتي أول دولة اشتراكية وقطر كبير في المعسكر الاشتراكي وهو مسقط رأس اللينينية ، وأن الحزب الشيوعي السوفياتي حزب كبير خلقه لينين وهو يتمتع في الحركة الشيوعية العالمية بمركزمحترم كونه التاريخ. ويستغل خروشوف مركزه بصفته قائد الحزب الشيوعي السوفياتي والاتحاد السوفياتي لكي يدفع خطه التحريفي باصرار .

لقد وصف خطه التحريفي بأنه خط « لينيني » ، ويستغل هيبة لينين العظيم وهيبة الحزب البلشفي العظيم بغرض خلق الفوضى في عقول الناس وخداعهم .

وظل خروشوف وهو يستغل هذه الهيبة الموروثة للحزب الشيوعي

---

(١) براودر : «كيف دمر ستالين الحزب الشيوعي الأميركي » .

السوفياتي ومركز حزب كبير وقطر كبير ، يلوح بعصا ارشاده ويستخدم كل أنواع الاجراءات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية لكي يجبر الآخرين على قبول خطه التحريفي .

وبالتمشي مع سياسة المستعمرين لشراء الارستقراطية العمالية الى جانبهم ، ظل هو أيضا يشتري شيوعيين مبرجزين معينين خانوا الماركسية اللينينية في الحركة الشيوعية العالمية الى جانبه وظل يحثهم ويدفعهم للتصفيق للخط المعادي للثورة الذي انتهجه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ولخدمة هذا الخط .

وهذا هو السبب في أن خروشوف قد فاق جميع المحرفين القدامى والمعاصرين .

ان المصدر الاجتماعي للتحريفية المعاصرة ، كما جاء في تصريح عام ١٩٥٧ ، هو التسليم للضغط الاستعماري الخارجي وقبول التأثير البرجوازي الداخلي .

والمحرفون المعاصرون ، شأنهم شأن المحرفين القدامى ، تنطبق أوصافهم على الأوصاف التي ذكرها لينين حين قال « ... هم من ناحية موضوعية فصيلة سياسية تابعة للبرجوازية ... اذ أنهم يوصلون نفوذها للآخرين ، وهم عملاؤها في حركة العمال » (١) .

ان الأسس الاقتصادية لظهور التحريفية المعاصرة ، شأنها شأن التحريفية القديمة ، كما قال لينين هي « جزء بسيط من "القسم الأعلى" من الحركة العمالية » (٢) .

---

(١) لينين : « افلاس الأممية الثانية » .

(٢) لينين : « الانتهازية وافلاس الأممية الثانية » .

ان التحريفية المعاصرة هي نتاج سياسات الاستعمار ورأس المال الاحتكاري العالمي وتقف الولايات المتحدة على رأس كل منهما . والمحرفون المعاصرون الذين أفزعتهم سياسة الابتزاز النووي وأفسدتهم سياسة الرشوة والشراء يخدمون الآن كمخالب وأدوات للاستعمار الأميركي وعملائه في معارضتهم للثورة .

وخروشوف المحرف أيضا أطارت صرخات الحرب الهستيرية التي التي يطلقها المستعمرون الأميركيون ، لبه هلعا ، فهو يعتقد أن الأرض ، « سفينة نوح » ، مهددة بالدمار في أي لحظة ، وفقد تماما كل ثقة في مستقبل البشرية . وانطلاقا من أنانيته القومية يخشى أن تخلق ثورات الطبقات والأمم المضطهدة له المتاعب وتورطه . ولهذا يحاول معارضة كل ثورة بجميع السبل ، وكما فعل في الكونغو ، لا يتردد في المساهمة مع الاستعمار الأميركي في القضاء على أي ثورة شعبية . ويعتقد أنه بتصرفه هذا يمكنه أن يتفادى الأخطار ، ويتآمر في نفس الوقت مع الاستعمار الأميركي على تقسيم العالم الى مناطق نفوذ ، وهكذا يصيب عصفورين بحجر واحد . الا أن الحقيقة هي أن كل هذا يبرهن على أن خروشوف هو أكبر الاستسلاميين في التاريخ . ولا شك أن تطبيق سياسة خروشوف السامة ستكون نتيجته الحاق ضرر لا يحصى بالاتحاد السوفياتي العظيم نفسه .

لماذا ظهرت تحريفية خروشوف في الاتحاد السوفياتي الذي هو دولة اشتراكية يرجع تاريخها الى عشرات السنين ؟ ان هذا ليس غريبا في الحقيقة ، لأن مسألة من يتغلب على الآخر ، هل الاشتراكية أم الرأسمالية ، في كل قطر اشتراكي ، لا يمكن تسويتها الا بالتدريج

بعد فترة تاريخية طويلة جدا . وطالما كانت هنالك قوى رأسمالية وطبقات في المجتمع ، تكون هناك تربة لنمو التحريفية .

ويزعم خروشوف أن الطبقات قد قضي عليها في الاتحاد السوفياتي ، وأن خطر اعادة الرأسمالية خارج عن الموضوع ، وأن بناء الشيوعية يسير قدما . وماكل هذه المزاعم سوى أكاذيب .

وفي الحقيقة أنه نتيجة لحكم خروشوف التحريفي ، واعلانه الصريح بأن الدولة السوفياتية غيرت طبيعتها ولم تعد ديكتاتورية للبروليتاريا ، ولتطبيقه لسلسلة كاملة من السياسات الداخلية والخارجية الخاطئة ، أصبحت القوى الرأسمالية في المجتمع السوفياتي فيضانا يتدفق الى جميع ميادين الحياة في الاتحاد السوفياتي بما في ذلك الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والايديولوجية . ان المصدر الاجتماعي لتحريفية خروشوف يكمن بوجه التحديد في القوى الرأسمالية التي تنتشر بلا انقطاع في الاتحاد السوفياتي .

ان تحريفية خروشوف تمثل مصالح هذه القوى الرأسمالية وتخدمها . ولهذا لا يمكن لتحريفية خروشوف أن تأتي الشعب السوفياتي بالشيوعية ، وهي على النقيض من ذلك تتسبب بصورة خطيرة في فقدان ثمار الاشتراكية ، وتفتح الباب على مصراعيه لاعادة الرأسمالية . وهذا بعينه هو طريق « التحويل السلمي » الذي يتوق له الاستعمار الأميركي .

ان تاريخ ديكتاتورية البروليتاريا قاطبة يخبرنا أن الانتقال السلمي من الرأسمالية الى الاشتراكية أمر مستحيل . وعلى النقيض من ذلك هناك سابقة يوغوسلافيا التي « تحولت سلميا » من الاشتراكية الى الرأسمالية . وتقود تحريفية خروشوف الاتحاد السوفياتي الآن في هذا الطريق .

ان هذا أعظم درس مؤلم في تاريخ ديكتاتورية البروليتاريا . وعلى جميع الماركسيين اللينينيين وجميع الثوريين والأجيال القادمة ألا ينسوا بأي حال من الأحوال هذا الدرس العظيم .

ما نأمل فيه

لم تمض على انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي غير ثماني سنوات فقط . وفي هذه الفترة القصيرة جدا من التاريخ ، ألحقت تحريفية خروشوف أضرارا في أكبر الدرجات وأخطرها بالاتحاد السوفياتي وبالقضية الثورية لدى البروليتاريا العالمية .

لقد حان الوقت الآن وقد بلغ السيل الزبى ، لدحض تحريفية خروشوف ولمحاسبتها .

وبودنا أن نقدم في هذا الصدد نصيحة صغيرة الى الرفاق القياديين للحزب الشيوعي السوفياتي : ان عددا كبيرا من الانتهازيين والمحرفين قد ألقي بهم الى سلة مهملات التاريخ ، لماذا تقتفون أثرهم باصرار وعناد اذن ؟

وهنا أيضا ، نعبر عن أملنا في أن يفكر الرفاق القياديون الذين ارتكبوا أخطاء تحريفية في الأحزاب الشقيقة الأخرى تفكيرا جديا : ما الذي جنوه باتباع الخط التحريفي لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي ؟ نحن نعرف أنه فيما عدا الذين توغلوا بعمق في مستنقع التحريفية ، يوجد هناك عدد كبير من الرفاق اما أنهم ممن اختلطت عليهم الأمور أو ممن خدعوا أو أجبروا على السير في الطريق الخاطيء . ونحن على

يقين بأن كل من هم ثوريون بروليتاريون سوف يختارون الخط الثوري في النهاية ويرفضون الخط المعادي للثورة ، وسوف يختارون الماركسية اللينينية في النهاية ويرفضون التحريفية . ان آمالا عظيمة تراودنا فيما يتعلق بهذا الأمر .

ليس بمقدور التحريفية أبدا أن توقف دوران عجلة التاريخ ، دوران عجلة الثورة . وليس بمقدور القادة المحرفين الذين لا يقومون بالثورة أن يحولوا أبدا بين الماركسيين والثوريين الحقيقيين وبين هبوبهم ثائرين . كتب لينين في مؤلفه « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » قائلا ، عندما أصبح كاوتسكي مرتدا لم يبق أمام ليبكنخت الماركسي الألماني الا أن يهيب بالطبقة العاملة قائلا « نحوا أمثال هؤلاء " القادة " عن الطريق ، وحرروا أنفسكم من الدعاية المسفهة المحقرة ، وهبوا ثائرين بالرغم عنهم ، وبدونهم ، ودوسوا بالأقدام على رؤوسهم في سيركم نحو الثورة ! » (١)

وعندما سادت تحريفية الأممية الثانية في عدد كبير من الأحزاب في أوربا ، أعار لينين اهتماما عظيما بوجهة نظر الشيوعي الفرنسي بول قولاي .

قال قولاي : « لقد تحدث خصومنا بصخب حول افلاس الاشتراكية . ولكنهم تعجلوا في ذلك . ولكن من يجرؤ على القول بأنهم كانوا مخطئين كل الخطأ ؟ ان ما هو على فراش الموت الآن ليس هو الاشتراكية العادية أبدا ، بل هو فصيلة واحدة من الاشتراكية ـ اشتراكية حلوة

---

(١) لينين : « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » .

المذاق ، بدون مثل عليا ، وبدون عاطفة ، وهي مليئة بأساليب البيروقراطي ورب العائلة ، أو اشتراكية تنقصها الجرأة والشجاعة والحماس القوي ، تتفانى في حسب الأرقام ، وفي اتفاق ودي مع الرأسمالية ، أو اشتراكية لا يشغل بالها سوى الاصلاحات وباعت حقها الخاص بالارث مقابل فتات لا يسمن ولا يغنى من جوع ، أو اشتراكية هي في نظر البرجوازيين صمام يحول دون انفجار الجماهير ، وفرملة أوتوماتيكية لايقاف الاقدام البروليتاري (١) .

يا له من وصف رائع ! ولقد أسماه لينين صوتا أمينا لشيوعي فرنسي . ان الناس يتساءلون : أليست التحريفية المعاصرة الآن هي بالضبط هذا النوع من « الاشتراكية » التي على فراش الموت ؟ وسيسمع الناس عن قريب دوى الصدى القوي لأصوات عدد عظيم من الشيوعيين المستقيمين في داخل الأحزاب التي تسيطر عليها التحريفية .

« بينما يبقى حطام سفينة في القاع ، تمخر ألف سفينة أخرى عباب البحر الزاخر في قوة وعنف ؛ وحوالي الشجرة التي نخر السوس ساقها وقلبها ، تنبت الآن الشجيرات خضراء زاهية اللون تفيض بالحياة . » ان الاشتراكية المزيفة تلفظ أنفاسها الأخيرة ، بينما الاشتراكية العلمية وهي تتدفق بحرارة الشباب وحيويته ، تتقدم بخطوات أوسع الى الأمام . وسوف تتغلب الاشتراكية الثورية الزاخرة بالحياة على جميع الصعاب والعراقيل وتتقدم خطوة فخطوة نحو النصر الى أن تكسب العالم كله .

ولنذيل هذا المقال بآخر فقرة من « البيان الشيوعي » :

---

(١) لينين : « الصوت العادل لاشتراكي فرنسي » .

« ان الشيوعيين يعتقدون أنه من الدناءة أن يخفوا وجهات نظرهم وأهدافهم . ويعلنون بصراحة أنه يمكن الوصول الى أهدافهم فقط عن طريق الاطاحة بجميع النظم الاجتماعية القائمة بالقوة . لترتعد الطبقات الحاكمة هلعا في وجه الثورة الشيوعية . وسوف لا تفقد البروليتاريا شيئا سوى أغلالها . وأمامها عالم تكتسبه .

« يا عمال العالم ، اتحدوا ! »

حول شيوعية خروشوف المزيفة
والدروس التاريخية التي تقدمها للعالم

ـــ تعليق تاسع على الرسالة المفتوحة
للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

بقلم هيئتي تحرير صحيفة « جينمينجيباو »
ومجلة « العلم الأحمر »
(١٤ يوليو " تموز " ١٩٦٤)

ان نظريات الثورة البروليتارية ونظريات ديكتاتورية البروليتاريا هي خلاصة وروح الماركسية اللينينية . ومسألة ما اذا كان يجب التمسك بالثورة أو معارضتها ، وما اذا كان يجب التمسك بديكتاتورية البروليتاريا أم معارضتها دائما ما كانت مركز الصراع بين الماركسية اللينينية وجميع أنواع التحريفية ، وهي الآن مركز الصراع بين الماركسيين اللينينيين في العالم قاطبة وعصبة خروشوف التحريفية .

لقد طورت عصبة خروشوف التحريفية في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي تحريفيتها وجعلتها متسلسلة ، ولم يكن ذلك بتجميع نظرياتها المعادية للثورة حول « التعايش السلمي » و « المباراة السلمية » و « الانتقال السلمي » فحسب بل أيضا باعلان أن ديكتاتورية البروليتاريا لم تعد ضرورية في الاتحاد السوفياتي وبترويج النظريات الباطلة حول « دولة كل الشعب » و « حزب كل الشعب » .

ان برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي الذي قدمته عصبة خروشوف التحريفية في المؤتمر الثاني والعشرين هو برنامج شيوعية مزيفة ، وبرنامج تحريفي لمعاداة الثورة البروليتارية ولازالة ديكتاتورية البروليتاريا والحزب البروليتاري .

ان عصبة خروشوف التحريفية تلغي ديكتاتورية البروليتاريا تحت ستار خدعة « دولة كل الشعب » ، وتغير الطبيعة البروليتارية للحزب الشيوعي السوفياتي تحت ستار خدعة « حزب كل الشعب » ، وتعبد

الطريق لعودة الرأسمالية تحت ستار خدعة « البناء الشامل للشيوعية » .

لقد أوضحت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في مقالها « اقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية » المنشور بتاريخ الرابع عشر من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٣ ، ان احلال « دولة كل الشعب » محل دولة ديكتاتورية البروليتاريا ، و « حزب كل الشعب » محل الحزب الطليعي للبروليتاريا هو أمر باطل بطلاناً تاماً في النظرية ويجلب الأضرار في التطبيق . انه تقهقر تاريخي كبير يستحيل معه أي انتقال الى الشيوعية ولايساعد الا على عودة الرأسمالية .

ان الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي والصحافة السوفياتية تلجآن الى السفسطة في تبرير موقفهما ، وتهاجمان نقدنا لـ« دولة كل الشعب » و « حزب كل الشعب » بأنه « زعم مجاف تماماً للماركسية » ويدل على « الانعزال التام عن حياة الشعب السوفياتي » وبأنه مطالبة بـ« رجوع السوفيت الى الوراء » .

لنتحقق اذن من في حقيقة الأمر يجافي الماركسية اللينينية تماماً ، وما هي الحياة السوفياتية في حقيقتها ، ومن في حقيقة الأمر يريد الاتحاد السوفياتي أن يرجع الى الوراء .

المجتمع الاشتراكي وديكتاتورية البروليتاريا

ما هو الفهم الصحيح للمجتمع الاشتراكي ؟ هل توجد طبقات وصراع طبقي طوال فترة الاشتراكية أم لا ؟ وهل يجب الحفاظ على ديكتاتورية البروليتاريا والسير بالثورة الاشتراكية حتى النهاية ، أم

يجب التخلي عن ديكتاتورية البروليتاريا وازالتها حتى يعبد الطريق لعودة الرأسمالية ؟ لا بد من الاجابة اجابة صحيحة على هذه الأسئلة تبعا لنظرية الماركسية اللينينية الأساسية والخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا .

ان حلول المجتمع الاشتراكي محل المجتمع الرأسمالي قفزة كبرى في التطور التاريخي للمجتمع البشري . والمجتمع الاشتراكي هو عبارة عن فترة تاريخية هامة للانتقال من مجتمع طبقي الى مجتمع لاطبقي . وعن طريق المجتمع الاشتراكي ستدخل البشرية الى المجتمع الشيوعي .

ان نظام المجتمع الاشتراكي متفوق على نظام المجتمع الرأسمالي تفوقا عظيما لا سبيل الى مقارنته . وفي المجتمع الاشتراكي تحل ديكتاتورية البروليتاريا محل ديكتاتورية البرجوازية كما تحل الملكية العامة لوسائل الانتاج محل ملكيتها الخاصة . وتتحول البروليتاريا من طبقة مضطهدة ومستغلة الى الطبقة الحاكمة ، ويحدث تغير أساسي في مركز الشغيلة الاجتماعي . ان دولة ديكتاتورية البروليتاريا تمارس ، بين جماهير الشغيلة ، أوسع الديمقراطية التي يستحيل وجودها في المجتمع الرأسمالي وتمارس الديكتاتورية على عدد ضئيل من المستغلين . وتأميم الصناعة وتنظيم الزراعة على أساس جماعي يفتحان آفاقا واسعة للتطور الحيوي للقوى المنتجة الاجتماعية مما يضمن سرعة من نمو القوى المنتجة الاجتماعية لا يمكن احرازها في أي مجتمع قديم .

ومع ذلك لابد للمرء من أن يدرك أن المجتمع الاشتراكي هو مجتمع ولد من المجتمع الرأسمالي وما هو الا المرحلة الأولى من المجتمع

الشيوعي . انه لم يصبح بعد مجتمعا شيوعيا كامل النضج في الميدان الاقتصادي وغيره . وهو يحمل حتماً آثار المجتمع الرأسمالي . قال ماركس في تعريفه للمجتمع الاشتراكي : « وما علينا أن نعالجه في هذا الصدد هو المجتمع الشيوعي ، لا كما تطور على أسسه الخاصة به ، بل على العكس من هذا ، بالضبط كما ينبثق من المجتمع الرأسمالي ، والذي ما يزال يحمل لهذا السبب في كل ناحية من النواحي ، الاقتصادية والخلقية والروحية ، آثار المجتمع القديم الذي ولد منه . » (١) كما أوضح لينين أيضا ، أنه في المجتمع الاشتراكي الذي هو المرحلة الأولى من الشيوعية « لا يمكن أن تنضج الشيوعية نضوجاً كاملا أبدا من الناحية الاقتصادية ويستحيل أن تصبح متحررة تماما من تقاليد أو آثار الرأسمالية » (٢) .

ان الفوارق بين العمال والفلاحين ، وبين المدن والأرياف ، وبين المشتغلين بالعمل الجسماني والمشتغلين بالعمل العقلي ما زالت باقية في المجتمع الاشتراكي ، والحقوق البرجوازية لم تتم ازالتها منه تماما بعد ، وليس من الممكن « مرة واحدة ازالة الظلم الآخر الذي يكمن في توزيع بضائع الاستهلاك " تبعا لكمية العمل المبذولة " (وليس على أساس الحاجيات) » (٣) ، ولذلك ما زالت الفوارق في الثروة موجودة . ولا يتم اختفاء هذه الفوارق والظواهر وحقوق البرجوازية

---

(١) ماركس : « نقد لبرنامج قوتا » .

(٢) لينين : « الدولة والثورة » .

(٣) نفس المصدر السابق .

الا بالتدريج وبعد وقت طويل جدا . وكما قال ماركس ، وفقط بعد اختفاء هذه الفوارق وزوال الحقوق البرجوازية تماما ، يصبح من الممكن تحقيق الشيوعية الكاملة التي مبدؤها « من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » .

ان الماركسية اللينينية والخبرة العملية للاتحاد السوفياتي والصين وغيرهما من الأقطار الاشتراكية كلها تعلمنا أن المجتمع الاشتراكي هو مرحلة تاريخية طويلة وطويلة جدا . وطوال هذه المرحلة بأكملها يستمر الصراع الطبقي بين البرجوازية والبروليتاريا ، وتبقى مسألة أي طريق من طريقي الرأسمالية والاشتراكية سينتصر على الآخر ، كما يظل خطر عودة الرأسمالية موجودا .

أوردت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في مقالها « اقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية » المنشور بتاريخ ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ ما يلي : « بعد استيلاء البروليتاريا على السلطة يستمر الصراع الطبقي لفترة تاريخية طويلة طويلة جدا بصفته قانونا موضوعيا مستقلا عن ارادة البشر ، غير أن شكل الصراع سيختلف عما كان قبل الاستيلاء على السلطة . »

لقد أشار لينين عدة مرات بعد ثورة أكتوبر الى :

(أ) ان المستغلين الذين أطيح بهم عن الحكم يحاولون دائما بألف طريق وطريق استرداد " الجنة " التي حرموا منها .

(ب) ان عناصر رأسمالية جديدة تتولد دائما وتلقائيا في جو البرجوازية الصغيرة .

(ج) ان المنحلين السياسيين والعناصر البرجوازية الجديدة قد

تظهر في صفوف الطبقة العاملة وبين موظفي المنظمات الحكومية ، نتيجة النفوذ البرجوازي وانتشار جو البرجوازية الصغيرة المفسد .

(د) ان الظروف الخارجية لاستمرار الصراع الطبقي في داخل القطر الاشتراكي هي الحصار الذي تفرضه عليه الرأسمالية العالمية ، وتهديد المستعمرين بالتدخل المسلح ، والنشاطات الهدامة التي يقومون بها بغرض احداث التحلل السلمي .

لقد برهنت الحياة على صحة هذه النتائج التي توصل اليها لينين . »

ان البرجوازية التي أطيح بها عن السلطة والطبقات الرجعية الأخرى تحافظ على قوتها لفترة ليست قصيرة ، في المجتمع الاشتراكي ، كما أنها قوية بالفعل في نواح معينة . إن لديها ألف رابطة ورابطة مع البرجوازية العالمية ، وهي لا تستسلم لهزيمتها ، بل تواصل بعناد انغماسها في اختبار قوتها مع البروليتاريا . انها تشن الصراع المكشوف والمستتر ضد البروليتاريا في كل ميدان من الميادين . وتعمل دائماً وتحت يافطات تأييد الاشتراكية ، والنظام السوفياتي والحزب الشيوعي ، والماركسية اللينينية ، على تحطيم الاشتراكية واستعادة الرأسمالية . وتظل من الناحية السياسية قوة مضادة للبروليتاريا لوقت طويل وتحاول دائما الاطاحة بديكتاتورية البروليتاريا . انها تتسلل الى أجهزة الحكومة ، والمنظمات الجماهيرية ، والدوائر الاقتصادية والمؤسسات الثقافية والتعليمية حتى تتمكن من مقاومة واغتصاب قيادة البروليتاريا . ومن الناحية الاقتصادية تستخدم كل وسيلة لإلحاق الضرر بالملكية الاشتراكية التي هي في يد الشعب كله ، وبالملكية الجماعية الاشتراكية ، ولتطوير قوى الرأسمالية . وفي الميادين الايديولوجية والثقافية والتعليمية تعارض

نظرة البروليتاريا للعالم بنظرة البرجوازية للعالم وتحاول افساد البروليتاريا وغيرها من الشغيلة بالايديولوجية البرجوازية .

ان جعل الزراعة جماعية يحول الفلاحين الفرديين الى فلاحين يعملون بالزراعة الجماعية ويخلق الشروط المواتية لاعادة تكوين الفلاحين بصورة تامة كاملة . الا أن الفلاحين ، ما لم تتطور الملكية الجماعية حتى تصبح ملكية كل الشعب ، وما لم تختف بقايا الاقتصاد الخاص تماما ، لا بد أن يظلوا محتفظين ببعض الخصائص الكامنة لدى صغار المنتجين . وفي هذه الظروف لا بد من ظهور اتجاهات رأسمالية تلقائية ، ولا بد من بقاء التربة الصالحة لنمو فلاحين أغنياء جدد ، وقد ينشأ الاستقطاب بين الفلاحين .

ان نشاطات البرجوازية كما وصفت آنفا وآثارها المفسدة في الميادين السياسية والاقتصادية والايديولوجية والثقافية والتعليمية ، ووجود اتجاهات رأسمالية تلقائية للمنتجين الصغار في المدن والأرياف ، ونفوذ بقايا الحقوق البرجوازية وقوة عادات المجتمع القديم ، كل هذه دائما ما تربي باستمرار متحللين سياسيين في صفوف الطبقة العاملة والمنظمات الحزبية والحكومية ، وتربي باستمرار عناصر برجوازية جديدة ومختلسين وفاسدين في مؤسسات الدولة التي يملكها الشعب كله ، ومثقفين برجوازيين جددا في المؤسسات الثقافية والتعليمية وأوساط المثقفين . ان هذه العناصر البرجوازية الجديدة وهؤلاء المتفسخين السياسيين يتضافرون مع العناصر البرجوازية القديمة وعناصر من الطبقات المستغلة الأخرى التي تمت الاطاحة بها ولم تحطم تحطيما كاملا على مهاجمة الاشتراكية . والمتفسخون السياسيون الذين يغتصبون مراكز في

الأجهزة القيادية خطرون بصفة خاصة ، لأنهم يؤيدون ويتسترون على العناصر البرجوازية في أجهزة المستويات السفلى ويحمونها .

وطالما كان الاستعمار موجودا ، لا بد للبروليتاريا في الأقطار الاشتراكية من أن تكافح ضد البرجوازية في الداخل وضد الاستعمار العالمي في الخارج في آن واحد . وسوف يستغل الاستعمار كل فرصة محاولا اللجوء الى التدخل المسلح ضد الأقطار الاشتراكية ، أو احداث التحلل السلمي فيها . وسوف يبذل أقصى جهوده لتحطيم الأقطار الاشتراكية ، أو يجعلها تتحلل وتصبح بلدانا رأسمالية . ومما لا بد منه أن ينعكس الصراع الطبقي العالمي في داخل الأقطار الاشتراكية .

قال لينين : « الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية يشكل عهدا تاريخيا بأكمله . وما لم ينته هذا العهد فان المستغلين لا بد أن تداعبهم آمال العودة ، ويحولوا هذه الآمال الى محاولات للعودة . » (١) كما أوضح أيضاً : « ان ازالة الطبقات تقتضي نضالا طبقيا طويلا شاقا حازما ، وهذا النضال لا يختفي بعد الاطاحة بسلطة رأس المال ، وبعد تحطيم الدولة البرجوازية ، وبعد تأسيس ديكتاتورية البروليتاريا (بالعكس مما يظن الممثلون السفهاء للاشتراكية القديمة والاشتراكية - الديمقراطية القديمة) ، الا أنه يغير أشكاله فقط ويصبح في حالات كثيرة أكثر عنفا . » (٢)

---

(١) لينين : « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » .

(٢) لينين : « تحيات الى العمال الهنغاريين » .

لا يمكن وقف الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية في الميادين السياسية والاقتصادية والايديولوجية والثقافية والتعليمية خلال كل مرحلة الاشتراكية . انه نضال مطول ، مكرر ، متعرج ، معقد . فهو يرتفع كالموج الى علو كبير أحيانا ، وينحسر أحيانا أخرى ، انه يرتفع وينخفض ، ويكون هادئا هدوءا نسبيا مرة من المرات ، ومزيدا عنيفا مرة أخرى . انه نضال يقرر مصير المجتمع الاشتراكي . ان تقدم المجتمع الاشتراكي نحو الشيوعية أو تقهقره الى الرأسمالية يرتكزان على نتيجة هذا الصراع المطول .

ان الصراع الطبقي في المجتمع الاشتراكي ينعكس بصورة محتمة في الحزب الشيوعي . وتفهم البرجوازية والاستعمار العالمي معا أنه بغرض جعل الأقطار الاشتراكية تتحلل وتصبح أقطارا رأسمالية ، من الضروري أولا أن يجعلا الحزب الشيوعي يتحلل ويصبح حزبا تحريفيا . والعناصر البرجوازية القديمة والجديدة ، والعناصر الفلاحية الغنية القديمة والجديدة ، والعناصر المتفسخة من كل لون تشكل كلها الأسس الاجتماعية للتحريفية ، وتستخدم كل وسيلة ممكنة لايجاد عملاء لها في داخل الحزب الشيوعي . ووجود النفوذ البرجوازي هو المصدر الداخلي للتحريفية ، بينما الاستسلام للضغط الاستعماري هو مصدرها الخارجي . ان الصراع محتم طوال مرحلة الاشتراكية بين الماركسية اللينينية ومختلف أنواع الانتهازية ولاسيما التحريفية ، في الأحزاب الشيوعية في الأقطار الاشتراكية . وخصائص التحريفية هي أنها ، بانكار الطبقات والصراع الطبقي ، تقف الى جانب البرجوازية وتهاجم البروليتاريا وتحول ديكتاتورية البروليتاريا الى ديكتاتورية للبرجوازية .

لقد أوضح مؤسسا الماركسية على ضوء خبرة حركة الطبقة العاملة العالمية ووفقا للقوانين الموضوعية للصراع الطبقي أن الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، ومن مجتمع طبقي الى مجتمع لاطبقي ، لابد أن يعتمد على ديكتاتورية البروليتاريا وما من طريق آخر .

قال ماركس : « ان الصراع الطبقي يقود حتما الى ديكتاتورية البروليتاريا . » (١) كما قال أيضا : « بين المجتمعين الرأسمالي والشيوعي تقع فترة تحولات ثورية من أولهما الى الثاني . كما تقابل هذه الفترة فترة انتقال سياسي لا تكون الدولة فيها شيئا سوى الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا . » (٢)

ان تطور المجتمع الاشتراكي هو عملية ثورة متواصلة . وقد قال ماركس في تفسيره للاشتراكية الثورية : « ان هذه الاشتراكية هي اعلان دوام الثورة ، وتحقيق الديكتاتورية الطبقية للبروليتاريا باعتبارها نقطة الانتقال اللازمة لأجل ازالة الفوارق الطبقية تماماً ، حتى ازالة جميع علاقات الانتاج التي تنشأ عنها ، وحتى ازالة جميع العلاقات الاجتماعية المقابلة لعلاقات الانتاج هذه ، وحتى تغيير جميع الأفكار التي تنشأ عن هذه العلاقات الاجتماعية . »(٣)

وقد فسر لينين وطور بصورة خلاقة في كفاحه ضد انتهازية الأممية الثانية نظرية ماركس حول ديكتاتورية البروليتاريا . وأوضح :

---

(١) ماركس : « من ماركس الى ج . ويدنمييز ، ٥ مارس (آذار)١٨٥٢ » .

(٢) ماركس : « نقد لبرنامج غوتا » .

(٣) ماركس : « الصراع الطبقي في فرنسا من عام ١٨٤٨ الى عام ١٨٥٠ » .

« ان ديكتاتورية البروليتاريا ليست نهاية الصراع الطبقي بل هي امتداد في أشكال جديدة . وديكتاتورية البروليتاريا معناها الصراع الطبقي الذي تشنه بروليتاريا قد انتصرت واستولت على السلطة السياسية ، ضد برجوازية قد هزمت ولكنها لم يقض عليها ولم تختف بعد ولم توقف مقاومتها بل على النقيض من ذلك قد زادت من شدة مقاومتها .» (١)

وقال أيضا : « ان ديكتاتورية البروليتاريا هي صراع عنيف ـ دام وغير دام ، عنيف وسلمي ، عسكري واقتصادي ، تعليمي واداري ـ ضد قوى وتقاليد المجتمع القديم . » (٢)

وقد قدم الرفيق ماو تسي تونغ في مؤلفه الشهير « حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين الشعب » وغيره من المؤلفات ، مستندا الى المبادئ الأساسية للماركسية اللينينية والخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا ، تحليلا شاملا ومنتظما للطبقات والصراع الطبقي في المجتمع الاشتراكي ، وطور بصورة خلاقة نظرية الماركسية اللينينية المتعلقة بديكتاتورية البروليتاريا .

انطلق الرفيق ماو تسي تونغ من وجهة النظر المادية الديالكتيكية لدراسة القوانين الموضوعية للمجتمع الاشتراكي . وأوضح أن القانون العام للوحدة والصراع بين الأضداد والذي يعمل معا في عالم الطبيعة والمجتمع الانساني يمكن تطبيقه أيضا على المجتمع الاشتراكي . فالتناقضات الطبقية لا تزال موجودة في المجتمع الاشتراكي والصراع

---

(١) لينين : « مقدمة خطاب "حول خداع الشعب بشعار الحرية والمساواة" » .

(٢) لينين : « مرض الطفولة "اليساري" في الشيوعية » .

الطبقي لم يخمد فيه بعد انجاز التحول الاشتراكي لملكية وسائل الانتاج . والصراع بين طريقي الاشتراكية والرأسمالية يتخلل مرحلة الاشتراكية بأكملها . ولضمان نجاح البناء الاشتراكي وللحيلولة دون عودة الرأسمالية تجب مواصلة الثورة الاشتراكية الى نهايتها في الجبهات السياسية والاقتصادية والايديولوجية والثقافية . ان انتصار الاشتراكية التام لا يمكن تحقيقه أثناء جيل واحد أو جيلين ، ويقتضي حل هذه المسألة حلا تاما خمسة أو عشرة أجيال أو فترة أطول من ذلك من الزمن .

أكد الرفيق ماو تسي تونغ أن التناقضات الاجتماعية في المجتمع الاشتراكي تنقسم الى نوعين هما تناقضات بين الشعب وتناقضات بين أنفسنا وبين العدو ، وأن التناقضات الأولى عديدة . وفقط بالتمييز بين هذين النوعين من التناقضات اللذين يختلفان في الطبيعة وباتخاذ خطوات مختلفة لمعالجتهما معالجة صحيحة ، يصبح ممكنا توحيد الشعب الذي يشكل تعداده أكثر من تسعين بالمائة من سكان البلاد ، وتمكن هزيمة الأعداء الذين لا يشكل تعدادهم سوى نسبة مئوية ضئيلة جداً ، ويمكن توطيد وتدعيم ديكتاتورية البروليتاريا .

ان ديكتاتورية البروليتاريا هي الضمان الأساسي لتقوية وتطوير الاشتراكية ، ولانتصار البروليتاريا على البرجوازية في النضال بين الطريقين وكسب انتصار الاشتراكية .

ان البروليتاريا يمكنها تحرير نفسها نهائيا فقط بتحرير البشرية كلها . والمهمة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا تتكون من جانبين هما الجانب الداخلي والجانب الخارجي . والمهمة الداخلية هي في الأساس ازالة الطبقات المستغلة تماما ، وتطوير الاقتصاد الاشتراكي

الى أقصى حدوده ، ورفع مستوى الوعي الشيوعي لدى الجماهير الشعبية ، وازالة الفوارق بين ملكية كل الشعب والملكية الجماعية ، بين العمال والفلاحين ، بين المدن والأرياف ، بين العمل العقلي والعمل الجسماني ، واستئصال أي امكانية لظهور الطبقات من جديد ولعودة الرأسمالية ، وتهيئة الشروط لتحقيق مجتمع شيوعي يكون المبدأ فيه « من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » . والمهمة الخارجية هي أساسا الحيلولة دون عدوان وهجوم الاستعمار العالمي (بما في ذلك التدخل المسلح والتحليل بالطرق السلمية) ، وتقديم العون للثورة العالمية حتى تقضي شعوب جميع الأقطار في النهاية على الاستعمار والرأسمالية ونظام الاستغلال . وقبل أداء هاتين المهمتين معا ، وقبل الدخول الى المجتمع الشيوعي الكامل ، لا غنى أبدا عن ديكتاتورية البروليتاريا .

واذا نظرنا الى الوضع القائم فعليا الآن لوجدنا أن مهام ديكتاتورية البروليتاريا في كل الأقطار الاشتراكية ماتزال بعيدة عن الأداء . وتوجد في جميع الأقطار الاشتراكية بلا استثناء طبقات وصراع طبقي ، ويوجد الصراع بين الطريق الاشتراكي والطريق الرأسمالي ، كما توجد مسألة مواصلة الثورة الاشتراكية حتى النهاية ومسألة الحيلولة دون الرأسمالية . ان دربا طويلا جدا مازال أمام جميع الأقطار الاشتراكية عليها أن تسلكه قبل أن تزول الفوارق بين ملكية كل الشعب والملكية الجماعية ، وبين العمال والفلاحين ، وبين المدن والأرياف ، وبين الذين يعملون بعقولهم والذين يعملون بقوتهم الجسمانية ، وقبل أن تزول جميع الطبقات وتزول الفوارق الطبقية ويتم تحقيق مجتمع شيوعي يصبح المبدأ فيه « من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » .

ولهذا من الضروري لجميع الأقطار الاشتراكية أن تتمسك بديكتاتورية البروليتاريا .

ان ازالة عصبة خروشوف التحريفية لديكتاتورية البروليتاريا في هذه الظروف لا تعد الا خيانة للاشتراكية والشيوعية .

توجد في الاتحاد السوفياتي طبقات متعارضة وصراع طبقي

لقد ارتكزت عصبة خروشوف التحريفية في الأساس ، حين أعلنت ازالة ديكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفياتي على حجة أن الطبقات المتعارضة قد تم القضاء عليها هناك ولم يعد هناك صراعٌ طبقي .

ولكن ما هو الوضع الفعلي في الاتحاد السوفياتي ؟ وهل حقيقة لا توجد طبقات متعارضة ولا يوجد صراع طبقي هناك ؟

بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى تم تأسيس ديكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفياتي ، وأزيلت الملكية الرأسمالية الخاصة وتم تأسيس الملكية الاشتراكية لكل الشعب والملكية الاشتراكية الجماعية عن طريق تأميم الصناعة وتنظيم الزراعة على أساس جماعي . وفضلا عن ذلك أحرزت منجزات عظيمة في البناء الاشتراكي خلال عدة عقود من الزمن . وقد شكل كل هذا انتصارا ذا مغزى تاريخي هائل لا يمحى ، كسبه الحزب الشيوعي السوفياتي والشعب السوفياتي بقيادة لينين وستالين .

الا أن البرجوازية القديمة والطبقات المستغلة الأخرى التي أطيح

بها عن الحكم ولم تحطم تحطيما كاملا ، ظلت في الاتحاد السوفياتي بعد تأميم الصناعة وتنظيم الزراعة على أساس جماعي . وظل النفوذ السياسي والايديولوجي للبرجوازية باقيا . ومازالت النزعات الرأسمالية التلقائية باقية في المدن والأرياف . وظلت تتوالد عناصر برجوازية وكولاكية جديدة بلا انقطاع . وطوال هذه الفترة الطويلة ظل الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية والصراع بين الطريقين الاشتراكي والرأسمالي جاريين في الحقل السياسي والاقتصادي والايديولوجي .

ولما كان الاتحاد السوفياتي هو القطر الأول والوحيد الذي أسس الاشتراكية في ذلك الحين ولم تكن لديه خبرة أجنبية يعتمد عليها ، وأن ستالين قد حاد عن الديالكتيك الماركسي اللينيني في فهم قوانين الصراع الطبقي في المجتمع الاشتراكي ، أعلن قبل الأوان بعد اتمام تنظيم الزراعة على أساس جماعي في الاتحاد السوفياتي في الأساس ، أنه « لا توجد طبقات متعارضة » (١) و « لا توجد نزاعات طبقية » (٢) في الاتحاد السوفياتي ، وركز من جانب واحد على الوحدة الداخلية للمجتمع الاشتراكي وأهمل وجود التناقضات فيه ، وامتنع عن الاعتماد على الطبقة العاملة والجماهير العريضة في النضال ضد قوى الرأسمالية واعتبر احتمال عودة الرأسمالية هو فقط يتعلق بالهجوم المسلح من قبل الاستعمار العالمي . وقد كان هذا خطأ من الناحية النظرية ومن ناحية

---

(١) ستالين : « حول مسودة دستور الاتحاد السوفياتي » .

(٢) ستالين : « تقرير في المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي السوفياتي (البلشفك) عن نشاط اللجنة المركزية » .

العمل معا . ومع ذلك ظل ستالين ماركسيا لينينيا عظيما . وطوال فترة قيادته للحزب والدولة السوفياتيين تمسك بحزم بديكتاتوية البروليتاريا والسبيل الاشتراكي وسار على خط ماركسي لينيني وضمن تقدم الاتحاد السوفياتي المظفر على طريق الاشتراكية .

ومنذ أن استولى خروشوف على قيادة الحزب والدولة السوفياتيين روج سلسلة كاملة من السياسات التحريفية قد أدت الى الاسراع بنمو قوى الرأسمالية وزادت مرة أخرى من حدة الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية ومن حدة النضال بين طريقي الاشتراكية والرأسمالية في الاتحاد السوفياتي .

واذا تفحص المرء التقارير التي وردت في الصحافة السوفياتية خلال السنوات القلائل الماضية فسيجد أمثلة كثيرة لا تبرهن على وجود عناصر عديدة من الطبقات المستغلة القديمة في المجتمع السوفياتي وحسب ، بل أيضاً على توالد عناصر برجوازية جديدة على نطاق واسع ، وعلى زيادة الاسراع في الاستقطاب الطبقي .

لننظر أولا الى نشاط العناصر البرجوازية المختلفة في المؤسسات التي يملكها كل الشعب في الاتحاد السوفياتي .

لقد استغل بعض الموظفين القياديين وزمرهم في مصانع الدولة مناصبهم وكونوا ثروات كبيرة عن طريق استخدام العتاد والمواد التي تمتلكها المصانع التي يعملون فيها لانشاء « ورش سرية » لمباشرة الانتاج الخاص وبيع المنتجات سرا وتقسيم المغانم بينهم . وعلى سبيل المثال :

نصّب الموظفون القياديون في أحد مصانع لينينغراد لانتاج بعض

المواد الحربية ، رجالهم في « كل المناصب الرئيسية » ، و « حولوا هذه المؤسسة التابعة للدولة الى مؤسسة خاصة » . لقد انغمسوا بصورة سرية في انتاج البضائع غير الحربية واختلسوا مبلغ ١٢٠٠٠٠٠ روبل من الروبلات القديمة في بحر ثلاث سنوات من بيع أقلام الحبر وحدها . ومن بين هؤلاء رجل « كان مضاربا ... في عشرينيات القرن العشرين » و « لصا طوال حياته » (١) .

وفي مصنع لنسج الحرير في أوزبكستان اتفق المدير مع رئيس المهندسين ومع رئيس المحاسبين ومع رئيس قسم الامدادات والتسويق ورؤساء الورش وآخرين وأصبحوا « مقاولين جددا » . لقد اشتروا أكثر من عشرة أطنان من الحرير الصناعي والحرير الخالص بطرق غير شرعية مختلفة بغرض « انتاج بضائع لا تدرج في الحسابات » . وقد استخدموا عمالا بدون الالتزام بالاجراءات الصحيحة وفرضوا عليهم العمل « مدة اثنتي عشرة ساعة في اليوم » (٢) .

وفي خاركوف أقام مدير مصنع للأثاث « ورشة غير شرعية للتطريز » وقام بعمليات سرية في داخلها . و « كان لهذا الرجل عدة زوجات وعدة سيارات وبيوت ، ومائة وستة وسبعون رباطا للعنق وحوالي مائة قميص وعشرات من البذل » ، وكان بالاضافة لهذا مقامرا كبيرا في سباق الخيول (٣) .

---

(١) صحيفة « كراسنايا زفزدا » ، ١٩ مايو (أيار) ١٩٦٢ .

(٢) صحيفة « برافدا فوستوكا » ، ٨ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٣ .

(٣) صحيفة « برافدا أوكرانيا » ، ١٨ مايو (أيار) ١٩٦٢ .

أمثال هؤلاء الناس لا يعملون بمفردهم . بل يعملون دائما في تعاون وثيق مع موظفين في الدوائر الحكومية للتموين والدوائر التجارية وغيرها . ولديهم أعوانهم بين رجال الشرطة ودوائر القضاء الذين يحمونهم ويعملون كعملاء لهم . ويقوم بحمايتهم وتأييدهم حتى موظفون كبار في دوائر الدولة . وفيما يلي أمثلة قليلة :

أقام رئيس الورش الملحقة بشفخانة لمعالجة الأمراض النفسية والعصبية في موسكو وزمرته « مؤسسة سرية » ، و « حصلوا على ثماني وخمسين ماكينة للتطريز » وكمية كبيرة من المواد الخام عن طريق الرشوة . وكونوا علاقات تجارية مع « اثنين وخمسين مصنعا وتعاونية للحرف اليدوية ومزرعة جماعية » ، وربحوا ثلاثة ملايين روبل في سنوات قليلة . لقد قاموا برشوة موظفي دائرة مكافحة سرقة الملكية الاشتراكية ومكافحة المضاربة ، كما رشوا المراقبين والمفتشين وغيرهم (١) .

سرق مدير مصنع للماكينات في اتحاد روسيا بالاشتراك مع مساعد مدير مصنع آخر للماكينات وموظفين آخرين بلغ عددهم جميعا ثلاثة وأربعين ، أكثر من تسعمائة ماكينة للغزل باعها الى مصانع في آسيا الوسطى وفي كازاخستان والقوقازو وأماكن أخرى ، واستخدمها الموظفون القياديون في تلك المصانع في الانتاج بصورة غير شرعية (٢) .

وفي كيرخيز عصابة مكونة من أكثر من أربعين من المختلسين

---

(١) صحيفة « الازفيستيا » ، ٢٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٣ ، وملحقها ليوم الأحد رقم ١٢ ، عام ١٩٦٤ .

(٢) صحيفة « كومسومولسكايا برافدا » ، ٩ أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

واللصوص ، نهبت بعد أن سيطرت على مصنعين نظمت فيهما الانتاج بصورة سرية ، ما قيمته أكثر من ثلاثين مليوناً من الروبلات من ممتلكات الدولة . وضمت هذه العصابة رئيس لجنة التخطيط لجمهورية كيرخيز السوفياتية ، ونائب وزير للتجارة ، وسبعة من رؤساء المصالح والدوائر في مجلس الوزراء ، والمجلس الوطني الاقتصادي ، ولجنة الرقابة لتلك الجمهورية بالاضافة الى « كولاكي كبير هرب من المنفى » (١) .

وتدل هذه الأمثلة على أن المصانع التي تقع في قبضة أمثال هؤلاء المتحللين المتفسخين ، هي مؤسسات اشتراكية في الاسم بينما هي في الحقيقة مؤسسات رأسمالية يغني هؤلاء الناس أنفسهم عن طريقها . وعلاقة أمثال هؤلاء مع العمال قد تحولت بالفعل الى علاقة بين المستغِلين والمستَغلين ، بين المضطهِدين والمضطَهدين . أليس أمثال هؤلاء المتحللين المتفسخين الذين يستولون على بعض وسائل الانتاج ويستخدمونها ويستغلون عمل الآخرين ، هم عناصر برجوازية ظاهرا وباطنا ؟ أوليس شركاؤهم في المنظمات الحكومية ، الذين يعملون معهم في تعاون وثيق ، ويساهمون في أنواع كثيرة من الاستغلال ، وينغمسون في الاختلاس ، ويتسلمون الرشوة ، ويتقاسمون الأسلاب ، أليسوا هم أيضا عناصر برجوازية ظاهرا وباطنا ؟

ويتضح أن كل هؤلاء الناس ينتمون الى الطبقة التي تعارض البروليتاريا ، أي أنهم ينتمون الى طبقة البرجوازية . ان نشاطاتهم ضد الاشتراكية هي بالتأكيد صراع طبقي تهاجم فيه البرجوازية البروليتاريا .

---

(١) صحيفة « سوفياتسكايا كيرخيز » ، ٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢ .

لننظر الآن الى نشاطات عناصر الكولاك المختلفة في المزارع الجماعية .

ان بعض موظفي المزارع الجماعية القياديين وزمرهم يختلسون ويسرقون ويضاربون كما يحلو لهم ، ويبعثرون الأموال العامة كما يشاءون ويستنزفون دم الزراع في المزارع الجماعية . وهذه أمثلة على ذلك :

كان في أوزبكستان رئيس مزرعة جماعية « يفرض الارهاب على كل القرية » . « وكان أقرباؤه وأصدقاؤه يحتلون » جميع المناصب الهامة في المزرعة . وقد بعثر « أكثر من ١٣٢٠٠٠ من روبلات المزرعة الجماعية سداً لحاجياته الشخصية » . كان يمتلك سيارة خاصة به ودراجتين بخاريتين وكان له ثلاث زوجات « لكل منهن شقتها الخاصة بها » (١) .

وفي منطقة الكورسك ظن رئيس مزرعة جماعية أن المزرعة هي « ضيعته الموروثة » . وقد تآمر بالاتفاق مع محاسبها وصرافها ورئيس المخازن وخبير الزراعة ومدير المخزن العام للبضائع وغيرهم ، و « ابتزوا أموال الفلاحين » بستر بعضهم للبعض واختلسوا أكثر من مائة وعشرات الآلاف من الروبلات في سنوات قلائل (٢) .

وكدس رئيس مزرعة جماعية في أوكرانيا أكثر من خمسين ألف روبل عن طريق تزوير شهادات الشراء وحسابات النقود بمساعدة المحاسبة

---

(١) صحيفة « سلسكايا زيزن » ، ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٢ .

(٢) صحيفة « اكونوميجشسكايا قازيتا » ، العدد ٣٥ ، عام ١٩٦٣ .

التي أثني عليها بأنها « محاسبة نموذجية » وعرضت أعمالها في معرض موسكو لمنجزات الاقتصاد الوطني (١) .

وكان رئيس مزرعة جماعية في منطقة ألما – أتا متخصصا في المضاربة التجارية . فلقد كان يشتري « عصير الفاكهة من أوكرانيا أو أوزبكستان ، والسكر والكحول من جامبول » ويقوم بصنعها ويبيع النبيذ الذي يصنعه بأسعار مرتفعة في كل مكان . وقد أنشيء في هذه المزرعة مصنع خمر بلغ انتاجه مليون لتر من النبيذ في العام وقد انتشرت شبكة تجارة المزرعة على طول وعرض جمهورية كازاخستان السوفياتية ، وأصبحت المضاربة التجارية أحد مصادر دخلها الرئيسي (٢) .

كان رئيس مزرعة جماعية في بلروسيا يعتبر نفسه « أميرا اقطاعيا صغيرا في المزرعة » ، وكان يتصرف « بشخصه » في جميع الأمور . ولم يكن يسكن في المزرعة بل في المدينة أو في « فيللته » الرائعة الخاصة به ، ودائما ما كان مشغولا بـ « المؤامرات التجارية على اختلافها » ، و بـ« الصفقات غير الشرعية » . كان يشتري الماشية من أماكن أخرى ويعرضها باعتبارها من انتاج مزرعته الجماعية ويزيف الأرقام المتعلقة بالانتاج . ومع ذلك نشرت « تعليقات صحفية ليست قليلة عنه » وأطلق عليه لقب « قائد نموذجي » (٣) .

ان هذه الأمثلة تدل على أن المزارع الجماعية الواقعة تحت

---

(١) صحيفة « سلسكايا زيزن » ، ١٤ أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

(٢) صحيفة « البرافدا » ، ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢ .

(٣) صحيفة « البرافدا » ، ٦ فبراير (شباط) ١٩٦١ .

سيطرة أمثال هؤلاء الموظفين القياديين أصبحت في الحقيقة ملكياتهم الخاصة . وأمثال هؤلاء يحولون المؤسسات الاقتصادية الجماعية الاشتراكية الى استثمارات اقتصادية للكولاك الجدد . وكثيرا ما كان هناك أناس في المنظمات القيادية التي فوقهم ، يقومون بحمايتهم . وقد أصبحت علاقتهم مع الفلاحين في المزارع الجماعية علاقة المضطهِدين بالمضطهَدين ، وعلاقة المستغِلين بالمستغلين . أوليس أمثال هؤلاء المستغلين الجدد الذين يركبون على ظهور فلاحي المزارع الجماعية هم كولاك جدد مائة في المائة ؟

مما لا شك فيه أنهم جميعا ينتمون الى الطبقة التي تعارض البروليتاريا والشغيلة الفلاحين ، أي أنهم ينتمون الى طبقة الكولاك أو طبقة برجوازية الريف . ونشاطاتهم المعادية للاشتراكية هي بالتحديد صراع طبقي تقوم فيه البرجوازية بالهجوم على البروليتاريا والشغيلة الفلاحين .

بجانب العناصر الرأسمالية في مؤسسات الدولة والمزارع الجماعية توجد هناك عناصر برجوازية أخرى كثيرة في المدن والأرياف معا في الاتحاد السوفياتي.

بعض هؤلاء قد أسس مؤسسات خاصة بغرض الانتاج والبيع لصالح أنفسهم ، وبعضهم نظم فرقا خاصة لابرام العقود تتعهد بأعمال البناء بصورة علنية للدولة أو للمؤسسات التعاونية ، وآخرون يديرون فنادق خاصة . وقد استأجرت « امرأة سوفياتية رأسمالية » في لينينغراد عمالا لصناعة البلوزات من النايلون بغرض البيع و « بلغ دخلها اليومي سبعمائة روبل جديد » (١) . وكان صاحب ورشة في منطقة كرسك

(١) صحيفة « الازفيستيا » ، ٩ أبريل (نيسان) ١٩٦٣ .

يقوم بصناعة أحذية الوقاية من البرد الملبدة بغرض البيع بأسعار المضاربة . وقد كان في حوزته خمسمائة وأربعون زوجاً من هذه الأحذية ، وما بلغ وزنه ثمانية كيلوغرامات من قطع النقود الذهبية ، وثلاثة آلاف متر من القماش الراقي ، وعشرون سجادة ، وألف ومئتا كيلوغرام من الصوف وكثير من الأشياء القيمة الأخرى (١) . وفي منطقة قوميل كان مقاول خاص « يستأجر العمال وأصحاب الحرف اليدوية » ، وفي بحر سنتين حصل على عقود لبناء واصلاح الأفران في اثني عشر مصنعا بأسعار مرتفعة (٢) . وتوجد في منطقة اورنبرغ « مئات الفنادق الخاصة والمراكز الشخصية لشحن وتحويل البضائع » ، هذا « وأموال المزارع الجماعية والدولة تتدفق بدون انقطاع الى جيوب ملاك الفنادق » (٣).

وينغمس البعض في المضاربة التجارية فيشترون بأسعار منخفضة ويبيعون بأسعار مرتفعة فيجنون أرباحا هائلة لاستجلابهم البضائع من الأماكن البعيدة . وفي موسكو يوجد عدد كبير من المضاربين الذين يعيدون بيع المحاصيل الزراعية . و « يوردون الى موسكو أطناناً من الفاكهة الحمضية والتفاح والخضر ويبيعونها مرة أخرى بأسعار المضاربة » . و « تقدم لقناص الأرباح هؤلاء كل التسهيلات بما فيها خانات الأسواق وغرف التخزين وغير ذلك من الخدمات ، تحت

---

(١) صحيفة « سوفياتسكايا روسيا » ، ٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٠ .

(٢) صحيفة « الازفستيا » ، ١٨ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٠ .

(٣) صحيفة « سلسكايا زيزن » ، ١٧ يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

تصرفهم » (١) . وفي منطقة الكراسنودار عند الحدود فتحت احدى المضاربات وكالة خاصة بها و « وظفت اثني عشرمن الباعة وحمالين للشحن والتفريغ » ، وقامت بنقل « آلاف الخنازير ، ومئات القناطير من الحبوب ، ومئات الأطنان من الفاكهة » من المناطق الريفية الى حوض نهر الدون ، ونقلت « كميات عظيمة مسلوبة من الطوب وعربات بأكملها مملوءة بالواح الزجاج » وغير ذلك من مواد البناء من المدن الى القرى ، وقد جنت رأس مال ضخما من عملية البيع مرة ثانية (٢) .

وعمل آخرون كسماسرة ووسطاء . ولهؤلاء اتصالات واسعة ويمكن للمرء أن ينال كل يريد عن طريقهم بالرشوة . وقد كان في لينينغراد سمسار « بالرغم من أنه لم يكن وزير التجارة ، الاأنه كان يسيطر على جميع المخرونات » و « بالرغم من أنه لم يكن يشغل وظيفة في السكك الحديدية الا أنه كان يتصرف في عربات النقل كما يشاء » : « كان بوسعه أن يحصل على أشياء ، كانت الكميات الموجودة منها خاضعة للضبط الدقيق ، من خارج نطاق تلك الكميات » . « كانت كل مخازن البضائع في لينينغراد في خدمته » . وكان يتسلم « عمولة » ضخمة من المال لارساله البضائع لأصحابها . وقد تسلم من احدى شركات الخشب مبلغ ٧٠٠٠٠٠ روبل في سنة ١٩٦٠ وحدها . وتوجد

---

(١) صحيفة « اكونوميجشسكايا قازيتا » ، العدد ٢٧ ، عام ١٩٦٣ .

(٢) صحيفة « ليتزيراتورنايا قازيتا » ، ٢٧ يوليو (تموز) و١٧ أغسطس (آب) ١٩٦٣ .

في لينينغراد « جماعة كبيرة » من أمثال هؤلاء السماسرة (١) .

ان أصحاب الاستثمارات الخاصة هؤلاء والمضاربين منغمسون في أكثر أنواع الاستغلال الرأسمالي انكشافا . أليس من الواضح أنهم جميعا ينتمون الى البرجوازية هذه الطبقة التي تعارض البروليتاريا ؟

ان الصحف السوفياتية نفسها في الحقيقة تسمي هؤلاء الناس « رأسماليين سوفياتيين » و « مستثمرين ظهروا حديثا » و « أصحاب استثمارات خاصة » و « كولاكا ظهروا حديثا » و « مضاربين » و « مستغلين » وما شابه . ألا يعني اذن ادعاء أفراد عصبة خروشوف التحريفية بأنه لا وجود لطبقات متعارضة في الاتحاد السوفياتي ، أنهم يصفعون وجوههم بأيديهم ؟

ان الحقائق التي قدمت سلفا لا تشكل الا جزءاً مما كشف في الصحافة السوفياتية . وهي كافية لافزاع الناس ، ولكن هناك كثير لم ينشر ، وحوادث عديدة وأكبر وأخطر قد سترت وفرض عليها الكتمان . وقد نقلنا الحقائق السالفة الذكر بغرض الاجابة على سؤال ما اذا كانت في الاتحاد السوفياتي طبقات متعارضة وصراع طبقي أم لا . ان هذه الحقائق يمكن الحصول عليها وليس بمقدور عصبة خروشوف التحريفية انكارها .

ان هذه المعلومات كافية لتوضح تماما أن النشاطات المحمومة التي تقوم بها البرجوازية المعادية للبروليتاريا واسعة الانتشار في الاتحاد السوفياتي ، في المدن والقرى ، في الصناعة والزراعة ، في ميدان الانتاج والتداول ، من الدوائر الاقتصادية حتى منظمات الحزب

---

(١) صحيفة « سوفياتسكايا روسيا » ، ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦١ .

والحكومة ، من أسفل المستويات الى الهيئات القيادية العليا . وهذه النشاطات المعادية للاشتراكية ليست سوى صراع طبقي حاد تقوم به البرجوازية ضد البروليتاريا .

ليس من الغريب أن تكون هناك هجمات من قبل العناصر البرجوازية القديمة والجديدة في الأقطار الاشتراكية على الاشتراكية . وما من شيء مرعب في هذا طالما ظلت قيادة الحزب والدولة قيادة ماركسية لينينية . الا أن خطورة الوضع في الاتحاد السوفياتي اليوم تكمن في حقيقة أن عصبة خروشوف التحريفية قد اغتصبت قيادة الحزب السوفياتي والدولة السوفياتية ، وان فئة برجوازية مفضلة قد ظهرت في المجتمع السوفياتي .

وسوف نعالج هذه المسألة في الجزء التالي .

الفئة السوفياتية المفضلة وعصبة خروشوف التحريفية

تتكون الفئة المفضلة في المجتمع السوفياتي الراهن من عناصر متفسخة من بين الملاكات القيادية في منظمات الحزب والحكومة والمؤسسات والمزارع ومن المثقفين البرجوازيين أيضا . انها فئة مفضلة تقف موقف المعارضة للعمال والفلاحين وجماهير المثقفين والملاكات في الاتحاد السوفياتي .

لقد أوضح لينين بعد ثورة أكتوبر بفترة قصيرة أن ايديولوجيات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وقوة عاداتها تحاصر البروليتاريا من جميع النواحي وتؤثر عليها ، وانها تفسد أقساما معينة من البروليتاريا . ولم يؤد هذا الوضع الى ظهور بيروقراطيين معزولين عن الجماهير

من بين الموظفين والملاكات السوفياتيين وحسب ، بل الى ظهور عناصر برجوازية جديدة ايضا . وأوضح لينين أيضا أنه بالرغم من ضرورة دفع مرتبات عالية للخبراء الفنيين البرجوازيين الذين بقوا للعمل للسلطة السوفياتية ، الا أن لهم عليها نفوذا مفسدا .

ولهذا ركز لينين تركيزا عظيما في ذلك الوقت على شن نضال دائب ضد نفوذ ايديولوجيات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، وعلى استنهاض الجماهير العريضة للمساهمة في عمل الحكومة ، وعلى الكشف الدائم للعناصر البيروقراطية والعناصر البرجوازية الجديدة في الأجهزة السوفياتية وتطهير هذه الأجهزة من هذه العناصر ، وعلى خلق الظروف التي يستحيل معها وجود البرجوازية وتوالدها . لقد أوضح لينين بقوة أنه « بدون كفاح منتظم عنيد لتحسين الأجهزة ، سوف نلاقي حتفنا قبل أن تخلق أسس الاشتراكية . » (١)

وركز لينين في نفس الوقت تركيزا عظيما على الالتزام بمبدأ كومونة باريس حول سياسة المرتبات وهو أن تكون مرتبات موظفي الخدمة المدنية مساوية لأجور العمال ، وأن تكون مرتبات الخبراء البرجوازيين فقط مرتفعة . لقد طبقت في الأساس ارشادات لينين منذ ثورة أكتوبر الى فترة اعادة انعاش الاقتصاد السوفياتي . وقد كانت مرتبات القياديين في منظمات الحزب والحكومة وقادة المؤسسات وأعضاء الحزب من بين الخبراء مساوية عموما لمرتبات العمال .

في ذلك الوقت اتخذ الحزب الشيوعي السوفياتي وحكومة الاتحاد

---

(١) لينين : « مشروع كراس "حول ضريبة الأغذية" » .

السوفياتي عدة خطوات في ميدان السياسة والايديولوجية وفي نظام التوزيع لمنع الملاكات القيادية في أي مجال كانت من اساءة استعمال سلطاتها والحيلولة دون تحللها أخلاقيا أو سياسيا .

لقد ثابر الحزب الشيوعي السوفياتي بقيادة ستالين على ديكتاتورية البروليتاريا وعلى السير في طريق الاشتراكية وشن نضالا حازما ضد قوى الرأسمالية . وقد كانت نضالات ستالين ضد التروتسكيين والزينوفيفيين والبخارينيين في جوهرها انعكاسا للصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية في داخل الحزب ، وللصراع بين طريق الاشتراكية وطريق الرأسمالية في داخل الحزب . وقد حطم انتصار هذه النضالات المؤامرة العابثة التي كانت البرجوازية تدبرها لعودة الرأسمالية في الاتحاد السوفياتي .

ولايمكن انكار حقيقة أن مرتبات مرتفعة كانت تدفع لجماعات معينة قبل وفاة ستالين ، وأن بعض الملاكات كانوا فعلا قد تحللوا وأصبحوا عناصر برجوازية . وقد أوضحت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في تقريرها الى المؤتمر التاسع عشر للحزب في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٢ أن التحلل والفساد قد ظهرا في منظمات حزبية معينة . فقد حول قادة هذه المنظمات منظماتهم الى مجموعات عائلية صغيرة تتشكل كلها من التابعين لهم ووضعوا « مصلحة مجموعاتهم الصغيرة فوق مصالح الحزب والدولة » . وان بعض المسئولين في المؤسسات الصناعية « قد نسوا ان المؤسسات التي وضعت تحت مسئوليتهم هي ملك للدولة ، وحاولوا جعلها مجالات خاصة لسلطتهم » . و « بدلا من صيانة مصالح المزارع الجماعية التي هي مكيلة مشتركة » انغمس بعض الموظفين وبعض الملاكات من الحزب والحكومة ومن الدوائر الزراعية

في « اختلاس أموال المزارع الجماعية » . كما ظهرت أيضا في دوائر الثقافة والفن والعلوم مؤلفات تهاجم النظام الاشتراكي وتسيء اليه ، وظهر « نظام أراكشيف » الاحتكاري بين العلماء .

ومنذ أن اغتصب خروشوف قيادة الحزب والدولة السوفياتيين طرأ تغير جوهري على وضع الصراع الطبقي في الاتحاد السوفياتي .

فقد طبق خروشوف سلسلة من السياسات التحريفية لخدمة مصالح البرجوازية ولتمكين قوى الرأسمالية من النمو بسرعة في الاتحاد السوفياتي .

وتحت ستار « مقاومة عبادة الفرد » شان خروشوف سمعة ديكتاتورية البروليتاريا والنظام الاشتراكي وهكذا عبد في الحقيقة الطريق لعودة الرأسمالية في الاتحاد السوفياتي . وبانكاره ستالين انكارا تاما ، أنكر في الحقيقة الماركسية اللينينية التي تمسك بها ستالين وفتح الأبواب للطوفان التحريفي .

لقد بدل خروشوف المبدأ الاشتراكي القائل « من كل حسب مقدرته ولكل حسب عمله » بمبدأ « الحافز المادي » . ولقد وسع ولم يقلل من الشقة بين مداخيل حفنة من الأشخاص ومداخيل العمال والفلاحين والمثقفين العاديين . لقد ساند المتفسخين في المناصب القيادية وشجعهم على اطلاق العنان لاساءة استغلال سلطاتهم للاستيلاء على ثمار كد الشعب السوفياتي ، وهكذا دفع بسرعة الاستقطاب الطبقي في المجتمع السوفياتي .

لقد خرب خروشوف الاقتصاد الاشتراكي المخطط وطبق مبدأ الربح الرأسمالي وطور المنافسة الحرة الرأسمالية وحطم الملكية الاشتراكية لكل الشعب .

لقد هاجم خروشوف نظام التخطيط الاشتراكي في الزراعة ووصفه بأنه « بيروقراطي » وأنه « غير ضروري » . ولقد تعلم بشغف من أصحاب المزارع الأميركيين وشجع على اتخاذ أسلوب الادارة الرأسمالي ودعم اقتصاد الكولاك وعمل على تحطيم الاقتصاد الاشتراكي الجماعي .

لقد ظل خروشوف يروج للايديولوجية البرجوازية ، يروج الحرية والمساواة والاخوة والانسانية البرجوازية ويروج بين الشعب السوفياتي المثالية البرجوازية والميتافيزيكية البرجوازية والافكار الرجعية حول الفردية والانسانية والمسالمة البرجوازية ، وأفسد الخلق الاشتراكي . ولقد أصبحت الثقافة البرجوازية الغربية المتعفنة الآن « موضة » الساعة في الاتحاد السوفياتي ، بينما تهاجم الثقافة الاشتراكية وتنبذ .

لقد ظل خروشوف يتواطأ تحت يافطة « التعايش السلمي » مع الاستعمار الأميركي ، محطما المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية ، ومعارضا النضالات الثورية للشعوب والأمم المضطهدة . ومباشرا شوفينية الدولة الكبرى والأنانية القومية وخائنا الأممية البروليتارية . ولقد ظل يفعل كل هذا لحماية مصالح ثابتة لحفنة من الناس ، يضعها فوق المصالح الأساسية لشعوب الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي والعالم قاطبة .

ان الخط الذي سار عليه خروشوف هو خط تحريفي ظاهرا وباطنا . ولم تباشر العناصر البرجوازية القديمة على هدى هذا الخط النشاط المسعور وحسب ، بل ظهرت عناصر برجوازية جديدة أيضاً بأعداد كبيرة بين الملاكات القياديين للحزب والحكومة في الاتحاد السوفياتي ، وبين رؤساء مؤسسات الدولة والمزارع الجماعية ، وبين

المثقفين الكبار في ميادين الثقافة والفنون والعلوم والتكنيك .

لقد ازدادت العناصر البرجوازية الجديدة الآن في الاتحاد السوفياتي ازديادا لم يحدث من قبل ، وتغير مركزها الاجتماعي بصورة أساسية . لم تكن هذه العناصر قبل وصول خروشوف الى الحكم سائدة في المجتمع السوفياتي ، وكانت نشاطاتها محدودة وكانت عرضة للهجوم . الأأنها منذ أن استولى خروشوف على الحكم واغتصب قيادة الحزب والحكومة خطوة فخطوة ، ارتفعت بالتدريج الى مركز السيطرة في الحزب والحكومة والدوائر الاقتصادية والثقافية وغيرها وكونت فئة مفضلة في المجتمع السوفياتي .

ان هذه الفئة المفضلة هي العنصر الأساسي للبرجوازية في الاتحاد السوفياتي اليوم والأساس الاجتماعي الرئيسي لعصبة خروشوف التحريفية . أما عصبة خروشوف التحريفية فهي الممثلة السياسية للبرجوازية السوفياتية ولا سيما للفئة المفضلة من هذه البرجوازية .

لقد قامت عصبة خروشوف التحريفية بحملة اثر أخرى للتطهير واستبدلت مجموعة بعد أخرى من الملاكات في كل أنحاء البلاد من الهيئات المركزية الى المحلية ، ومن المنظمات الحزبية والحكومية القيادية الى الدوائر الاقتصادية والثقافية والتعليمية ، وفصلت عددا كبيرا ممن لا تثق بهم ووضعت مكانهم عددا كبيرا ممن تثق بهم في المناصب القيادية .

لنأخذ مثلا باللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي . تدل الأرقام على أن ما يقرب من سبعين بالمائة من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الذين تم انتخابهم في المؤتمر التاسع عشر للحزب في سنة **١٩٥٢** قد عزلوا أثناء المؤتمرين العشرين والثاني والعشرين

على التوالي في سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦١ . وما يقرب من خمسين بالمائة من أعضاء اللجنة المركزية الذين انتخبوا في المؤتمر العشرين قد عزلوا عند عقد المؤتمر الثاني والعشرين .

لنأخذ مثلا آخر بالمنظمات المحلية على اختلاف مستوياتها . لقد لجأت عصبة خروشوف التحريفية ، تبعا لاحصاءات غير كاملة ، قبل عقد المؤتمر الثاني والعشرين بوقت قصير ، بحجة « تجديد الملاكات » الى عزل خمسة وأربعين بالمائة من أعضاء اللجان المركزية لجمهوريات الاتحاد ولجان الحزب للمناطق الحدودية والمناطق من مناصبهم ، كما عزلت أربعين بالمائة من أعضاء لجان الحزب في البلديات والأحياء من مناصبهم . وعادت مرة أخرى في سنة ١٩٦٣ بحجة تقسيم الحزب الى « لجان حزبية للصناعة » و « لجان حزبية للزراعة » فعزلت أكثر من نصف أعضاء اللجان المركزية لجمهوريات الاتحاد ولجان المناطق الحزبية من مناصبهم .

وعن طريق هذه السلسلة من التغييرات سيطرت هذه الفئة المفضلة السوفياتية على الحزب والحكومة وغيرهما من المنظمات الهامة .

لقد حوّل أفراد هذه الفئة المفضلة اختصاصات خدمة الشعب الى امتيازات للسيطرة على الشعب ، وهم يسيئون اليوم استخدام سلطتهم في ادارة وسائل الانتاج ووسائل المعيشة سعياً للنفع الشخصي لعصبتهم الضئيلة .

ان هذه الفئة المفضلة تغتصب ثمار كدح الشعب السوفياتي وتملأ جيوبها بدخول تبلغ عشرات أضعاف أو مئات أضعاف دخل العامل السوفياتي العادي والفلاح السوفياتي العادي . وافراد هذه الفئة

لا يتسلمون دخولا كبيرة في شكل مرتبات ضخمة ، وجوائز ضخمة ، وحقوق للنشر ، وأنواع متعددة من العلاوات الشخصية وحسب ، بل يستخدمون مراكزهم الممتازة أيضا للاستحواذ على الأموال العامة عن طريق الغش والرشوة . ويعيشون في معزل تام عن شغيلة الاتحاد السوفياتي حياة برجوازية طفيلية متفسخة .

لقد أصبح أفراد هذه الفئة المفضلة متفسخين تماما من ناحية الايديولوجية ، وقد فارقوا التقاليد الثورية للحزب البلشفي مفارقة تامة ، وألقوا جانبا بالمثل العليا للطبقة العاملة السوفياتية . انهم يعارضون الماركسية اللينينية والاشتراكية . انهم يخونون الثورة ويمنعون الآخرين من القيام بالثورة . واهتمامهم الوحيد هو تدعيم مركزهم الاقتصادي وسيطرتهم السياسية . وتدور كل نشاطاتهم على محور المصالح الخاصة لفئتهم المفضلة .

لقد لجأت عصبة خروشوف ، بعد اغتصابها قيادة الحزب والدولة السوفياتيتين ، الى تحويل الحزب الشيوعي السوفياتي الماركسي اللينيني ذي التاريخ الثوري المجيد الى حزب تحريفي ، والى تحويل الدولة السوفياتية تحت ديكتاتورية البروليتاريا الى دولة خاضعة لديكتاتورية عصبة خروشوف التحريفية ، وتحويل ملكية كل الشعب الاشتراكية والملكية الاشتراكية الجماعية بالتدريج الى ملكية للفئة المفضلة .

لقد رأى الناس كيف برزت الى الوجود بالتدريج في يوغوسلافيا ، منذ أن سلكت عصبة تيتو طريق التحريفية ، وبالرغم من أنها مازالت تعرض راية « الاشتراكية » ، برجوازية بيروقراطية تعارض الشعب اليوغوسلافي وحولت يوغوسلافيا من دولة ديكتاتورية للبروليتاريا الى دولة تحت

ديكتاتورية البرجوازية البيروقراطية ، كما حولت اقتصادها العام الاشتراكي الى رأسمالية للدولة . ويرى الناس الآن عصبة خروشوف تسلك نفس الطريق الذي سارت سلفا عليه عصبة تيتو . فلاعجب أن خروشوف يحجّ الى بلغراد ، قائلا مرة بعد أخرى بأنه يريد أن يتعلم من خبرة عصبة تيتو وأنه هو وعصبة تيتو « ينتميان الى نفس الفكرة وترشدهما نفس النظرية » .

لقد أصبح الآن أول قطر اشتراكي في العالم بناه الشعب السوفياتي العظيم بدمائه وعرقه ، يواجه نتيجة تحريفية خروشوف خطراً لم يسبق له مثيل بعودة الرأسمالية .

ان عصبة خروشوف تنشر خرافة أنه « لا توجد في الاتحاد السوفياتي طبقات متعارضة ولا يوجد صراع طبقي » ، حتى تحجب حقائق الصراع الطبقي الذي تشنه بلا رحمة ضد الشعب السوفياتي .

ان الفئة المفضلة السوفياتية التي تمثلها عصبة خروشوف التحريفية لا تشكل سوى نسبة مئوية ضئيلة جدا من مجموع سكان الاتحاد السوفياتي ، وعدد ضئيل جدا في صفوف الملاكات السوفياتيين . وهي تقف موقف المعارضة التامة للشعب السوفياتي الذي يشكل أكثر من تسعين بالمائة من سكان الاتحاد السوفياتي ، وموقف المعارضة التامة للأغلبية العظمى من الملاكات والشيوعيين السوفياتيين . والتناقض بين هذه الفئة والشعب السوفياتي هو الآن التناقض الأساسي في داخل الاتحاد السوفياتي وهو تناقض طبقي متعارض لا يقبل المصالحة .

ان الحزب الشيوعي السوفياتي المجيد الذي أسسه لينين والشعب السوفياتي العظيم قد أظهرا مبادرة ومقدرة ثوريتين على الخلق لا شبيه

لهما في ثورة أكتوبر الاشتراكية ، فقد أظهرا بطولتهما وقوتهما في هزيمة الحرس الأبيض وصد التدخل المسلح من قبل أكثر من عشرة أقطار استعمارية ، وأحرزا منجزات باهرة لم يسبق لها مثيل في النضال من أجل التصنيع وجعل الزراعة جماعية ، وكسبا نصراً هائلا أنقذ البشرية في الحرب الوطنية ضد الفاشست الألمان . وقد ورثت جماهير أعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي والشعب السوفياتي حتى تحت حكم عصبة خروشوف التقاليد الثورية المجيدة التي غرسها ورعاها لينين وستالين ، وما زالوا يثابرون على الاشتراكية ويتطلعون الى الشيوعية .

ان الجماهير العريضة من العمال ومزارعي المزارع الجماعية والمثقفين السوفياتيين تغلو تذمرا في وجه الكبت والاستغلال اللذين تباشرهما الفئة المفضلة . ولقد رأت بوضوح متزايد القسمات التحريفية الحقيقية لعصبة خروشوف التي تخون الاشتراكية وتعمل لعودة الرأسمالية . ويوجد بين صفوف الملاكات السوفياتيين عدد كبير ممن مازالوا يثابرون على الموقف الثوري للبروليتاريا ، ويلتزمون بطريق الاشتراكية ، ويعارضون بحزم تحريفية خروشوف . ان الجماهير العريضة من الشعب والشيوعيين والملاكات في الاتحاد السوفياتي تستخدم الآن وسائل مختلفة لمقاومة ومعارضة الخط التحريفي لعصبة خروشوف ، حتى لا تستطيع عصبة خروشوف التحريفية أن تعيد الرأسمالية كما تشاء . ان الشعب السوفياتي العظيم يكافح للدفاع عن التقليد المجيد لثورة أكتوبر العظمى ، وللحفاظ على المكاسب العظيمة للاشتراكية ، ولتحطيم مؤامرة عودة الرأسمالية .

دحض ما يسمى بـ « دولة كل الشعب »

رفع خروشوف علنا في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي راية معارضة ديكتاتورية البروليتاريا معلناً احلال ما يسمى بدولة كل الشعب محل دولة ديكتاتورية البروليتاريا . وقد جاء في برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي أن ديكتاتورية البروليتاريا « قد أصبح ممكناً الاستغناء عنها في الاتحاد السوفياتي وأن الدولة التي نشأت بصفتها دولة ديكتاتورية للبروليتاريا قد أصبحت في المرحلة الجديدة المعاصرة دولة لكل الشعب » .

ان كل من له إلمام بأبجديات الماركسية اللينينية يعرف أن مفهوم الدولة هو مفهوم طبقي . وقد أوضح لينين أن « الصفة المميزة للدولة هي وجود طبقة منفصلة من الناس تكون السلطة مركزة في أياديها » (١) . ان الدولة هي سلاح للصراع الطبقي ، وجهاز تضطهد بواسطته طبقة واحدة طبقة أخرى . كل دولة هي ديكتاتورية طبقة معينة . وطالما ظلت الدولة باقية لا يمكن أن تكون فوق الطبقات أو تنتمي الى كل الشعب .

ان البروليتاريا وحزبها السياسي لم يحدث أبدا أن أخفيا آراءهما . وهما يعلنان بالتحديد أن الغرض المعلوم من الثورة الاشتراكية البروليتارية هو الاطاحة بحكم البرجوازية وتأسيس ديكتاتورية البروليتاريا . وبعد انتصار الثورة الاشتراكية لا بد للبروليتاريا وحزبها من السعي بلا كلل لأداء المهام التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا ، لاستئصال

---

(١) لينين : « المحتوى الاقتصادي للغارودية » .

الطبقات والفوارق الطبقية وتمكين الدولة من التلاشي شيئا فشيئا . ان البرجوازية وأحزابها وحدهما هما اللتان تحاولان بكل سبيل ممكن ، ستر الطبيعة الطبقية لسلطة الدولة بغرض خداع الجماهير وتصفان جهاز الدولة الذي تحت سيطرتهما بأنه جهاز « كل الشعب » وأنه « فوق الطبقة » .

وتوضح حقيقة أن خروشوف أعلن ازالة ديكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفياتي وقدم استنتاج « دولة كل الشعب » أنه قد أحل زيف البرجوازية محل تعاليم الماركسية اللينينية حول الدولة .

وعاجلت عصبة خروشوف التحريفية ، عندما نقد الماركسيون اللينينيون أقوالها الباطلة ، بالدفاع عن نفسها وبذلت جهدها لخلق ما يسمى بأساس نظري لـ« دولة كل الشعب » . وهي تزعم الآن أن الفترة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا التي ذكرها ماركس ولينين تشير فقط الى الانتقال من الرأسمالية الى المرحلة الأولى من الشيوعية لا الى مرحلتها العليا . وتدعي بالاضافة لهذا أن « ديكتاتورية البروليتاريا سوف لا تكون ضرورية قبل أن تتلاشى الدولة » (١) . وأنه بعد نهاية ديكتاتورية البروليتاريا توجد هنالك مرحلة أخرى هي مرحلة « دولة كل الشعب » .

ان هذه سفسطة ظاهراً وباطناً .

لقد قدم ماركس في مؤلفه « نقد برنامج غوتا » المبدأ الشهير القائل بأن ديكتاتورية البروليتاريا هي دولة فترة الانتقال من الرأسمالية

---

(١) « برنامج لبناء الشيوعية » ، مقال بقلم هيئة تحرير « البرافدا » ، ١٨ أغسطس (آب) ١٩٦١ .

الى الشيوعية . وقد قدم لينين تفسيرا واضحا لهذا المبدأ حين قال : « كتب ماركس في نقده لبرنامج غوتا : " تقع بين المجتمعين الرأسمالي والشيوعي فترة التحول الثوري من الاول الى الثاني . وتقابل هذا أيضا فترة انتقال سياسي لا تكون فيها الدولة سوى ديكتاتورية البروليتاريا الثورية . " ان هذا المبدأ لم ينازع حتى الآن من قبل الاشتراكيين ، ومع ذلك يتضمن الاعتراف بوجود الدولة حتى الوقت الذي تكون فيه الاشتراكية الظافرة قد نمت وأصبحت شيوعية تامة . » (١)

وقال لينين بالاضافة الى ذلك : « ان جوهر تعاليم ماركس حول الدولة قد تملكه فقط من فهموا أن ديكتاتورية طبقة واحدة ضرورية لا لكل مجتمع طبقي عموما ، لا للبروليتاريا التي أطاحت بالبرجوازية وحسب ، بل ضرورية أيضاً طوال الفترة التاريخية التي تفصل الرأسمالية عن " المجتمع اللاطبقي " ، عن الشيوعية » (٢) .

من الواضح تمام الوضوح أن الفترة التاريخية التي ذكرها ماركس ولينين والتي توجد فيها دولة ديكتاتورية البروليتاريا ليست هي مجرد فترة الانتقال من الرأسمالية الى المرحلة الأولى من الشيوعية ، كما تدعي عصبة خروشوف التحريفية ، بل هي فترة الانتقال من الرأسمالية الى « الشيوعية التامة » ، الى الوقت الذي تكون فيه جميع الفوارق الطبقية قد قضي عليها ، وتم فيه تحقيق « المجتمع اللاطبقي » ، أي الى المرحلة العليا من الشيوعية .

---

(١) لينين : « حول تلخيص مناقشة مسألة تقرير المصير » .

(٢) لينين : « الدولة والثورة » .

ويتضح بنفس القدر أن الدولة في مرحلة الانتقال ، التي أشار اليها ماركس ولينين تكون هي ديكتاتورية البروليتاريا ولا شيء عداها . ان ديكتاتورية البروليتاريا هي شكل الدولة خلال فترة الانتقال بأكملها من الرأسمالية الى المرحلة العليا من الشيوعية وأيضا هي آخر شكل للدولة في التاريخ الانساني . ان تلاشي ديكتاتورية البروليتاريا سوف يعني تلاشي الدولة . قال لينين : « لقد استنتج ماركس من كل تاريخ الاشتراكية والصراع السياسي أن الدولة لا بد أن تختفي ، وأن الشكل الانتقالي لاختفائها (الانتقال من دولة الى لا دولة) سيكون هو " البروليتاريا المنظمة في شكل الطبقة الحاكمة " . » (١)

ومن الناحية التاريخية ، قد تتخذ ديكتاتورية البروليتاريا عدة أشكال تختلف باختلاف قطر عن الآخر وباختلاف فترة عن أخرى ، الا أنها تبقى في الجوهر كما هي . قال لينين : « ان الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية لايمكن الا أن يجلب أنواعا كافية ومختلفة من الأشكال السياسية ، الا أن الجوهر لا بد أن يكون واحدا هو ديكتاتورية البروليتاريا . » (٢)

ومن هذا يتضح أن القول بأن نهاية ديكتاتورية البروليتاريا ستسبق تلاشي الدولة وانها ستعقبها مرحلة أخرى هي « دولة كل الشعب » ، ليس قطعاً وجهة نظر ماركس ولينين ، بل هو اختراع المحرف خروشوف .

ان أفراد عصبة خروشوف التحريفية لكي يقدموا الحجج دفاعا عن وجهات نظرهم المعادية للماركسية اللينينية بذلوا جهدا عظيما حتى

---

(١) «برنامج لبناء الشيوعية» ، مقال بقلم هيئة تحرير «البرافدا» ، ١٨ أغسطس (آب) ١٩٦١ .
(٢) نفس المصدر السابق .

عثروا على جملة من أقوال ماركس فشوهوها بايرادها خارج محتواها . لقد زعموا بأن « نظام الدولة المقبل في المجتمع الشيوعي » الذي اشار اليه ماركس في مؤلفه « نقد برنامج غوتا » ، هو « "الدولة في المجتمع الشيوعي" الذي لم يعد ديكتاتورية للبروليتاريا » (١) . لقد أعلنوا بجذل أن الصينيين سوف لا يجرءون على اقتطاف هذه الجملة عن ماركس . ومن الواضح أن عصبة خروشوف التحريفية تعتقد أن هذه الجملة تساعدها حقا .

وكأن لينين قد تنبأ بأن المحرفين سوف يفيدون من هذه الجملة لتشويه الماركسية . فلقد قدم لينين في مؤلفه « رأي الماركسية حول الدولة » تفسيرا رائعا لهذه الجملة . فقد قال ، « ان ديكتاتورية البروليتاريا هي "فترة انتقال سياسية" ... ولكن ماركس نفسه أردف يتحدث عن "نظام الدولة المقبل في المجتمع الشيوعي" !! وهكذا ستكون هناك دولة حتى في "المجتمع الشيوعي" !! أليس من تناقض في هذا ؟ » أجاب لينين قائلا « كلا ! » ثم سرد المراحل الثلاث التي تبرز أثناء التطور من الدولة البرجوازية حتى تلاشي الدولة والتي هي :

المرحلة الأولى : في المجتمع الرأسمالي تحتاج البرجوازية الى الدولة ، أي تحتاج الى الدولة البرجوازية .

المرحلة الثانية : في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، تحتاج البروليتاريا الى الدولة ، أي تحتاج الى دولة ديكتاتورية البروليتاريا .

---

(١) تقرير سوسلوف في الدورة العامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في فبراير (شباط) ١٩٦٤ .

المرحلة الثالثية : في المجتمع الشيوعي ، لا حاجة الى الدولة ، انها تتلاشى وتختفي .

واختتم لينين قوله : « تسلسل ووضوح تامان ! ! »

وفي هذا الترتيب الذي قدمه لينين توجد فقط الدولة البرجوازية ، ودولة ديكتاتورية البروليتاريا ، وتلاشي واختفاء الدولة . ولقد أوضح بهذه الطريقة أنه بالوصول الى الشيوعية تختفي الدولة وتتلاشى ولن تكون هناك مسألة نظام الدولة .

انه لمن التهكم فعلا أن عصبة خروشوف التحريفية أيضا قد اقتطفت هذه العبارة بالذات من مؤلف لينين « رأي الماركسية حول الدولة » في دفاعها عن خطئها . ثم واصلت قولها وأصدرت العبارة الغبية التالية : « ان الفترتين الأوليين اللتين أشار اليهما لينين في الرأي الذي سبق اقتطافه أصبحتا في حنايا التاريخ في بلادنا . فلقد ظهرت الى الوجود في الاتحاد السوفياتي دولة كل الشعب ، أي نظام الدولة الشيوعي ، أي نظام الدولة في المرحلة الأولى من الشيوعية ، قد ظهرت وهي تتطور الآن . » (١)

اذا كانت الفترتان الأوليان اللتان أشار اليهما لينين قد أصبحتا فعلا في حنايا التاريخ في الاتحاد السوفياتي اذن لكانت الدولة قد تلاشت من قبل ، واذا كان هذا ما حدث اذن من أين تأتي « دولة كل الشعب » ؟ واذا لم تكن الدولة قد تلاشت بعد اذن كان يجب أن تكون هي ديكتاتورية

---

(١) « من حزب الطبقة العاملة الى حزب الشعب السوفياتي قاطبة » ، مقال بقلم هيئة تحرير مجلة « بازينايازيزن » ، العدد ٨ ، عام ١٩٦٤ .

البروليتاريا وليست بأي حال من الأحوال وتحت أية ظروف كانت ، « دولة كل الشعب » .

ان عصبة خروشوف التحريفية اذ تحاجّ دفاعا عن « دولة كل الشعب » تبذل جهدها لتحقير ديكتاتورية البروليتاريا فتصفها بأنها ليست ديمقراطية . وتدعي بأن وضع « دولة كل الشعب » محل دولة ديكتاتورية البروليتاريا هو وحده الذي يسمح بتطوير الديمقراطية أكثر وتحويلها الى « ديمقراطية حقيقية لكل الشعب » . لقد تبجح خروشوف قائلا بأن ازالة ديكتاتورية البروليتاريا يضرب مثلا على « خط لتطوير الديمقراطية تطويرا نشطا » وأن « الديمقراطية البروليتارية تصبح ديمقراطية اشتراكية لكل الشعب » (١) .

ان هذه التخرصات لا تدل الا على أن الناطقين بها جاهلون تماما بتعاليم الماركسية اللينينية حول الدولة ويشوهون هذه التعاليم بصورة لا تعرف الخجل .

ان كل من له المام بأبجديات الماركسية اللينينية يعرف أن الديمقراطية وهي شكل من أشكال الدولة ، هي مثل الديكتاتورية مفهوم طبقي . وكل ديمقراطية لا بد أن تكون ديمقراطية طبقية ، ولا يمكن أن تكون هناك « ديمقراطية لكل الشعب » .

قال لينين : « الديمقراطية للأغلبية الساحقة من الشعب ، والكبت

---

(١) تقرير « حول برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي » و« تقرير للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي » ألقاهما خروشوف في المؤتمر الثاني والعشرين في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١ .

بالقوة على من يستغلون ويكبتون الشعب أي حرمانهم من الديمقراطية — هذا هو التغير الذي تمر به الديمقراطية خلال الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية . » (١) الديكتاتورية على الطبقات المستغِـلة والديمقراطية بين الشغيلة — هذان هما وجها ديكتاتورية البروليتاريا . وفي ظل ديكتاتورية البروليتاريا وحدها يمكن تطوير الديمقراطية من أجل الجماهير الكادحة ويمكن توسيعها الى حدود لم يسبق لها مثيل . وبدون ديكتاتورية البروليتاريا لا يمكن وجود ديمقراطية حقيقية للجماهير الكادحة .

حيثما توجد ديمقراطية برجوازية لا توجد ديمقراطية بروليتارية ، وحيثما توجد ديمقراطية بروليتارية لا توجد ديمقراطية برجوازية . ان وجود احداهما يقضي على الأخرى . ان هذا لا مفر منه ولا يسمح بأدنى قدر من المساومة . وكلما تم القضاء قضاء تاما شاملا على الديمقراطية البرجوازية فتح المجال لتوسيع الديمقراطية البروليتارية . وكل قطر يحدث فيه هذا هو في نظر البرجوازيين قطر تنعدم فيه الديمقراطية . ولكن هذا في الحقيقة تطوير للديمقراطية البروليتارية واستئصال للديمقراطية البرجوازية . و متى تطورت الديمقراطية البروليتارية قضي على الديمقراطية البرجوازية .

ان عصبة خروشوف التحريفية تعارض هذا الاستنتاج الأساسي الماركسي اللينيني . وهي تعتقد في الحقيقة أنه طالما ظل الأعداء معرضين للديكتاتورية لا توجد ديمقراطية ، وأن السبيل الوحيد لتطوير الديمقراطية هو ازالة الديكتاتورية المفروضة على الأعداء ورفع الكبت عنهم وتطبيق

---

(١) لينين : « الدولة والثورة » .

« ديمقراطية كل الشعب » .

ان وجهة نظرها هذه هي من نفس القالب الذي صيغت منه وجهة نظركاوتسكي الخائن حول « الديمقراطية الخالصة » .

قال لينين في نقده لكاوتسكي : « ان " الديمقراطية الخالصة " ليست عبارة غبية تكشف عن عدم فهم الصراع الطبقي وطبيعة الدولة وحسب ، بل هي عبارة جوفاء تماما ، ذلك أنه بالرغم من أن الديمقراطية سوف تتلاشى في المجتمع الشيوعي أثناء تحولها الى عادة . الا أنها سوف لاتصبح أبدا ديمقراطية " خالصة " . » (١)

وأضاف موضحا أيضا : « ان " سير " الديالكتيك المتطور هو كما يلي : من الحكم المطلق الى الديمقراطية البرجوازية ، ومن الديمقراطية البرجوازية الى الديمقراطية البروليتارية ، ومن الديمقراطية البروليتارية الى لا نوع من الديمقراطية . » (٢) ومعنى هذا أن الديمقراطية البروليتارية سوف تتلاشى مع تلاشي الطبقات وتلاشي واختفاء ديكتاتورية البروليتاريا في المرحلة العليا من الشيوعية .

واذا تحدثنا بصراحة فان « ديمقراطية كل الشعب » التي يعلن عنها خروشوف بصخب ، شأنها شأن « دولة كل الشعب » ، ما هي الا خداع . ان غرض خروشوف الوحيد من التقاطه خرق البرجوازية والمحرفين القدامى وقيامه ببعض الترقيع ووضع ماركته على ذلك ، هو خداع الشعب السوفياتي والشعوب الثورية في العالم أجمع ، وايجاد

(١) لينين : « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » .

(٢) لينين : « رأي الماركسية حول الدولة » .

ستار لخيانته لديكتاتورية البروليتاريا ولمعارضته للاشتراكية .

ما هو جوهر « دولة كل الشعب » التي يعلن عنها خروشوف ؟

لقد أزال خروشوف ديكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفياتي وأقام ديكتاتورية العصبة التحريفية بقيادته ، أي أقام ديكتاتورية فئة مفضلة من البرجوازية السوفياتية . وما يسميه بـ «دولة كل الشعب» هو ليس في الحقيقة دولة ديكتاتورية البروليتاريا ، بل دولة تباشر فيها عصبته التحريفية الصغيرة ديكتاتوريتها على جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين في الاتحاد السوفياتي . وفي ظل حكم عصبة خروشوف لا توجد ديمقراطية للشغيلة السوفياتيين ، بل توجد فقط ديمقراطية لحفنة من الناس الذين ينتمون الى عصبة خروشوف تحريفية ، انها ديمقراطية للفئة المفضلة وللعناصر البرجوازية سواء كانت قديمة أو جديدة . ان ما يسميه خروشوف بـ «ديمقراطية كل الشعب» ما هو سوى ديمقراطية برجوازية ظاهرا وباطنا ، أي الديكتاتورية التعسفية لعصبة خروشوف على الشعب السوفياتي .

ان كل من يثابر على الموقف البروليتاري ، ويتمسك بالماركسية اللينينية ، ويتجرأ على الافصاح عن رأيه ، وعلى أن يقاوم أو يناضل ، في الاتحاد السوفياتي اليوم ، يصبح معرضا للمراقبة ، وتتبع الخطى ، والاستدعاء ، وحتى الاعتقال والارسال الى السجن ، أو تلصق عليه بطاقة « مريض العقل » ، ويرسل الى « مستشفيات الأمراض العقلية » . لقد أعلن منذ وقت قريب في الصحافة السوفياتية أنه لا بد من « الكفاح » ضد من يبدون أقل درجة من الاستياء ، وحتى من ينكتون على سياسة خروشوف الزراعية يسمون بـ« المنكتين المتعفنين » ويدعى الى « شن

نضال لا يعرف الكلل » ضدهم (١) . ومما يدعو الى الدهشة بصفة خاصة أن عصبة خروشوف التحريفية لجأت بالتحديد أكثر من مرة الى قمع العمال المضربين والجماهير التي قاومت قمعا دمويا .

ان قاعدة « ازالة ديكتاتورية البروليتاريا والحفاظ على دولة كل الشعب » تكشف سر عصبة خروشوف التحريفية ، أي تكشف أنها تعارض بحزم ديكتاتورية البروليتاريا ، الا أنها سوف لا تتخلى أبدا عن سلطة الدولة حتى يوم هلاكها . ان أفراد عصبة خروشوف التحريفية يعرفون الأهمية القصوى للسيطرة على سلطة الدولة . انهم بحاجة الى جهاز الدولة لكبت الشعب السوفياتي الكادح ولكبت الماركسيين اللينينيين. انهم بحاجة اليه لتطهير الطريق لعودة الرأسمالية في الاتحاد السوفياتي . هذه هي الأهداف الحقيقية التي رفع خروشوف من أجلها راية « دولة كل الشعب » و « ديمقراطية كل الشعب » .

دحض ما يسمى بـ « حزب كل الشعب »

رفع خروشوف علنا في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي راية أخرى هي تغيير الطبيعة البروليتارية للحزب الشيوعي السوفياتي . وأعلن وضع « حزب كل الشعب » مكان حزب البروليتاريا . لقد جاء في برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي أنه « نتيجة انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي وتدعيم وحدة المجتمع السوفياتي ،

---

(١) صحيفة « الازفيستيا » ، ١٠ مارس (آذار) ١٩٦٤ .

أصبح حزب الطبقة العاملة الشيوعي طليعة الشعب السوفياتي وحزب كل الشعب . » وجاء في الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي أن الحزب الشيوعي السوفياتي قد « أصبح منظمة سياسية للشعب قاطبة » .

يا للسخف !

ان أبجديات الماركسية الاينينية تعلمنا أن أي حزب سياسي ، شأنه شأن الدولة ، هو أداة للصراع الطبقي . ولكل حزب سياسي طبيعة طبقية . وروح الحزب هي التعبير المركز للطبيعة الطبقية . ولا يوجد على الاطلاق شيء يسمى بحزب لاطبقي أو حزب فوق الطبقات ، كما لا يوجد شيء يسمى بـ« حزب كل الشعب » لا يمثل مصالح طبقة معينة .

ان حزب البروليتاريا يؤسس بما يتماشى مع النظرية والأسلوب الثوريين الماركسيين اللينينيين ، وهو الحزب الذي تشكله العناصر الطليعية التي لا حدود لاخلاصها وولائها للمهمة التاريخية للبروليتاريا ، وهو الطليعة المنظمة للبروليتاريا وأرقى شكل من أشكال تنظيمها . ان حزب البروليتاريا يمثل مصالح البروليتاريا وارادتها المتجمعة .

وحزب البروليتاريا ، بالاضافة لهذا ، هو الحزب الوحيد الذي يمثل مصالح الشعب والشعب يشكل أكثر من تسعين بالمائة من مجموع السكان . والسبب في ذلك هو أن مصالح البروليتاريا هي نفس مصالح الشغيلة ، وأنه تمكنه معالجة الأمور في ضوء دور البروليتاريا التاريخي وبما يتماشى مع المصالح الحاضرة والمستقبلة للبروليتاريا والشغيلة ، والمصالح الأرقى لدى الأغلبية الساحقة من الناس ، وأنه بمقدوره

أن يمارس قيادة صحيحة بما يتماشى مع الماركسية اللينينية .

ان حزب البروليتاريا ، بالاضافة لأعضائه الذين هم من أصل طبقة العمال يكون له أعضاء من أصل طبقات أخرى . الا أن الأخيرين لا ينضمون للحزب بصفتهم ممثلين لطبقات أخرى . ومنذ اليوم الأول الذي ينخرطون في الحزب فيه عليهم أن ينبذوا موقفهم الطبقي السابق ويعتنقوا موقف البروليتاريا . قال ماركس وانجلز : « اذا انضم أناس من هذا النوع من الطبقات الأخرى الى الحركة البروليتارية يجب أن يكون الشرط الأول هو ألا يأتوا اليها بأي بقايا من تحيزات البرجوازية أو البرجوازية الصغيرة وما شابه ، بل عليهم أن يعتنقوا بكامل قلوبهم المفهوم البروليتاري للعالم . » (١)

ان المبادىء الأساسية المتعلقة بطبيعة الحزب البروليتاري قد أوضحتها الماركسية اللينينية منذ وقت بعيد . الا أن هذه المبادىء في رأي عصبة خروشوف التحريفية هي « معادلات جامدة » ، بينما حزب هذه العصبة ، « حزب كل الشعب » ، ينطبق مع « الديالكتيك الفعلي لتطور الحزب الشيوعي » (٢) .

لقد قدحت عصبة خروشوف التحريفية زناد أفكارها بحثا عن الحجج التي تبرر بها « حزب كل الشعب » الذي اخترعته . ولقد قدم أفرادها

---

(١) « من ماركس وأنجلز الى أ . ببر ، وو . ليبكنخت ، وو . براك وغيرهم (خطاب دوري) ، ١٧ - ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٨٧٩ » .

(٢) « من حزب الطبقة العاملة الى حزب الشعب السوفياتي قاطبة » ، مقال بقلم هيئة تحرير مجلة «بارزينايازيزن » ، العدد ٨ ، عام ١٩٦٤ .

الحجج أثناء المحادثات بين الحزبين الصيني والسوفياتي في يوليو (تموز) سنة ١٩٦٣ وعلى الصحافة السوفياتية بأنهم غيروا الحزب الشيوعي السوفياتي وأصبح حزب الشعب قاطبة للأسباب الآتية :

أولا : الحزب الشيوعي السوفياتي يعبر عن مصالح الشعب قاطبة .

ثانيا : لقد قبل الشعب قاطبة النظرة الماركسية الاينينية للعالم التي هي نظرة الطبقة العاملة . وان هدف الطبقة العاملة الذي هو بناء الشيوعية قد أصبح هدف الشعب قاطبة .

ثالثا : تتركب صفوف الحزب الشيوعي السوفياتي من خيرة ممثلي العمال والمزارعين الجماعيين والمثقفين ، والحزب الشيوعي السوفياتي يوحد في صفوفه الخاصة به ممثلي أكثر من مائة قومية وعشيرة .

رابعا : الأسلوب الديمقراطي المستخدم في نشاطات الحزب يتماشى أيضا مع طبيعته ، طبيعة حزب كل الشعب .

من الواضح حتى من أول نظرة أنه ما من حجة من هذه الحجج التي قدمتها عصبة خروشوف التحريفية تبرهن على موقف جاد من مسألة جادة .

عندما كان لينين يناضل ضد الانتهازيين المرتبكين علق قائلا : « هل يمكن الحديث بصورة جدية مع من يعجزون عجزاً واضحاً عن معالجة المسائل الجدية بصورة جدية ؟ ان هذا أمر صعب أيها الرفاق ، صعب جداً ! الا أن المسألة التي لا يستطيع أناس معينون معالجتها بصورة جدية ، هي في حد ذاتها جدية الى درجة أن تحليل اجابات عابثة تمام العبث عنها يعد شيئا لا ضرر منه . » (١)

---

(١) لينين : « الوضوح أولا وقبل كل شيء ! » .

ولا يضر اليوم أيضا تحليل الاجابات الطائشة تمام الطيش التي قدمتها عصبة خروشوف التحريفية عن مسألة جادة كمسألة حزب البروليتاريا .

تبعا لقول عصبة خروشوف التحريفية يجب أن يصبح الحزب الشيوعي « حزب كل الشعب » ، لأنه يعبر عن مصالح الشعب قاطبة . ألا يستتبع هذا أنه كان ينبغي للحزب منذ بدايته الأولى أن يصبح « حزب كل الشعب » بدلا من أن يكون حزب البروليتاريا ؟

تبعا لقول عصبة خروشوف التحريفية يجب أن يصبح الحزب الشيوعي « حزب كل الشعب » ، لأن الشعب قاطبة قد قبل النظرة الماركسية اللينينية للعالم التي هي نظرة الطبقة العاملة . ولكن كيف يقال ان كل فرد قد قبل النظرة الماركسية اللينينية للعالم في مجتمع الاتحاد السوفياتي حيث مازال يجرى استقطاب طبقي حاد وصراع طبقي حاد ؟ هل يمكن القول ان الألوف المؤلفة من العناصر البرجوازية القديمة والجديدة في بلادكم هم كلهم ماركسيون لينينيون ؟ واذا كانت الماركسية اللينينية قد أصبحت فعلا مفهوم كل الشعب للعالم ، كما تدعون ، ألا يستتبع هذا اذن أنه لا فرق في مجتمعكم بين حزبي وغير حزبي ؟ وما من حاجة أبدا لوجود الحزب ؟ وأنه لن يكون هناك وجود لـ « حزب كل الشعب » أو غيره ؟

ان الحزب الشيوعي تبعا لقول عصبة خروشوف التحريفية يجب أن يصبح « حزب كل الشعب » ، لأن عضويته تتركب من عمال وفلاحين ومثقفين وكل القوميات والعشائر في الاتحاد السوفياتي . فهل معنى هذا أنه ما من عضو من أعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي كان ينحدر من

غير طبقة العمال قبل أن تعرض فكرة « حزب كـل الشعب » عند عقد المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ؟ وهل هذا يعني أن جميع أعضاء الحزب قد انحدروا سابقا من قومية واحدة دون سائر القوميات والعشائر ؟ واذا كانت طبيعة حزب ما تحددها الظروف الاجتماعية لأعضائه ألايستتبع هذا اذن أن العدد العظيم من الأحزاب السياسية في العالم والتي ينحدر أعضاؤها من طبقات وقوميات وعشائر مختلفة ، هي كلها « أحزاب لكل شعوبها » ؟

ان الحزب تبعا لقول عصبة خروشوف التحريفية يجب أن يكون « حزب كل الشعب » ، لأن الأساليب التي يستخدمها في نشاطاته هي أساليب ديمقراطية . الا أن كل حزب شيوعي منذ بدايته يقوم على أساس مبدأ المركزية الديمقراطية ، ويجب عليه دائما أن يسير على الخط الجماهيري وأسلوب الاقناع والتعليم الديمقراطي في عمله وسط الشعب . ألا يستتبع هذا اذن أن يكون كل حزب شيوعي « حزب كل الشعب » من أول يوم يؤسس فيه ؟

وبالاختصار ، ما من حجة من الحجج التي قدمتها عصبة خروشوف التحريفية لها مقدرة على الاقناع .

وبجانب اطلاق الضجيج حول « حزب كل الشعب » قسم خروشوف الحزب الى « حزب صناعي » و« حزب زراعي » بحجة « بناء أجهزة الحزب على مبدأ الانتاج » (١) .

---

(١) تقرير خروشوف في الدورة العامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٢ .

تقول عصبة خروشوف التحريفية انها فعلت هذا نظرا « لتقديم الاقتصاد على السياسة في ظل الاشتراكية » (١) ، ولأنها تريد « وضع قضايا الاقتصاد والانتاج التي قد دفعها الى المقدمة كل مجرى البناء الشيوعي ، في قلب نشاط منظمات الحزب » ، وجعلها « الأعمدة الفقرية لكل أعمال منظمات الحزب » (٢) . قال خروشوف « اننا نقول بلا مواربة ان الشيء الأساسي في عمل أجهزة الحزب هو الانتاج . » (٣) وأكثر من هذا أنهم نسبوا هذه الأقوال الى لينين مدعين أنهم يتصرفون بما يتماشى مع مبادىء لينين .

الا أن كل من له المام بتاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي يعرف أن لا شيء يجمع ما بين هذه الأفكار وبين أفكار لينين ، وأن هذه الأفكار معادية للينينية وأنها كانت أفكار تروتسكي . وفيما يتعلق بهذه المسألة أيضا فان خروشوف تلميذ مجد لتروتسكي .

قال لينين في نقده لتروتسكي وبخارين : « ان السياسة هي التعبير المركز للاقتصاد . . . ولا يمكن للسياسة الا أن تكون في المقام الأول فوق الاقتصاد . والمحاجة ضد هذا معناها نسيان ألف باء الماركسية . » وأضاف : « بدون موقف سياسي ملائم من القضية ، لا يمكن للطبقة

---

(١) « ادرسوا واعرفوا واعملوا » ، افتتاحية « اكونوميجشسكايا قازيتا » ، العدد ٥٠ ، عام ١٩٦٢ .

(٢) « الشيوعي والانتاج » ، افتتاحية مجلة « الشيوعي » للاتحاد السوفياتي ، العدد ٢ ، عام ١٩٦٣ .

(٣) خطاب خروشوف في اجتماع انتخابي في دائرة كالينين بموسكو ، ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٦٣ .

المحـددة مـواصلـة حكمهـا ، وبالتـالي لا يمكنهـا أن تحـل مشـاكـل انتاجها . » (١)

ان الحقائق واضحة وضوح البلور : فالغرض الحقيقي لعصبة خروشوف التحريفية من وضعها لمسألة « حزب كـل الشعب » هو أن تغير تماما الطبيعة البروليتارية للحزب الشيوعي السوفياتي وتحول الحزب الماركسي اللينيني الى حزب تحريفي .

ان الحزب الشيوعي السوفياتي العظيم مواجه بخطر عظيم هو خطر التحال من حزب للبروليتاريا الى حزب للبرجوازية ، ومن حزب ماركسي لينيني الى حزب تحريفي .

قال لينين : « ان حزبا يريد البقاء لا يمكنه أن يسمح بأقل درجة من التذبذب حول مسألة وجوده ، أو بأي اتفاق مع الذين قد يدفنونه . » (٢)

هذه هي المسألة الخطيرة التي وضعتها عصبة خروشوف التحريفية اليوم أمام الجماهير العريضة من أعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي العظيم .

شيوعية خروشوف المزيفة

أعلن خروشوف في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي أن الاتحاد السوفياتي قد دخل فعلا في فترة البناء الشامل للمجتمع الشيوعي . وأعلن أيضا « سوف نتم بناء المجتمع الشيوعي في الأساس في بحر عشرين

---

(١) لينين : « مزيد من القول حول النقابات والوضع الراهن وأخطاء تروتسكي وبخارين » .
(٢) لينين : « كيف يخرب فيرا . تساسوليتش نزعة التصفية » .

عاما » (١) . ان هذا خداع محض .

كيف يمكن الحديث عن بناء الشيوعية في الوقت الذي تقود فيه عصبة خروشوف التحريفية الاتحاد السوفياتي في طريق عودة الرأسمالية ، وفي الوقت الذي يتعرض فيه الشعب السوفياتي الى خطر عظيم يهدد بضياع ثمار الاشتراكية ؟

ان هدف خروشوف الحقيقي من تعليق يافطة « بناء الشيوعية » هو أن يحجب الوجه الحقيقي لتحريفيته . ولكن ليس من العسير كشف هذه الخدعة . وكما لا يمكن السماح باعتبار عين السمكة في الماء لؤلؤة ، لا يمكن السماح أيضا بأن تلبس التحريفية بلباس الشيوعية .

ان للشيوعية العلمية معنى دقيقا ومحددا . وتبعا للماركسية اللينينية فان المجتمع الشيوعي هو مجتمع تكون فيه الطبقات والفوارق الطبقية قد أزيلت تماما ويتملك فيه كل الشعب درجة عالية من الوعي والخلق الشيوعيين وحماسا ومبادرة لا حد لهما للعمل ، كما تتوفر فيه المنتجات الاجتماعية الى درجة عظيمة ويطبق فيه مبدأ « من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » وتتلاشى فيه الدولة وتختفي .

لقد أعلن ماركس : « في المرحلة العليا من المجتمع الشيوعي ، بعد أن يختفي اخضاع الناس للسيطرة العبودية التي يفرضها تقسيم العمل عليهم ، وتختفي كذلك التعارضات بين العمل العقلي والعمل الجسماني ، وبعد أن يصبح العمل لا وسيلة للعيش وحسب ، بل الحاجة القصوى للحياة ،

---

(١) تقرير « حول برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي » ألقاه خروشوف في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١ .

وبعد ازدياد القوى المنتجة نتيجة تطور الفرد تطورا شاملا في كل النواحي ، وبعد أن تفيض جميع ينابيع الثروة التعاونية بصورة كافية ، عند ذلك فقط يمكن اجتياز الافق الضيق للحق البرجوازي تماما ، ويكتب المجتمع على رايته : من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته ! » (١) .

ان الغرض من التمسك بديكتاتورية البروليتاريا خلال فترة الاشتراكية ، تبعا للنظرية الماركسية اللينينية ، هو بالتحديد التأكد من تقدم المجتمع في اتجاه الشيوعية . قال لينين ، « ان التقدم الى أمام ، الى الشيوعية ، يسير عبر ديكتاتورية البروليتاريا لا في طريق آخر » (٢) . وطالما هجرت عصبة خروشوف التحريفية ديكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفياتي فانها اذن تسير لا الى الأمام بل الى الخلف ، تسير الى الخلف نحو الرأسمالية لا الى الأمام نحو الشيوعية .

ان السير قدما الى الأمام نحو الشيوعية معناه التقدم نحو ازالة كل الطبقات والفوارق الطبقية . ولا يمكن تصور مجتمع شيوعي يبقي على أي طبقات ، ناهيك عن طبقات مستغلة . الا أن خروشوف يدعم نوعا جديدا من البرجوازية ، ويعمل على اعادة وتوسيع نظام الاستغلال ويعجل من الاستقطاب الطبقي في الاتحاد السوفياتي . وأصبحت الآن فئة برجوازية مفضلة تعارض الشعب السوفياتي ، تحتل منصب الحكم في الحزب والحكومة وفي الدوائر الاقتصادية والثقافية وغيرها ، فهل يجد المرء ذرة من الشيوعية في كل هذا ؟

---

(١) ماركس : « نقد لبرنامج غوتا » .
(٢) لينين : « الدولة والثورة » .

ان السير قدما الى الأمام نحو الشيوعية معناه السير نحو نظام موحد لملكية وسائل الانتاج لكل الشعب . ولا يمكن تصور مجتمع شيوعي تتعايش معا فيه عدة أنواع من ملكيات وسائل الانتاج . الا أن خروشوف يخلق الآن وضعا تتحلل فيه مؤسسات يملكها كل الشعب بالتدريج وتصبح مؤسسات رأسمالية ، وتتحلل فيه المزارع الواقعة تحت الملكية الجماعية بالتدريج حتى تصبح وحدات من الاقتصاد الكولاكي . ونتساءل مرة أخرى : هل يجد المرء ذرة واحدة من الشيوعي في كل هذا ؟

ان السير قدما الى الأمام نحو الشيوعية معناه التقدم نحو وفرة عظيمة من المنتجات الاجتماعية وتحقيق مبدأ « من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » . ولا يمكن تصور مجتمع شيوعي يبنى على أساس اغناء حفنة من الأشخاص وافقار الجماهير الشعبية الغفيرة . ان الشعب السوفياتي العظيم قد طور في ظل النظام الاشتراكي القوى الاجتماعية المنتجة بسرعة لم تعرف من قبل . الا أن شرور تحريفية خروشوف خلقت الخراب العظيم في الاقتصاد الاشتراكي السوفياتي . ان خروشوف الذي تواجهه دائما تناقضات لا حصر لها ، مضطر لاحداث تغيرات كثيرة متلاحقة في سياساته الاقتصادية ، وكثيرا ما ينكث أقواله بنفسه ، مما جعل الاقتصاد الوطني السوفياتي يغرق في حالة من الفوضى . ان خروشوف حقيقة هو مبذر لا سبيل الى تقويمه . فلقد بدد احتياطي الحبوب الذي تكون تحت قيادة ستالين ، وجلب مصاعب عظيمة على حياة الشعب السوفياتي . لقد شوه ونقض المبدأ الاشتراكي الخاص بالتوزيع « لكل حسب مقدرته ولكل حسب عمله » ، ومكن حفنة من الأشخاص من الاستحواذ على ثمار عمل وكدح الجماهير العريضة من الشعب السوفياتي .

وهذه النقاط وحدها كافية للبرهان على أن الطريق الذي سلكه خروشوف يقود بعيدا عن الشيوعية .

ان السير قدما الى الأمام نحو الشيوعية معناه التعجيل برفع الوعي الشيوعي لدى الجماهير . ولا يمكن تصور مجتمع شيوعي تطغى فيه الأفكار البرجوازية . الا أن خروشوف ينعش الايديولوجية البرجوازية بشغف في الاتحاد السوفياتي ويخدم بصفته مبشرا للثقافة الأميركية المتفسخة. ويحول بترويجه للحافز المادي جميع العلاقات الانسانية الى علاقات مالية ، ويشجع الفردية والأنانية . وأصبح العمل الجسماني نتيجة لفعله محتقرا مرة أخرى ، وأصبح حب الملذات والعبث على حساب عمل الآخرين ، يعتبر مرة أخرى مشرفا . وان الخلق الاجتماعي والجو الاجتماعي اللذين خلقهما وطورهما خروشوف مما لا شك فيه يشطان أبعد الشطط عن الشيوعية .

ان السير قدما الى الأمام نحو الشيوعية معناه السير نحو تلاشي الدولة . ولا يمكن تصور مجتمع شيوعي به جهاز دولة لقمع الشعب . ان دولة ديكتاتورية البروليتاريا في الحقيقة لم تعد دولة بمفهومها الأصلي ، لأنها لم تعد جهازا تستخدمه القلة المستغلة لقمع الأغلبية الساحقة من الشعب ، بل هي جهاز لمباشرة الديكتاتورية على عدد ضئيل جدا من المستغلين ، بينما تباشر الديمقراطية بين الأغلبية الساحقة من الشعب . ان خروشوف يقوم بتبديل طبيعة سلطة الدولة السوفياتية التي هي دولة ديكتاتورية البروليتاريا ويجعلها مرة أخرى أداة تستخدمها حفنة من العناصر البرجوازية المفضلة لمباشرة الديكتاتورية على جماهير العمال والفلاحين والمثقفين السوفياتيين. انه يدعم بصورة مطردة جهاز دولته الديكتاتوري ويزيد من كبته للشعب

السوفياتي . انه لمن السخرية حقا الحديث حول الشيوعية في ظروف كهذه .

ان مقارنة كل هذا بمبادىء الشيوعية العلمية يكشف بسرعة أن عصبة خروشوف التحريفية تقود في كل ناحية من النواحي الاتحاد السوفياتي بعيدا عن طريق الاشتراكية وتقوده على طريق الرأسمالية ، ونتيجة هذا هي البعد أكثر وأكثر عن هدف الشيوعية الذي هو « من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » بدلا من القرب شيئا فشيئا من هذا الهدف .

ان لخروشوف دوافع خفية وراء تعليقه يافطة الشيوعية . فهو يستخدم هذه اليافطة لخداع الشعب السوفياتي ولستر مساعيه لعودة الرأسمالية . وهو يستخدمها لخداع البروليتاريا العالمية والشعوب الثورية في العالم قاطبة ، ولخيانة الأممية البروليتارية . ولقد هجرت عصبة خروشوف نفسها ، تحت هذه اليافطة ، الأممية البروليتارية وأصبحت تسعى الى مشاركة الاستعمار الأميركي في اقتسام العالم ، وهي تريد من الأقطار الاشتراكية الشقيقة بالاضافة لهذا أن تخدم مصالحها الخاصة وتمتنع عن معارضة الاستعمار وعن مساندة ثورات الشعوب والأمم المضطهدة ، كما تريد من هذه الأقطار أن تقبل سيطرتها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وأن تصبح عمليا بلدانا تابعة ومستعمرات لها . وتريد عصبة خروشوف بالاضافة لهذا من كل الشعوب والأمم المضطهدة أن تخدم مصالحها الخاصة وتهجر نضالاتها الثورية حتى لا تشوش حلم العصبة العذب بمشاركة الاستعمار في اقتسام العالم ، وأن تخضع لعبودية وقهر الاستعمار وعملائه .

وبالاختصار فان شعار خروشوف حول « بناء المجتمع الشيوعي

في بحر عشرين عاما في الأساس » في الاتحاد السوفياتي ليس شعارا مزيفا وحسب بل هو شعار رجعي أيضا .

ان عصبة خروشوف التحريفية تقول ان الصينيين « يتمادون الى درجة التشكك في حق حزبنا وشعبنا في بناء الشيوعية » (١) . ان هذه محاولة حقيرة لخداع الشعب السوفياتي ولتسميم جو الصداقة بين الشعبين الصيني والسوفياتي . ونحن لم تراودنا الشكوك أبدا في أن الشعب السوفياتي العظيم سوف يدخل في النهاية الى المجتمع الشيوعي . الا أن عصبة خروشوف التحريفية الآن تقوم بافساد الثمار الاشتراكية التي جناها الشعب السوفياتي ، وبسلب حقه في السير قدما نحو الشيوعية . وفي هذه الظروف تصبح القضية التي تواجه الشعب السوفياتي ليست هي كيف يبنى الشيوعية ، بل كيف يقاوم ويعارض مساعي خروشوف لعودة الرأسمالية .

تقول عصبة خروشوف التحريفية أيضا : « ان قادة الحزب الشيوعي الصيني يلمحون الى أنه طالما جعل حزبنا بلوغ حياة أفضل للشعب هدفه ، فان المجتمع السوفياتي قد أصبح "يتبرجز" و"يتحلل" الآن . » (٢) ان خدعة ازاحة عدم رضى الشعب السوفياتي عن عصبة خروشوف التحريفية الى عاتق الآخرين ، هي خدعة بليدة ومحزنة . نحن نتمنى باخلاص للشعب السوفياتي معيشة أحسن فأحسن . الا أن تبجح خروشوف بـ « الاهتمام برفاه الشعب » وبالعمل « لمعيشة أفضل لكل فرد » ما هو

---

(١) تقرير سوسلوف في الدورة العامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في فبراير (شباط) ١٩٦٤ .

(٢) رسالة مفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي الى المنظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) ١٩٦٣ .

الا أمر كاذب وديماغوجي ، لأن حياة جماهير الشعب السوفياتي قد أصبحت بائسة بما يكفي على يدي خروشوف . ان عصبة خروشوف تسعى فقط من أجل « معيشة أفضل » لأفراد الفئة المفضلة ، والعناصر البرجوازية القديمة والجديدة في الاتحاد السوفياتي . وهؤلاء الأفراد يستحوذون على ثمار عمل وكدح الشعب السوفياتي ويعيشون الآن معيشة أمراء برجوازيين. حقا لقد تبرجزوا مائة في المائة .

ان « شيوعية » خروشوف في جوهرها هي فصيلة من الاشتراكية البرجوازية . وهو لا يعتبر أن الشيوعية هي ازالة الطبقات والفوارق الطبقية تماما ، بل يصف الشيوعية بأنها « صحن في متناول الجميع ومليء بمنتجات العمل الجسماني والروحي » (١) . وهو لا يعتبر نضال الطبقة العاملة من أجل الشيوعية نضالا من أجل التحرر الكامل للطبقة العاملة نفسها ولجميع البشرية بل يشبهه بنضال من أجل « صحن جيد من "قولاش" (البطاطس واللحم) » . ولا توجد في فكر خروشوف حتى ذرة واحدة من الشيوعية العلمية ، بل يوجد فيه مجتمع من السذج البرجوازيين .

ان « شيوعية » خروشوف تتخذ الولايات المتحدة مرشدة لها . وهو يتخذ تقليده لأساليب الادارة الرأسمالية في الولايات المتحدة ونمط الحياة البرجوازية فيها كسياسة للدولة . ويقول انه يقدر منجزات الولايات المتحدة « تقديرا عاليا » . وانه « يسر بهذه المنجزات ، ويغبط في بعض الأحيان » (٢).

---

(١) خطاب خروشوف في اذاعة وتلفزيون النمسا ، ٧ يوليو (تموز) ١٩٦٠ .

(٢) مقابلة لخروشوف مع أعضاء الكونغرس الأميركي وأعضاء لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، ١٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٩ .

ويرفع رسالة قارست (Garst) أحد كبار أصحاب المزارع الأميركيين ، وهي تمجد النظام الرأسمالي ، يرفعها تقديراً الى السماء (١) ، انه في الحقيقة يعتبر هذه الرسالة برنامجا زراعيا له . وهو يريد تقليد الولايات المتحدة في ميدان الصناعة كما يريد تقليدها في ميدان الزراعة ويريد على وجه الخصوص أن يتعلم من حافز الربح للمؤسسات الرأسمالية الأميركية . انه يعبر عن اعجاب عظيم بنمط الحياة الأميركي ، مؤكدا أن الشعب الأميركي « لا يعيش عيشة رديئة » (٢) تحت حكم وعبودية الرأسمال الاحتكاري . بالاضافة لهذا يأمل خروشوف في بناء الشيوعية بقروض الاستعمار الأميركي . وخلال زيارته الى الولايات المتحدة وهنغاريا عبر أكثر من مرة عن استعداده لـ « قبول القروض من الشيطان نفسه » .

وهكذا يتضح أن « شيوعية » خروشوف هي « شيوعية القولاش » و« شيوعية نمط الحياة الأميركي » و« شيوعية تبنى على أساس قروض من الشيطان » . ولا عجب في أنه كثيرا ما يقول لممثلي رأس المال الاحتكاري الغربيين ، حالما يتم تحقيق مثل هذه « الشيوعية » « سوف تتقدمون نحو الشيوعية بدون دعوة مني » (٣) .

وما من شيء جديد في مثل هذه « الشيوعية » . انها ببساطة اسم

---

(١) خطاب خروشوف في الدورة العامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في فبراير (شباط) ١٩٦٤ .

(٢) حديث خروشوف مع أرباب الأعمال والشخصية البارزة في بتسبره بالولايات المتحدة ، ٢٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٩ .

(٣) حديث خروشوف في مقابلة مع بعض البرلمانيين الفرنسيين ، ٢٥ مارس (آذار) ١٩٦٠ .

آخر للرأسمالية . انها ليست الا علامة تجارية برجوازية ويافطة واعلانا برجوازيين . قال لينين في نقد ساخر للأحزاب التحريفية القديمة التي ترفع يافطة الماركسية : « حيثما تكن الماركسية رائجة ومحبوبة بين العمال فسوف يقسم هذا الاتجاه السياسي ، "هذه الأحزاب العمالية البرجوازية" باسم ماركس ، ولا يمكن منعها من هذا ، كما لا تمنع شركة تجارية من استخدام أي علامة تجارية ويافطة واعلان . » (١)

ولهذا يفهم ببساطة السبب الذي يجعل الاستعمار ورأس المال الاحتكاري يقدران ويحترمان « شيوعية » خروشوف . قال وزير الخارجية الأميركية دين راسك : «. . . نظراً لأن مسألة "القولاش" ومسألة "بنطلون ثان " وما شابه من مسائل أصبحت أكثر أهمية في الاتحاد السوفياتي ، أرى أنه قد ظهر على المسرح الراهن نفوذ ملطف . » (٢) وقال هوم رئيس الوزراء البريطاني أيضاً : « قال السيد خروشوف ان الفصيلة الروسية من الشيوعية تعتبر التعليم والقولاش في المقام الأول . هذا حسن . ان شيوعية القولاش أفضل من شيوعية الحرب ، وأنا مسرور بهذا التأكيد لوجهة نظرنا القائلة بأن الشيوعيين السمان والمنعمين هم أفضل من الشيوعيين الضعاف والجياع . » (٣)

ان تحريفية خروشوف تستجيب تماما لحاجيات سياسة « التحول

---

(١) لينين : « الاستعمار والانقسام في الحركة الاشتراكية » .

(٢) مقابلة لدين راسك مع مراسلي هيئة الاذاعة والتلفزيون البريطانية ، ١٠ مايو (أيار) ١٩٦٤ .

(٣) خطاب أ . دوغلاس‌هوم في نورويش ببريطانيا ، ٦ أبريل (نيسان) ١٩٦٤ .

السلمي » التي يسير عليها الاستعمار الأميركي تجاه الاتحاد السوفياتي وغيره من الأقطار الاشتراكية . قال دالاس : « . . . هناك أدلة في داخل الاتحاد السوفياتي على وجود قوى تتجه نحو ليبرالية أعظم ، واذا ما ثابرت هذه القوى ، فبمقدورها أن تحدث تغيرا أساسيا في داخل الاتحاد السوفياتي . » (١) ان القوى الليبرالية التي تحدث عنها دالاس هي القوى الرأسمالية . أما التغير الأساسي الذي تمناه دالاس فهو تحلل الاشتراكية وعودة الرأسمالية . ان خروشوف يحقق الآن هذا « التغير الأساسي » الذي دائما ما كان يحلم به دالاس .

يا لعظم الآمال التي تراود المستعمرين بعودة الرأسمالية الى الاتحاد السوفياتي ! ويا لفرحتهم !

بودنا أن ننصح السادة المستعمرين بألا يفرحوا قبل الأوان . وبالرغم من جميع خدمات عصبة خروشوف التحريفية ، ما من شيء بمقدوره أن ينقذ الاستعمار من هلاكه الحتمي . ان العصبة التحريفية الحاكمة شأنها شأن العصبة الاستعمارية الحاكمة تقاسي من نفس نوع المرض ، وهما متعارضان الى أبعد الحدود مع جماهير الشعب التي تشكل أكثر من تسعين بالمائة من سكان العالم ، ولذلك فان أفراد العصبة التحريفية الحاكمة هم أيضا ضعاف لا حيلة لهم وهم نمور من الورق . ان عصبة خروشوف التحريفية تشبه صنما من الطين لا يمكنها أن تصون نفسها من الذوبان أثناء عبور النهر ، اذن كيف يمكنها أن تمنح الاستعمار عمرا أطول ؟

---

(١) مؤتمر صحفي لدالاس في ١٥ مايو (أيار) ١٩٥٦ .

الدروس التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا

ان تحريفية خروشوف قد ألحقت بالحركة الشيوعية العالمية ضررا بالغا ، الا أنها في نفس الوقت قد علمت الماركسيين اللينينيين والشعوب الثورية في العالم بالأمثلة السلبية .

اذا كان يحق القول بأن ثورة أكتوبر العظمى قد أمدت الماركسيين اللينينيين في كل الأقطار بأهم خبرة ايجابية ، وفتحت الطريق لاستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية ، يحق القول أيضا بأن تحريفية خروشوف من جانبها قد قدمت أهم خبرة سلبية وهكذا مكنت الماركسيين اللينينيين في كل الأقطار من أن يستخلصوا الدروس الملائمة للحيلولة دون تحلل الحزب البروليتاري والدولة الاشتراكية .

ان جميع الثورات التي وقعت في عصور التاريخ لها نكساتها وتعرجاتها وانحناءاتها . قال لينين ذات مرة : « هل حدث في التاريخ اذا نظرنا للمسألة في جوهرها أن أسلوبا جديدا للانتاج قد تطور مباشرة دون تعاقب الاخفاقات والاخطاء والنكسات ؟ » (١)

ان للثورة البروليتارية العالمية تاريخا يقل عن القرن منذ عام ١٨٧١ عندما بذلت بروليتاريا كومونة باريس أول محاولة بطولية للاستيلاء على السلطة السياسية ، أو لها تاريخ أقل من نصف قرن اذا حسبنا منذ ثورة أكتوبر . ان الثورة البروليتارية تبدل الرأسمالية بالاشتراكية والملكية الخاصة بالملكية العامة وتقتلع جميع نظم الاستغلال وجميع الطبقات

---

(١) لينين : « بداية كبرى » .

المستغلة من جذورها ، فهي أعظم ثورة في التاريخ الانساني . ومن الطبيعي لثورة كهذه تهتز لها الأرض أن تمر بنضالات طبقية خطيرة وشرسة ، وأن تسير حتما في طريق طويل مليء بالتعرجات والنكسات .

ان التاريخ يقدم عددا من الأمثلة قاسى فيها حكم البروليتاريا من الهزيمة نتيجة الكبت المسلح من قبل البرجوازية ، وهناك على سبيل المثال كومونة باريس والجمهورية السوفياتية الهنغارية في سنة ١٩١٩ . وهناك في العهد المعاصر التمرد المضاد للثورة في هنغاريا عام ١٩٥٦ حيث كان حكم البروليتاريا على وشك الانهيار . وبوسع الناس أن يفهموا بسهولة هذا الشكل من عودة الرأسمالية وهم أكثر يقظة وانتباها تجاهه .

الا أنه ليس في مقدور الناس أن يفهموا بسهولة شكلا آخر من عودة الرأسمالية ، ودائما ما كانوا غافلين أو في حالة عدم يقظة تجاهه الأمر الذي يشكل خطرا أعظم . وهذا الشكل هو أن دولة ديكتاتورية البروليتاريا تسلك طريق التحريفية أو طريق « التحول السلمي » نتيجة تحلل قيادة الحزب والدولة . لقد قدمت عصبة تيتو التحريفية درسا من هذا النوع قبل سنوات قلائل ، عندما أحدثت تحلل يوغوسلافيا الاشتراكية فأصبحت بلادا رأسمالية . الا أن درس يوغوسلافيا وحده لم يكن كافيا لاثارة الانتباه الكامل من قبل الناس . وقد يقول البعض ربما كان هذا حدثا عرضيا .

أما الآن فقد حدث في الاتحاد السوفياتي أيضا ، موطن ثورة أكتوبر العظمى ، ذي التاريخ الذي يمتد الى عدة عقود من الزمن في بناء الاشتراكية أن اغتصبت عصبة خروشوف التحريفية قيادة الحزب والدولة وظهر هناك خطر عظيم يهدد بعودة الرأسمالية الى الاتحاد السوفياتي . وهذا يدق جرس الخطر لجميع الأقطار الاشتراكية بما فيها الصين ، ولجميع

الأحزاب الشيوعية والعمالية بما فيها الحزب الشيوعي الصيني . ويثير هذا حتما انتباها عظيما للغاية ويجبر الماركسيين اللينينيين وجميع الشعوب الثورية في العالم قاطبة على التفكير بعمق وعلى شحذ اليقظة .

ان ظهور تحريفية خروشوف أمر سيء ، ولكنه أيضا شيء حسن . وطالما كانت الأقطار التي أحرزت فيها الاشتراكية الانتصار وأيضا الأقطار التي سوف تسلك درب الاشتراكية تدرس بجد دروس « التحول السلمي » التي قدمتها عصبة خروشوف التحريفية في الاتحاد السوفياتي وتتخذ الخطوات الملائمة ، فانها سوف تحطم الهجمات المسلحة للعدو كما أنها ستتمكن من تفادي « التحول السلمي » . وهكذا يصبح انتصار الثورة البروليتارية العالمية مضمونا أكثر .

ان للحزب الشيوعي الصيني تاريخا يبلغ ثلاثة وأربعين عاما . وقد كافح حزبنا خلال نضاله الثوري المطول ضد أخطاء الانتهازية اليمينية و« اليسارية » معا ، وتم تأسيس القيادة الماركسية اللينينية للجنة الحزب المركزية بقيادة الرفيق ماو تسي تونغ . وقد قاد الرفيق ماو تسي تونغ الشعب الصيني من نصر الى نصر ، مازجا حقيقة الماركسية اللينينية العامة بالممارسة المحددة للثورة والبناء في الصين . ولقد علمتنا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني والرفيق ماو تسي تونغ شن نضال لا يعرف الكلل في الميادين النظرية والسياسية والتنظيمية كما في التطبيق العملي ، ضد التحريفية وللحيلولة دون عودة الرأسمالية . لقد مر الشعب الصيني عبر نضال ثوري مسلح طويل وامتلك تقليدا ثوريا مجيدا . ان جيش التحرير الشعبي الصيني مسلح بتفكير ماو تسي تونغ وملتحم التحاماً لا ينفصل بالجماهير . ولقد تعلم وانصقل العدد العظيم من

ملاكات الحزب الشيوعي الصيني في حركات الاصلاح الذاتي والصراعات الطبقية الحادة . وكل هذه العوامل تجعل من العسير جدا عودة الرأسمالية الى بلادنا .

ولكن لننظر الى الحقائق ، هل مجتمعنا اليوم نظيف لا شائبة فيه ؟ كلا! ما زالت الطبقات موجودة ومازال الصراع الطبقي موجودا ، ومازالت هناك نشاطات الطبقات الرجعية التي أطيح بها عن الحكم والتي تتآمر للعودة ، ومازالت في بلادنا نشاطات مضاربة تمارسها العناصر البرجوازية القديمة والجديدة ، وهجمات مسعورة يشنها المختلسون والمرتشون والمتحللون . وهناك أيضا حوادث تفسخ في عدد قليل من المنظمات القاعدية ، وبالاضافة لهذا يبذل هؤلاء المتفسخون ما وسعهم لايجاد حماة وعملاء لهم في الهيئات القيادية الأعلى . لهذا علينا ألا نقلل بأي قدر كان من يقظتنا ازاء هذه الظواهر ، بل علينا أن نكون منتبهين تماما .

ان الصراع بين طريق الاشتراكية وطريق الرأسمالية في الأقطار الاشتراكية ، بين قوى الرأسمالية التى تحاول العودة والقوى التي تعارضها ، هو أمر لا يمكن تفاديه ، الا أن عودة الرأسمالية الى الأقطار الاشتراكية وتحللها الى أقطار رأسمالية ليس بالتأكيد أمراً لا يمكن تفاديه . وتمكننا الحيلولة دون عودة الرأسمالية طالما كانت لدينا قيادة صحيحة وفهم صحيح لهذه المسألة ، وطالما كنا نلتزم بالخط الماركسي اللينيني الثوري ونتخذ الخطوات الصحيحة ونشن نضالا طويلا لا يعرف الكلل . ان النضال بين الطريقين الاشتراكي والرأسمالي يمكنه أن يصبح قوة دافعة للتقدم الاجتماعي .

كيف تمكن الحيلولة دون عودة الرأسمالية ؟ لقد وضع الرفيق ماو تسي تونغ حول هذه المسألة مجموعة من النظريات والسياسات بعد تلخيص الخبرات العملية لديكتاتورية البروليتاريا في الصين وبعد دراسة الخبرات الايجابية والسلبية للأقطار الأخرى ، لا سيما للاتحاد السوفياتي ، وفقاً للمبادىء الأساسية للماركسية الاينينية ، وهكذا أغنى وطور النظرية الماركسية اللينينية حول ديكتاتورية البروليتاريا .

ان المحتوى الأساسي للنظريات والسياسات التي قدمها الرفيق ماو تسي تونغ في هذا الصدد هو كما يلي :

أولا : من الضروري تطبيق القانون الماركسي اللينيني حول وحدة الأضداد على دراسة المجتمع الاشتراكي . ان قانون التناقض في كل الأشياء أي قانون وحدة الأضداد ، هو القانون الأساسي للديالكتيك المادي . ويعمل هذا القانون في كل مكان سواء في عالم الطبيعيات أو في المجتمع الانساني أو في الفكر الانساني . ان الأضداد في أي تناقض ما تتحد بعضها مع بعض وفي نفس الوقت تناضل بعضها ضد بعض ، وهذا ما يجبر الأشياء على الحركة والتغير . والمجتمع الاشتراكي لا يشذ عن هذا . وفي المجتمع الاشتراكي نوعان من التناقضات الاجتماعية هما التناقضات بين الشعب والتناقضات بين أنفسنا والعدو . وهذان النوعان من التناقضات الاجتماعية يختلفان اختلافا تاما في الطبيعة ، وأسلوب معالجتهما يجب أن يختلف تبعا لذلك . والمعالجة الصحيحة لهذين النوعين من التناقضات سوف يتمخض عنها التدعيم المتزايد لديكتاتورية البروليتاريا ، وزيادة تقوية وتطوير المجتمع الاشتراكي . ان عددا كبيرا من الناس يعترف بقانون وحدة الأضداد ، الا أنهم لا يستطيعون

تطبيقه على دراسة المسائل ومعالجتها في المجتمع الاشتراكي . انهم يرفضون الاعتراف بوجود التناقضات في المجتمع الاشتراكي كما يرفضون الاعتراف بأن هناك تناقضات لا بين أنفسنا والعدو وحسب بل بين الشعب أيضا ، وهم لا يعرفون كيف يميزون بصورة صحيحة بين هذين النوعين من التناقضات الاجتماعية وكيف تجب معالجتهما معالجة صحيحة ، ولهذا يعجزون عن معالجة ديكتاتورية البروليتاريا معالجة صحيحة .

ثانيا : ان المجتمع الاشتراكي يستمر لفترة تاريخية طويلة جدا . والطبقات والصراع الطبقي تستمر في هذا المجتمع ، والصراع لم يزل يدور بين طريق الاشتراكية وطريق الرأسمالية . ان الثورة الاشتراكية في الجبهة الاقتصادية (في ملكية وسائل الانتاج) وحدها ليست كافية ولا يمكن تدعيمها . لهذا لا بد من وجود ثورة اشتراكية شاملة في الجبهتين السياسية والايديولوجية . وهنا يحتاج الى فترة طويلة من الزمن لكي يتقرر أي من الاشتراكية والرأسمالية ستنتصر على الأخرى في الجبهتين المذكورتين . وسوف لا تكفي عدة عقود من الزمن ، والنصر يحتاج الى مدة تمتد من قرن الى عدة قرون . وفيما يتعلق بمسألة الوقت يكون من الأفضل التحضير لفترة أطول ، لا لفترة أقصر . وفيما يتعلق بمسألة الجهود يكون من الأفضل اعتبار المهام أصعب بدلا من اعتبارها سهلة . والتفكير والعمل بهذا الشكل سوف يكونان أكثر نفعا وأقل ضررا . وكل من يعجز عن رؤية هذا أو عن تقديره تقديرا تاما سوف يرتكب أخطاء عظيمة وهائلة . ومن الضروري خلال الفترة التاريخية للاشتراكية التمسك بديكتاتورية البروليتاريا ومواصلة الثورة الاشتراكية حتى النهاية اذا أريد سد الطريق أمام عودة الرأسمالية ، ودفع البناء الاشتراكي الى

أمام ، وخلق الظروف للانتقال الى الشيوعية .

ثالثا : ان الطبقة العاملة تقود ديكتاتورية البروليتاريا على أساس التحالف بين العمال والفلاحين . وهذا يعني مباشرة ديكتاتورية البروليتاريا ، بواسطة الطبقة العاملة والشعب تحت قيادتها ، على الطبقات الرجعية والأفراد الرجعية والعناصر التي تعارض التحويل الاشتراكي والبناء الاشتراكي. وتمارس المركزية الديمقراطية بين صفوف الشعب . ان ديمقراطيتنا هي أوسع ديمقراطية يستحيل ايجاد مثلها في أي دولة برجوازية .

رابعا : من الضروري في الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي معا الالتزام بالخط الجماهيري ، واستنهاض الجماهير بشجاعة ، وشن الحركات الجماهيرية على نطاق واسع . والخط الجماهيري القائل بمبدأ « من الجماهير والى الجماهير » هو الخط الأساسي في كل العمل في حزبنا . ومن الضروري الايمان الراسخ بأغلبية الجماهير وفوق كل شيء بالأغلبية من جماهير العمال والفلاحين . علينا أن نتقن مشاورة الجماهير في عملنا وألا نعزل أنفسنا عنها تحت أي ظرف من الظروف . وتجب معارضة أساليب الأوامر واسداء المنة الى الجماهير . والتعبير الكامل الصريح عن الأفكار ومباشرة المناظرات العظيمة هما شكلان هامان من أشكال النضال الثوري خلقهما شعب بلادنا أثناء كفاحه الثوري الطويل ، وهما شكلان من النضال يعتمدان على الجماهير في حل التناقضات بين الشعب والتناقضات بين أنفسنا والعدو .

خامسا : من الضروري سواء في الثورة الاشتراكية أو البناء الاشتراكي حل مسألة : من يعتمد عليه ، ومن يكسب ومن يعارض . وعلى البروليتاريا وطليعتها أن تجريا تحليلا طبقيا للمجتمع الاشتراكي وأن تعتمدا على

القوى المعتمد عليها فعلا التي تسلك الطريق الاشتراكي بحزم ، وأن تكسبا كل الحلفاء الذين يمكن كسبهم وأن تتحدا مع جماهير الشعب التي تشكل أكثر من خمسة وتسعين بالمائة من السكان ، في نضال مشترك ضد أعداء الاشتراكية . ومن الضروري في المناطق الريفية ، بعد جعل الزراعة جماعية ، الاعتماد على الفلاحين الفقراء ، والذين ينتمون الى الفئة السفلى من الطبقة الوسطى من الفلاحين بغرض تدعيم ديكتاتورية البروليتاريا والتحالف بين العمال والفلاحين ، وهزيمة الاتجاهات الرأسمالية التلقائية ، والتدعيم المستمر للمواقع الاشتراكية وتوسيعها .

سادسا : من الضروري القيام بحركات تعليمية اشتراكية واسعة متكررة في المدن والأرياف . وعلينا في هذه الحركات الهادفة لتعليم الشعب باستمرار أن نجيد تنظيم قوى الطبقات الثورية ، وأن نرفع من وعيها الطبقي ، وأن نعالج التناقضات بين الشعب معالجة صحيحة ، وأن نوحد كل من يمكن توحيدهم . ومن الضروري في هذه الحركات شن نضال حاد يكيل الصاع بالصاع ضد القوى المعادية للاشتراكية قوى الرأسمالية والاقطاعية – أي الملاكين العقاريين ، والفلاحين الأغنياء ، والمعادين للثورة ، واليمينيين البرجوازيين ، والمختلسين ومن يقبلون الرشوة ، والمتفسخين حتى يمكن تحطيم الهجمات التي يقومون بها ضد الاشتراكية وبغرض اعادة تكوين الأغلبية منهم لكي يصبحوا أناسا من نوع جديد .

سابعا : ان احدى المهام الأساسية لديكتاتورية البروليتاريا هي تطوير الاقتصاد الاشتراكي بنشاط . ومن الضروري تحقيق جعل الصناعة والزراعة والعلم والتكنيك والدفاع الوطني كلها حديثة خطوة

فخطوة على هدى السياسة العامة ـ سياسة تطوير الاقتصاد الوطني باعتبار الزراعة أساسا والصناعة عاملا قيادياً . ومن الضروري على أساس نمو الانتاج رفع مستوى معيشة الشعب بالتدريج على نطاق واسع .

ثامنا : ان ملكية كل الشعب والملكية الجماعية هما شكلا الاقتصاد الاشتراكي . والانتقال من الملكية الجماعية الى ملكية الشعب كله ، من هذين النوعين من انواع الملكية الى ملكية موحدة في يد كل الشعب هو عملية مطولة نوعاما ، فالملكية الجماعية نفسها تتطور أيضاً من مستويات أسفل الى أعلى ، ومن حجم صغير الى حجم كبير . والكومونات الشعبية التي خلقها الشعب الصيني هي شكل ملائم من أشكال التنظيم لحل مسألة هذا الانتقال .

تاسعا : ان سياسة : « دع مائة زهرة تتفتح ومائة مدرسة فكرية تتبارى » هي سياسة لدفع نمو الآداب والفنون وتطور العلوم ولتطوير ازدهار الثقافة الاشتراكية . ان التعليم يجب أن يخدم السياسة البروليتارية ويجب أن يربط بالعمل المنتج . وعلى الشغيلة أن يلموا بالمعرفة العلمية ، وعلى المثقفين أن يساهموا في العمل الجسماني . والنضال لدفع تطور الايديولوجية البروليتارية وتحطيم الايديولوجية البرجوازية ، بين العاملين في حقول العلوم والثقافة والآداب والفنون والتعليم ، هو نضال طبقي مطول وحاد . ومن الضروري تكوين فصيلة كبرى من مثقفي الطبقة العاملة الذين يخدمون الاشتراكية ويكونون « ثوريين وخبراء » في آن واحد ، أي أن يكونوا واعين سياسياً وأكفاء من ناحية المهنة ، عن طريق الثورة الثقافية ، والتطبيق الثوري في النضال الطبقي ، وفي النضال من أجل الانتاج ، وفي التجارب العلمية .

عاشرا : من الضروري المحافظة على نظام مساهمة الملاكات في العمل الجماعي المنتج . ان ملاكات حزبنا والدولة هم عمال عاديون وليسوا أمراء يمتطون ظهور الشعب . والملاكات بمساهمتهم في العمل الجماعي المنتج يحافظون على صلات واسعة دائمة وثيقة مع الشغيلة . ان هذا اجراء أساسي ذو أهمية حاسمة للنظام الاشتراكي ، وهو يساعد على التغلب على البيروقراطية وعلى سد الطريق أمام التحريفية والجمود العقائدي .

حادي عشر : ان نظام المرتبات المرتفعة لفئة ضئيلة من الناس يجب ألا يطبق أبداً . والشقة بين مداخيل موظفي الحزب والحكومة والمؤسسات والكومونات الشعبية من جانب ، ومداخيل جماهير الشعب من الجانب الآخر يجب أن تقلل بالتدريج وبصورة معقولة لا أن توسع . ويجب أن تحظر على جميع الموظفين اساءة استعمال سلطتهم بالتمتع بامتيازات خاصة .

ثاني عشر : من الضروري لقوات الشعب المسلحة في قطر اشتراكي أن تكون الى أبد الدهر تحت قيادة حزب البروليتاريا وتحت مراقبة الجماهير ، وأن تحافظ الى أبد الدهر على التقليد المجيد لجيش الشعب ، وعلى الوحدة بين الجيش والشعب وبين الضباط والجنود . من الضروري الحفاظ على النظام الذي يعمل الضباط بمقتضاه كجنود عاديين في فترات منتظمة . ومن الضروري ممارسة الديمقراطية العسكرية والديمقراطية السياسية والديمقراطية الاقتصادية . بالاضافة لهذا يجب تنظيم وحدات الميليشيا وتدريبها في جميع أرجاء البلاد حتى يصبح كل فرد جنديا . ان السلاح يجب أن يكون الى الأبد في أيادي الحزب والشعب وألا يسمح

أبدا بأن يكون أداة لأصحاب الطمع الشخصي .

ثالث عشر : يجب أن تكون أجهزة الأمن العام للشعب الى أبد الدهر تحت قيادة حزب البروليتاريا وتحت مراقبة جماهير الشعب . ويجب أن تكون السياسة في الكفاح لصيانة ثمار الاشتراكية ومصالح الشعب هي الاعتماد على الجهود المشتركة للجماهير العريضة والأجهزة المختصة حتى لا يفلت أي مجرم ولا يظلم أي بريء . يجب كبت المعادين للثورة حيثما وجدوا ، ويجب اصلاح الأخطاء حيثما وجدت .

رابع عشر : من الضروري في السياسة الخارجية التمسك بالأممية البروليتارية ومعارضة شوفينية الدولة الكبيرة والأنانية القومية . ان المعسكر الاشتراكي هو ثمرة نضال البروليتاريا العالمية والشغيلة في العالم . انه ملك لشعوب الأقطار الاشتراكية ، كما هو ملك للبروليتاريا وشغيلة العالم قاطبة . وعلينا أن نطبق عمليا شعار « يا عمال العالم اتحدوا ! » وشعار « يا عمال العالم وأممه المضطهدة اتحدوا ! » هذين الشعارين الكفاحيين ، وأن نكافح بحزم السياسات المعادية للشيوعية والمعادية للشعب والمعادية للثورة ، التي ينتهجها الاستعمار وتنتهجها رجعية مختلف البلدان ، وأن نؤيد النضالات الثورية التي تخوضها جميع الطبقات والأمم المضطهدة . ان العلاقات بين الأقطار الاشتراكية يجب أن تكون على أساس مبادىء الاستقلال ، والمساواة التامة ، والمبدأ الأممي البروليتاري للعون المتبادل والمساعدة المتبادلة . على كل قطر اشتراكي أن يعتمد في الأساس على نفسه في البناء . واذا باشر أي قطر اشتراكي الأنانية القومية في سياسته الخارجية ، واذا فعل أسوأ من هذا بأن عمل بشغف في تضامن مع الاستعمار لاقتسام العالم ، فان مثل هذا التصرف يعد

انحطاطاً وخيانة للاممية البروليتارية .

خامس عشر : على الحزب الشيوعي بصفته طليعة البروليتاريا أن يظل موجوداً مع ديكتاتورية البروليتاريا . والحزب الشيوعي هو أرقى أشكال تنظيم البروليتاريا . ويتحقق الدور القيادي للبروليتاريا عن طريق قيادة الحزب الشيوعي . ويجب أن يطبق في جميع الدوائر نظام لجان الحزب التي تباشر القيادة . وخلال فترة ديكتاتورية البروليتاريا ، على حزب البروليتاريا أن يحافظ على صلاته الوثيقة مع البروليتاريا والجماهير العريضة من الشغيلة وأن يطورها ، وأن يحافظ على أسلوبه الثوري الحيوي ويطوره ، وأن يتمسك بمبدأ مزج الحقيقة العامة للماركسية اللينينية بالممارسة المحددة لبلاده ، وأن يثابر على النضال ضد التحريفية والجمود العقائدي والانتهازية بجميع أشكالها .

قال الرفيق ماو تسي تونغ على ضوء الدروس التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا : « ان النضال الطبقي ، والنضال من أجل الانتاج ، والتجارب العلمية هي الحركات الثورية الثلاث العظمى لبناء بلاد اشتراكية قوية ، وهذه الحركات ضمان كاف لأن يتجنب الشيوعيون البيروقراطية ويتحصنوا ضد التحريفية والجمود العقائدي ، وأن يظلوا أقوياء لا يغلبون الى الأبد . انها ضمان يعتمد عليه في أن تصبح البروليتاريا قادرة على الاتحاد مع الجماهير العريضة من الشغيلة لتحقيق ديكتاتورية ديمقراطية . واذا سمح ، في غياب هذه الحركات ، للملاكين العقاريين والفلاحين الأغنياء والمعادين للثورة والعناصر السيئة وغيرهم من الشياطين بالخروج من مخابئهم ومباشرة نشاطهم بينما يغمض ملاكاتنا أعينهم عن كل هذا ويعجز كثير منهم حتى عن تمييز بين العدو وبين أنفسنا

ويتعاونون مع العدو ويصبحون فاسدين منحطي الأخلاق ، واذا انجر ملاكاتنا هكذا الى معسكر العدو ، أو اذا تمكن العدو من التسلل الى صفوفنا ، واذا ترك عدد كبير من عمالنا وفلاحينا ومثقفينا بدون قدرة على الدفاع عن أنفسهم في وجه التاكتيكات اللينة والشديدة التي يمارسها العدو ، فسوف لا يمضي وقت طويل حتى تحدث بلا شك ، بعد عدة سنوات أو عقد من الزمن أو عدة عقود على الأكثر ، عودة معادية للثورة على نطاق البلاد ، وحتى يصبح الحزب الماركسي اللينيني بالتأكيد حزبا تحريفيا أو حزبا فاشستيا ، وتغير الصين كلها لونها . » (١)

لقد أوضح الرفيق ماو تسي تونغ أنه علينا بغرض التأكيد من عدم تغيير حزبنا وبلادنا للونهما ، ألا يكون لنا خط صحيح وسياسات صحيحة وحسب ، بل أن ندرب ونربي ملايين من الخلف لمواصلة قضية البروليتاريا الثورية .

ان مسألة تدريب الخلف لقضية البروليتاريا الثورية ، في التحليل النهائي ، هي مسألة ما اذا كان هناك في المستقبل من يواصلون العمل للقضية الماركسية اللينينية الثورية التي بدأها الجيل القديم من الثوريين البروليتاريين أم لا ؟ وهل تظل قيادة حزبنا ودولتنا في المستقبل في أيادي الثوريين البروليتاريين أم لا ؟ وهل يواصل خلفنا السير على الطريق الصحيح الذي رسمته الماركسية اللينينية أم لا ؟ أو بمعنى آخر هل يمكننا أن نحول بنجاح دون ظهور تحريفية خروشوف في الصين أم لا ؟ ان هذه بالاختصار

---

(١) ماو تسي تونغ : ملاحظات حول « الوثائق السبع الممتازة عن اشتراك الملاكات لمقاطعة تسيكيانغ في العمل الجسماني » ، ٩ مايو (أيار) ١٩٦٣ .

مسألة في أرقى درجات الأهمية ، مسألة حياة أو موت لحزبنا وبلادنا . انها مسألة ذات أهمية أساسية لقضية البروليتاريا الثورية لمائة أو ألف سنة وحتى لعشرة آلاف سنة . ان المتنبئين المستعمرين وقد ارتكزوا الى التغيرات التي حدثت في الاتحاد السوفياتي يعلقون آمالهم في « التحول السلمي » على الجيل الثالث أو الرابع للحزب الصيني . علينا أن نحطم ونبدد هذه التنبؤات الاستعمارية . وعلينا من منظماتنا العليا الى السفلى أن نعتني دائما في كل مكان بتدريب وتربية الخلف للقضية الثورية .

ما هي الشروط اللازمة التي يجب أن تتوفر في هذا الخلف الجدير بهذا الاسم لقضية البروليتاريا الثورية ؟

يجب أن يكونوا ماركسيين لينينيين حقيقيين ، لا محرفين مثل خروشوف الذي يلتحف فقط بثوب الماركسية اللينينية .

يجب أن يكونوا ثوريين يخدمون بكامل قلوبهم أغلبية الناس في الصين والعالم ، لا مثل خروشوف الذي يخدم مصالح حفنة من أفراد الفئة البرجوازية المفضلة في بلاده ، ويخدم أيضا مصالح الاستعمار الأجنبي والرجعية الأجنبية .

يجب أن يكونوا سياسيين بروليتاريين قادرين على توحيد الأغلبية الساحقة من الناس والعمل معها . ولا يجب أن يتحدوا مع من يوافقونهم في الرأي وحسب ، بل أن يحسنوا أيضا الاتحاد مع من يختلفون معهم في الرأي وحتى مع الذين عارضوهم في الماضي وقد برهن الواقع على خطئهم بعد ذلك . ولكن يجب أن يكونوا يقظين على وجه الخصوص لاكتشاف أصحاب الطمع الشخصي والمتآمرين من أمثال خروشوف وأن يسدوا الطريق على أمثال هذه العناصر السيئة من اغتصاب قيادة الحزب والحكومة

في أي مستوى كان .

يجب أن يكونوا نماذج في تطبيق مركزية الحزب الديمقراطية ، وأن يتملكوا أسلوب القيادة القائم على مبدأ « من الجماهير والى الجماهير » ويجب أن يكونوا لأنفسهم أسلوبا ديمقراطيا يحسنون بمقتضاه الاستماع الى آراء الجماهير . يجب ألا يكونوا متجبرين مثل خروشوف فينقضون مركزية الحزب الديمقراطية ، ويشنون الهجمات المفاجئة على الرفاق أو يتصرفون بطريقة ديكتاتورية وبدون اكتراث للأحكام المنطقية .

يجب أن يكونوا متواضعين رزينين وأن يتدرعوا ضد الغرور والتهور ، يجب أن يكونوا مشبعين بروح النقد الذاتي ولديهم الشجاعة على اصلاح الأخطاء والنواقص في العمل . يجب ألا يتستروا على أخطائهم مثل خروشوف ، فيدعون أن كل الفضل يعود اليهم وحدهم ويلقون اللوم على الآخرين .

ان الخلف الصالح لقضية البروليتاريا الثورية يتوالد في الكفاح الجماهيري ، وينصقل في العواصف العاتية للثورة . ومن الأشياء الأساسية اختبار ومعرفة الملاكات واختيار وتدريب خلف منهم أثناء سير الكفاح الجماهيري الطويل .

ان سلسلة المبادىء السالفة الذكر التي وضعها الرفيق ماو تسي تونغ هي تطوير خلاق للماركسية اللينينية ، وتضيف الى خزينة الماركسية اللينينية النظرية أسلحة جديدة ذات أهمية حاسمة لنا في الحيلولة دون عودة الرأسمالية . وطالما كنا نتبع هذه المبادىء يمكننا أن ندعم ديكتاتورية البروليتاريا ونتأكد من أن حزبنا ودولتنا سوف لن يغيرا لونهما ، ومن القيام بنجاح بالثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي ، ومن مساعدة جميع الحركات الثورية لشعوب العالم للاطاحة بالاستعمار وعملائه ،

ومن الانتقال المستقبل من الاشتراكية الى الشيوعية .

* * *

ان موقفنا نحن الماركسيين اللينينيين فيما يتعلق بظهور عصبة خروشوف التحريفية في الاتحاد السوفياتي ، هو نفس موقفنا تجاه أي « اضطراب » كان : فنحن أولا ضد هذا ، وثانيا نحن لا نخاف منه .

نحن لم نرغب في هذا ونحن نعارضه ، ولكن طالما ظهرت عصبة خروشوف التحريفية فعلا ، فما من شيء مرعب في ذلك ، ولا داعي للانزعاج والقلق . سوف تستمر الأرض في دورانها ، وسوف يستمر التاريخ في سيره الى أمام ، وسوف تقوم شعوب العالم ، كما كانت دائما ، بالثورات ، وحتما يلاقي المستعمرون وعملاؤهم حتفهم .

ان المآثر التاريخية التي قدمها الشعب السوفياتي العظيم سوف تظل مجيدة الى الأبد ، ولا يمكن أن تلوثها خيانة عصبة خروشوف التحريفية . ان الجماهير العريضة من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والشيوعيين في الاتحاد السوفياتي لا بد أن تتغلب في النهاية على كل العقبات في طريقها ، وتسير قدما نحو الشيوعية .

ان الشعب السوفياتي ، وشعوب كل الأقطار الاشتراكية ، والشعوب الثورية في العالم قاطبة سوف تتعلم بالتأكيد من خيانة عصبة خروشوف التحريفية دروسا قيمة . لقد نمت الحركة الشيوعية العالمية في النضال ضد تحريفية خروشوف ، وسوف تواصل نموها وتصبح أقوى من أي وقت مضى .

دائما ما كان موقف الماركسيين اللينينيين موقف التفاؤل الثوري من مستقبل قضية الثورة للبروليتاريا . ونحن على يقين تام بأن النور

النهائي على الأرض .

لماذا سقط خروشوف ؟

افتتاحية ((العلم الأحمر))

(٢١ نوفمبر "تشرين الثاني" ١٩٦٤)

سقط خروشوف .

أخرج من مسرح التاريخ في آخر الأمر هذا المتآمر الكبير الذي اغتصب قيادة الحزب السوفياتي والدولة السوفياتية والذي كان الممثل الأول للتحريفية المعاصرة .

ان سقوط خروشوف كان أمرا حسنا جدا يخدم مصالح قضية ثورة الشعوب في العالم .

ان سقوط خروشوف كان نصرا كبيرا للنضال المثابر الذي خاضه الماركسيون اللينينيون في كل العالم لمكافحة التحريفية ، وأظهر ذلك افلاس التحريفية المعاصرة وهزيمتها الكبرى .

كيف سقط خروشوف ؟ ولماذا لم يعد يستطيع المضي في طريقه ؟

ان هذه القضية قد أثارت أقوالا مختلفة في أوساط القوى السياسية المختلفة في كل العالم .

أبدى الاستعمار ورجعيو البلدان المختلفة والانتهازيون والمحرفون بمختلف ألوانهم وأشكالهم ، العاطفين على خروشوف منهم أو الذين بينهم وبين خروشوف تناقضات في المصلحة ، أبدوا كلهم آراءهم المختلفة حول سقوط هذا الذي كان يبدو وكأنه "شخصية قوية" سقوطا مفاجئا .

ولقد صدرت كذلك مقالات ووثائق عن الأحزاب الشيوعية والعمالية في كثير من البلدان تعبر بها علنا عن آرائها حول قضية سقوط خروشوف .

والآن دعنا نتحدث بدورنا عن قضية سقوط خروشوف في هذا المقال .

ان سقوط خروشوف في نظر الماركسيين اللينينيين لم يكن أمرا يصعب فهمه ، بل يمكن القول انه كان أمرا متوقعا من جميع الوجوه . فلقد توقع الماركسيون اللينينيون منذ زمن هذا المصير لخروشوف .

للانسان أن يعدد مائة أو ألفا من التهم ليفسر أسباب سقوط خروشوف ، ولكن السبب الأهم في كل ذلك هو أنه خالف قوانين التطور التاريخي التي اكتشفتها الماركسية اللينينية ، وخالف الارادة الثورية للشعب السوفياتي وشعوب العالم قاطبة محاولا عبثا عرقلة سير التاريخ الى الأمام . وكل من كان حجر عثرة في طريق تقدم الشعوب، فلا بد من تنحيته . ان الشعب لا بد أن ينبذ خروشوف على كل حال ، سواء رضي خروشوف وأمثاله أو لم يرضوا . ولم يكن سقوط خروشوف سوى نتيجة حتمية للنضال الذي خاضه الشعب السوفياتي والشعوب الثورية في كل العالم لمكافحة التحريفية بحزم واصرار .

ان عصرنا عصر تسير فيه الرأسمالية العالمية والاستعمار الى الموت والهلاك وتسير الاشتراكية والشيوعية الى الانتصار . والرسالة التاريخية التي كلف هذا العصر بها الشعوب هي تحقيق النصر التام للثورة البروليتارية العالمية بالتدريج وفقا للظروف المحددة في البلدان المختلفة وعلى أيدي الشعوب نفسها في هذه البلدان وبالتالي اقامة عالم جديد لا استعمار فيه ولا رأسمالية ولا نظام استغلالي . ان هذا اتجاه حتمي لتطور التاريخ ومطلب مشترك للشعوب الثورية في العالم . وهذا الاتجاه التاريخي هو الناموس الموضوعي الذي لا تقرره ارادة الانسان ، ولا تستطيع أية قوة أن تقاومه . ورغم كل ذلك انبرى خروشوف هذا المهرج في المسرح السياسي المعاصر ، ليعاكس اتجاه التطور التاريخي ويحاول في غرور

جر عجلة التاريخ الى طريق الرأسمالية القديم ومد اجل الطبقات المستغلة المحتضرة ونظامها الاستغلالي المحتضر .

ولقد جمع خروشوف كل وجهات النظر الانتهازية والتحريفية المعادية لوجهات النظر الماركسية في التاريخ وركب منها خطا تحريفيا كاملا يتألف مما يسمى " التعايش السلمي " و " السباق السلمي " و " الانتقال السلمي " و " دولة كل الشعب " و " حزب كل الشعب " . كان يستسلم أمام الاستعمار ويلغي ويعارض النضالات الثورية لشعوب العالم بالتوفيق الطبقي ويمارس الانقسامية في الحركة الشيوعية العالمية مستبدلا بالأممية البروليتارية شوفينية الدولة الكبرى ؛ ويقوض بكل وسعه ديكتاتورية البروليتاريا في المجال الداخلي محاولا احلال الأفكار والسياسة والاقتصاد والثقافة البرجوازية محل النظام الاشتراكي والسير في طريق اعادة الرأسمالية .

وخلال الاحدى عشرة سنة الأخيرة عمل خروشوف خلافا للارادة الحقيقية للشعب السوفياتي كل المساوىء التي كان في استطاعته أن يعملها مستغلا في ذلك مكانة الحزب الشيوعي السوفياتي والدولة الاشتراكية الأولى اللذين بنيا تحت قيادة لينين وستالين . وهذه المساوىء يمكن تلخيصها كالآتي :

١ – بحجة ما يسمى " مقاومة عبادة الفرد " أهان وشتم في استهتار وبأبذء العبارات ستالين زعيم الحزب الشيوعي السوفياتي والشعب السوفياتي . وكانت مقاومته لستالين انما هي مقاومة للماركسية اللينينية . لقد حاول أن يمحوبجرة قلم كل المنجزات العظيمة التي أحرزها الشعب السوفياتي في عهد قيادة ستالين ليقبح ديكتاتورية البروليتاريا والنظام

الاشتراكي والحزب الشيوعي السوفياتي العظيم والاتحاد السوفياتي العظيم والحركة الشيوعية العالمية . وقدم خروشوف بأفعاله هذه أقذر الأسلحة الى الاستعمار ورجعيي البلدان المختلفة ليستعملوها في نشاطاتهم ضد الاتحاد السوفياتي وضد الشيوعية .

٢ — وبنقض علني لتصريح عام ١٩٥٧ وبيان عام ١٩٦٠ كان يسعى وراء " التعاون الشامل " مع الاستعمار الأميركي ، ويدعو الى قوله الباطل بأن قطبي الدولتين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة " يقرران مصير البشرية " ، ويثني باستمرار على رؤوس الاستعمار الأميركي بأن " لهم رغبة مخلصة في السلام " . كان يغامر تارة فينقل القذائف الموجهة الى كوبا ، ثم فجأة يستسلم فيسحب من كوبا القذائف الموجهة وقاذفات القنابل وفق أوامر القراصنة الأميركيين ، يقبل تفتيش الأسطول الأميركي في خضوع ومذلة ، بل ويحاول بيع سيادة كوبا فيعد من وراء ظهر حكومة كوبا بالسماح للأمم المتحدة الواقعة تحت السيطرة الأميركية أن ترسل رجالها الى كوبا للقيام بـ " التفتيش " . ان أفعال خروشوف هذه قد ألحقت بالشعب السوفياتي العظيم أكبر عار وشنار لم يعرفهما طوال بضع وأربعين سنة منذ ثورة أكتوبر .

٣ — واستجابة لحاجات الاستعمار الأميركي في بسط سياسة الابتزاز النووي ومنعا للصين الاشتراكية من بناء قوتها النووية للدفاع عن النفس ، لم يتورع عن الاضرار بقوة الدفاع الوطني للاتحاد السوفياتي نفسه وعقد بالتواطؤ مع الولايات المتحدة وبريطانيا الدولتين الاستعماريتين ما يسمى معاهدة التحريم الجزئي للتجارب النووية . ولقد أثبتت الحقائق

أن هذه المعاهدة خديعة كبرى ، وخروشوف بتوقيع هذه المعاهدة قد خان بجنون وبلا ضمير مصالح الشعب السوفياتي ومصالح شعوب البلدان الاشتراكية ومصالح الشعوب المحبة للسلام في كل العالم .

٤ ـ وباسم " الانتقال السلمي " المزعوم حاول بكل وسيلة عرقلة الحركات الثورية لشعوب البلدان الرأسمالية مطالبا هذه الشعوب بأن تسلك ما يسمى " الطريق البرلماني " الشرعي . وهذا الخط الخاطىء يشل الارادة الثورية للبروليتاريا وينزع عن الشعوب الثورية سلاحها الفكري ويسبب نكسات خطيرة لقضية الثورة في بعض البلدان بحيث جعل الأحزاب في بعض البلدان الرأسمالية تتحول الى أحزاب اشتراكية ديمقراطية من طراز جديد لا حيوية فيها ، وتنحط فتصبح أداة طيعة في يد البرجوازية .

٥ ـ وتحت ستار " التعايش السلمي " عمل كل ما في وسعه لمناهضة وهدم حركة التحرر الوطني ، بل وشارك الاستعمار الأميركي في قمع النضالات الثورية التي تقوم بها الأمم المظلومة . وقد أمر ممثل الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة باعطاء الصوت للموافقة على ارسال قوات العدوان لمساعدة الاستعمار الأميركي على قمع شعب الكونغو ، واستعمل وسائل النقل السوفياتية لنقل ما يسمى " قوات الأمم المتحدة " هذه الى الكونغو . كان يعارض في الواقع النضالات الثورية للشعب الجزائري ويقول بأن النضال الجزائري من أجل التحرر الوطني هو من " الشؤون الداخلية " لفرنسا ، وبلغت به الوقاحة أن وقف موقف " المعتزل " من حوادث خليج باك بو التي خلقها الاستعمار الأميركي ضد الفيتنام ، وأعمل فكره لانقاذ المستفزين الأميركيين

من الورطة ولتبرير العدوان الاجرامي الذي ارتكبه القراصنة الأميركيون .

٦ — وبنقض علني لبيان عام ١٩٦٠ ، لم يأل جهدا لقلب حكم البيان على جماعة تيتو المرتدة واصفا تيتو الذي انحط فأصبح عميلا للاستعمار الأميركي بأنه " ماركسي لينيني " ويوغوسلافيا التي تفسخت فأصبحت بلدا رأسماليا بأنها " دولة اشتراكية " . وأعلن مرارا وتكرارا بأنه هو وجماعة تيتو " منتمون الى نفس الفكرة ومسترشدون بنفس النظرية " يعبر عن رغبته في أن يتعلم بتواضع من هذا المرتد الذي يبيع مصالح الشعب اليوغوسلافي ويخرب الحركة الشيوعية العالمية .

٧ — اعتبر ألبانيا البلد الاشتراكي الشقيق عدوه الألد مدبرا كل وسيلة للاضرار بها وتخريبها وكان بوده أن يأكلها لقمة واحدة . ولقد قطع في صلف جميع العلاقات الاقتصادية والديبلوماسية مع ألبانيا ، وجرد ألبانيا باستبداد من حقوقها الشرعية كبلد عضو في منظمة معاهدة وارسو وفي مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة ، كما دعا علنا للاطاحة بقيادة الحزب والدولة في ألبانيا .

٨ — أكن خروشوف أشد حقد للحزب الشيوعي الصيني المتمسك بالماركسية اللينينية وبالخط الثوري ، ذلك أن الحزب الشيوعي الصيني هو العقبة الكبرى الواقفة في وجه ترويجه للتحريفية والاستسلام . واختلق الاشاعات والافتراءات كيفما شاء ضد الحزب الشيوعي الصيني والرفيق ماو تسي تونغ واتخذ في ذات الوقت الوسائل الدنيئة الخبيثة يحاول بذلك عبثا أن يقوض الصين الاشتراكية . ولقد مزق غدرا بضع مئات من الاتفاقيات والعقود وسحب عنوة أكثر من ألف خبير سوفياتي كانوا يعملون في الصين . وخلق النزاعات على الحدود بين الصين والاتحاد

السوفياتي بل قام بنشاطات هدامة واسعة النطاق في منطقة سينكيانغ . وأيد الرجعية الهندية في هجماتها المسلحة على الصين الاشتراكية ، مشاركا الولايات المتحدة في تقديم المساعدات العسكرية الى الرجعية الهندية ليشجعها ويعينها على القيام بالاستفزازات العسكرية ضد الصين .

٩ – خرب علنا قواعد العلاقات بين البلدان الشقيقة فاعتدى على استقلال وسيادة البلدان الشقيقة وتدخل بشكل كيفي في الشؤون الداخلية لهذه البلدان . وباسم " المساعدة الاقتصادية المتبادلة " المزعومة عارض تطوير البلدان الشقيقة اقتصادها تطويرا مستقلا وأرغمها على أن تصبح موردا للمواد الخام وأسواقا للسلع محاولا أن يجعل صناعات البلدان الشقيقة صناعات تابعة . كان يتبجح بأن كل ذلك نظريات ومبادىء جديدة من اختراعه ، بينما هي في الواقع شريعة الغاب للعالم الرأسمالي يطبقها في العلاقات بين البلدان الاشتراكية متخذا " السوق المشتركة " لكتل الرأسمال الاحتكاري قدوة يحتذيها .

١٠ – وبنقض تام لقواعد العلاقات بين الأحزاب الشقيقة اتخذ الوسائل التآمرية المختلفة للقيام بالنشاطات الهدامة والتخريبية ضد هذه الأحزاب كما شاء . فلم يكتف بشن هجمات علنية مستهترة واسعة النطاق على الأحزاب الشقيقة المتمسكة بالماركسية اللينينية في جلسات لجنة حزبه المركزية وفي مؤتمر حزبه وفي مؤتمرات أحزاب شقيقة أخرى ، بل اشترى بصورة علنية العناصر المتفسخة سياسيا والمرتدين والخونة في داخل كثير من الأحزاب الشقيقة لتأييد خطه التحريفي وضرب الماركسيين اللينينيين حتى طردهم بشكل غير شرعي من أحزابهم ، وهكذا خلق انشقاقات دون مبالاة .

١١ – وبهدم كيفي لقاعدة توصل الأحزاب الشقيقة الى الاجماع عن طريق المشاورات ، وباعتبار حزبه حزب الأب ، قرر باستبداد عقد اجتماع عالمي غير شرعي للأحزاب الشقيقة وأصدر أمرا في اشعار مؤرخ في ٣٠ يوليو (تموز) عام ١٩٦٤ ، بعقد ما يسمى بلجنة الصياغة من ستة وعشرين حزبا في ١٥ ديسمبر (كانون الأول) هذا العام ، ليشق الحركة الشيوعية العالمية علانية .

١٢ – واستجابة لحاجات الاستعمار والقوى الرأسمالية في داخل البلاد ، انتهج سلسلة من السياسات التحريفية التي تؤدي الى التراجع الى الرأسمالية . وألغى ديكتاتورية البروليتاريا تحت ستار ما يسمى " دولة كل الشعب " . وغير الطبيعة البروليتارية للحزب الشيوعي السوفياتي تحت ستار " حزب كل الشعب " ، وخالف المبدأ الماركسي اللينيني في بناء الحزب فجزأ الحزب الى " حزب للصناعة " و " حزب للزراعة " . وتحت ستار ما يسمى " البناء الشامل للشيوعية " اتخذ كل وسيلة ليجر الى طريق الرأسمالية القديم الدولة الاشتراكية الأولى في العالم التي أنشأها الشعب السوفياتي بعرقه ودمائه تحت قيادة لينين وستالين . وبتوجيهه الأعمى للزراعة والصناعة السوفياتيتين عرض الاقتصاد الوطني السوفياتي الى خراب شديد وجلب على الشعب السوفياتي مصاعب كبيرة في المعيشة .

كل ما قام به خروشوف خلال الاحدى عشرة سنة الماضية ، يثبت ان السياسة التي انتهجها كانت هي : التحالف مع الاستعمار ضد الاشتراكية ؛ التحالف مع الولايات المتحدة ضد الصين ؛ التحالف مع الرجعيين في كل مكان ضد حركة التحرر الوطني وثورات الشعوب ؛

التحالف مع جماعة تيتو والمرتدين من كل لون ضد كافة الأحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة وكافة الثوريين الذين يناضلون الاستعمار . وسياسة خروشوف هذه قد ألحقت اضرارا بالمصالح الأساسية للشعب السوفياتي ولشعوب بلدان المعسكر الاشتراكي والشعوب الثورية في العالم قاطبة .

هذه هي ما يسمى " مآثر " خروشوف .

ان سقوط شخص كخروشوف لم يكن أبدا بسبب التقدم في السن أو تدهور الصحة ، ولابمجرد أخطاء في طريقة عمله وأسلوب قيادته ، وانما كان نتيجة لاتباعه الخط العام التحريفي واتباعه سلسلة من السياسات الخاطئة في الداخل والخارج .

ان خروشوف لم يضع جماهير الشعب في عينه أصلا ، ظنا منه أن مصير الشعب السوفياتي يمكنه أن يتصرف فيه كما يشاء وأن مصاير شعوب العالم يمكن أن يقررها " قطبا " الدولتين الكبيرتين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة كما يشاآن ، وجماهير الشعب في نظره ليست سوى مجموعة من الأغبياء بينما هو نفسه " البطل " صانع التاريخ . وحاول في غرور أن يجبر الشعب السوفياتي وشعوب البلدان الأخرى على الخضوع أمام عصاه التحريفية . وهكذا وضع نفسه تماما في موضع معاد للشعب السوفياتي وشعوب بلدان المعسكر الاشتراكي والبروليتاريا والشعوب الثورية في كل العالم ، فأدخل نفسه مأزقا وارتد عنه أتباعه ولم يستطع أن ينقذ نفسه من المصاعب الداخلية والخارجية وطوق عنقه بحبل مشنقة وحفر قبره بيديه .

لقد ظهر في التاريخ عدد غير قليل من المهرجين الذين كانوا

يحاولون عبثا رد تيار التاريخ الى الوراء ، ولكنهم انتهوا جميعا بالهزيمة والفشل المشين . ولقد أثبت ما لا يحصى من الحقائق أن كل من يتجاهل مقتضيات التطور الاجتماعي ويخالف ويقاوم ارادة الشعوب فيفعل ما يشاء من الشرور فانه في آخر الأمر لا يمكن الا أن يصبح شخصا مضحكا لا قيمة له مهما كان " بطلا " ومتغطرسا جبارا . يبدأون بايذاء الناس وينتهون بايذاء أنفسهم وهذا هو القانون العام الذي يتحكم في هؤلاء .

ان " الشخصيات " من أمثال باكونين في عهد الأممية الأولى قد كانوا يوما ما " أبطالا " متعجرفين معادين للماركسية ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى ألقي بهم الى كومة الزبالة في التاريخ . وان " البطلين " المعاديين للماركسية برنشتاين وكاوتسكي في عهد الأممية الثانية قد كانا يوما ما " عملاقين هائلين " اغتصبا المناصب القيادية ، ولكنهما في آخر الأمر سقطا كلاهما كمرتدين في التاريخ تفوح من اسميهما الرائحة النتنة على تعاقب الأجيال . وبعد وفاة لينين زين تروتسكي رأس المعارضة نفسه كأنه " بطل " من الأبطال ، ولكن الحقائق أثبتت صدق قول ستالين حين قال : « انه كان أقرب شبها الى ممثل منه الى بطل ، وان الخلط بين البطل والممثل لا يجوز في أي حال . »

« ان التقدم هو القانون الأبدي لعالم الانسان » . ولقد علمنا التاريخ أن كل من يحاول بغرور وقف عجلة التاريخ عن التقدم فانه سيسحق سحقا . وكما أشار الرفيق ماو تسي تونغ مرارا وتكرارا فان الاستعمار وكل الرجعيين نمور من الورق وكذلك المحرفون . وان " الأبطال "

الممثلين للطبقات الرجعية والقوى الرجعية مهما كانوا جبابرة وصلفين فانهم في الواقع ليسوا الا نمورا من الورق أقوياء في مظهرهم ، وليسوا الاعابري الطريق لا تلبث أن تغرقهم موجات التاريخ الهائلة ، ولا يستثنى منهم خروشوف . ولعلنا نذكر كم كان خروشوف متعجرفا صلفا حين شن الحملات الهوجاء على ستالين وعلى الماركسية اللينينية في المؤتمرين العشرين والثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي وحين شن الحملات المفاجئة على الحزب الشيوعي الصيني المتمسك بالماركسية اللينينية في مؤتمر بوخارست . ولكن ،لم يمض غير وقت قليل حتى لقي هذا " البطل " المعادي للاتحاد السوفياتي وللشيوعية وللصين نفس مصير أسلافه المحرفين . و رغم نصائح الكثيرين وطلبهم منه بأن يعود الى طريق الصواب لم يصغ لكل ذلك حتى دفع نفسه الى الهلاك .

سقط خروشوف وأفلس الخط التحريفي الذي انتهجه بحماس ، في حين أن الماركسية اللينينية ستستمر في التغلب على التيار الايديولوجي التحريفي وتسير قدما ، كما ستستمر الحركة الثورية لشعوب العالم في اكتساح العقبات التي تعترض طريقها وتمضي الى الأمام .

طبعا ، ان مجرى التاريخ سيظل ملتويا . فرغم أن خروشوف قد سقط ، الا أن مؤيديه المستعمرين الأميركيين والرجعيين والمحرفين المعاصرين سوف لا يسلمون بهذا الفشل . فهؤلاء المردة والأشباح لا يزالون يقرؤون العزائم لـ" بعث" خروشوف مشيدين في كل مكان بـ" خدمات " خروشوف و " مآثره " المزعومة آملين أن تسير الأمور كما كانت وفق الخط الذي حدده خروشوف حتى يسود ما يسمى

” الخروشوفية بلا خروشوف “ . ويمكن القول جزما بأن طريقهم مسدود .

ان التيارات الايديولوجية المختلفة وممثليها بودهم دائما أن يعتلوا المسرح ويقوموا بدورهم . ولكل واحد حريته التامة في اختيار الطريق الذي يريد ان يسلكه . ولكن هناك نقطة نحن بها موقنون وهي أن التاريخ لابد أن يتقدم وفق القوانين التي كشفت عنها الماركسية اللينينية ، ولا بد أن يمضي قدما في طريق ثورة أكتوبر . ولا شك أن الحزب الشيوعي السوفياتي العظيم والشعب السوفياتي العظيم بتقاليدهما الثورية قادران مقدرة تامة على تقديم مساهمات جديدة في الدفاع عن المكاسب العظيمة للاشتراكية وعن المكانة السامية للدولة الاشتراكية الكبرى الأولى التي خلقها لينين وعن نقاوة الماركسية اللينينية وعن التقدم المظفر لقضية ثورة البروليتاريا .

لتتحد الحركة الشيوعية العالمية على أساس الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية !

المعلومات الاضافية

رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى

(٣٠ آذار « مارس » ١٩٦٣)

الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى

ايها الرفاق الاعزاء :

يسر اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ان تشير الى ان الاقتراح الذى قدمته فيما يختص باجراءات توطيد وحدة العمل والتضامن فى صفوف الحركة الشيوعية قد نال الصدى المؤكد من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى . ونحن بدورنا نرحب بما وافقتم عليه من عقد محادثات بين ممثلى الحزبين السوفييتى والصينى اذ ان مثل هذه المحادثات ستخلق جوا طيبا للعلاقات بين الاحزاب الشقيقة وستحدث عوامل هامة فى ازالة الخلافات التى حدثت قريبا فى الحركة الشيوعية العالمية ونتمنى ان تتحقق سلسلة من الاجراءات البناءة فى التغلب على الصعوبات الموجودة الآن بعد هذه المحادثات .

لقد دعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى الرسالة الينا الرفيق نيكيتا خروشوف لزيارة بكين اثناء سفره الى كمبوديا وتبدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى والرفيق نيكيتا خروشوف شكرهم لهذه الدعوة .

كما ان الرفيق نيكيتا خروشوف تحدوه الرغبة الشديدة فى زيارة جمهورية الصين الشعبية وعقد محادثات مع قادة الحزب الشيوعى الصينى وتبادل الآراء فيما يتعلق بالاوضاع الدولية وبالحركة الشيوعية من مشاكل معروفة كى يتم الفهم المشترك لمهماتنا ومسألة توطيد التضامن بين حزبينا ، الا ان الذى ذكرتموه فى الرسالة عن زيارة الرفيق نيكيتا خروشوف لكمبوديا فلم يكن ذلك مقررا قط والمعروف ان الذى سيزور كمبوديا حسب ما قرره مركز قيادتنا فى ١٢ فبراير هذا العام هو الرفيق ليونيد بريجنيف رئيس مجلس رئاسة حكومة الاتحاد السوفييتى ، وقد احيطت الحكومة الكمبودية علما بذلك واذيع النبأ فى الصحف . اما الرفيق نيكيتا خروشوف الذى زار الصين ثلاث مرات فلن يفوت هذه الفرصة ابدا فى زيارة الصين ومقابلة الرفاق الصينيين فى المستقبل ملبيا بذلك دعوتكم الكريمة . اننا نذكر قول الرفيق ماو تسى تونغ حينما كان فى موسكو عام ١٩٥٧ اذ قال انه لم يزر الاتحاد السوفييتى الا مرتين ولم يزر الا موسكو ولينينغراد فقط ، وقد ابدى رغبته فى زيارة الاتحاد السوفييتى مرة اخرى كى يفهم بلادنا فهما افضل وصرح بانه يرغب فى القيام برحلة فى بلادنا من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال . ونحن نرحب برغبة الرفيق ماو تسى تونغ هذه .

وفى ١٢ مايو ١٩٦٠ ارسلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى رسالة الى الرفيق ماوتسى تونغ تدعوه فيها الى الاستجمام فى الاتحاد السوفييتى وفهم حياة الشعب السوفييتى ايضا . ولكن الذى يؤسف له ان الرفيق ماو تسى تونغ لم يستطع تلبية الدعوة فى ذلك الوقت . واللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ترحب بزيارة الرفيق ماوتسى تونغ وتعتبر ان افضل وقت للقيام بمثل هذه الزيارة هو الربيع أو الصيف المقبل وهما ، اجمل فصول

السنة فى بلادنا . كما نحب ان نستقبل الرفيق ماو تسى تونغ ممثل الحزب الشقيق والشعب الصينى الشقيق فى اى وقت آخر استقبالا لائقا به . والرفيق ماو تسى تونغ فى زيارة بلادنا هذه المرة لن يكون منفردا فان رفاقنا قادة الحزب سوف يكونون معه وهكذا ستسنح لهم الفرص لتبادل الآراء فى المسائل المختلفة . ويستطيع الرفيق ماو تسى تونغ ان يرى كيف يعمل الشعب السوفييتى وان يرى ما هى النتائج التى حصلوا عليها فى سبيل بناء الشيوعية وسبيل تحقيق برنامج حزبنا الرئيسى .

واذا لم يستطع الرفيق ماو تسى تونغ ان يحضر الى موسكو فى الوقت الحاضر فاننا نحب أن نبين موافقتنا على ما تقترحونه من عقد محادثات فى موسكو بين ممثلى الحزبين السوفييتى والصينى على مستوى عال . ونحن نعتقد ان المحادثات فى هذه المرة يمكن ان تتم فى ١٥/٥/١٩٦٣ اذا ما كان هذا الميعاد مقبولا لديكم .

ويسرنا غاية السرور ان يكون الرفاق الصينيون مثلنا يعتبرون المحادثات التى سوف تعقد بين ممثلى الحزبين السوفييتى والصينى "خطوة اعدادية ضرورية لعقد اجتماع ممثلى الاحزاب الشيوعية واحزاب العمال للدول المختلفة" . نعم ، ان هذه المحادثات يجب ان تساعد على اعداد وعقد الاجتماع على اكمل وجه فى حين انها لا تخالف مبادىء المساواة ولا تمس مصالح الاحزاب الشقيقة الاخرى بضرر . واذا لم تعقد مثل هذه المحادثات واذا لم يتوقف النقاش العلنى فى الصحف والمجلات واذا لم يتوقف النقد فى داخل اى حزب لاعمال الاحزاب الشقيقة الاخرى فستوجد صعوبات لعقد الاجتماع او الوصول الى الغاية الهامة وهى تقوية التضامن فى الحركة الشيوعية الدولية . ولهذا كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى

السوفييتي ـ حينما وافقت على ما قدمته الفيتنام واندونيسيا وانجلترا والسويد والرفاق الآخرون فى اوائل سنة ١٩٦٢ من اقتراحات حول عقد الاجتماع بين ممثلى الاحزاب الشقيقة للدول المختلفة ـ تؤكد ضرورة تنفيذ الاجراءات التى تستطيع ان تخلق ظروفا صالحة لاعمال الاجتماعات الشيوعية العالمية .

وقد نادت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى فى الرسالة المؤرخة ١٩٦٢/٢/٢٢ بـ "وقف الجدال غير الضرورى الذى حدث فى المسائل التى حصل الخلاف على فهمها فيما بيننا وعدم نشر التصريحات العلنية التى لا تخفف حدة خلافاتنا بل تزيد تعمقها وتوسعها" وكتبنا فى الرسالة الموجهة الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى يوم ١٩٦٢/٥/٣١ : "انكم تعرفون بوضوح ان حزبنا كان ولا يزال يرى مناقشة المسائل الاساسية للحركة الشيوعية العالمية مناقشة جماعية ولقد دعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى عقد اجتماع الاحزاب الشقيقة فى الدول المختلفة سنة ١٩٥٧ وسنة ١٩٦٠ وهذان الاجتماعان كانت لهما صلة بالتغيير الهائل الهام للظروف الدولية والخطط المناسبة للحركة الشيوعية اللازم وضعها . وهذه المرة نؤيد تماما ذلك الاقتراح الداعى لعقد اجتماع للاحزاب الشقيقة فى الدول المختلفة ."

نعتقد انه من المفيد ان الاحزاب الشقيقة فى سبيل الاعداد لهذه الاجتماعات تحلل الظواهر الحديثة للحياة الدولية تحليلا دقيقا وشاملا وايضا تحلل نشاط كل منها فى تحقيق المقررات الجماعية لحركتنا . وكانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى قد عبرت عن عنايتها المعروفة لدى جميع الشيوعيين كى لا تزيد هذه الاجتماعات على الخلاف الموجود تعقدا بل تحاول ان تتغلب على ذلك الخلاف باكبر

قدر مستطاع .

واخيرا ابدى كثير من قادة الاحزاب الشقيقة فى اقوالهم مثل هذه النظرية منصفين وقبل انعقاد الاجتماع هذه المرة لا بد من اتخاذ سلسلة من الخطوات لتصبح الحالة طبيعية فى الحركة الشيوعية ولتجعل الجدال فى الآراء محصورا فى دائرة لا يسمح النقاش فيها الا فيما بين الرفاق فى داخل الحزب . ويمكننا ان نلمح من رسالتكم انكم موافقون على هذه النقطة ايضا . اذن يمكننا ان نعتبر انه قد حصل تقدم ملموس فى الاعداد لعقد الاجتماع هذه المرة .

ومن الواضح جدا – حينما يتناقش حزبانا وقد يتعدى ذلك الى جميع الاحزاب الشقيقة – ان هذه المناقشة انما كانت فى الخطوات الاولى واتضح فى اجتماع عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦٠ انه لا يمكن ان تحدد بسهولة خطوط الحركة الشيوعية الدولية الاباشتراك الاحزاب الشقيقة جميعها اشتراكا جماعيا وبدراسة تجارب جميع وحدات الحركة الشيوعية الدولية من جميع النواحى ولا يكون ذلك الا على درجة مناسبة .

وقد بحثنا بدقة فيما قدمتموه من آراء خاصة بالمواضيع والمسائل التى يمكن ان يتناقش فيها حينما تعقد المحادثات بين ممثلى حزبينا السوفييتى والصينى وهى مسائل هامة جدا يهمنا النقاش فيها .

وفى هذه الرسالة نود ايضا ان نتحدث عن بعض المسائل الاساسية التى هى فى نظرنا ملتقى انظار الاحزاب الشقيقة ومحور نضالها من اجل قضايانا المشتركة . وطبعا لسنا هنا فى بيان وجهة نظرنا فى هذه المسائل بالتفصيل وانما نحن مستعدون للاشارة الى تلك الامور الاساسية الهامة التى نتبعها حينما نعمل على المسرح العالمى لتحقيق خططنا وحينما نعمل

على حسب العلاقات التى تربط بيننا وبين الاحزاب الشقيقة .

ونأمل ان يكون شرح وجهة نظرنا هذه يساعد على تحديد الحدود للمسائل التى تحتاج الى تبادل الآراء فى المباحثات الثنائية ويساعد ايضا فى التغلب على الخلاف الموجود الآن . وانما نعمل على هذا المنوال لنؤكد مرة اخرى اننا فى عزم وثبات دائما وابدا على الدفاع عن الأسس الفكرية للحركة الشيوعية فى العالم كله والخطوط المشتركة التى تنعكس فى البيان والتصريح .

وفى فترة ما بعد الموافقة على التصريح لم تغير الحياة قط اية نتيجة اساسية له وبالعكس تدل دلالة كاملة على صحة الاتجاهات فى الحركة الشيوعية العالمية التى قررناها سويا على اساس تطوير الماركسية اللينينية بروح خلاقة وعلى اساس النتائج التى استنتجناها من التجارب فى العصر الحاضر .

والذى ينطلق منه الحزب الشيوعى السوفييتى هو ان عصرنا هذا الذى بدأ بثورة اكتوبر الاشتراكية العظيمة والذى اهم مواضيعه الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية هو عصر يتنازع فيه نظامان اجتماعيان متعارضان ، عصر تقوم فيه الثورة الاشتراكية وثورة التحرر الوطنى ، عصر تنهار فيه الامبريالية وتزول نظام الاستعمار ، عصر تسير فيه الشعوب - التى تزداد مطردة - نحو الاشتراكية ، عصر تنتصر فيه الاشتراكية والشيوعية فى العالم اجمع .

التغييرات الجديدة الممكنة فى حالات توزيع القوى الطبقية على المسرح العالمى التى سببتها لحركتنا الأوضاع الموجودة فى العالم تتطلب كلتاهما ، الى تحديد الخط العام للحركة الشيوعية العالمية الموافق لمهمتها الاساسية فى الفترة الراهنة .

وبعد الحرب العالمية الثانية سارت مجموعة من الدول الاوربية فى

طريق الاشتراكية . واحرزت الثورة الاشتراكية فى الصين وبعض الدول الاخرى فى آسيا نصرا مبينا فتشكل معسكر اشتراكى عالمى وتقوى النظام الجديد فى الدول الديمقراطية الشعبية ، وتكفل ايضا تطور هذه الدول السريع اقتصاديا وسياسيا وثقافيا فى سبيل الاشتراكية ، وتضامنت الاسرة الاشتراكية الكبرى سياسيا وعسكريا تضامنا وثيقا . وحصل تغيير كبير فى توازن القوى العالمية فى صالح الاشتراكية على الاستعمار ، وذلك لما وصل اليه الاتحاد السوفييتى والدول الشقيقة الاخرى من نتائج هامة وكان فى هذه الناحية سبب مهم جدا وهو فقدان امريكا احتكار الاسلحة الذرية الهيدروجينية وبناء الاتحاد السوفييتى القوى العسكرية القوية الضخمة .

ان تأسيس الكتلة الاشتراكية العالمية ان هو الا ثمرة تاريخية للطبقة العاملة العالمية ولجميع الكادحين . وهو فى الحقيقة يبرز آمال الانسان نحو المجتمع الجديد . ثم ان زيادة الانتاج فى كل دولة اشتراكية والنتائج الضخمة للفنون والعلوم تجعلان الاسرة الاشتراكية الكبرى تبنى هذه القوة الاقتصادية والدفاعية التى لا تستطيع ان تدافع عن النتائج الاشتراكية فقط بل هى قلعة منيعة قوية للسلم والامن لشعوب العالم اجمع .

واما التغيير الاساسى فى الموازنة بين القوى المختلفة فهو متصل بتقريب الأزمة العامة من الرأسمالية وتعميقها عليها وكذلك زيادة تناقضاتها حدة وشدة فبعد ان انتهت الحرب العالمية الثانية تغيرت الاحوال فى توزيع القوى الداخلية للمعسكر الاستعمارى وانتقل مركز السياسة والعسكرية من اوربا الى امريكا تبعا لمركز الاقتصاد واصبحت امريكا — الطبقة الرأسمالية المحتكرة — قلعة هامة لقوى الرجعية الدولية وتحملت مسئولية انقاذ الرأسمالية . والآن فان امريكا الاستعمارية تقوم بوظيفة الدركى

الدولى وهى تستخدم خطة الكتلة العسكرية كى تجعل الدول الرأسمالية الاخرى خاضعة لحكمها وهذا لمما يثير معارضة فرنسا والمانيا الغربية واليابان وغيرها من الدول الرأسمالية الكبرى لسياسة امريكا . وكانت الدول الرأسمالية التى اصابتها الخسارة فى الحرب العالمية والتى استعادت بناء اقتصادياتها بسرعة وتطورت تطورا سريعا يفوق تطور امريكا نفسها تقوم بدفع بعض الدول الاوربية الى الخروج من سيطرة امريكا وهذا كله يؤدى الى تأزم المرض القديم وهو تنافس الاستعماريين وتصادمهم ويؤدى الى حدوث مرض جديد وهذا يضعف الكتلة الرأسمالية كلها .

لم يتغير طباع الاستعمار فى النهب ضد الشعوب ولكن امكانيتهم فى التأثير على تقدم التطور التاريخى تبدو بانها تضيق دائرتها شيئا فشيئا وذلك تبعا لوجود الكتلة الاشتراكية العالمية وزيادة قوتها الاقتصادية والعسكرية وفى نفس الوقت تتغير وسائل مقاومة الاستعماريين وطرقهم ضد الدول الاشتراكية وضد حركة الثورة فى العالم وضد حركة التحرر الوطنى . ان الاستعماريين يخافون كثيرا من سرعة ازدياد قوة الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى فيوحدون قواهم ويجهدون فى الاعمال الجنونية كى يواصلوا مقاومتهم من اجل استمرار استغلالهم وكذلك يسعون الى تخريب اراضى الدول الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى واضعاف نفوذها .

ومن الواضح ان الذى يقرر المواضيع والاتجاهات الرئيسية للتطور التاريخى للمجتمع الانسانى فى عصرنا الحاضر ليس الاستعمار بل الكتلة الاشتراكية العالمية وجميع القوى التقدمية المكافحة لاصلاح المجتمع عن طريق الاشتراكية ومناهضة الاستعمار والتناقض فيما بين الرأسمالية والاشتراكية هو تناقض عصرنا الرئيسى واما السلام والديموقراطية والاشتراكية فهى

مرهونة بنتيجة العراك فيما بين الكتلتين العالميتين وفى نفس الوقت أحدثت موازنة القوى على المسرح العالمى تغييرات فى صالح الاشتراكية بصفة مستمرة .

ان شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية التى كافحت من اجل التحرر الوطنى والاجتماعى وحصلت على نتائج مظفرة ، والطبقة العاملة وجميع الكادحين فى الدولة الرأسمالية الذين يعارضون منظمات الاحتكار ويعارضون جميع انواع الاستغلال ويسعون الى التقدم الاجتماعى ويكافحون مكافحة مستمرة متزايدة ، ان هؤلاء كلهم لهم دور هام جدا فى التطور التاريخى للجنس البشرى ان الثورة الاشتراكية وثورة التحرر الوطنى ومناهضة الاستعمار والامبريالية وثورة الديمقراطية الشعبية وحركة الفلاحين العامة وحركة الديمقراطية العامة ومناهضة الاضطهاد القومى وكفاح الجماهير الشعبية لاسقاط النظم الفاشستية وغيرها من النظم المستبدة ، هذه كلها تيارات ثورية عالمية مجتمعة تندفع وتهدم الرأسمالية فى العصر الحاضر .

وحينما تحدد حركة الشيوعية العالمية اتجاهاتها حسب الظروف الجديدة لا تستطيع ان لا تفكر جيدا فى العنصر الهام وهو التغير المادى الأصلى للوسائل الفنية العسكرية التى تستخدم في الحروب وهذا التغير المادى مرتبط بظهور وتخزين الاسلحة الهيدروجينية التى تحمل قوة التدمير التى لا مثيل لها فيما مضى . ومادام نزع السلاح لم يتحقق فان على الاسرة الاشتراكية الكبرى واجب المحافظة على التفوق فى القوات المسلحة ضد الاستعماريين. وسنضطر هم الى التذكير اذا ما بدأوا بالحرب واستعملوا القوة فى حل مسألة "عن اى طريق يتطور الانسان ؟ عن الرأسمالية او الاشتراكية؟" فان هذ الحرب ستكون الحرب الاخيرة وسيدمر فيها الاستعمار تدميرا نهائيا .

وفى الظروف الحاضرة يجب على جميع المناضلين فى سبيل السلام والاشتراكية استغلال الامكانية الصالحة لنصرة الاشتراكية بقدر أوسع لكى لايسمح للاستعماريين من إثارة الحرب العالمية .

ان التحليل الصائب لاحوال توزيع القوى الطبقية على المسرح العالمى والاتجاهات الماركسية اللينينية الصائبة التى قررت فى اجتماعى موسكو ، جعلت الاحزاب الشقيقة للدول المختلفة تحصل على نتائج عظيمة فى تطوير النظام الاشتراكى العالمى وساعدت على نمو النضال الطبقى الثورى فى داخل البلاد الرأسمالية وكذلك ساعدت على نمو حركة التحرر الوطنى .

ان تأثير النظام الاشتراكى على تطوير العالم يزداد يوما بعد آخر والآن تتطور مراحل الثورة فى العالم اجمع تحت تأثير مباشر للقوة العظيمة فى الحياة الجديدة فى البلاد الاشتراكية المختلفة . والنتائج التى نحصل عليها فى سبيل بناء الاشتراكية والشيوعية تزداد شيئا فشيئا ، والافكار الشيوعية سوف تدخل بسهولة مطردة عقول الجماهير الشعبية الغفيرة والبابهم ، ولذلك كان من الواضح ان الذى يريد ان يسرع فوز الاشتراكية فى العالم بالنصر الأخير ينبغى أن يعتنى اولا بتقوية الاسرة الاشتراكية الكبرى وقوتها الاقتصادية ويرفع مستوى حياة الشعب وينشر العلوم والفنون والثقافة ويسعى الى توطيد وحدة الاسرة الاشتراكية الكبرى وتضامنها ويرفع مركزها الدولى . ان التصريح الذى صدر عن اجتماع موسكو يجعل الشعوب والاحزاب الماركسية اللينينية فى البلاد الاشتراكية المختلفة تتحمل مسئولية بناء الاشتراكية والشيوعية ازاء حركة العمال الدولية منتصرة .

ان الشعوب والاحزاب الشقيقة للدول المختلفة دائما وباستمرار يعززون النظام الاشتراكى العالمى ويسعون الى حل المسائل الاصلية

المعاصرة حسب مصالح السلام والديمقراطية والاشتراكية ويقدمون من انفسهم خدمات عظيمة للطبقة العاملة الدولية وجميع الكادحين وحركات التحرير كافة .

وموازنة القوى على المسرح العالمى الآن تجعل الدول الاشتراكية وجميع القوى المحبة للسلام قادرة على تقديم مهمة واقعية تماما للمرة الاولى فى التاريخ وهى منع الحرب العالمية الجديدة والمحافظة على السلام والامن لشعوب الدول المختلفة .

والسنوات التى مرت بعد قرار تصريح موسكو أثبتت تماما ان هذه النظرية صحيحة فلم تستطع القوة المعتدية على دفع الجنس البشرى الى وهدة الحرب الهيدروجينية المدمرة وانما هذا يرجع الى النتائج الهامة فى تقوية سلطة الدول الاشتراكية وقيامها المستمر بالسياسة الخارجية المحبة للسلام ، وهذه الخطة معترف بها لدى ملايين الملايين من الشعب ومؤيدة منهم تأ ييدا كاملا وهى الآن تتغلب على خطط الاستعمار العدوانية والحربية .

وما من معتنق للمبادىء الماركسية يرتاب فى ان الاستعمار فقد المناطق المحتلة واحدة تلو اخرى فحاول ان يحافظ على سيطرته على شعوب الدول المختلفة بجميع الوسائل الممكنة ويرد ما فقده من مناطق محتلة . والآن يقوم الاستعماريون بالتواطؤ الدولى الكبير فى التاريخ ضد الدول الاشتراكية وحركات التحرر العالمية وطبعا ، لا نستطيع ان نضمن على ان الاستعمار لايطمع فى اثارة الحرب العالمية فلذلك يجب على اعضاء الحزب الشيوعى ان يدركوا جليا هذا الخطر العظيم .

غير ان حالة المعتدين فى الظروف الحاضرة تختلف تماما عما كانوا

عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، وكذلك تختلف عما كانوا عليه قبل الحرب العالمية الاولى اختلافا كبيرا وكان قديما مصير الحرب عامة يكون بانتصار بعض الدول الرأسمالية على الآخر ولكن الدول المغلوبة تبقى على الحياة ثم بعد ذلك تتقوى فتعيد قوتها حتى تستطيع ان تقوم بالاعتداء مرة اخرى وكانت المانيا هى احسن مثل لذلك . اما الحرب الهيدروجينية فلا تقدم للمعتدين هذا النوع من المناظر فلذلك كان الاستعماريون مضطرين على ان يفكروا فى هذه الحالة فالخوف من انتقام العدو وتلقى الكرة منه سوف يمنعهم من القيام بالحرب العالمية . وهكذا اصبحت الاسرة الاشتراكية الكبرى قوية عظيمة حتى ان الاستعمار لايستطيع ان يفرض شروطه على شعوب الدول المختلفة او يجبرها على قبول رغبته وهذه هى ثمرة ذات معان تاريخية للطبقة العاملة الدولية وشعوب الدول المختلفة .

ان الاستعمار بما فى طبعه من النصب والنهب لا يستطيع ان يترك طمعه فى حل التناقض على المسرح الدولى بالحرب ولكنه من الناحية الاخرى لا يستطيع ايضا ان يثير الحرب الهيدروجينية العالمية دون تفكير فى انها سوف تؤدى الى اصابته بخطر التدمير .

والواقع ان الحرب العالمية التى يهدد بها الاستعمار الجنس البشرى ليس مستحيلا تجنبها قطعا . لأن القوى الاشتراكية تفوق على القوى الاستعمارية وتزداد بمرور الايام وكذلك تفوق القوى السلمية على القوى الحربية وتزداد كلما تمر الأيام وهذا سوف يؤدى الى امكانية ابعاد الحرب العالمية عن الحياة الاجتماعية ـ وذلك قبل ان تنتصر الاشتراكية فى هذا العالم نصرا كاملا وفى حالة ما اذا كان الاستعمار لا يزال موجودا فى بعض المناطق من العالم .

وطبعا من اجل منع هذا النوع من الحرب لا بد من توطيد النظام الاشتراكى بكل قوة وبخطى متقدمة وكذلك لابد من توحيد جميع القوى للطبقة العاملة الدولية والتضامن مع حركة التحرر الوطنى وتوحيد جميع القوى الديمقراطية فمن يقدر المصالح الاشتراكية ومصالح السلام يجب عليه ان يبذل كل جهوده ليحبط المؤامرات الاجرامية للرجعية العالمية ويمنع الحرب الهيدروجينية التى قد تجر ملايين الملايين من الناس الى ظلمات القبور ويقدم مستعجلا الى المعتنقين بالمبادىء الماركسية اللينينية مهمة هامة بعد تقدير معقول للنتائج التى لا مفر منها ـ تلك التى تأتى بها الحرب الهيدروجينية الى الجنس البشرى والى اعمال الاشتراكية ، والمهمة المذكورة هى منع التصادم العالمى الجديد بكل ما لدينا من قوة .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى تصمم على اتباع ما فى بيان سنة ١٩٦٠ من الآراء الآتية : « لما كان العالم ينقسم الى كتلتين ، كان المبدأ الصحيح الحكيم الوحيد فى العلاقات الدولية ما قدمه لينين من مبدأ التعايش السلمى بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية وقد تقدم هذا المبدأ خطوات كبيرة فى تصريح السلام وتصريح موسكو عام ١٩٥٧ وفى قرارات المؤتمر العشرين والحادى والعشرين لنواب الحزب الشيوعى السوفييتى وكذلك فى مواثيق الحزب الشيوعى واحزاب العمال الاخرى . »

ان حزبنا الذى تربى بروح لينين العظيمة فى الكفاح ضد الاستعمار وعدم التسامح معه ليذكر دائما تحذير لينين لنا فيما يتعلق بالاستعمار وما يأتى به من مصائب على الجنس البشرى حتى فى اواخر ايامه . ان الاتحاد السوفييتى يجتهد فى تطوير اقتصادياته بكل قوته ويحسن الدفاع

عن الوطن على هذا الاساس ويزيد القوات العسكرية لتكون القوات المسلحة فى حالة استعداد دائم ولكن الغرض فى استخدام القوات المتزائدة فى الماضى او المستقبل ليس لتهديد اى شخص ولا لاشعال نار الحرب بل لتوطيد السلام ومنع الحرب العالمية الجديدة والدفاع عن الوطن الكبير ـ البلدان الاشتراكية الاخرى .

ان خطة التعايش السلمى تتناسب ومصالح الشعوب الاساسية لجميع الدول وهى تساعد على منعة الاراضى الاشتراكية كما تساعد على زيادة التأثير الدولى للبلاد الاشتراكية وعلى رفع سمعة الشيوعيين وتأثيرهم .

والتعايش السلمى لا يعنى التوفيق فيما بين الايديولوجية الاشتراكية والايديولوجية الرأسمالية لان السير فى هذا الطريق يعنى ترك المبادىء الماركسية الاينينية واعاقة قضية بناء الاشتراكية . فالايديولوجية الرأسمالية ان هى الاحصان طروادة يريد الاستعمار ان يدخله فى صفوف الحركة الشيوعية والعمالية . واما التعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة فمن المقدر ان يكون بين نظامين اجتماعيين مختلفين نزاع لاهوادة فيه فى الناحية الفكرية والسياسية والاقتصادية ومن المقدر ان يكون هناك صراع طبقى يقوم به الكادحون فى دول الكتلة الرأسمالية ويكون كذلك عراك مسلح حين يرى الشعب ذلك ضروريا ومن المقدر ايضا ان تكون هناك حركات التحرر الوطنى التى تحدث دائما وباستمرار من شعوب المستعمرات والدول التابعة .

والواقع يثبت ان النزاع الذى قام لمنع الحرب العالمية لا يقيد قوى الحركة الشيوعية العالمية وحركة التحرر الوطنى بل بالعكس يوحد جماهير الشعب حول الشيوعيين . نعم انه لمن الصحيح فى حالة التعايش السلمى

بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة قامت كوبا بالثورة الاشتراكية ونال شعب الجزائر استقلاله وحصلت اكثر من ٤٠ دولة على استقلالها ونمت الاحزاب الشقيقة وترعرعت وتمرست وتقوت وازداد تأثيرها فى الحركة الشيوعية العالمية .

ان مختلف الدول الاشتراكية تستخدم شكل التعايش السلمى وتحصل على ثمرات متزايدة فى ميدان التنافس الاقتصادى مع الرأسمالية واعداؤنا يدركون انهم لن يفوزوا فى معركة التنافس معنا ولا يعرفون كيف يواجهون التطور الاقتصادى السريع للدول الاشتراكية ، ولايستطيعون ان يعملوا شيئا امام جاذبية الامثلة التى تضربها الدول الاشتراكية للشعوب الرأسمالية المضطهدة .

وتبعا للتطور الاقتصادى للاسرة الاشتراكية الكبرى فلسوف تظهر جليا شيئا فشيئا مميزات الاشتراكية وامكانية الكادحين فى الحصول على مزيد من الثروة المادية والمعنوية اكثر من تلك التى يحصلون عليها تحت حكم الرأسمالية وقضية رفع مستوى المعيشة لشعوب الدول الاشتراكية لها قوة الجاذبية العظمى بالنسبة الى الطبقة العاملة فى جميع الدول الرأسمالية . وثمرات الاسرة الاشتراكية الكبرى ستكون مادة دافعة وعنصرا ثوريا بالنسبة الى الصراع الطبقى القائم فى الدول الرأسمالية وبالنسبة لانتصار الطبقة العاملة على الرأسمالية .

ان الشعوب التى سارت فى الطريق الاشتراكى ترث مستويات متفاوتة فى الاقتصاد والثقافة ولكن مهما كان الامر فان الاشتراكية قد اثارت قوى الانتاج الضخمة ، وكان الاتحاد السوفييتى والدول الديمقراطية الشعبية خير أمثلة على هذه الناحية . اما من الناحية الاقتصادية فقد فاق الاتحاد

السوفييتى الدول الرأسمالية الاوربية التى وصلت فى تطورها الى مراتب عالية واحتل المركز الثانى بين دول العالم وفى المستقبل القريب سيحتل المركز الاول والدول الاشتراكية الاخرى قد حصلت ايضا على نتائج عظيمة وهكذا كان النظام الاشتراكى نظاما متقدما يستطيع ان يجعل الشعوب المختلفة تخرج من حالة التخلف وتلحق بالدول المتحضرة نسبيا وتكافح لبناء الشيوعية مع تلك الدول فى صف واحد .

وهذه النتائج كلها تشجع شعوب البلدان المختلفة وتجعلها تثق بانها سوف تسير فى الطريق الاشتراكى وستحصل على نتائج باهرة فى هذه الطريق مهما وصلت اليه الآن من مستويات التطور التاريخى . والذى يساعد الشعوب على التقدم فى الحياة الجديدة انها تستطيع ان تختار من التجارب الاشتراكية التى نجحت فى العالم ما هو احسن وانسب وان تفكر فى الناحية الايجابية والسلبية من التجارب فى البناء الاشتراكى .

وكلما تطورت قوة الانتاج فى دولة اشتراكية بصورة اسرع كلما ازدادت قوتها الاقتصادية اكثر فاكثر وازداد قوة وبأسا تأثير الاسرة الاشتراكية الكبرى على سرعة تطور التاريخ كله وعلى الجهة التى يتطور نحوها وذلك لصالح السلام وصالح النصر التام للاشتراكية .

ان حزبنا ينطلق فى العمل من هذه النقطة وهى اننا فى العصر الحاضر نملك من الظروف الدولية والداخلية ما يفيد الدول المتزايدة فى العبور الى الاشتراكية وهذا سواء بالنسبة الى الدول الرأسمالية المتقدمة او الدول التى نالت استقلالها مؤخرا .

ان الثورة فى العالم تزداد دوائرها سعة ، وستهب رياحها على القارات فى العالم اجمع وان صراع الطبقة العاملة فى الدول الرأسمالية المتقدمة مرتبط

ارتباطا وثيقا بحركة التحرر الوطنى ويساعد احدهما الآخر وان مراحل تطور المجتمع تجعل الكفاح الثورى على حد سواء فى اية دولة كانت يتجه نحو العدو المشترك الرئيسى ـ الاستعمار وطبقة الرأسمالية المحتكرة .

ان الهدف المشترك للاحزاب الماركسية اللينينية فى العالم باسره هو تعبئة جميع القوى فى النضال لاستيلاء العمال والفلاحين الكادحين على السلطة السياسية كى يتموا بناء الاشتراكية والشيوعية . وكل حزب شيوعى حينما يقرر خط سير لخطته فى الكفاح لا بد ان يفكر فى تجارب الحركة الشيوعية العالمية كلها ولابد ان يعتنى بمصالح حركتنا كلها ويعتنى ايضا بغرضها ومهمتها وخطها العام فى المرحلة الحاضرة .

وبالرغم من هذا فان تقرير كل دولة لطريق الكفاح وشكله للحصول على الاشتراكية امر داخلى خاص بالطبقة العاملة وطليعة هذا البلد الشيوعية . فلايستطيع اى حزب شقيق آخر مهما كان عدده ومهما كانت تجاربه وسمعته ان يقرر برنامج الكفاح الثورى لدولة اخرى ولا طريقه وشكله . والثورة هى قضية جماهير الشعب عامة ومن الشروط الهامة للثورة تحليل الظروف المجسمة بالضبط ، وموازنة القوى المقدرة موازنة صحيحة فاذا تكاملت الشروط الذاتية وبلغت الظروف الموضوعية مستواها لا يستطع احد ان يمنع الجماهير الثورية من نيل انتصارها فى الثورة الاشتراكية . واذا حاول اى انسان منعها فمصيره الهلاك ولكن الانسان لا يقدر على دفع الثورة اذا ماكانت الشروط لم تبلغ مستواها وقد ارشدتنا التجارب فى الصراع الطبقى للثورة الى : ان القيام بالانتفاضات قبل ان تنضج افكارها وتكمل شروطها مصيرها الفشل . ان الشيوعى يدعو الشعوب الكادحة لرفع العلم الاحمر من اجل كسب النصر فى الكفاح لنيل حياة افضل فى

العالم ولا للموت ولو بالبسالة والبطولة . فالذى نحتاج اليه فى المعارك الثورية من البطولة وروح التضحية لا يكون من اجل البطولة ولا من اجل روح التضحية وانما للحصول على النصر فى الافكار الاشتراكية العظيمة .

ان الحزب الشيوعى السوفييتى كان ولا يزال يرحب بالطبقة العاملة الثورية والشعب الكادح لاية دولة الذين يحسنون استخدام الظروف الثورية تحت قيادة طليعتهم الشيوعية الذين ينزلون على اعداء الطبقة العاملة ضربة قاضية ويبنون نظاما اجتماعيا جديدا .

وهناك مميزات مشتركة فى طبيعة جميع خطط وتكتيكات الاحزاب الشيوعية فى الدول الرأسمالية . وهذه المميزات مرتبطة بموازنة القوى المشكلة فى المسرح الدولى والمرحلة الحاضرة من الأزمة العامة للرأسمالية . وبسبب تطور الرأسمالية المحتكرة للدولة ، لم يزد ذلك تعقد التناقض الذى حدث فى المجتمع الرأسمالى فقط بل يحدث تناقضا حديثا ايضا والرأسمالية المحتكرة للدولة تصغر دائرة الاستعمار الاجتماعية وتضعف اساسه فى داخل البلاد بخطوات وتجعل السلطة السياسية مجتمعة فى ايدى جماعة من اكبر الرأسماليين المحتكرين وهذا يسبب حدوث تيار جارف معارض لنظام الاحتكار من الطبقات الاخرى التى تشمل الطبقة العاملة والفلاحين وطبقة الرأسمالية الصغار والمثقفين الكادحين وغيرهم من الطبقات الاخرى فى المجتمع الرأسمالى ممن يعتنى بترك الاستبداد فى نظام الاحتكار وترك الاستغلال ويريد العبور الى الاشتراكية .

وفى عصرنا هذا كان جميع الحركات الديمقراطية مثل السعى لنشر السلام ومنع وقوع الكوارث الهيدروجينية فى العالم والمحافظة على السيادة

الوطنية والمحافظة على الديمقراطية ضد الهجوم الفاشيستى والكفاح للسعى فى تطبيق الاصلاح الزراعى والحركة الانسانية للدفاع عن الحضارة وغير ذلك من الحركات تزداد بسرعة فائقة .

ان حزبنا يقف تماما موقف المبادىء اللينينية ويقف تماما موقف بيان عام ١٩٦٠ ومعنى ذلك ان الثورة الاشتراكية ليست مرتبطة بالحرب ارتباطا دائما ولو قلنا ان الحروب العالمية تحمل معها ثورات ظافرة الا ان الثورة يمكن ان تتحقق دون حرب .

واذا ربط شيوعى نصر الثورة الاشتراكية بالحرب العالمية لماكسب عطف الجمهور نحو الاشتراكية بل لأبعد هم عنها وهذا النوع من الدعوة لايفيد الا اعداءنا بما هو معروف فى الحرب العصرية من عواقب مدمرة مخيفة .

ان الطبقة العاملة وطليعتها ـ الاحزاب الماركسية اللينينية تسعى الى تحقيق الثورة الاشتراكية بالطريقة السلمية وبدون حرب داخلية . وتحقيق هذه الامكانية يتمشى مع مصلحة الطبقة العاملة بل مع الشعب كله ويتمشى مع مصلحة القوميات فى الدولة كلها . وفى نفس الوقت فان اختيار طريقة التطور الثورى ليس متروكا للطبقة العاملة فقط . فلو ارادت الطبقة المستغلة ان تستعمل القوة ضد الشعب فستضطر الطبقة العاملة الى اتخاذ الطريقة غير السلمية للسيطرة على الحكم السياسى . والكل يرجع الى الظروف الواقعية والى احوال القوى الطبقية الموزعة فى داخل البلاد وعلى المسرح العالمى .

وطبعا فان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية مهما تحقق ذلك بأى شكل فلابد ان يكون عن طريقة الثورة الاشتراكية وبدكتاتورية

البروليتاريا على اختلاف اشكالها . والحزب الشيوعى السوفييتى يقدر تقديرا عاليا ذلك الكفاح المستميت للطبقة العاملة بزعامة الشيوعيين فى الدول الرأسمالية ويعتبر مساعدتهم بكل شيء وتأييدهم واجبا عليه .

ان حزبنا يعتبر حركة التحرر الوطنى جزءا لا يتجزأ من عملية التطور الثورى العالمى ، وقوة قوية تهدم جبهة الاستعمار . والشعوب المستعمرة منذ القدم تنهض حاليا لتقوم بابداعات تاريخية مستقلة وتبحث عن الطريق المؤدية الى ازدهار اقتصادياتها وثقافاتها الوطنية . وازدياد قوة النظام الاشتراكى يساعد الشعوب المضطهدة على التحرر ونيل الاستقلال الاقتصادى مساعدة ايجابية ويساعد حركة التحرر الوطنى على التطور بخطوات والتعمق فيه ويساعدها على الكفاح ضد جميع أشكال الاستعمار الحديث والقديم .

لقد دخلت حركة التحرر الوطنى المرحلة الاخيرة لتصفية انظمة الحكم الاستعمارى . اما الشعوب التى تعيش الآن مؤقتا تحت نير المستعمرين فان اليوم الذى تنال فيه حريتها واستقلالها ليس ببعيد . اما الشعوب التى تحررت فستواجهها المشاكل الآتية وهى توطيد الاستقلال السياسى ، والقضاء على تخلفها الاقتصادى والثقافى وتصفية الاوجه المختلفة فى الاعتماد على الاستعمار .

وفى الدول التى تخلصت من نير الاستعمار كانت المهمة الملحة فى النهضة الوطنية لا يمكن ان تتحقق بسهولة الا بتوحيد القوى الوطنية فى الامة من الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الوطنية والمثقفين الديمقراطيين فى النضال الحاسم ضد الاستعمار وبقايا الاقطاعية .

اما الشعوب التى تناضل لنيل التحرر الوطنى والتى حصلت على

الاستقلال السياسى فلم تكن ولن تكون فى المستقبل القريب جنودا احتياطيين للاستعمار بل تنزل الهزائم اكثر فاكثر على الدول الاستعمارية وحلفائها مستفيدة من تأييد الدول الاشتراكية والقوى التقدمية .

ثم تتطور الدول الوطنية الفتية تحت ظروف التنافس بين النظامين الاجتماعيين العالميين . ولهذا الوضع تأثير كبير جدا على تطور سياستها واقتصادها وكذلك على اختيارها للطريق التى تسير عليها فى المستقبل . اما الدول التى نالت تحررها الوطنى منذ امد قريب فلم تدخل فى كتلة الدول الاشتراكية ولا كتلة الدول الرأسمالية غير ان الجزء الاكبر من اقتصادها لم يتخلص بعد من نظام الرأسمالية العالمية بالرغم من ان له مركزا خاصا هناك وهذا هو الجزء الذى لا يزال تحت استغلال النظام الرأسمالى المحتكر.

والآن وبعد ان نالت الدول الفتية استقلالها السياسى فان الذى يحتل المرتبة الاولى فى الاهمية هو مناهضة الاستعمار والسعى لرفع مستوى النهضة الوطنية والكفاح فى سبيل الاستقلال الاقتصادى . اما الدول المتخلفة التى نالت استقلالها التام فانها ستصيب الاستعمار إضعافا جديدا خطيرا وذلك لانها فى هذه الحالة لابد ان تهدم نظام التقسيم الدولى الحالى غير المتساوى للعمل تقسيم النهب ولابد ان تخرب قواعد الاستثمار الاقتصادى الذى تقوم به منظمات الاستعمار المحتكرة فى « القرى العالمية » . والتطور الاقتصادى الوطنى المستقل فى الدول المتخلفة المعتمدة على المساعدة الفعالة من الكتلة الاشتراكية سيمنى الاستعمار ضربة جديدة قاسية .

وفى اثناء الكفاح لكسب الاستقلال وتوطيده يجب الاتحاد مع جميع القوى الوطنية العازمة على مناهضة الاستعمار . والجناح اليمينى من البرجوازية

الوطنية يمكن ان يقيم حكما رجعيا فى وقت معين ويضطهد الشيوعيين وغيرهم من الديمقراطيين وذلك لحرصه على تقوية سيطرته التى يحصل عليها بعد الاستقلال . غير ان هذا الحكم لا يمكن ان يدوم طويلا وذلك لانه يحول دون التقدم ويعوق اداء المهمة الوطنية الملحة واولا وقبل كل شيء يعوق الحصول على الاستقلال الاقتصادى وتطوير قوى الانتاج ولهذا فان هذا الحكم مهما نال تأييد الاستعمار الايجابى لابد ان يزال بنضال جماهير الشعب .

ان الحزب الشيوعى السوفييتى يحالف الشعوب التى تخلصت من اغلال المستعمرين والشعوب شبه المستعمرة للنظام الاستعمارى . ويعتبر ذلك احد احجار الزاوية فى سياسته الدولية وحزبنا يعتقد ان مساعدة جميع الشعوب التى تسير فى طريق الحصول على استقلالها الوطنى وتوطيده ومساعدة جميع الشعوب التى تكافح لازالة النظام الامبريالى واجب دولى . وكان الاتحاد السوفييتى ولا يزال يؤيد الحروب المقدسة التى تشنها الشعوب لنيل حريتها ويقدم لحركات التحرر الوطنى تأييدا عظيما سياسيا وعسكريا واقتصاديا ومعنويا .

وحينما كان شعب الجزائر يقوم بالكفاح ضد المستعمرين الفرنسيين قدم اليه شعب الاتحاد السوفييتى مساعدات ضخمة . ولما هب شعب اليمن ضد العبودية فى بلاده كنا اول من مد له يد المساعدة . وفى اثناء قيام شعب اندونيسيا بالكفاح لتحرير ايريان الغربية من حكم المستعمرين الهولانديين المعتمدين على المستعمرين الامريكيين قدمنا لهم مساعدة كاملة . ونحن نحيى شعب اندونيسيا — لقيامه بالكفاح من اجل تحرير كاليمنتان الشمالية .

ان المستعمرين القدامى والجدد ينصبون شباك المؤامرات والدسائس ضد حركات التحرر الوطنى لشعوب جنوبى شرقى آسيا . وان عطفنا وتأييدنا دائما الى جانب الشعوب المكافحة من اجل نيل حريتها واستقلالها الوطنى . ونحن نؤمن بان شعبى الفيتنام الجنوبية وكوريا الجنوبية سينتصران فى النضال ، وسيعيدان توحيد وطنيهما بالرغم من معارضة المستعمرين الأميركيين واذنابهم .

ان حزبنا كان ولا يزال يعارض تصدير الثورة وفى نفس الوقت كان ولا يزال يمنع تصدير الثورة المعاكسة بكل قوتنا ونحن نعتقد اعتقادا جازما ان توحيد العمل بين القوى الثورية الكبرى الثلاث وهى الشعوب التى تبنى الاشتراكية والشيوعية والحركة العمالية الثورية الدولية وحركة التحرر الوطنى وكذلك توثيق علاقة بعضها ببعض فى عصرنا هذا ، هو اساس لكفاح الشعوب ضد الاستعمار وضمان لنيلها النصر المبين .

ان مراحل التطور العالمى كلها فى هذه السنوات القريبة الماضية اثبتت تماما ان خط الحركة الشيوعية على صواب وقد حمل لنا هذا الخط اثناء التطبيق العملى نتائج بينة وبسبب وجوده احرزت قوى الكفاح المناهضة للاستعمار والساعية فى سبيل السلام والاستقلال الوطنى والاشتراكية ثمرات جديدة . فلذلك يعتبر الحزب الشيوعى السوفييتى تحقيق هذا الخط بثبات ودقة واجبا خاصا .

ونحن نؤمن بانه لا داعى لتعديل هذا الخط أبدا .

وفى الوقت نفسه تعتبر اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ان تبادل الآراء فى الاشياء الجديدة التى يرفعها للحياة الواقعية خط الحركة الشيوعية العالمية ، الذى جاء فى تصريحات وبيانات هذه السنوات

الأخيرة ، مفيد جدا وخاصة فى وقت اعداد وعقد اجتماعات ممثلى الاحزاب الشيوعية واحزاب العمال فى الدول المختلفة .

ايها الرفاق الاعزاء !

لقد أشرتم فى رسالتكم حقا الى ان توطيد وحدة العمل فى صفوف الحركة الشيوعية وتضامن الدول الاشتراكية كفيل بتحقيق كل الثمرات ، ومنذ امد قصير عبر الحزب الشيوعى السوفييتى اكثرمن مرة فى اجتماعات ممثلى الحزب والاجتماعات الدولية للاحزاب الشيوعية ، عن تفهمه لأساس العلاقات بين الاحزاب الماركسية اللينينية . وقد اكدنا امام العالم ان بين جميع الاحزاب الشيوعية واحزاب العمال والدول الاشتراكية مساواة كاملة فى الماضى والحاضر فى الحركة الشيوعية وفى الأسرة الاشتراكية الكبرى . وليس هناك فى الحركة الشيوعية « حزب آمر وآخر مأمور » ولا بد ان يكون الأمر كذلك . فظهور مركز رئاسة لأى حزب أو أية قيادة لا يمكن ان يأتى بفوائد للحركة الشيوعية الدولية والحركة العمالية الدولية بل يجلب اليها المفاسد . ان جميع الاحزاب الشيوعية مستقلة ومتساوية وتقع عليها مسئولية مصير الحركة الشيوعية ، انتصارها وخذلانها كما تبنى عليها العلاقات فيما بينها على أساس التعاون والأممية البروليتارية .

وعندنا مبدأ معروف وهو انه اذا قدمت الأممية البروليتارية طلبا الى الاحزاب كلها صغيرها وكبيرها فان هذا الطلب للجميع دون أى استثناء. وينبغى على الاحزاب الشقيقة كلها ان تعتنى عناية متساوية ببناء نشاطها على اساس المبادىء الماركسية اللينينية وجعله موافقا لمصالح توطيد تضامن الدول الاشتراكية وتدعيم التضامن بين الحركة الشيوعية العالمية والحركة العمالية العالمية .

ان اقامة النظام الاشتراكى العالمى وتطوره يعطى مسألة العلاقات الصحيحة بين الاحزاب الماركسية اللينينية معنى خاصا . فالاحزاب الشيوعية والاحزاب العمالية فى البلدان الاشتراكية هى الأحزاب الحاكمة التى تتحمل المسئولية فى مصير الدولة والشعب اذن فمن خالف أساس المبادىء الماركسية اللينينية فى العلاقات بين الاحزاب فى هذه الحالة لا يعارض المصالح الحزبية فقط بل يعارض مصالح جمهور الشعب عامة .

ان الحزب الشيوعى السوفييتى راعى المصالح العليا فى قضيتنا فازال نتائج عقيدة التقليد الاعمى لشخصية ستالين وبذل أقصى جهوده لاعادة القواعد اللينينية فى المساواة فى العلاقة بين الاحزاب الشقيقة واحترام سيادة الدولة الاشتراكية اعادة كاملة . وهذا يخلق عوامل كثيرة طيبة فى تدعيم التضامن فى الأسرة الاشتراكية الكبرى ، وقد ظهر الآن وضع صالح يجعل صداقتنا تتوطد على أساس المساواة واحترام سيادة كل دولة والتعاون والمساعدة المتبادلة بين الرفاق وانجاز كل دولة مهمتها الدولية . وفى الوقت نفسه نحب ان نشير اشارة مؤكدة الى ان المساواة الاشتراكية لا تتمثل فقط فى الحقوق المتساوية فى الاشتراك الجماعى بوضع الخط المشترك بل وفى تحمل المسئولية أيضا تجاه مصير الأسرة الاشتراكية الكبرى للاحزاب الشقيقة فى الدول الاشتراكية .

وقد أشار بيان اجتماع موسكو للاحزاب الشقيقة اشارة مؤكدة الى قاعدة ان الدول التى انتزعت من الرأسمالية لا بد ان يعقد لها تحالف متين ولابد ان توحد جهودها فى بناء الاشتراكية والشيوعية وجميع مصالح النظام الاشتراكى مرتبط بالمصالح الوطنية وقد اثبتت الحياة ان كل دولة لا يمكن ان تتم مهمتها الوطنية على احسن وجه الا اذا تعاونت مع الدول

الاشتراكية الأخرى على أساس التضامن الحقيقى والمساعدة المتبادلة تعاونا وثيقا .

ان تضامننا واتحادنا فى العمل لم يصدرا من تلقاء نفسيهما وانما كانا نتيجة لحاجة موضوعية ونتيجة لنشاط الاحزاب الماركسية اللينينية المرسوم وخطتها الدولية الواضحة المرمى وأيضا نتيجة لعنايتها الساهرة بتضامن صفوفنا .

لم نكن غافلين عن الحالات الآتية : فى العلاقات بين الدول الاشتراكية قد يحدث الاختلاف فى الفهم فى مسائل البناء بداخل البلاد والحركة الشيوعية الدولية وقد يحدث الاختلاف فى الفهم فى شكل التعاون فيما بيننا وطرقه وهذا ممكن الحدوث لان الدول فى النظام الاشتراكى العالمى تختلف فى مراحل بناء المجتمع الجديد ، والتجارب فى العلاقات الخارجية التى تمر عليها كل دولة ليست واحدة تماما . وفى الوقت نفسه لا يمكن تجنب ما يأتى : قد يكون سبب الخلاف المواقف المختلفة للاحزاب الشقيقة فى حل المسائل المختلفة مما يتصل بالمبادىء الماركسية اللينينية . وتضخيم اشهار المميزات القومية قد يؤدى الى الخروج من المبادىء الماركسية اللينينية والاهمال للمميزات القومية قد يؤدى كذلك الى الانعزال عن الحياة العامة والجماهير وبالتالى يصيب مصالح الاشتراكية بخسائر فادحة .

وهذا كله يفرض علينا الاهتمام بتقرير بعض الطرق والوسائل التى تجعلنا نسير وفق المواقف الاساسية وتجعلنا نقضى على الخلافات الموجودة بأقل ثمن ممكن مما يكلف قضيتنا المشتركة .

اننا نحن معشر الشيوعيين نستطيع ان نتناقش لكن واجبنا المقدس

فى اى حال من الاحوال هو تربية الشعب بروح التضامن الوثيق فيما بين شعوب الأسرة الاشتراكية الكبرى وعلى الشيوعيين تقع مسئولية تربية الشعب على حب الأسرة الاشتراكية الكبرى وحب الشعوب جميعا ، لا حب دولته فقط . وتقع عليهم ايضا مسئولية تربية من يعيش فى أية دولة اشتراكية لكى يفهم واجبه الاخوى نحو الكادحين فى العالم اجمع فان لم يفعلوا هكذا يكونوا قد خالفوا الأوامر الهامة للشيوعيين وهذه الأوامر تتطلب تضامن الاحزاب الماركسية اللينينية والشعوب التى تبنى الاشتراكية وتتطلب الدفاع عن تضامننا كما ندافع عن أعيننا .

اما الاختلاف فى الافكار والخطط فلا ينبغى ان يستخدم فى اثارة عواطف النزعات القومية وآرائها المنحرفة باى حال من الاحوال ولا اثارة عدم الثقة فيما بين الشعوب الاشتراكية ومنابيع النزاع . ونحن نصرح متحملين المسئولية : بان الحزب الشيوعى السوفييتى لم يتخذ ولا يمكن ان يتخذ اية خطوة لبث بذور الكراهية فيما بين شعوبنا المختلفة ضد شعب الصين الشقيق وشعوب الدول الأخرى . وبالعكس فان حزبنا ينشر دائما وأبدا فكرة الأممية فى جميع الظروف والاحوال وينشر فكرة الصداقة الحميمة مع شعوب الدول الاشتراكية وشعوب دول العالم اجمع ونعتبر تأكيد هذه النقطة مهما جدا . ونرجو من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى الموافقة على هذا الموقف .

وفى الحركة الشيوعية الدولية وحركة العمال وحركة التحرر لا بد من توحيد الجهود المشتركة وتعبئة شعوب الدول المختلفة للقيام بالكفاح ضد الاستعمار « يا عمال العالم اتحدوا ! » فهذا النداء الكفاحى الذى قدمه ماركس وانجلز معناه ان اساس هذا الاتحاد هو التضامن الطبقى

لمناهضة الاستعمار وليس لاختلاف الاجناس والالوان والامكنة اى اعتبار . اما توحيد الجماهير لمناهضة الاستعمار على أساس قارة من القارات سواء كانت أفريقيا او آسيا او امريكا اللاتينية او أوربا ، فان ذلك يأتى بالضرر على الشعوب المختلفة التى لا تزال تقوم بالنضال الآن ، وليس هذا اتحادا بل تفرقة لقوى الجبهة المتحدة المناهضة للاستعمار فى الواقع .

ان قوة الحركة الشيوعية العالمية تكون فى الصدق والاخلاص للمبادىء الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية . ولقد قام الحزب الشيوعى السوفييتى فى الماضى وسيقوم فى المستقبل بالكفاح ضد المرتدين عن المبادىء الماركسية اللينينية والانتهازيين ، ونحن متمسكون بحزم بالمبادىء المذكورة فى بيان سنة ١٩٦٠ وهذه المبادىء تشير الى : ضرورة القيام بالكفاح ضد خطر الانتهازيين اليمينيين والانتهازيين اليساريين . وقد أشار البيان بحق الى ان الخطر الرئيسى للحركة الشيوعية العالمية هو التحريفية وفى الوقت نفسه أشار الى ضرورة القيام بالكفاح الحازم ضد الانعزالية والجمود العقائدى فلو لم نقم بالكفاح المستمر ضد الانعزالية والجمود العقائدى فقد تشكل خطرا هاما على بعض الاحزاب فى مرحلة من مراحل تطوره .

ان حزبنا كان ولا يزال يقوم بالكفاح الحازم ضد الانتهازيين اليمينيين وكذلك ضد الانتهازيين اليساريين الذين لا يقل خطرهم الآن عن التحريفيين اذا أخذنا بعين الاعتبار مصلحة توطيد التضامن فى الحركة الشيوعية العالمية على أساس القواعد الماركسية اللينينية . ولا نزال نتمسك بعدم التساهل فى المسائل الاساسية الأصلية لنظريات واسس الحركة الشيوعية .

وسنقوم بالكفاح ضد التحريفية والانعزالية وفى نفس الوقت لاندخر وسعا فى بحث المسائل التى ظهر الخلاف فى فهمها عن طريق المناقشة الرفاقية الصبورة كى نكنس ما يعرقل تضامننا من اكوام القاذورات التى تعوق سيرنا فى هذا الطريق . وفى هذه الناحية كان مبدأنا ان تكون مهمة الاحزاب الشقيقة والاجتماعات الدولية للحركة الشيوعية حينما تنقد الاخطاء فى المسائل الاساسية للمبادىء الماركسية اللينينية هو بيان خطر الأخطاء وتقديم المساعدة فى تصحيح الاخطاء وليس بتثبيت تلك الاخطاء الى ابد الآبدين . ونحن نسعى الى تحقيق التضامن ببذل جميع ما لدينا من قوة ولا نسعى الى تفرقة القوى الثورية ولا الى تشتيت صفوف حركتنا . وطبعا لا يستطيع الشيوعيون أن يسمحوا بالتساهل فى المسائل الأساسية للنظريات الماركسية اللينينية .

ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى الذى يعتبر نفسه حزبا متمسكا بالأممية قد بحث بدقة تجارب الكفاح للاحزاب الماركسية اللينينية فى دول العالم المختلفة . ونحن نقدر نضال الطبقة العاملة وطليعتها الثورية ـ الحزب الشيوعى فى فرنسا وايطاليا وأمريكا وانجلترا وغيرها من الدول الرأسمالية وكذلك الاحزاب الشيوعية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية التى تكافح كفاحا باسلا ضد الاستبداد وضد الاستعمار المحتكر وضد المستعمرين القدامى والجدد للحصول على الحرية الوطنية والحرية الاجتماعية .

لقد اصبحت الاحزاب الشيوعية قوة وطنية مؤثرة ، واصبحت صفوفا متقدمة من المحاربين الذين يسعون من اجل سعادة الشعب . ولا يزال الرجعيون يكيلون للاحزاب الشيوعية ضرباتهم المتتالية ، كى يضعفوا

رغباتها ، ولم يكن ذلك بصدفة ابدا . و فى النضال المقاوم للحركة الشيوعية العالمية ستخدم الرجعيين أكذوبة قديمة قائلة : " ان الحزب الشيوعى يد موسكو " ويزعمون ان الحزب الشيوعى ليس بقوة وطنية . وانه ينفذ خطط دولة أخرى ، وهو آلة لها . ويفعل الاستعماريون على هذا الشكل بنيات سيئة وغرضهم مقاومة تأثير الحزب الشيوعى المتزايد يوميا واثارة جماهير الشعب وتحريضهم على عدم الثقة بالحزب الشيوعى وكذلك محاولة تبرير ما يقومون به نحو الشيوعيين من ضغط بوليسى .

ولكن المنصفين يعلمون تمام العلم ان الحزب الشيوعى هو الذى يرفع المصالح الوطنية عاليا وهو المدافع الحقيقى الذى يحميها ، وهو الوطنى المخلص الغيور الذى يربط حب الوطن بالاممية البروليتارية فى سبيل الكفاح للحصول على سعادة الشعب . ويعتبر الحزب الشيوعى السوفييتى ان الواجب يقتضيه ان يؤيد بقوة كفاح الاشقاء البواسل فى الدول الرأسمالية ويوطد التضامن الدولى معهم .

هذه هى جملة الآراء العامة للمسائل الأساسية الهامة المعاصرة التى نرى ذكرها ضروريا فى هذه الرسالة وكذلك المسائل الاساسية الهامة فيما يخص الاستراتيجية وتكتيكية الحركة الشيوعية الدولية .

ونحن نعتقد اعتقادا جازما ان الاتجاهات الحاضرة للحركة الشيوعية الدولية المذكورة فى التصريح والبيان للاحزاب الشقيقة صحيحة تماما ، وفى الوقت نفسه نعتبر مناقشة المسائل التالية المستعجلة فى المحادثات التى ستعقد قريبا بين ممثلى الحزبين السوفييتى والصينى مناسبة جدا .

(١) مسألة الكفاح لتدعيم سلطة النظام الاشتراكى العالمى وجعله عنصرا مقررا لتطويرالمجتمع الانسانى ـ وهذه ميزة عصرنا . ويمكننا

ان نتناقش سويا كيف نضمن الدول الاشتراكية على كسب النصر اسرع واحسن فى التنافس الاقتصادى السامى بينها وبين الاستعمار .

(٢) مسألة الكفاح من أجل السلام والتعايش السلمى وضرورة توحيد القوى المحبة للسلام لمنع الحرب الهيدروجينية العالمية الجديدة . وبناء وتوطيد جبهة موحدة واسعة من المدافعين عن السلام وكشف طبيعة الاستعمار الرجعية ورفع روح الحذر واليقظة وتعبئة جماهير الشعب الضخمة للقيام بالكفاح ضد استعداد الاستعماريين للحرب العالمية الجديدة واحباط مؤامرات الاستعماريين العدوانية وعزل الرجعيين والقوى الحربية . وتثبيت القاعدة اللينينية فى التعايش السلمى فيما بين الدول على اختلاف أنظمتها الاجتماعية . والنضال من اجل نزع السلاح الشامل نهائيا وازالة أثر الحرب العالمية الثانية .

(٣) مسألة الكفاح لمناهضة الاستعمار بزعامة أمريكا . وفى سبيل مصلحة قضيتنا يجب القيام باستغلال ضعف المناطق الاستعمارية ، وحالة عدم الاستقرار المتزايدة يوميا فى النظام الاستعمارى الاقتصادى فى العالم اجمع . ثم استغلال حدة التناقض فى الرأسمالية وعلى رأس ذلك تناقض العمل والرأسمال ، واستغلال الخطر العميق فى الايديولوجية البرجوازية والسياسة . وتأييد الصراع الثورى والطبقى الذى يقوم به الكادحون فى الدول الرأسمالية لمقاومة نظام الاحتكار وتحرير المجتمع وازالة ظواهر استغلال الانسان للانسان وكذلك توسيع حرية وسلطة الشعب الديمقراطية فى الدول المختلفة .

(٤) مسألة حركة التحرر الوطنى . تأييد وتوسيع نضال التحرر الوطنى لشعوب الدول المختلفة والكفاح لازالة المستعمرين وجميع

اشكال المستعمرين الجدد ازالة نهائية شاملة . وتأييد الشعوب التى تقاوم المستعمرين . وتأييد الدول التى حصلت على تحررها الوطنى . واقامة تعاون اقتصادى وثقافى مع هذه الدول .

(٥) مسألة تدعيم التضامن ووحدة العمل لصفوف الحركة الشيوعية والأسرة الاشتراكية الكبرى . وضرورة بذل الجهود لاتحاد القوى السياسية المؤثرة فى عصرنا ـ الحركة الشيوعية الدولية ، وخصوصا فى الوقت الذى تتحد فيه الرجعية الاستعمارية لمناهضة الشيوعية ، وعدم السماح لقيام أى عمل يستطيع تشتيت هذا الاتحاد . وواجب كل حزب شقيق ان يتبع التقدير والنتيجة اللتين قررناهما مشتركين وذلك بناء على روح التضامن . ومواصلة الكفاح ضد التحريفية والجمود العقائدى وهذه شروط لا مفر منها للدفاع عن الشرف وروح الابداع فى المبادىء الماركسية اللينينية وتطوير المبادئ الماركسية اللينينية والحركة الشيوعية كى تأتى أكلها بعد حين . ثم تطوير العلاقات بين الاحزاب الشقيقة على أساس قواعد التأييد والمساعدة المتبادلة والأممية البروليتارية . وتقرير الاجراءات المشتركة لتعزيز النضال الفكرى والنضال السياسى ضد الاستعمار والرجعية .

وفى اثناء المحادثات يمكننا مناقشة المسائل التى وردت فى رسالتكم ومناقشة المسائل التى نتجت عن مهمة النضال فى تحقيق قرار اجتماعات موسكو مما نشعر فى مناقشته بالسرور والرضيا وكذلك مناقشة المسائل المتعلقة بتدعيم التضامن بين الاتحاد السوفييتى والصين . وسوف يكون لذلك شأن عظيم .

ولقد أشرتم فى رسالتكم الى مسألة البانيا ومسألة يوغوسلافيا ونحن كما حدثناكم فى الرسائل السابقة نعتبر أن هذه المسائل بالرغم من انها أساسية

غير انها لا تستطيع ولا ينبغى لها ان تكون عائقا يحول دون مناقشة مسائل العصر الملحة أثناء المحادثات .

لقد عاتب حزبنا قادة البانيا على أعمالهم الانقسامية كما اتخذ الاجراءات اللازمة اكثر من مرة كى تجعل العلاقة بين حزب العمل الالبانى وبين الحزب الشيوعى السوفييتى والاحزاب الشقيقة عادية . وبالرغم من ان قادة حزب العمل الالبانى قاموا منذ امد قصير ولا يزالون يقومون بالهجوم والاتهامات الباطلة على حزبنا وعلى الشعب السوفييتى مرات عديدة لكننا لا نزال نتبع المصالح العليا ولانترك بادرة يستطيع بها ان تتحسن العلاقات بين الحزب الشيوعى السوفييتى وبين حزب العمل الألبانى . وفى أواخر شهر فبراير هذا العام قدمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى مرة أخرى من تلقاء نفسها الى اللجنة المركزية لحزب العمل الالبانى اقتراحات تتعلق بعقد محادثات ثنائية بين ممثلى حزبينا . ولكن خطوتنا هذه التى لاتحدث الا بين الرفاق لم تنل من قادة البانيا الصدى الذى تستحقه . حتى ان قادة حزب العمل الالبانى يعتبرون انه ليس ضروريا تسلم رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى الخاصة بعقد المحادثات الثنائية . وبعد ذلك غير قادة البانيا رأيهم فكتبوا رسالة تكلموا فيها عن هذا النوع من المحادثات غير انهم قدموا سلسلة من التحفظات والشروط . فلو اظهروا أملهم فى المحادثات بالتأكيد كنا نرحب بهم فى عقدها .

اما يوغوسلافيا فاننا نعتبرها دولة اشتراكية بناء على تحليل الظروف الاقتصادية والسياسية الواقعية وتقديرها هناك ، ففى العلاقة معها نسعى الى تقريب الجمهورية الشعبية للاتحاد اليوغوسلافى من الأسرة الاشتراكية

الكبرى . وهذا يتفق مع خط الاحزاب الشقيقة فى توحيد القوى المناهضة للاستعمار . وقد فكرنا أيضا فى الاتجاهات الحسنة المعينة التى حدثت قريبا فى حياة يوغوسلافيا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وفى الوقت نفسه لاحظ الحزب الشيوعى السوفييتى سلسلة من الخلافات الخطيرة في المسائل الايديولوجية مع رابطة الشيوعيين اليوغوسلافيين ونحن نعتبر أيضا ضرورة اخطار رفاق يوغوسلافيا بهذه النقطة بصراحة ، وكذلك نقد نظرياتهم غير الصحيحة .

وقد عبرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى الرسالة المؤرخة ١٩٦٣/٣/٩ عن موافقتها على ما قلنا : من انه قد ظهر الآن وقت خطير جدا فى اثناء تطور الحركة الشيوعية الدولية . فهل نتقدم سويا من الآن فصاعدا أم ندخل فى العراك المضر لشعبينا وللطبقة العاملة فى بلدينا وللكادحين جميعا وهذا العراك لا يؤدى الا الى ابتعاد بعضنا عن بعض واضعاف القوى الاشتراكية وتشتيت تضامن الحركة الشيوعية العالمية والقرار طبعا يكون بين بلدينا وحزبينا وخططنا .

ثم ان الحزب الشيوعى السوفييتى والحزب الشيوعى الصينى باعتبارهما حزبين كبيرين قويين وقد تصيبهما فى هذه الحالة خسائر أقل ولكنه ستصاب الاحزاب الشقيقة الاخرى وخصوصا تلك التى تعمل فى ظروف معقدة بصعوبات كبيرة غير لازمة وهذا غير ما نقصده بالطبع .

والأمور كلها ترجع الى كيفية التصرف فى هذه الحالة المعقدة الخطيرة . هل السير قدما فى طريقة الجدال ثم التحول الى الشتائم المتبادلة ثم العتاب والهجوم على الاحزاب الشقيقة بدون أى أساس وتحت تأثير الانفعالات المهيجة ، أم السير بالأمور اذا ما وعينا المسئولية العالية

التى نتحملها نحو مصير مهمتنا العظيمة الى طريقة أخرى وهى وقف الجدال غير الرفاقى وجمع الجهود للبحث عن طريق تدعيم التعاون النضالى ، بين الاتحاد السوفييتى والصين وتوطيد صداقة جميع الأحزاب الشقيقة وذلك اذا ما تسامينا وارتقينا بشجاعة الى اعلى مما يفرقنا اليوم .

ولقد علمنا انه لا حركة بدون صراع فى الآراء المختلفة وطبعا لا تخرج عن هذه القاعدة الحركة الشيوعية ولكن الخلاف مهما كان نوعه وعدم الرضا عن اعمال حزب من الاحزاب مهما بلغ حاله فانه لا يمكن اتخاذ الصراع الذى يصيب مصالح الحركة الشيوعية الدولية بالخسائر وسيلة للدفاع عن نفسه . ويزداد وعينا لاهداف ومهام الطبقة العاملة الدولية توسعا وتعمقا كلما مرت الأيام فلذلك كان من الواجب ان نبذل جهودنا اكثر فاكثر سعيا وراء تسوية الخلافات بيننا على طبيعتها بهدوء ، مهما بلغت الخلافات اليوم من الخطورة وذلك لكى لا تعوق هذه الخلافات اعمالنا الايجابية . و حتى لا تسبب اى اضطراب فى النشاط الثورى للطبقة العاملة الدولية .

هذا ولنكافح سويا سعيا لتحقيق الاتجاهات الماركسية اللينينية فى الحركة الشيوعية الدولية ومناهضة التحريفية والجمود العقائدى وسعيا لتضامن صفوف الحركة الشيوعية الدولية كى يحترم الخط الذى قرر بالاجماع وتعارض أية مخالفة لهذا الخط وأى شرح أو تأويل له .

ان حزبنا لا يمكن ان يتورط فى المواقف الجنونية من النزاع الجدلى لانه يعى اننا نتحمل مسئولية مشتركة كبيرة أمام الحركة الشيوعية العالمية فلذلك يسعى لوقف التورط فى المرحلة الخطرة من الجدل . والمعروف اننا نستطيع ان نتكلم شيئا غير قليل فى الدفاع عن الخط اللينينى للحزب

الشيوعى السوفييتى والدفاع عن الاتجاهات المشتركة فى الحركة الشيوعية الدولية ورد الهجوم غير المبنى على أساس فى المقالات التى نشرت فى الجرائد والمجلات الصينية فى الأيام القريبة . واننا لا نفعل هذا لاننا لا نريد ان نجعل أعداء الحركة الشيوعية يشمتون بنا . ونحن نرجو ان يكون خطر الجدل المتزايد حدة يوميا مفهوما ومقدرا وان توضع مصالح النظام الاشتراكى وتضامن صفوف الحركة الشيوعية الدولية فى مركز اعلى من كل شيء . فلذلك قدمنا لكم اقتراحا لعقد محادثات وليس ذلك لجعل النزاع يزداد حدة بل للحصول على تفاهم متبادل فى المسائل الهامة التى حدثت فى الحركة الشيوعية الدولية .

ولقد ادركنا ان اصدقاءنا فى العالم اجمع يرقبون هذه المحادثات ويعلقون آمالا كبيرة فى هذه المرة على هذه المحادثات . وما اذا كانت نتائج المحادثات تسر اصدقاءنا وتؤلم اعداء الشيوعية فذلك راجع الينا وراجع الى رغبتنا وعقلنا . وستكون هذه خدمات جليلة مشتركة نقدمها لمصالح السعى فى تحرير جميع الشعوب المضطهدة ولمصالح السلام والنصر الاشتراكى فى العالم اجمع ولمصالح الكفاح فى سبيل نصر النظريات الماركسية اللينينية الثورية العظيمة .

مع تحياتنا الشيوعية !

اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى

١٩٦٣/٣/٣٠

رسالة مفتوحة من اللجنة المركزية
للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى الى
المنظمات الحزبية وجميع الشيوعيين في الاتحاد السوفييتى

(١٤ تموز « يوليو » ١٩٦٣)

ايها الرفاق الاعزاء !

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى تعتبر من الضرورى ان تتوجه اليكم برسالة مفتوحة لكى تعرض موقفها فى أهم قضايا الحركة الشيوعية العالمية لمناسبة رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٣ .

ان السوفييتيين يعرفون جيدا ان حزبنا وحكومتنا ، اذ يعربان عن ارادة الشعب السوفييتى بأسره ، لا يدخران جهدا لأجل تعزيز الصداقة الاخوية مع شعوب جميع البلدان الاشتراكية ، مع الشعب الصينى . فنحن يوحدنا النضال المشترك من اجل انتصار الشيوعية ، ولدينا هدف واحد وامان وآمال واحدة .

سنوات عديدة كانت العلاقات بين حزبينا طيبة . ولكن منذ بعض الوقت ، ظهرت خلافات جدية بين الحزب الشيـوعى الصينى من جهة ، والحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب

الشقيقة من جهة اخرى . وفى الوقت الحاضر ، يتعاظم اكثر فاكثر قلق اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى من جراء اقوال وافعال قيادة الحزب الشيوعى الصينى ، التى تقوض اللحمة بين حزبينا والصداقة بين شعبينا .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى قد فعلت من جانبها كل ما فى وسعها لأجل تذليل الخلافات التى ظهرت ، وتقدمت فى كانون الثانى (يناير) من العام الجارى باقتراح وقف المناظرة العلنية فى الحركة الشيوعية ، بغية بحث القضايا المتنازع عليها بصورة هادئة وعملية ، وحلها على اساس ماركسى — لينينى مبدئى . وهذا الاقتراح من الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى قابلته جميع الاحزاب الشقيقة بالتأييد الحار . واثر هذا ، تم التفاهم بشأن لقاء بين ممثلى الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والحزب الشيوعى الصينى ، وهذا اللقاء يجرى فى الوقت الحاضر فى موسكو .

وقد أملت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى بان يبدى الرفاق الصينيون كما ابدينا نحن من حسن الارادة وبان يسهموا فى نجاح اللقاء لما فيه مصلحة شعبينا ، ولما فيه مصلحة توطيد وحدة الحركة الشيوعية . ومع اسفنا ، عندما تم التوصل الى اتفاق بشأن اللقاء فى موسكو بين ممثلى الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والحزب الشيوعى الصينى ، وعندما تم تعيين الوفدين وتحديد موعد اللقاء ، رأى الرفاق الصينيون فجأة ، بدلا من ان يطرحوا الخلافات القائمة على بساط البحث اثناء هذا اللقاء ، انه من الممكن علنا امام العالم بأسره لا عرض الخلافات القديمة وحسب ، بل ايضا توجيه

اتهامات جديدة بحق الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الشيوعية . وهذا ما انعكس فى نشر رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) من العام الجارى ، حيث يرد تأويل كيفى لبيان وتصريح اجتماعى ممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية فى موسكو وحيث تشوه أهم موضوعات هاتين الوثيقتين التاريخيتين . وتحتوى رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى حملات افترائية لا اساس لها على حزبنا وغيره من الاحزاب الشيوعية وعلى قرارات المؤتمرات العشرين والحادى والعشرين والثانى والعشرين وعلى برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى .

وقد اطلعت هيئة رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى على الرسالة ، فتوصلت ، كما تعرفون من بلاغ اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، المنشور فى جريدة « البرافدا » بتاريخ ١٩ حزيران (يونيو) من العام الجارى ، الى استنتاج مفاده ان نشر رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتاريخ ١٤ حزيران فى الصحافة السوفييتية فى تلك اللحظة امر غير صائب . فان نشر الرسالة من شأنه ، طبعا ، ان يتطلب جوابا علنيا من جانبنا ، الامر الذى كان من شأنه ان يؤول الى اطراد تأزم المناظرة والى تأجيج المشاعر وبالتالى الى تردى العلاقات بين حزبينا . وفضلا عن ذلك ، كان نشر رسالة اللجنة المركزية للحرب الشيوعى الصينى فى غير وقته خصوصا نظرا لقرب اللقاء بين ممثلى الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والحزب الشيوعى الصينى ، وهدفه ، برأينا ، الاسهام ، عن طريق البحث فى جو رفاقى فى الخلافات القائمة ، الاسهام في تحسين التفهم

المتبادل بين حزبينا بصدد أهم قضايا التطور العالمى الراهن ، وفى خلق جو ملائم لتحضير واجراء اجتماع لممثلى جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية .

وفى الوقت نفسه ، اعتبرت هيئة رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى من الضرورى اطلاع اعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وجميع المشتركين فى الدورة على رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، وابلغت كذلك عن جوهر الخلافات بين قيادة الحزب الشيوعى الصينى وبين الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الماركسية اللينينية .

ان دورة اللجنة المركزية قد صادقت كليا ، فى قرارها المتخذ بالاجماع ، على النشاط السياسى الذى تبذله هيئة رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ويبذله الامين الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ورئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتى ، الرفيق خروشوف من اجل رص قوى الحركة الشيوعية العالمية باستمرار ، كما صادقت على جميع الاعمال والتدابير الملموسة التى قامت بها هيئة رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى فى مضمار العلاقات مع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى .

وقد عهدت دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى الى هيئة رئاسة اللجنة المركزية بان تنتهج بثبات ، فى اللقاء مع ممثلى الحزب الشيوعى الصينى ، خطة مؤتمرات حزبنا العشرين

والحادى والعشرين والثانى والعشرين ، الخطة التى حظيت بالاستحسان فى اجتماعات ممثلى الاحزاب الشيوعية وانعكست فى البيان والتصريح ، واكدت الحياة ومجرى الاحداث العالمية صحتها تماما . وان دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى قد رفضت قطعا تهجمات اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى على حزبنا وغيره من الاحزاب الشيوعية وعلى قرارات المؤتمرات العشرين والحادى والعشرين والثانى والعشرين وعلى برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى بوصف هذه التهجمات افترائية ولا اساس لها ، وصرحت ، اعرابا منها عن ارادة كل حزبنا ، باستعدادها وعزمها على السير بدأت وانسجام في اتجاه يرمى الى رص الاحزاب الشقيقة والى تذليل الخلافات القائمة . وصرحت الدورة ان حزبنا سيسعى فى المستقبل ايضا الى تمتين الوحدة على اساس مبادئ الماركسية - اللينينية والاممية الاشتراكية ، وتوطيد الصداقة الاخوية بين الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والحزب الشيوعى الصينى لما فيه مصلحة النضال من اجل قضيتنا المشتركة .

ومع الاسف ، بينت احداث الآونة الاخيرة ان الرفاق الصينيين يفسرون على طريقتهم ما ابديناه من تمالك النفس . وسعينا الصادق الى اجتناب تأزم المناظرة فى الحركة الشيوعية يكادون يصورونه كأنه عزم على اخفاء نظرات القادة الصينيين عن الشيوعيين وعن الشعب السوفييتى . وقد اخذ الرفاق الصينيون تمالكنا على انه ضعف ، فشرعوا يوزعون فى موسكو وغيرها من مدن الاتحاد السوفييتى ، خلافا للقانون ، وخلافا لاصول العلاقات الودية بين البلدان الاشتراكية الشقيقة ، بازعاج

واصرار متعاظمين ابدا ، رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) ، مطبوعة باعداد كبيرة باللغة الروسية . ولم يكتف الرفاق الصينيون بهذا ، فبدأوا يروجون وينشرون بشدة فى العالم كله هذه الرسالة وغيرها من الوثائق الموجهة ضد حزبنا دون ان يمتنعوا عن استخدام الوكالات ودور الطبع والنشر الاستعمارية لغرض توزيعها .

ومما يزيد فى الطين بلة ، انه عندما لفتت وزارة الخارجية فى الاتحاد السوفييتى انتباه سفير جمهورية الصين الشعبية فى الاتحاد السوفييتى الى عدم القبول بمثل هذه التصرفات التى تنتهك سيادة دولتنا بفظاظة ، لم يكف الممثلون الصينيون عن هذه التصرفات ، بل صرحوا بشكل تظاهرى انهم يعتبرون من حقهم الاستمرار على نشر الرسالة فى الاتحاد السوفييتى .

وفى ٧ تموز (يوليو) ، بعد ان بدأ اللقاء فى موسكو ، اقيم فى بيكين اجتماع حاشد حيث فيه شخصيات رسمية ، تحيتها لابطال ، الموظفين الصينيين الذين طردوا من الاتحاد السوفييتى لتوزيعهم ، خلافا للقانون ، مواد تتضمن تهجمات على حزبنا والحكومة السوفييتية . وفى الاجتماع الحاشد سعرت الشخصيات الرسمية الصينية فى الشعب الصينى الشقيق مشاعر وامزجة غير ودية حيال الاتحاد السوفييتى وحاولت المرة تلو المرة ان تبرهن عع حقها في انتهاك سيادة دولتنا واصول العلاقات الدولية . وفى ١٠ تموز (يوليو) ادلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتصريح جديد تبرر فيه مثل هذه التصرفات وتريد فيه ، اساسا ، ان تمنح نفسها حق التدخل فى شؤون الاتحاد السوفييتى الداخلية ، وهذا ،

من البديهى ، امر لن تسمح به الحكومة السوفييتية ابدا . ان تصرفات كهذه لا تفعل غير ان تقود حتما الى تأزيم العلاقات ولا يسعها غير ان تلحق الضرر .

وفى ١٣ تموز (يوليو) ، تشن من جديد ، فى المقالة الافتتاحية لجريدة « جينمين جيباو » ، حملات على حزبنا ، ويؤول تأويلا كاذبا واقع عدم نشر رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) فى الصحافة السوفييتية .

ان تصرفات قادة الحزب الشيوعى الصينى غير الودية بشكل سافر ، وسعيهم باصرار الى تأزيم المناظرة فى الحركة الشيوعية العالمية ، وتشويه موقف حزبنا قصدا وعمدا ، وتأويل الدوافع التى دفعتنا الى الامتناع موقتا عن النشر تأويلا غير صحيح ، كل هذا يحملنا على نشر رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٣ وعلى اعطاء تقدير عن هذه الوثيقة .

ان كل من يقرأ رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى يرى وراء الجمل المدوية عن الوحدة واللحمة تهجمات افترائية ، غير ودية على حزبنا والبلاد السوفييتية وسعيا الى الحط من الاهمية التاريخية التى يتسم بها نضال شعبنا من اجل انتصار الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى ومن اجل انتصار السلام والاشتراكية فى العالم بأسره . واى اتهامات صريحة ومبطنة بحق الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والاتحاد السوفييتى لا تنطوى عليها هذه الوثيقة . فان واضعى الرسالة يسمحون لانفسهم بتلفيقات غير لائقة ، ومهينة للشيوعيين بصدد « خيانة مصالح البروليتاريا العالمية كلها وشعوب العالم كله » ، وبصدد « التخلى عن

الماركسية ـ اللينينية والاممية البروليتارية » ، ويلمحون الى « الجبن امام الاستعماريين » والى « خطوة الى الوراء فى مجرى التطور التاريخى » وحتى الى « نزع سلاح البروليتاريا وجميع الشغيلة تنظيميا ومعنويا » الامر الذى يعنى « تقديم خدمة لاعادة الرأسمالية » فى بلادنا . وكيف يدور اللسان فى الفم للنطق بمثل هذا عن حزب لينين العظيم وعن وطن الاشتراكية ، وعن الشعب الذى كان فى العالم اول من حقق الثورة الاشتراكية وذاد عن مكتسباتها العظيمة فى معارك فائقة الضراوة ضد الاستعمار العالمى والثورة المضادة الداخلية ، ويضرب آيات من البطولة والتفانى فى النضال لأجل بناء الشيوعية ويؤدى بشرف واجبه الاممى حيال شغيلة العالم اجمع .

— ١ —

قرابة نصف قرن ، تناضل البلاد السوفييتية بقيادة الحزب الشيوعى من اجل انتصار افكار الماركسية ـ اللينينية باسم الحرية والسعادة للكادحين فى الارض قاطبة . ومنذ الايام الاولى من وجود الدولة السوفييتية ، عندما كان لينين العظيم يمسك بيده دفة قيادة بلادنا ، حتى ايامنا هذه ، قدم شعبنا ولا يزال يقدم مساعدة منزهة هائلة الى جميع الشعوب المناضلة فى سبيل تحررها من نير الاستعمار ونظام الحكم الاستعمارى ، فى سبيل بناء حياة جديدة .

ان التاريخ العالمى لم يعرف امثلة عن بلد اسدى بمفرده وبمثل هذه المقاييس معونة الى البلدان الاخرى فى تطوير اقتصادها وعلمها وتكنيكها .

ان شغيلة الصين والشيوعيين الصينيين قد شعروا بكامل مدى التضامن الاخوى من جانب الشعب السوفييتى وحزبنا سواء فى مرحلة نضالهم الثورى من اجل تحرير وطنهم ام فى عهد بناء الاشتراكية . وفور تشكيل جمهورية الصين الشعبية ، عقدت الحكومة السوفييتية مع حكومة الصين الشعبية معاهدة صداقة وتحالف وعون متبادل هى وسيلة جبارة لصد تطاولات الاستعمار وعامل لتوطيد السلام فى الشرق الاقصى وفى العالم كله .

ولقد شاطر الشعب السوفييتى اخوته الصينيين بسخاء كل التجربة التى كدسها سنوات عديدة فى البناء الاشتراكى ومنجزاته فى ميدان العلم والتكنيك . وقدمت بلادنا ولا تزال تقدم عونا مرموقا لتطوير اقتصاد الصين الشعبية . فبمعونة الاتحاد السوفييتى النشيطة ، بنت الصين الشعبية ١٩٨ من المؤسسات والمشاغل والمشروعات الصناعية المزودة باحدث الاعتدة . وبمعونة بلادنا ، انشئت فى الصين فروع صناعية جديدة كصناعة السيارات وصناعة الجرارات وصناعة الطيران وغيرها . وقدم الاتحاد السوفييتى لجمهورية الصين الشعبية اكثر من ٢١ الف مجموعة من الوثائق العلمية التكنيكية ، بما فيها اكثر من ١٤٠٠ تصميم لمؤسسات كبيرة . وابدا ودائما منحنا الصين العون في تعزيز الدفاع عن البلاد وفى انشاء صناعة دفاعية حديثة . وفى مدارس التعليم العالى السوفييتية وفى مؤسساتنا حصل آلاف الاختصاصيين والعمال الصينيين على التعليم والتدريب . والآن يواصل الاتحاد السوفييتى تقديم العون التكنيكى لجمهورية الصين الشعبية فى بناء ٨٨ من المؤسسات والمشروعات الصناعية . ونحن نتحدث عن كل هذا لا قصد التباهى ، بل فقط لأن قادة

الحزب الشيوعى الصينى يسعون فى الآونة الاخيرة الى الحط من اهمية المساعدة السوفييتية ، ونحن لا ننسى ان الاتحاد السوفييتى حصل بدوره من جمهورية الصين الشعبية على بضائع ضرورية .

ومنذ وقت غير بعيد جدا ، كان القادة الصينيون يتكلمون كثيرا وبصواب وحق عن الصداقة بين شعبى الصين والاتحاد السوفييتى ، وعن الوحدة بين الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والحزب الشيوعى الصينى ، ويقدرون سامى التقدير المساعدة السوفييتية ويدعون الى التعلم من تجربة الاتحاد السوفييتى .

فى عام ١٩٥٧ ، قال الرفيق ماو تسى – تونغ : « ان الشعب الصينى قد حظى ، فى سياق النضال لأجل التحرر الوطنى ، بالعطف الاخوى والمساندة الاخوية من جانب الشعب السوفييتى . وبعد انتصار الثورة الصينية ، يمنح الاتحاد السوفييتى كذلك مساعدة هائلة شاملة فى قضية بناء الاشتراكية فى الصين . وكل هذا لن ينساه الشعب الصينى ابدا » .

ولا يسعنا الا الأسف لكون القادة الصينيين شرعوا ينسون هذا .

ان حزبنا وجميع الناس السوفييتيين كانوا يفرحون لنجاحات الشعب الصينى الكبير فى بناء الحياة الجديدة ويفتخرون بها . ولقد قال الرفيق خروشوف فى كلمته اثناء حفلة استقبال فى بيكين لمناسبة الذكرى السنوية العاشرة لتأسيس جمهورية الصين الشعبية : « ان شعب الصين الباسل والمحب للعمل قد اعطى البرهان تحت قيادة حزبه الشيوعى المجيد على ما يستطيعه الشعب عندما يأخذ السلطة فى يده . . . والآن يعترف الجميع بنجاحات الشعب الصينى والحزب الشيوعى الصينى . ان شعوب آسيا وافريقيا ترى فى اى سبل وفى اى نظام يمكن ان تتفتح

فعلا مواهب الشعوب وقواها الخلاقة ومتى يستطيع الشعب ان يظهر بكامل السعة والعمق قوته الانشائية الجبارة » .

هكذا كان الحال قبل ان يشرع القادة الصينيون فى الابتعاد عن خط الحركة الشيوعية العالمية المشترك .

ففى نيسان (ابريل) ١٩٦٠ ، كشف الرفاق الصينيون علنا وجهارا عن خلافاتهم مع الحركة الشيوعية العالمية بنشرهم مجموعة من المقالات بعنوان « عاشت اللينينية ! » . وهذه المجموعة التى تشكل اساسها من تزييفات ومن موضوعات مبتورة مأخوذة من ابحاث لينين المشهورة ومؤولة تأويلا غير صحيح ، تضمنت موضوعات موجهة ، من حيث الجوهر ، ضد اسس بيان اجتماع موسكو عام ١٩٥٧ الذى وقعه الرفيق ماو تسى – تونغ باسم الحزب الشيوعى الصينى ، وضد السياسة اللينينية القائلة بالتعايش السلمى بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية ، وضد امكانية درء الحرب العالمية فى العهد المعاصر ، وضد استخدام السبيل السلمى والسبيل غير السلمى على السواء لتطور الثورات الاشتراكية . وشرع قادة الحزب الشيوعى الصينى يفرضون نظراتهم على جميع الاحزاب الشقيقة . وفى حزيران (يونيو) ١٩٦٠ ، اثناء انعقاد المجلس العام لاتحاد النقابات العالمى فى بيكين ، عقد القادة الصينيون ، دون علم قيادات الاحزاب الشقيقة ، اجتماعا لممثلى جملة من الاحزاب الموجودين آنذاك فى بيكين وسلطوا نقدا سافرا على موقف الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الماركسية – اللينينية وعلى البيان الذى اقره اجتماع موسكو عام ١٩٥٧ . وفضلا عن ذلك ، حمل الرفاق الصينيون خلافاتهم مع الحزب الشيوعى

فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الشقيقة الى منبر علنى لمنظمة غير حزبية .

وهذه الخطوات من جانب قيادة الحزب الشيوعى الصينى استثارت القلق الجدى فى الاحزاب الشقيقة . واعتبارا لهذا الامر ، جرت فى اجتماع الاحزاب الشيوعية فى بخارست عام ١٩٦٠ محاولة لبحث الخلافات الناشبة مع قادة الحزب الشيوعى الصينى . فسلط ممثلو ٥٠ حزبا شيوعيا وعماليا النقد الرفاقى على نظرات وتصرفات القادة الصينيين ودعوهم الى العودة الى طريق الوحدة والتعاون مع الحركة الشيوعية العالمية وفقا لمبادئ بيان موسكو . ومع الأسف ، تغاضت قيادة الحزب الشيوعى الصينى عن العون الرفاقى ، وواصلت انتهاج اتجاهها الخاطئ وتعميق خلافاتها مع الاحزاب الشقيقة .

وسعيا الى الحيلولة دون تطور الاحداث على هذا النحو ، تقدمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى باقتراح اجراء مفاوضات مع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى . وقد جرت هذه المفاوضات فى ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ فى موسكو . ولكن ، آنذاك ايضا ، استحال التغلب على الخلافات الناشبة بسبب من عناد وعدم رغبة وفد الحزب الشيوعى الصينى فى الاصغاء الى رأى الحزب الشقيق . وفى اجتماع ممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية الا٨١ ، الذى انعقد فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٠ ، رفضت الاغلبية المطلقة من الاحزاب الشقيقة النظرات والمفاهيم الخاطئة التى نادت بها قيادة الحزب الشيوعى الصينى . وفى ذلك الاجتماع ، دافع الوفد الصينى بعناد عن نظراته الخاصة ، ولم يوقع على التصريح الا عندما ظهر خطر عزلته التامة .

والآن ، اصبح من الجلي تماما ان قادة الحزب الشيوعي الصيني كانوا يناورون وحسب عندما مهروا بتوقيعهم تصريح عام ١٩٦٠ . فبعد الاجتماع بقليل من الوقت ، استأنفوا الدعاية لاتجاههم ، مستغلين قيادة حزب العمل الالباني بوقا لهم . ووراء ظهر حزبنا ، شنوا حملة على اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي والحكومة السوفييتية .

وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦١ ، قامت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي بمحاولات جديدة لاعادة العلاقات مع الحزب الشيوعي الصيني الى حالة عادية طبيعية . وجرت للرفاق خروشوف وكوزلوف وميكويان احاديث مع الرفيقين تشو ان — لاي وبين تشين وغيرهما من القادة الذين جاؤوا الى المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي . وعرض الرفيق خروشوف بالتفصيل للوفد الصيني موقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي في القضايا المبدئية التي بحثها المؤتمر الثاني والعشرون ، واكد على سعينا الدائم لتوطيد الصداقة والتعاون مع الحزب الشيوعي الصيني .

وفي رسالتيها بتاريخ ٢٢ شباط (فبراير) و ٣١ ايار (مايو) ١٩٦٢ ، لفتت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي انتباه اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني الى العواقب الخطيرة التي قد يؤدي اليها ، بالنسبة لقضيتنا المشتركة ، اضعاف لحمة الحركة الشيوعية . وآنذاك اقترحنا على الرفاق الصينيين اتخاذ الخطوات لعدم تمكين الاستعماريين من ان يستغلوا في مصلحتهم المصاعب الناشبة

فى العلاقات السوفييتية الصينية . كذلك اقترحت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى اتخاذ تدابير أنجع فى قضايا كقضية تبادل المعلومات عن السياسة الداخلية وقضية التوفيق بين مواقف الحزبين الشقيقين فى المنظمات الديموقراطية العالمية وفى غير ذلك من الميادين .

ولكن هاتين الرسالتين وغيرهما من الخطوات العملية الرامية الى تحسين العلاقات مع الحزب الشيوعى الصينى وجمهورية الصين الشعبية فى جميع الخطوط لم تلق صدى فى بيكين .

وفى خريف العام الماضى ، قبل ان يغادر موسكو الرفيق ليو سياو ، سفير جمهورية الصين الشعبية سابقا فى الاتحاد السوفييتى ، جرى لهيئة رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى حديثا طويلا معه . وفى سياق هذا الحديث ، ابدى اعضاء هيئة رئاسة اللجنة المركزية مرة اخرى المبادرة فى قضية تعزيز الصداقة الصينية السوفييتية . وقد طلب الرفيق خروشوف من الرفيق ليو سياو ان ينقل الى الرفيق ماو تسى ـ تونغ اقتراحنا : « طرح جميع المجادلات والخلافات جانبا ، والامتناع عن الاستيضاح من على حق ومن المذنب ، والامتناع عن نبش الماضى ، بل بدء علاقاتنا من صفحة بيضاء » . وعن هذا النداء الصادق لم نتلق حتى جوابا .

وتعميقا لخلافاتهم الايديولوجية مع الاحزاب الشقيقة ، شرع قادة الحزب الشيوعى الصينى ينقلونها الى العلاقات بين الدول . فقد بدأت الهيئات الصينية تقلص الصلات الاقتصادية والتجارية بين جمهورية الصين الشعبية وبين الاتحاد السوفييتى وغيره من البلدان الاشتراكية . وبمبادرة من حكومة جمهورية الصين الشعبية ، انخفض حجم تجارة

الصين مع الاتحاد السوفييتى فى السنوات الثلاث الاخيرة الى قرابة الثلث ! وانخفضت تسليمات التجهيزات المجموعية الى ٥ر٢ بالمئة . لقد جرى هذا الانخفاض بمبادرة من القادة الصينيين . ونحن نأسف لكون قيادة جمهورية الصين الشعبية ولجت مثل هذا السبيل . وقد اعتبرنا ولا نزال نعتبر انه ينبغى تطوير الصلات السوفييتية الصينية الى ابعد ، وتطوير التعاون الى ابعد . وهذا من شأنه ان يكون نافعا لكلا الجانبين وقبل كل شىء للصين الشعبية التى تلقت من الاتحاد السوفييتى وغيره من البلدان الاشتراكية مساعدة كبيرة . فيما مضى ، طور الاتحاد السوفييتى صلات واسعة مع الصين ، وهو ينادى اليوم ايضا بتوسيعها ، لا بتقليصها . وكان يخيل انه ينبغى لقيادة الحزب الشيوعى الصينى ان تبدى بالدرجة الاولى حرصها على تطوير الصلات الاقتصادية مع البلدان الاشتراكية . ولكنها شرعت تعمل فى الاتجاه المعاكس ، غير آخذة بالحسبان الضرر الذى تلحقه مثل هذه الاعمال باقتصاد جمهورية الصين الشعبية .

ان القادة الصينيين لم يقولوا الحقيقة لشعبهم ، اى بذنب من تقلصت هذه الصلات . وبين الشيوعيين الصينيين وحتى بين السكان ، قامت دعاية واسعة غايتها الطعن بسياسة الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى الخارجية والداخلية ، وتسعير مشاعر العداء للاتحاد السوفييتى .

وقد لفتت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى انتباه الرفاق الصينيين الى هذه التصرفات غير الصحيحة . وقلنا للرفاق الصينيين انه لا يجوز ، تبعا للمجادلات والخلافات الناشئة ، حث الشعب تارة على اطراء هذا الحزب او ذاك وطورا على انزال الحرم

به . فواضح لكل شيوعى ان الخلافات بين الاحزاب الشقيقة ليست اكثر من حدث عرضى ، بينا العلاقات بين شعوب البلدان الاشتراكية تقام وتوطد الآن الى الابد .

ولكن القادة الصينيين تغاضوا كل مرة عن التحذيرات الرفاقية من جانب الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى مؤزمين العلاقات الصينية السوفييتية اكثر فاكثر .

ومنذ اواخر ١٩٦١ ، طفق الممثلون الصينيون فى المنظمات الديموقراطية العالمية يفرضون جهارا نظراتهم الخاطئة . ففى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦١ عارض الوفد الصينى فى دورة مجلس السلم العالمى فى ستوكهلم عقد المؤتمر العالمى للسلام ونزع السلاح . وفي غضون ١٩٦٢ تعرض للخطر نشاط اتحاد النقابات العالمى وحركة انصار السلم العالمية وحركة التضامن الآسيوى الافريقى واتحاد الشبيبة الديموقراطية العالمى واتحاد النساء الديموقراطى العالمى وكثير غيرها من المنظمات ، وذلك من جراء اعمال الممثلين الصينيين الانشقاقية . وقد عارضوا اشتراك ممثلى لجان التضامن الآسيوى الافريقى من البلدان الاشتراكية الاوروبية فى المؤتمر الثالث لتضامن شعوب آسيا وافريقيا فى موشى . وصرح رئيس الوفد الصينى للممثلين السوفييت ان « ليس للبيض ما يفعلونه هنا » . وفى مؤتمر الصحفيين فى جاكارتا ، انتهج الممثلون الصينيون خطة ترمى الى الحيلولة دون قبول الصحفيين السوفييتيين بصفة مشتركين كاملى الحقوق على اساس ان الاتحاد السوفييتى . . . ليس من عداد بلدان آسيا .

ومن الغريب والمدهش ان الرفاق الصينيين اتهموا بالنشاط الانشقاقي

والخطة السياسية الخاطئة الاغلبية الساحقة من مؤتمر النساء العالمى الذى انعقد مؤخرا فى حين ان ممثلات بلدين فقط هما الصين والبانيا ، من اصل ١١٠ بلدان ممثلة فى المؤتمر ، صوتن ضد النداء الى نساء جميع القارات لدن اقراره . وها هو ذا حقا كل جيش النساء المحبات للحرية لا يسير بملايينه العديدة بخطى متناسقة ، بل فقط اثنتان تسيران بخطى صحيحة وتحافظان على الصف !

هذا هو باختصار تاريخ خلافات القيادة الصينية مع الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والاحزاب الشقيقة الاخرى . وهو يبين ان قادة الحزب الشيوعى الصينى يعارضون بخطتهم الخاصة اتجاه الحركة الشيوعية المشترك ويسعون الى ان يفرضوا عليها اوامرهم ونظراتهم الفادحة الخطأ فى قضايا الظرف الراهن الجذرية .

— ٢ —

اين يكمن جوهر الخلافات بين الحزب الشيوعى الصينى من جهة والحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والحركة الشيوعية العالمية من جهة اخرى ؟ لا ريب ان هذا السؤال يبرز عند كل من يطلع على رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) .

ان موضوعات كثيرة من هذه الرسالة قد تثير الدهشة من الوهلة الاولى : فمع من ، يا ترى ، يجادل الرفاق الصينيون ؟ ترى ، هل هناك شيوعيون يعارضون ، مثلا ، الثورة الاشتراكية او لا يعتبرون من واجبهم النضال ضد الاستعمار وتأييد حركة التحرر الوطنى ؟ لماذا تتقدم قيادة الحزب الشيوعى الصينى بموضوعات كهذه فى مثل هذا الاصرار ؟

وقد يبرز كذلك سؤال كهذا : لماذا لا تجوز الموافقة على مواقف الرفاق الصينيين المعروضة فى رسالتهم بصدد كثير من القضايا الهامة ؟ لنأخذ مثلا قضية جذرية كما هى عليه قضية الحرب والسلم . فان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى تتكلم فى رسالتها عن السلام وعن التعايش السلمى .

ان جوهر الامر يكمن فى كون الرفاق الصينيين ، وقد بدأوا حملاتهم على توجيهات الاحزاب الماركسية ـ اللينينية فى قضايا الظرف الراهن الجذرية ، اولا ، ينسبون الى الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الماركسية ـ اللينينية نظرات لم تعبر عنها يوما ، نظرات غريبة عنها ؛ ثانيا ، يحاولون ، بالاعتراف قولا بصيغ وتوجيهات مأخوذة من وثائق الحركة الشيوعية ، ان يستروا نظراتهم الخاطئة ومواقفهم غير الصحيحة . فان من يقف علنا وجهارا ضد نضال الشعوب من اجل السلام ومن اجل التعايش السلمى بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية وضد نزع السلاح ، الخ . يفضح مواقفه فى عيون شيوعيى العالم كله والشعوب المحبة للسلام ويبعدهم عنه . ولهذا ، كلما سارت المناظرة الى ابعد ، وكلما تكشف اكثر فاكثر ضعف موقف قيادة الحزب الشيوعى الصينى ، كلما لجأت هذه القيادة بمزيد من الشدة الى هذا التستير . واذا لم يؤخذ بعين الاعتبار هذا الاسلوب الذى يلجأ اليه الرفاق الصينيون ، فمن الممكن حتى ان يبدو لمن يقف جانبا كأن الجدال ارتدى طابعا كلاميا وكأن الكلام يتناول صيغا منفردة بعيدة عن القضايا الحياتية .

اما بالفعل ، ففى مكان الصدارة من الجدال ، قضايا تمس المصالح

الحيوية للشعوب .

وهى قضايا الحرب والسلم وقضية دور وتطور النظام الاشتراكى العالمى ، وهى قضايا النضال ضد ايديولوجية وممارسة « عبادة الفرد » ، وهى قضايا ستراتيجية وتاكتيك الحركة العمالية العالمية والنضال التحررى الوطنى .

وهذه القضايا طرحتها الحياة نفسها والتغيرات العميقة التى طرأت فى البلدان الاشتراكية وفى العالم اجمع والتغيرات التى طرأت فى السنوات الاخيرة على نسبة القوى بين الاشتراكية والاستعمار ، والامكانيات الجديدة لحركتنا . وكان ينبغى للحركة الشيوعية ان تعطى عنها جوابا وقد اعطته بوضعها خطة عامة تتفق مع ظروف ومقتضيات المرحلة الراهنة من التطور العالمى .

وفى هذا الصدد ، حسب اجماع رأى الاحزاب الشيوعية ، اضطلع بدور هائل المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى الذى دشن مرحلة جديدة فى تطور الحركة الشيوعية بأسرها . وهذا التقدير سجل فى بيان ١٩٥٧ وتصريح ١٩٦٠ ، وهما وثيقتان وضعتهما الاحزاب الشيوعية بصورة جماعية ، وتصوغان الاتجاه السياسى المشترك للحركة الشيوعية فى العصر الراهن .

ولكن قادة الحزب الشيوعى الصينى تقدموا الآن باتجاه آخر كمقابل له ، ومواقفهم تفترق اكثر فاكثر عن الخطة المشتركة للحركة الشيوعية فى القضايا الاساسية .

وهذا ما يصح قبل كل شىء على قضية الحرب والسلم .

ففى تقدير قضايا الحرب والسلم ، فى طريقة حلها ، لا يمكن ان يكون اى غموض واى ابهام لأن الامر يتعلق بمصائر الشعوب ، بمستقبل الانسانية جمعاء .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى تعتبر من واجبها ان تقول للحزب وللشعب بكامل الصراحة انه نشأت لدى قيادة الحزب الشيوعى الصينى خلافات مبدئية ، جذرية ، معنا ومع الحركة الشيوعية العالمية فيما يخص قضايا السلم والحرب . وجوهر هذه الخلافات يكمن فى الموقف المعاكس من مسائل فائقة الاهمية كامكانية درء الحرب الحرارية النووية العالمية ، والتعايش السلمى بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية ، والصلة بين النضال من اجل السلام وبين تطور الحركة الثورية العالمية .

ان حزبنا فى قرارات المؤتمرين العشرين والثانى والعشرين ، والحركة الشيوعية العالمية فى البيان والتصريح ، قد وضعا امام الشيوعيين مهمة النضال من اجل السلام ودرء الكارثة الحرارية النووية العالمية بوصفها مهمة اولية . ونحن نقدر نسبة القوى فى العالم تقديرا واقعيا ونستخلص من هنا استنتاجات مفادها ما يلى : رغم ان طبيعة الاستعمار لم تتغير ورغم ان خطر نشوب الحرب لم يقض عليه ، فان قوى السلام التى حصنها الرئيسى الرابطة الجبارة للدول الاشتراكية ، تستطيع فى الظروف الراهنة ، وبتضافر الجهود ، ان تدرأ حربا عالمية جديدة .

ونحن كذلك نقدر التغير النوعى الجذرى فى وسائل خوض الحرب تقديرا سليما ونقدر بالتالى عواقبها المحتملة . فان السلاح الصاروخى النووى المخترع فى منتصف قرننا قد غير التصورات السابقة عن الحرب .

فان هذا السلاح يملك قوة مدمرة لا سابق لها . حسبنا القول ان انفجار قنبلة حرارية نووية قوية واحدة فقط يفوق قوة انفجار جميع المتفجرات التى استخدمت فى جميع الحروب السابقة بما فيها الحربان العالميتان الاولى والثانية . ومن امثال هذه القنابل تكدست آلاف وآلاف !

فهل يحق للشيوعيين ان يتجاهلوا هذا الخطر ؟ هل يجب علينا ان نقول للشعب الحقيقة كلها عن عواقب الحرب الحرارية النووية ؟ نحن نعتبر انه يجب علينا بلا قيد ولا شرط . فلا يمكن ان يكون لهذا تأثير « شال » فى الجماهير ، كما يزعم الرفاق الصينيون . بل بالعكس . فان الحقيقة عن الحرب الحديثة تعبئ ارادة الجماهير وعزيمتها للنضال من اجل السلام وضد الاستعمار ، مصدر خطر الحرب .

ان مهمة الشيوعيين التاريخية هى تنظيم وترؤس نضال الشعوب فى سبيل درء الحرب الحرارية النووية العالمية .

ان درء الحرب العالمية الجديدة مهمة واقعية تماما وقابلة تماما للتحقيق . ان مؤتمر حزبنا العشرين قد استخلص استنتاجاً فائق الاهمية مفاده ان الحروب بين الدول لم تبق فى زمننا امرا محتما وقضاء لا عاصم منه . وهذا الاستنتاج ليس ثمرة نوايا طيبة ، بل نتيجة تحليل واقعى ، علمى ، صارم لنسبة القوى الطبقية فى المسرح العالمى ؛ وهو يرتكز على جبروت الاشتراكية العالمية العملاق . ونظراتنا فى هذه المسألة تشاطرها عموم الحركة الشيوعية العالمية . « الحرب العالمية يمكن درؤها » ؛ « حتى قبل انتصار الاشتراكية التام فى الارض ومع بقاء الرأسمالية فى جزء من العالم ، ستنشأ امكانية واقعية لنفى الحرب العالمية من حياة المجتمع » . هكذا يشار فى التصريح .

وعلى هذا التصريح ، توقيع الرفاق الصينيين ايضا .

فما هو موقف قيادة الحزب الشيوعى الصينى ؟ وما عساها ان تعنى الموضوعات التى تروجها : يستحيل القضاء على الحرب مادام الاستعمار فى الوجود ؛ التعايش السلمى وهم ، وهو ليس المبدأ العام لسياسة البلدان الاشتراكية فى الحقل الخارجى ؛ النضال من اجل السلام يعيق النضال الثورى ؟

ان هذه الموضوعات تعنى ان الرفاق الصينيين يسيرون عكس الخط المشترك للحركة الشيوعية العالمية فى مسائل الحرب والسلم . وهم لا يؤمنون بامكانية درء الحرب العالمية الجديدة ، ويستصغرون قوى السلام والاشتراكية ويستعظمون قوى الاستعمار ، ويتجاهلون فى الواقع تعبئة الجماهير الشعبية للنضال ضد خطر الحرب .

ينجم بالتالى ان الرفاق الصينيين لا يؤمنون فى قدرة شعوب البلدان الاشتراكية والطبقة العاملة العالمية وجميع القوى الديمقراطية والمحبة للسلام على احباط مشاريع مسببى الحرب وعلى تحقيق السلام من اجل جيلنا والاجيال المقبلة . وماذا وراء جمل الرفاق الصينيين الثوروية المدوية ؟ عدم الثقة فى قوى الطبقة العاملة ، فى كفاءاتها الثورية ، عدم الثقة سواء فى امكانية التعايش السلمى ام فى انتصار البروليتاريا فى النضال الطبقى . ففى النضال من اجل درء الحرب ، تتحد جميع القوى المحبة للسلام . هذه القوى مختلفة من حيث قوامها الطبقى ومن حيث مصالحها الطبقية . ولكن النضال من اجل السلام ومن اجل درء الحرب يستطيع ان يوحدها لأن القنبلة الذرية لا تتقيد بالمبدأ الطبقى ، فهى تبيد جميع من يكونون فى منطقة تأثيراتها الفتاكة .

ان سلوك السبيل الذى يقترحه الرفاق الصينيون يعنى دفع الجماهير الشعبية عن الاحزاب الشيوعية التى ظفرت بعطف الشعوب لنضالها من اجل السلام بالحاح ورجولة .

ان الاشتراكية والسلام لا ينفصلان الآن فى ضمير الجماهير الغفيرة !

ان الرفاق الصينيين يستصغرون ، بشكل جلى ، كل خطر الحرب الحرارية النووية . فهم يزعمون : « ان القنبلة الذرية انما هى نمر من ورق » وهى « ليست رهيبة على الاطلاق » . والرئيسى ، على حد زعمهم ، القضاء على الاستعمار بأسرع وقت ؛ اما بأى سبيل ، باى خسائر سيتحقق هذا ، فكأن هذه مسألة ثانوية . واننا لنسمح لانفسنا بان نتساءل : ثانوية بالنسبة لمن ؟ بالنسبة لمئات الملايين من البشر المحكوم عليهم بالهلاك فى حال شن الحرب الحرارية النووية ؟ بالنسبة للدول التى ستمحى محوا من على وجه الارض فى الساعات الاولى بالذات من حرب كهذه ؟

ان احدا ، بما فى ذلك الدول الكبيرة ، لا يملك الحق فى التلاعب بمصائر الملايين من الناس . وانهم ليستحقون الشجب اولئك الذين لا يريدون ان يبذلوا الجهود لنفى الحرب العالمية من حياة الشعوب ولدرء ابادة الناس بالجملة وتدمير قيم الحضارة الانسانية .

ان رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) تكثر الكلام عن « الضحايا المحتمة » باسم الثورة ، على حد زعمها . كذلك قال بعض القادة الصينيين المسؤولين بامكانية التضحية بمئات الملايين من البشر فى الحرب . ففى مجموعة « عاشت اللينينية ! » التى صادقت عليها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، يزعم : « ان الشعوب المنتصرة ستشيد ، باسرع الوتائر ، على انقاض

الاستعمار الهالك ، حضارة تكون اسمى بالف مرة مما فى ظل النظام الرأسمالى ، وستبنى مستقبلا رائعا حقا » .

ونسمح لانفسنا بسؤال الرفاق الصينيين : هل يدركون اى نوع من « الانقاض » ستخلفها الحرب الصاروخية النووية العالمية من بعدها ؟

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى – ونحن واثقون اننا نلقى فى هذا المجال التأييد الاجماعى من كل حزبنا وكل الشعب السوفييتى – لا يسعها ان تشاطر نظرات القيادة الصينية حول بناء « حضارة تكون اسمى بالف مرة » على جثث مئات الملايين من الناس . ان نظرات كهذه تناقض بصورة جذرية افكار الماركسية – اللينينية .

ونسمح لانفسنا بسؤال الرفاق الصينيين : اى وسيلة يقترحون للقضاء على الاستعمار ؟

نحن نؤيد كليا القضاء على الاستعمار والرأسمالية . ونحن لا نؤمن فى هلاك الرأسمالية المحتم وحسب ، بل نفعل ايضا كل شىء لكى يتحقق هذا عن طريق النضال الطبقى وبأسرع ما يمكن . ومن ذا الذى يجب عليه ان يحل هذه القضية التاريخية ؟ قبل كل شىء ، الطبقة العاملة برئاسة طليعتها الحزب الماركسى – اللينينى والشعب الكادح فى كل بلد .

ان الرفاق الصينيين يقترحون شيئا آخر . فهم يقولون صراحة : « على انقاض الاستعمار الهالك » ، وبتعبير آخر ، بنتيجة شن الحرب « يشاد مستقبل رائع » . اذا اقدمنا على هذا ، فلا جدوى حقا آنذاك من مبدأ التعايش السلمى والنضال من اجل توطيد السلام . نحن لا يسعنا ان

نسلك مثل هذا الطريق المغامر ، فهو يناقض جوهر الماركسية ــ اللينينية .

معلوم للجميع ان الحرب العالمية فى الظروف الراهنة ستكون حربا حرارية نووية . ان الاستعماريين لن يريدوا ابدا ان يغادروا المسرح بملء الخاطر وان يتمددوا فى التابوت بملء الخاطر ، دون ان يستخدموا اقصى الوسائل الموجودة تحت تصرفهم .

واغلب الظن ان اولئك الذين يسمون السلاح الحرارى النووى « بنمر من ورق » لا يدركون تماما قوة هذا السلاح الفتاكة .

اننا نأخذ هذا بالحسبان السليم . فنحن نصنع بانفسنا السلاح الحرارى النووى وقد اعددناه بكمية كافية . ونحن نعرف جيدا قوته الفتاكة . واذا ما شن الاستعمار الحرب ضدنا ، فان يدنا لن ترتجف لاستخدام هذا السلاح الرهيب ضد المعتدى . ولكننا لن نكون البادئين فى استخدام هذا السلاح ، اذا لم يهاجمونا .

ان الماركسيين ـ اللينينيين يسعون الى تأمين السلام الوطيد لا عن طريق استجدائه من الاستعمار ، بل برص الاحزاب الماركسية ـ اللينينية الثورية ، برص الطبقة العاملة من جميع البلدان ، برص الشعوب المناضلة فى سبيل حريتها واستقلالها الوطنى معتمدين على بأس الدول الاشتراكية الاقتصادى والدفاعى .

وبودنا ان نسأل الرفاق الصينيين الذين يقترحون بناء مستقبل رائع على انقاض العالم القديم الهالك فى حرب حرارية نووية : هل استشاروا فى هذه المسألة الطبقة العاملة فى البلدان التى يسود فيها الاستعمار ؟ لا ريب ان الطبقة العاملة فى البلدان ان الرأسمالية تجيبهم لو استشاروها : ترى هل نطلب منكم ان تشنوا الحرب فتمحقوا بلدانا وانتم تصفون

الاستعماريين ؟ ذلك ان الاحتكاريين ، ان الاستعماريين هم حفنة ضئيلة نسبيا ، بينا قوام السكان الاساسى فى البلدان الرأسمالية انما هو الطبقة العاملة والفلاحون الكادحون والمثقفون الكادحون . والقنبلة الذرية لا تميز اين هو الاستعمارى واين هو الشغيل ، بل تضرب فى مساحات ، ولهذا يهلك ملايين العمال مقابل احتكارى واحد . ان الطبقة العاملة والشغيلة سيسألون امثال هؤلاء « الثوريين » : باى حق تحلون نيابة عنا قضايا وجودنا ونضالنا الطبقى ؛ نحن ايضا الى جانب الاشتراكية ، ولكننا نريد الظفر بها فى النضال الطبقى ، لا عن طريق شن الحرب الحرارية النووية العالمية .

ان طرح المسألة على هذا النحو من قبل الرفاق الصينيين قد يثير ظنا مشروعا فى ان ما نواجهه هنا ليس الموقف الطبقى فى النضال من اجل القضاء على الرأسمالية ، بل اهداف اخرى تماما . فاذا كان المستثمرون والمستثمَرون على السواء سيدفنون تحت انقاض العالم القديم ، فمن ذا الذى سيبنى « المستقبل الرائع » ؟

وفى هذا الصدد ، لابد من لفت النظر الى ان الرفاق الصينيين ، بدلا من الموقف الامى الطبقى المعبر عنه فى نداء « يا عمال العالم اتحدوا ! » ، يروجون بعناد الشعار الخالى من المضمون الطبقى والقائل : « ريح الشرق تتغلب على ريح الغرب » .

ان حزبنا يقف بكل ثبات فى قضايا الثورة الاشتراكية على المواقف الطبقية الماركسية ـ اللينينية ، معتبرا ان الطبقة العاملة والشعب الكادح يحققان الثورات فى كل بلد دون تدخل حربى من الخارج .

وبديهى ان لا جدال فى ان الشعوب ستكنس الرأسمالية وتدفنها

اذا ما شن المجانين الاستعماريون الحرب مع ذلك . ولكن الشيوعيين ، بوصفهم ممثلى الشعوب ، وانصار النزعة الانسانية الاشتراكية الحقيقيين ، مدعوون الى فعل كل شيء للحيلولة دون حرب عالمية جديدة يهلك فيها مئات الملايين من الناس .

ان حزبا واحدا تعز عليه ، حقا وفعلا ، مصالح الشعب ، لا بد له ان يدرك مسؤوليته فى النضال من اجل درء الحرب العالمية الجديدة ، من اجل تأمين التعايش السلمى بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية .

قال الرفيق خروشوف ، مفصحا عن خطة حزبنا : « ستكون ثمة حروب تحررية ما دام الاستعمار فى الوجود ، ما دام نظام الحكم الاستعمارى فى الوجود . وهذه حروب ثورية . وحروب كهذه ليست جائزة وحسب ، بل محتمة ايضا ، لأن المستعمرين لا يمنحون الشعوب بملء الخاطر الاستقلال . ولهذا لا تستطيع الشعوب ان تظفر بحريتها واستقلالها الا بالنضال ، بما فيه النضال المسلح » . وان الاتحاد السوفييتى ليمحض حركة التحرر الوطنى اوسع التأييد . والجميع يعرفون تلك المساعدة الفعلية التى اسدتها بلادنا الى شعوب الفييتنام ومصر والعراق والجزائر واليمن والشعب الكوبى وغيرها من الشعوب .

ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى قد نادى بالمبدأ اللينينى القائل بالتعايش السلمى الخطة العامة للسياسة الخارجية السوفييتية وهو يسير عليه بدأب وثبات . وابتداء من عام ١٩٥٣ وخاصة بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، تنامى بسرعة وشدة نشاط سياستنا السلمية وتعاظم تأثيرها فى كامل مجرى العلاقات الدولية لما فيه مصلحة الجماهير الشعبية .

ان الرفاق الصينيين ينسبون الينا اننا ننطلق ، على حد زعمهم ، من ان مفهوم « التعايش السلمى » يستنفد مبادىء علاقاتنا لا مع البلدان الاستعمارية وحسب بل ايضا مع البلدان الاشتراكية ومع البلدان التى تحررت منذ زمن قريب من نير الحكم الاستعمارى . انهم يعرفون جيدا ان الحال ليس هكذا اطلاقا ، واننا كنا اوائل من نادوا بمبدأ الصداقة والتعاضد الرفاقى المبدأ الاهم فى العلاقات بين بلدان الاشتراكية واننا نتقيد به بصلابة وانسجام واننا نقدم للشعوب المتحررة معونة شاملة متنوعة . ومع ذلك يرى الرفاق الصينيون ، لاعتبارات ما ، انه من المفيد لهم ان يعرضوا كل هذا بصورة مشوهة تماما .

ان النضال العنيد الذى يخوضه الاتحاد السوفييتى من اجل السلام والامن الدولى ، من اجل نزع السلاح العام والكامل ، من اجل ازالة بقايا الحرب العالمية الثانية ، من اجل حل جميع القضايا العالمية المتنازع عليها عن طريق المفاوضات ، قد أوتى أكله . فان مكانة بلادنا فى العالم بأسره عالية اكثر من اى وقت مضى ، ووضعنا الدولى متين اكثر من اى وقت مضى . ونحن مدينون بهذا لجبروت الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، المتنامى على الدوام فى الميدانين الاقتصادى والعسكرى ، وسياستها الخارجية السلمية .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى تعلن اننا قد انتهجنا ولا نزال ننتهج وسوف ننتهج السياسة اللينينية القائلة بالتعايش السلمى بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية . وفى هذا يرى حزبنا واجبه سواء حيال الشعب السوفييتى ام حيال شعوب البلدان الاخرى كافة . ان تأمين السلام يعنى الاسهام بانجع شكل فى تعزيز النظام

الاشتراكي وبالتالى فى تقوية تأثيره فى كامل مجرى النضال التحررى ، فى التطور الثورى العالمى .

ان الفرق العميق بين نظرات الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الماركسية ـ اللينينية من جهة ، ونظرات قادة الحزب الشيوعى الصينى من جهة اخرى ، فى قضايا الحرب والسلم والتعايش السلمى قد ظهر بجلاء خاص اثناء الازمة فى البحر الكاريبى عام ١٩٦٢ . لقد كانت تلك ازمة دولية حادة : فان الانسانية لم تقترب قط من حافة الحرب الحرارية النووية كما اقتربت منها فى تشرين الاول (اكتوبر) من العام الماضى .

فان الرفاق الصينيين يقررون اننا ، على حد زعمهم ، قد اقترفنا فى مرحلة الازمة الكاريبية ، خطأ « مغامرا » بنقلنا الصواريخ الى كوبا ، ثم اننا ، على حد زعمهم ، اقدمنا على « الاستسلام » امام الاستعمار الاميركى عندما سحبنا الصواريخ من كوبا (١) .

ان مزاعم كهذه تناقض الوقائع بصورة جذرية :

فكيف كان الحال فى الواقع ؟ ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والحكومة السوفييتية كانتا تملكان معطيات موثوقة تفيد ان عدوانا مسلحا على وشك ان يشنه استعمار الولايات المتحدة الاميركية على كوبا . ولقد تصورنا بوضوح كاف انه تنبغى احزم التدابير لأجل صد العدوان ، لأجل الدفاع الفعال عن الثورة الكوبية . فان اللعنات

---

(١) ان امثال هذه المزاعم قد وردت في المقال الافتتاحى بجريدة « جينمين جيباو » في ٨ اذار (مارس) ١٩٦٣ وعنوانه « بصدد تصريح الحزب الشيوعى الاميركى » .

والتحذيرات ، حتى ولو نعتوها « بالتحذيرات الجدية » ورددوها مائتين وخمسين مرة ، لا تؤثر فى الاستعماريين .

وانطلاقا من ضرورة الدفاع عن الثورة الكوبية ، اتفقت الحكومة السوفييتية وحكومة كوبا على نصب الصواريخ فى كوبا ، لأن هذا كان الوسيلة الفعلية الوحيدة لدرء العدوان من جانب الاستعمار الاميركى . ان تسليم الصواريخ لكوبا كان يعنى ان الهجوم عليها سيقابل برد حازم مع استخدام السلاح الصاروخى ضد منظمى العدوان . وهذا التدبير الحازم من جانب الاتحاد السوفييتى وكوبا أثار صدمة فى نفوس الاستعماريين الاميركيين اذ شعروا لاول مرة فى كل التاريخ انهم ، اذا ما لجأوا الى التدخل الحربى فى كوبا ، سيلقون ، من باب الرد ، ضربة ماحقة على ارضهم .

وبما ان المقصود لم يكن مجرد نزاع بين الولايات المتحدة الاميركية وكوبا بل الاصطدام بين اقوى دولتين نوويتين ، فقد كان لا بد للازمة فى منطقة البحر الكاريبى ان تتحول من ازمة محلية الى ازمة عالمية . ونشأ خطر فعلى يهدد بنشوب حرب حرارية نووية عالمية .

وفى الوضع الناشئ ، كان ثمة مخرجان : اما الانسياق وراء زمام « الكلبانين » (هكذا يسمون اشد ممثلى الاستعمار الاميركى اغراقا فى العدوانية والرجعية) والسير فى طريق شن الحرب الحرارية النووية العالمية ، واما استخدام الامكانيات الناجمة عن نقل الصواريخ واتخاذ جميع التدابير للتفاهم حول حل الازمة الناشبة حلا سلميا والحيلولة دون العدوان على الجمهورية الكوبية .

وقد اخترنا ، كما هو معروف ، السبيل الثانى ونحن مقتنعون باننا

سلكنا السلوك الصحيح . ونحن واثقون بان شعبنا كله يفكر هكذا ايضا . فان السوفييتيين قد بينوا بالفعل غير مرة انهم يعرفون كيف يذودون عن انفسهم وكيف يدافعون عن قضية الثورة وقضية الاشتراكية . وليس احدا يعرف خيرا منهم كم من الاحزان والآلام تجلبها الحرب واى اعباء وتضحيات تكلف الشعوب .

ان الاتفاق على سحب السلاح الصاروخى مقابل تعهد حكومة الولايات المتحدة الاميركية بالامتناع عن التدخل فى كوبا وبردع حلفائها عن ذلك ، ونضال الشعب الكوبى ببسالة ، والتأييد الذى لقيه من جانب الشعوب المحبة للسلام ، كل هذا اتاح احباط مقاصد اشد اوساط الاستعمار الاميركى نزوعا الى المغامرات ، تلك الاوساط التى كانت مستعدة للمضى قدما دون حسبان الحساب لاى عواقب . وبالنتيجة امكن الدفاع عن كوبا الثورية وانقاذ السلام .

ان الرفاق الصينيين يرون ان تصريحنا القائل ان حكومة كينيدى ايضا قد ابدت فى سياق الازمة حول كوبا قدرا معينا من الحكمة وموقفا واقعيا ، هو « تزيين للاستعمار » . ألعلهم يفكرون عن جد بان جميع الحكومات البرجوازية محرومة فى جميع اعمالها من كل حكمة ؟

بفضل موقف الاتحاد السوفييتى ، الرجولى والبعيد النظر ، وبفضل صلابة ورباطة جأش الشعب الكوبى الباسل وحكومته ، أثبتت قوى الاشتراكية والسلام ان فى مستطاعها ان تلجم قوى الاستعمار العدوانية وتفرض السلام على انصار الحرب . وقد كان ذلك انتصارا كبيرا لسياسة العقل ولقوى السلام والاشتراكية ؛ وكان ذلك اندحارا لقوى الاستعمار ولسياسة المغامرات الحربية .

ونتيجة لذلك ، تعيش كوبا الثورية عيشة سلمية ، وتبنى الاشتراكية بقيادة حزبها ، حزب الثورة الاشتراكية الموحد وزعيم الشعب الكوبى الرفيق فيدل كاسترو روس.

وعندما تم الاتفاق مع رئيس الولايات المتحدة الاميركية وأرسيت بالتالى بداية تصفية الازمة فى منطقة البحر الكاريبى ، تفنن الرفاق الصينيون تفننا خاصا فى الاهانات والشتائم بحق الاتحاد السوفييتى مقدمين البراهين على انه لا يجوز تصديق تعهدات الاستعماريين فى اى شيء .

نحن نعيش فى قرن يوجد فيه عالمان ، نظامان : الاشتراكية والاستعمار . ومن الخراقة التفكير بان جميع القضايا التى تبرز حتما فى العلاقات بين بلدان هذين النظامين انما يجب حلها بقوة السلاح فقط ، مع استبعاد المفاوضات والاتفاقات ايا كانت . فى هذه الحال ، لا تنقطع الحروب . ونحن ضد موقف كهذا .

ان الرفاق الصينيين يبرهنون انه لا يجوز تصديق الاستعماريين فى شيء لأنهم حتما يخدعون . ولكن القضية هنا ليست ابدا قضية تصديق بل قضية حساب سليم . فمنذ تصفية الازمة فى منطقة البحر الكاريبى ، انقضت ثمانية أشهر وحكومة الولايات المتحدة تفى بتعهدها ، فليس ثمة اى تدخل ضمن حدود كوبا . ونحن ايضا تعهدنا بسحب الصواريخ من كوبا ونفذنا تعهدنا .

ولكنه لا يجوز النسيان ايضا اننا قطعنا كذلك عهدا على انفسنا ازاء الشعب الكوبى : اذا أخل استعماريو الولايات المتحدة الاميركية بعهدهم واقتحموا اراضى كوبا ، فاننا سنهب الى مساعدة الشعب الكوبى . وكل انسان سليم التفكير يفهم جيدا اننا ، فى حال تدخل الاستعماريين

الاميركيين ، سنهب الى مساعدة الشعب الكوبى من الارض السوفييتية كما كنا سنساعده من الارض الكوبية بالذات . صحيح ان الصواريخ ستقطع فى هذه الحال وقتا اطول بقليل فى تحليقها ولكن اصابتها للهدف لن تكون اقل دقة من جرّاء ذلك .

لماذا اذن يتجاهل الرفاق الصينيون بعناد التقدير الذى يعطيه قادة الثورة الكوبية انفسهم عن سياسة حكومة الاتحاد السوفييتى بوصفها سياسة التضامن الاخوى والاممية الحقيقية ؟ وما هو سبب عدم ارتياح القادة الصينيين ؟ ألعله انه امكن درء التدخل فى كوبا والحيلولة دون نشوب حرب عالمية ؟

واى خطة سلكتها قيادة الحزب الشيوعى الصينى فى مرحلة الازمة الكاريبية ؟ فى تلك الحقبة الحرجة ، عارض الرفاق الصينيون خط الحكومة السوفييتية الواقعى والصلب بموقفهم الخاص . فاسترشادا بمفاهيم خاصة بهم ، لم يركزوا نار النقد على استعمار الولايات المتحدة العدوانى بقدرما ركزوها على الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وعلى الاتحاد السوفييتى .

ان قيادة الحزب الشيوعى الصينى التى قررت قبل ذاك ان فى مستطاع الاستعمار ان يشن فى كل لحظة حربا عالمية ، قد شغلت فى اللحظة الاكثر مسؤولية موقف الناقد لا موقف حليف القتال والرفيق . فان احدا لم يسمع فى تلك الايام من القادة الصينيين تصريحات عن اجراءاتهم العملية دفاعا عن الثورة الكوبية . وعوضا عن ذلك ، حاول القادة الصينيون بكل جلاء ان يؤزموا الوضع الذى كان حادا فى منطقة البحر الكاريبى حتى بدون مساعيهم هذه ، وصبوا الزيت على نيران

النزاع الكامنة .

وبوضوح كبير يظهر الموقف الحقيقى الذى وقفته قيادة الحزب الشيوعى الصينى من قضايا الحرب والسلم فى استصغارها الاكمل وبالاحرى فى تجاهلها عن قصد للنضال من اجل نزع السلاح . فان الرفاق الصينيين يعارضون حتى مجرد طرح هذه المسألة من جانب الشيوعيين ، سامحين لانفسهم بالاستشهاد بالماركسية - اللينينية ومقررين بكل شكل وطريقة « استحالة تحقيق » نزع السلاح من جهة ، وعدم ضرورته من جهة اخرى . وبالتلاعب بالاستشهادات ، يقررون ان نزع السلاح العام لا يمكن تحقيقه ، على حد زعمهم ، الا فى حال انتصار الاشتراكية التام فى الارض .

فهل يجب على الماركسيين ان ينتظروا ، مكتوفى الايدى ، انتصار الاشتراكية فى الارض قاطبة ، فى حين يختنق العالم فى ربقة الركض وراء التسلح وفى حين يكدس الاستعماريون الاحتياطيات من السلاح النووى ويهددون بدفع الانسانية الى لجة الحرب العالمية ؟

كلا ، ان موقفا كهذا انما هو جمود مجرم حيال فريضة الزمن الآمرة .

هذه الحقيقة فهمها من زمان جميع الماركسيين - اللينينيين الحقيقيين الذين يدركون مسؤوليتهم امام الشعوب والذين يخوضونه منذ جملة من السنين وسوف يخوضونه نضالا عنيدا ملحاحا من اجل نزع السلاح العام والكامل ، من اجل الكف عن تجارب السلاح النووى وتحريمه .

ونحن اذ نناضل من اجل السلام ، ونرفع شعار نزع السلاح العام ، ننطلق من مصالح الشعوب الجذرية ، ونأخذ بالحسبان الوضع

الفعلى ولا نغمض العين عن المصاعب . وبالطبع ، يفعل الاستعماريون كل شيء للمماطلة فى بلوغ الاتفاق حول نزع السلاح ولاحباطه ، فهذا مفيد لهم . فبالركض وراء التسلح ، يغتنون ويبقون الجماهير الشعبية فى البلدان الرأسمالية أسيرة الخوف . ولكن هل يجب علينا ان نسبح مع التيار ، وننساق وراء زمام الاستعمار ونمتنع عن تعبئة جميع القوى للنضال من اجل تأمين السلام ، من اجل نزع السلاح ؟

كلا . ان سلوك مثل هذا السبيل يعنى الاستسلام امام القوى العدوانية ، امام العسكريين والاستعماريين . بيد اننا نعتبر ان الطبقة العاملة والشغيلة فى جميع البلدان يستطيعون ان يجبروا الحكومات الاستعمارية على القبول بنزع السلاح ، وان يدرأوا الحرب . ولهذا الغرض ، ينبغى لهم قبل كل شيء ان يدركوا قوتهم وان يتراصوا .

ان قوى الاستعمار والحرب انما يجب معارضتها بالقوة المنظمة للطبقة العاملة العالمية . وهذه الطبقة تملك الآن التفوق اذ تعتمد على الجبروت المادى والقدرة الدفاعية لدى البلدان الاشتراكية التى تقف فى وجه الاستعمار . لقد ولت بلا عودة الازمنة التى كان فيها الاستعمار يسود بلا منازع . وقد تغير الوضع كذلك تغيرا حادا بالقياس الى العقود الاولى التى عقبت اكتوبر ، عندما كانت بلادنا وحدها وكانت اضعف بكثير مما هى عليه الآن . وفى ايامنا ، غدت نسبة القوى فى المسرح العالمى غير ما كانت عليه تماما . ولهذا كان التمسك الآن بوجهة نظر حتمية الحرب يعنى ابداء عدم الثقة بقوى الاشتراكية والاستسلام لمشاعر اليأس والانهزامية .

فى وسع المرء ان يردد الى ما لا نهاية له ان الحرب محتمة مصورا

وجهة النظر هذه بانها دليل على « ثوريته » . ولكن موقفا كهذا لا يفعل فى الواقع غير ان يعكس عدم الثقة فى قواه والخوف من الاستعمار .

ولا تزال فى المعسكر الاستعمارى ، قوى جبارة تعارض نزع السلاح . ولاجبار هذه القوى على التراجع ، لهذا الغرض بالضبط ، يجب استثارة غضب الشعوب عليها واجبارها على تنفيذ ارادة الشعوب .

ان الشعوب تريد نزع السلاح وهى تؤمن بان الشيوعيين بالذات هم طليعة ومنظمو نضال الشعوب من اجل بلوغ هذا الهدف .

ان نضالنا من اجل نزع السلاح ليس بحيلة تاكتيكية . فنحن نريد حقا وصدقا نزع السلاح . وهنا نقف كليا على صعيد الماركسية ـ اللينينية . ففى اواخر القرن الماضى ، اشار انجلس الى ان نزع السلاح امر ممكن ونعته « بضمانة السلام » . وفى زمننا ، كان لينين هو الذى رفع للمرة الاولى شعار نزع السلاح بوصفه مهمة عملية ، بينا اولى الاقتراحات السوفييتية بشأن نزع السلاح الكلى او الجزئى قدمت فى عام ١٩٢٢ فى مؤتمر جنوه . وكان ذلك فى حياة لينين ، وهو الذى صاغ اقتراحات نزع السلاح .

ان النضال من اجل نزع السلاح هو أهم عامل لدرء الحرب ، وهو نضال فعال ضد الاستعمار . وفى هذا النضال يجد المعسكر الاشتراكى الى جانبه الاغلبية المطلقة من الانسانية .

لقد رفع الرفاق الصينيون شعار « النضال بالسنان ضد السنان » ، وعارضوه بسياسة البلدان الاشتراكية الاخرى ، الرامية الى تخفيف الوضع الدولى ووقف « الحرب الباردة » . ان شعارا كهذا ، من حيث جوهر الامر ، يصب الماء فى طاحونة السياسة الاستعمارية ، سياسة « التأرجح

على حافة الحرب » ، ويساعد انصار الركض وراء التسلح . ويتكون انطباع مفاده ان قادة الحزب الشيوعى الصينى يعتبرون من المفيد الحفاظ على التوتر الدولى وتشديده ، وخاصة فى العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الاميركية . وهم يفترضون ، كما يبدو ، انه يجب على الاتحاد السوفييتى ان يرد على الاستفزازات بالاستفزازات وان يقع فى الشباك التى ينصبها « الكلبانون » من معسكر الاستعمار ، وانه يجب عليه ان يقبل تحدى الاستعماريين بالمباراة فى النزوع الى المغامرة والعدوان ، اى المباراة فى شن الحرب لا فى تأمين السلام .

ان ولوج هذا السبيل يعنى تعريض السلام وأمن الشعوب للخطر . والشيوعيون الذين تعز عليهم مصالح الشعوب لن يسيروا ابدا فى سبيل كهذا .

ان النضال من اجل السلام ، من اجل تحقيق مبادئ التعايش السلمى بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية هو شكل من أهم اشكال نضال الشعوب ضد الاستعمار ، ضد الحروب الجديدة التى يحضرها ، ضد اعمال الاستعماريين العدوانية فى البلدان المستعمرة ، ضد قواعد الاستعماريين الحربية فى اراضى البلدان الاخرى ، ضد الركض وراء التسلح ، الخ . . وهذا النضال هو فى مصلحة الطبقة العاملة وجميع الشغيلة ، وهو بهذا المعنى ، نضال طبقى .

ان حزبنا وجميع الاحزاب الشقيقة تذكر وتسترشد فى نشاطها استنتاج التصريح القائل انه يجب خوض النضال ضد خطر نشوب حرب عالمية جديدة دون انتظار ليوم تبدأ القنابل الذرية والهيدروجينية تتساقط . فهذا النضال يجب خوضه الآن ببذل الجهود اكثر فاكثر

ويوما بعد يوم . والرئيسى ، لجم المعتدين فى حينه ، ودرء الحرب ، والحيلولة دون اندلاعها . ان النضال اليوم فى سبيل السلام يعنى الاحتفاظ بأعظم اليقظة ، وفضح سياسة الاستعمار بلا كلل ، وتتبع مكائد مشعلى الحرب ودسائسهم ومراقبتها بيقظة ، واستثارة غضب الشعوب المقدس على الذين يسيرون فى اتجاه الحرب ، ورفع درجة تنظيم جميع القوى المحبة للسلام ، والاستمرار على تعزيز الاعمال النشيطة من جانب الجماهير دفاعا عن السلام ، وتوطيد التعاون مع جميع الدول التى لا مصلحة لها فى حروب جديدة .

ان النضال من اجل السلام والتعايش السلمى يضعف جبهة الاستعمار ، ويعزل اكثر اوساطه عدوانية عن الجماهير الشعبية ، ويساعد نضال الطبقة العاملة الثورى ونضال الشعوب التحررى الوطنى .

ان النضال من اجل السلام والتعايش السلمى مرتبط ارتباطا عضويا بالنضال الثورى ضد الاستعمار . وقد سجلت الاحزاب الشيوعية الـ ٨١ فى تصريحها تقول : « فى ظروف التعايش السلمى ، تنشأ امكانيات ملائمة لتطوير النضال الطبقى فى البلدان الرأسمالية ولتطوير حركة التحرر الوطنى لشعوب المستعمرات والبلدان التابعة . ونجاحات النضال الطبقى الثورى ونضال التحرر الوطنى تسهم بدورها فى تمتين التعايش السلمى » .

ففى ظروف التعايش السلمى ، احرزت فى السنوات الاخيرة انتصارات هامة جديدة فى نضال البروليتاريا الطبقى وفى نضال الشعوب من اجل الحرية الوطنية ، ويتطور بنجاح المجرى الثورى العالمى .

ولهذا كان فصل النضال من اجل التعايش السلمى بين الدول

على اختلاف انظمتها الاجتماعية عن النضال الثورى ضد الاستعمار ونظام الحكم الاستعمارى وفى سبيل الاستقلال والاشتراكية ، ومعارضة احدهما بالآخر ، كما يفعل الرفاق الصينيون ، يعنى تحويل مبدأ التعايش السلمى الى جملة فارغة وانتزاع مضمونه الفعلى ، والتجاهل فعلا لضرورة النضال الحازم ضد الاستعمار وفى سبيل السلام والتعايش السلمى ، الامر الذى لا يفيد غير الاستعماريين .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، فى رسالتها بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) ، توجه الى الاحزاب الشيوعية تهمة تزعم ان هذه الاحزاب تشمل بالتعايش السلمى بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية العلاقات بين المستثمَرين والمستثمِرين ، بين الطبقات المظلومة والطبقات الظالمة ، بين الجماهير الشغيلة والاستعماريين . هذا تلفيق فظيع حقا وافتراء على الاحزاب الشقيقة التى تترأس البروليتاريا فى معاركها الطبقية ضد الرأسمال ، وتدعم على الدوام النضال الثورى والحروب التحررية العادلة ضد الاستعمار .

ان حجج قادة الحزب الشيوعى الصينى فى النضال ضد الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الشقيقة لعلى درجة من الضعف بحيث انهم اضطروا الى حيل من كل شاكلة ولون . فهم ينسبون الينا فى البدء موضوعات لا ترتكز على شىء ومن تلفيقهم انفسهم ، ثم يشرعون فى اتهامنا والنضال ضدنا فاضحين هذه الموضوعات . هكذا هو الحال بالضبط فيما يخص مزاعمهم الخرقاء القائلة ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الشقيقة تعدل عن الثورة وتستعيض عن النضال الطبقى بالتعايش السلمى . وفى

اى حلقة اولية عندنا لدراسة السياسة ، يعرفون جيدا اننا عندما نتكلم عن التعايش السلمى ، انما نقصد به علاقات البلدان الاشتراكية ، على مستوى الدولة ، مع بلدان الرأسمالية . ان مبدأ التعايش السلمى لا يمكنه بالطبع ، وباى قدر كان ، ان يشمل العلاقات بين الطبقات المتناحرة داخل الدول الرأسمالية ، ولا يجوز بسطه على نضال الطبقة العاملة ضد البرجوازية وفى سبيل مصالحها الطبقية ، وعلى نضال الشعوب المظلومة ضد المستعمرين . وان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى يعارض بحزم التعايش السلمى فى الميدان الايديولوجى . وهذه حقائق اولية حان ان يستوعبها جميع الذين يعتبرون انفسهم ماركسيين — لينينيين .

— ٣ —

ان للحزب الشيوعى الصينى خلافات جدية مع الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الماركسية — اللينينية بصدد مسألة النضال ضد عواقب عبادة شخصية ستالين .

ان قادة الحزب الشيوعى الصينى اخذوا على عاتقهم دور المدافعين عن عبادة الفرد والناشرين لافكار ستالين الخاطئة . ويحاولون فرض تلك الاوضاع ، وتلك الايديولوجية والاخلاقية ، واشكال وطرق القيادة التى ازدهرت فى مرحلة عبادة الفرد ، على الاحزاب الاخرى . ولنقل بصراحة ان هذا الدور لا يحسد عليه ، ولن يجلب لا الشرف ولا المجد . وان احدا لن يفلح فى النزوع بالماركسيين - اللينينيين والناس التقدميين الى طريق الدفاع عن عبادة الفرد !

ان الشعب السوفييتي والحركة الشيوعية العالمية قد قدرا بجدارة الجرأة والرجولة والمبدئية اللينينية الحقيقية التى ابداها حزبنا ولجنته المركزية ، وعلى رأسها الرفيق خروشوف ، فى النضال ضد عواقب عبادة الفرد .

ويعرف الجميع ان حزبنا قد فعل ذلك لكى ينزع النير الثقيل الذى كان يقيد القوى الجبارة للشغيلة ، وان يعجل بالتالى تطور المجتمع السوفييتي . لقد فعل حزبنا ذلك ، من اجل تنقية مثل الاشتراكية التى اوصانا بها لينين العظيم من سوء الاستعمال للسلطة الفردية ، ومن التعسف اللذين وسما هذه المثل . لقد فعل حزبنا ذلك حتى لا تتكرر ابدا الاحداث الفاجعة المرافقة لعبادة الفرد ، ولكى يستخلص جميع الذين يناضلون من اجل الاشتراكية دروسا من خبرتنا .

ان الحركة الشيوعية كلها فهمت الفهم الصحيح ، وايدت النضال ضد عبادة الفرد الغريبة عن الماركسية ـ اللينينية ، وضد عواقبها الضارة . وقد صادق القادة الصينيون ايضا فى حينه على هذا ، وتحدثوا عن الاهمية العالمية الهائلة للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتي .

قال الرفيق ماو تسى ـ تونغ عند افتتاحه المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى الصينى فى ايلول (سبتمبر) ١٩٥٦ :

« لقد عمل الرفاق السوفييتيون ، الشعب السوفييتي باشارة لينين . وفى اجل قصير احرزوا نجاحات باهرة . وفى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتي ، الذى انعقد منذ وقت قريب ، صيغت كذلك كثرة من التوجيهات السياسية الصحيحة ، وتعرضت النواقص

فى الحزب للشجب . ويمكن القول عن ثقة بان عملهم سيتطور فى المستقبل تطورا كبيرا للغاية » .

وفى التقرير السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، الذى قدمه فى المؤتمر الرفيق ليو شاو ـ تسى ، افصح عن هذا التقدير افصاحا اوسع :

« ان المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، المنعقد فى شباط (فبراير) العام الجارى هو اهم حدث سياسى يتسم باهمية عالمية . فان المؤتمر لم يكتف برسم البرنامج الخماسى السادس الجليل ، وبصياغة جملة كاملة من التوجيهات السياسية الفائقة الاهمية والرامية الى اطراد تطوير قضية الاشتراكية ، ولم يكتف بشجب عبادة الفرد التى آلت داخل الحزب الى عواقب خطيرة بل تقدم كذلك باقتراحات ترمى الى اطراد تطوير التعايش السلمى ، والتعاون الدولى ، واسهم بقسط بارز فى قضية انفراج التوتر الدولى » .

وقال الرفيق دن سياو ـ بين فى تقريره بصدد التعديلات فى نظام الحزب الداخلى امام المؤتمر الثامن ذاته للحزب الشيوعى الصينى :

« ان اللينينية تقتضى اتخاذ القرارات فى الحزب بصدد اهم القضايا كافة من قبل الجماعة المعنية لا من قبل فرد واحد . ولقد اعطى المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ايضاحات مقنعة بشأن الاهمية البالغة التى يتسم بها التقيد الثابت بمبدأ القيادة الجماعية ، والنضال ضد عبادة الفرد . وقد أثرت هذه الايضاحات تأثيرا هائلا لا فى الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وحسب ، بل ايضا فى الاحزاب الشيوعية الاخرى فى جميع بلدان العالم » .

وفى المقال المشهور « مرة اخرى بصدد التجربة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا » الذى وضعته هيئة تحرير جريدة « جينمين جيباو » (كانون الاول ـ ديسمبر ـ ١٩٥٦) كتب الرفاق الصينيون يقولون :

« لقد ابدى المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى بالغ الحزم والجرأة فى قضية محو عبادة ستالين ، واظهار اخطاء ستالين الخطيرة ، وتصفية عواقب اخطاء ستالين . وان الماركسيين ـ اللينينيين والناس الذين يعطفون على قضية الشيوعية يؤيدون فى العالم كله جهود الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى الرامية الى اصلاح الاخطاء ، ويتمنون للرفاق السوفييتيين ان تتكلل جهودهم بالنجاح التام » .

وانه كذلك .

ان اى انسان موضوعى يقارن هذه التصريحات للقادة الصينيين مع ما تقول رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى المؤرخة فى ١٤ حزيران (يونيو) ، يقتنع انهم قاموا بانعطاف على ١٨٠ درجة فى تقدير المؤتمر العشرين لحزبنا .

ولكن هل ان التأرجحات والترددات فى مثل هذه المسائل المبدئية مقبولة ؟ انها غير مقبولة بكل تأكيد . وهناك احد امرين : اما ان القادة الصينيين لم تكن عندهم سابقا خلافات مع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى بصدد هذه المسائل المبدئية ، واما ان هذه التصريحات جميعها كانت أكذوبة .

ومن المعلوم ان التطبيق هو احسن معيار للحقيقة .

والتطبيق بالذات يبرهن باقناع الى اى نتائج رائعة فى حياة بلادنا ادى تحقيق خط المؤتمرات العشرين والحادى والعشرين والثانى

والعشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى . ان المجتمع السوفييتى قد احرز ، خلال السنوات العشر التى أعقبت الانعطاف الحاد الذى قام به حزبنا باتجاه اعادة المبادئ والاصول اللينينية للحياة الحزبية ، نتائج جليلة حقا فى تطوير الاقتصاد ، وانهاض الثقافة والعلم ، وفى رفع مستوى رفاهية الشعب ، وفى تعزيز القدرة الدفاعية ، وفى نجاحات السياسة الخارجية .

وقد ذهب الى غير رجعة جو الخوف والتشكيك وعدم الاطمئنان ، الذى كان يسمم حياة الشعب فى مرحلة عبادة الفرد . ولا يمكن انكار واقع ان الانسان السوفييتى اصبح يعيش حياة احسن ، ويتمتع بنعم الاشتراكية . اسألوا العامل الذى حصل على شقة جديدة (وامثاله ملايين !) ، والمتقاعد المؤمن عند الشيخوخة ، والكولخوزى الذى كسب رغد العيش ، واسألوا آلافا وآلافا من الذين عانوا زورا من اعمال القمع فى مرحلة عبادة الفرد ، والذين اعيدت لهم الحرية والاسم الطيب ، تعلموا ما يعنى بالفعل ، بالنسبة للسوفييتى ، انتصار الاتجاه اللينينى للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى .

اسألوا الناس الذين اصبح آباؤهم وامهاتهم ضحايا اعمال القمع فى مرحلة عبادة الفرد ما يعنى بالنسبة لهم الحصول على الاعتراف بان آباءهم وامهاتهم واخوتهم كانوا اناسا شرفاء ، وانهم انفسهم ليسوا منبوذين من مجتمعنا ، بل هم ابناء وبنات الوطن السوفييتى الجديرون والكاملو الحقوق .

وحيثما وجهنا انظارنا ، نجد فى الصناعة والزراعة والثقافة والعلم والفن تقدما سريعا فى كل مكان . ان سفننا الكونية تمخر اليوم اجواز

الفضاء الكونى ، وفى هذا ايضا برهان رائع على صحة الاتجاه الذى يقود حزبنا فيه الشعب السوفييتى .

وطبيعى اننا لا نعتقد ان كل شيء لخير الانسان السوفييتى ولتحسين حياته قد تحقق عندنا . ان السوفييتيين يفهمون ان تنفيذ هذا المبدأ لا يتعلق برغبتنا فقط . فمن الضرورى بناء المجتمع الشيوعى وخلق وفرة الخيرات المادية . ولذا يكدح شعبنا باصرار من اجل خلق القيم المادية والروحية بمزيد من السرعة ، ومن اجل تقريب انتصار الشيوعية . وبوسع الجميع ان يروا اننا نسلك اتجاها صحيحا ، ونرى بوضوح آفاق تطورنا .

وقد رسم برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى خطة ملموسة لبناء الشيوعية . وسيؤمن تنفيذها للشعب السوفييتى اعلى مستوى حياة ، ويضع بداية الانتقال التدريجى الى مبدأ الشيوعية المنشود ، الا وهو «من كل حسب كفاءاته ، ولكل حسب حاجاته » .

انه من الغرابة والفظاظة ان يسمع السوفييتيون ان الرفاق الصينيين يحاولون التشهير ببرنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، هذه الخطة الجليلة لتشييد المجتمع الشيوعى .

ان قادة الحزب الشيوعى الصينى اذ يغمزون بان حزبنا يعلن النضال من اجل حياة افضل للشعب هدفا له ، يلمحون الى « برجزة » ما ، و « انتكاس » ما للمجتمع السوفييتى . ويستخلص من منطقهم انه اذا انتعل شعب ما احذية من القش ، وشرب شوربة الملفوف من قصعة مشتركة فتلك هى الشيوعية . اما اذا عاش انسان شغيل حياة حسنة ، ويريد ان يعيش غدا حياة احسن ايضا كاد ذلك ان يكون اعادة للرأسمالية !

انهم يريدون اتحافنا بمثل هذه الفلسفة وكأنها آخر فتح للماركسية ـ اللينينية ! ان هذا يعرى اصحاب مثل هذه « النظريات » كليا كأناس لا يثقون بقوى وكفاءات الطبقة العاملة التى اخذت السلطة بيدها وانشأت دولتها الخاصة ، الاشتراكية .

واذا ما توجه المرء الى تاريخ بلدنا ، والى برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى سهل عليه ان يرى من اين بدأنا حين اخذنا تحت قيادة لينين السلطة بايدينا واى ذرى بلغها الشعب السوفييتى . لقد تحول بلدنا الى دولة اشتراكية عظمى . ويحتل الاتحاد السوفييتى المكانة الاولى فى اوروبا والثانية فى العالم من حيث حجم الانتاج الصناعى ، وفى المدى القريب سيتجاوز الولايات المتحدة الاميركية ، ويتبوأ المكانة الاولى . ان الطبقة العاملة السوفييتية والفلاحين الكولخوزيين السوفييتيين والمثقفين السوفييتيين هم خالقو جميع انتصاراتنا .

اننا على يقين من ان مآثر العمل العظيمة قادر عليها لا الشعب السوفييتى وحده بل شعوب بلدان الاشتراكية الاخرى ايضا ، وكل ما هو ضرورى هو ان تتوفر القيادة الصحيحة حيال الطبقة العاملة والفلاحين ، من الضرورى ان يفكر الناس الذين يضطلعون بهذه القيادة التفكير الواقعى ، وان يتخذوا قرارات تتيح توجيه قوى الشغيلة وطاقتهم فى الطريق المستقيم .

ان القادة الصينيين فى محاولتهم تبرير عبادة الفرد كدسوا فى رسالتهم محاكمات بعيدة عن الماركسية حول النضال الطبقى فى الاتحاد السوفييتى ، وحول الموضوعات الخاطئة ، على حد زعمهم ، لبرنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، بصدد دولة الشعب

بأسره وحزب الشعب بأسره .

اننا لا ننوى ان ننظر فى هذه الرسالة الى جميع حججهم . ولا شك فى ان كل من يقرأ رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى المؤرخة فى ١٤ حزيران (يونيو) سيلفت نظره العجز التام ، والانفصال الكلى عن حياة الشعب السوفييتى اللذان تتسم بهما المحاكمات الواردة فى رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى . انهم يعظوننا بان فى المجتمع السوفييتى لا تزال هناك طبقات معادية ، ولذلك ما تزال هناك ، حسب قولهم ، ضرورة ديكتاتورية البروليتاريا . فما هى هذه الطبقات ؟ ويمكن الفهم من رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى انها « اوغال البرجوازية ، والطفيليون ، والمضاربون ، واللصوص ، والكسالى ، والزعران ، والمختلسون » .

فماذا نقول وللرفاق الصينيين تصور اصيل عن الطبقات والنضال الطبقى . فمن اى زمن تعتبر هذه العناصر الطفيلية طبقة ؟ واى طبقة ؟ هل طبقة الكسالى او طبقة الزعران او طبقة المختلسين ، او طبقة الطفيليين ؟ ان المجرمين لم يؤلفوا فى اى مجتمع طبقة معينة ، وهذا ما يعرفه حتى التلميذ . وبالطبع لا تؤلف هذه العناصر طبقة فى المجتمع الاشتراكى ايضا . انما هذه مظاهر بقايا الرأسمالية .

فمن اجل مكافحة هؤلاء الناس لاحاجة الى ديكتاتورية البروليتاريا . ودولة الشعب بأسره تستطيع كليا ان تقوم ، وهى تقوم بهذه المهمة . ونحن نعرف من خبرتنا العملية انه بقدر ما تحسن المنظمات الحزبية والنقابية وغيرها من المنظمات الاجتماعية عملها التربوى وبقدر ما يرتفع دور الرأى العام وبقدر ما تشتغل الميليشيا السوفييتية احسن ،

كان النضال ضد الاجرام اكثر فعالية .

ويستحيل تفنيد واقع ان المجتمع السوفييتى يتألف اليوم من الطبقتين الاساسيتين ، العمال والفلاحين ، وكذلك من المثقفين ، وان ما من طبقة فى المجتمع السوفييتى تحتل وضعا تستطيع معه ان تستثمر طبقات اخرى . ان الديكتاتورية هى مفهوم طبقى ؛ فعلى من يقترح الرفاق الصينيون ممارسة ديكتاتورية البروليتاريا فى الاتحاد السوفييتى : هل على الفلاحين الكولخوزيين ، او على مثقفى الشعب ؟ ولا يمكن ان يسقط من الحساب ان طبقة العمال وطبقة الفلاحين فى المجتمع الاشتراكى قد تغيرتا من حيث الجوهر ، وان الفوارق والحدود بينهما تمحى اكثر فأكثر .

ولم تعد الطبقة العاملة تمارس دورها القيادى بعد انتصار الاشتراكية الانتصار التام والنهائى عن طريق ديكتاتورية البروليتاريا . ان الطبقة العاملة تبقى اكثر طبقات المجتمع تقدما فى ظروف بناء الشيوعية على نطاق واسع ايضا . وان دورها الطليعى يحدده على حد سواء وضعها الاقتصادى ، اى ارتباطها المباشر ، باعلى شكل للملكية الاشتراكية ، وكونها تملك اكبر تمرس توصلت اليه خلال عشرات السنين من النضال الطبقى ، وتملك الخبرة الثورية .

ويستشهد الرفاق الصينيون بقول ماركس حول ان محتوى المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الشيوعية لا يمكن ان يكون الا ديكتاتورية البروليتاريا . ولكن ماركس اذ قال هذا كان يقصد الشيوعية ككل ، كتشكيلة اجتماعية اقتصادية واحدة (الاشتراكية هى الطور الاول منها) يستحيل الانتقال اليها بدون الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا .

وثمة عدد من اقوال لينين يشير بكل وضوح الى ان ديكتاتورية البروليتاريا ضرورية على وجه التدقيق من اجل تذليل مقاومة الطبقات المستثمرة وتنظيم البناء الاشتراكى وتأمين انتصار الاشتراكية ، الطور الاول من الشيوعية . ومفهوم من هنا ان الحاجة الى ديكتاتورية البروليتاريا تزول بعد انتصار الاشتراكية حين لا يبقى فى المجتمع الا الطبقات الكادحة المتصادقة والتى تغيرت كليا من حيث طبيعتها ، وحين لا يوجد من يوجه القمع ضده .

واذا استخلصنا المحتوى الحقيقى من كل تلك الكومة من المحاكمات النظرية المزعومة التى تحتوى عليها رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى هذه المسائل ، فانه يتلخص فيما يلى : ان الرفاق الصينيين يخرجون على خط الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى الرامى الى تطوير الديموقراطية الاشتراكية ، والذى اعلنت عنه بهذه القوة قرارات مؤتمرات حزبنا العشرين والحادى والعشرين والثانى والعشرين ، وبرنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى . وليس من باب الصدفة ابدا ان تخلو رسالتهم المسهبة كلها من اى موضع ولو لذكر تطور الديموقراطية فى ظروف الاشتراكية ، فى ظروف بناء الشيوعية .

ويصعب على المرء ان يحكم بكامل المدى فى الدوافع التى يسترشد بها الرفاق الصينيون فى ذودهم عن عبادة الفرد . واننا نصطدم لاول مرة ، من حيث الجوهر ، فى تاريخ الحركة الشيوعية العالمية ، باطراء سافر لعبادة الفرد . ولا بد ان نقول انه ، حتى فى مرحلة ازدهار عبادة الفرد فى بلادنا ، اضطر ستالين نفسه الى ان يتبرأ قولا من هذه النظرية البرجوازية الصغيرة ، وقال ان هذه النظرية تصدر عن الاشتراكيين - الثوريين .

ولا يمكن ان تثير محاولة الاستناد الى ماركس ولينين من اجل الدفاع عن ايديولوجية عبادة الفرد الا الدهشة . ترى ، ألا يعرف الرفاق الصينيون ان لينين حتى فى مرحلة ولادة حزبنا قام بنضال كبير ضد نظريات الشعبيين عن الابطال والجموع ، وان فى حياة لينين كانت تمارس الاساليب الجماعية حقا للقيادة فى اللجنة المركزية لحزبنا ، وفى الدولة السوفييتية ، وان لينين كان انسانا متواضعا بصورة غير عادية ، وانه ساط اقل مظاهر التملق والتذلل ازاءه بصورة لا هوادة فيها ؟

وبديهى ان النضال ضد عبادة الفرد لم يفهمه قط حزبنا او غيره من الاحزاب الماركسية ـ اللينينية ، كانكار لمكانة قادة الحزب والدولة . ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى اشار غير مرة بما فى ذلك فى المؤتمرين العشرين والثانى والعشرين الى ان الحزب يحرص على مكانة قيادته ، وان الحزب فى فضح وتقويض عبادة الفرد ونضاله ضد عواقبها ، يعلى من شأن اولئك الرجال الذين يعبرون بالفعل عن مصالح الشعب ، ويكرسون قواهم للنضال من اجل انتصار الشيوعية ، ويتمتعون لذلك بمكانة مستحقة .

ـ ٤ ـ

والمسألة الكبيرة التالية التى تحتل المركز فى الخلافات هى مسألة طرق واساليب نضال الطبقة العاملة الثورى فى بلدان الرأسمالية والنضال التحررى الوطنى ، وسبل انتقال البشرية جمعاء الى الاشتراكية .

وتبدو الخلافات فى هذه المسألة على النحو الذى يصورها فيه الرفاق الصينيون على الشكل التالى : الطرف الاول ، اى هم انفسهم ، الى جانب

الثورة العالمية ، بينما الطرف الآخر ، اى الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والاحزاب الماركسية ـ اللينينية ، قد نسى الثورة بل و« يخافها » ، وبدلا من أن يهتم بالنضال الثورى يهتم باشياء « غير لائقة » بالثورى الحقيقى كالسلام وتطوير البلدان الاشتراكية اقتصاديا ورفع رفاهية شعوبها ، وكالنضال فى سبيل حقوق الشغيلة الديموقراطية ومصالحهم الحيوية فى البلدان الرأسمالية .

أما فى الواقع فان الخط الفاصل بين آراء الحزب الشيوعى الصينى وآراء الحركة الشيوعية العالمية يقع فى ميدان آخر تماما : انهم ، اى قادة الحزب الشيوعى الصينى ، يحاججون بمناسبة وغير مناسبة فى الثورة العالمية ، ويتبجحون بكل مناسبة ، وكثيرا ما بغير اية مناسبة ، بالجملة « الثورية » ، بينما الآخرون ، اى الذين ينتقدهم الرفاق الصينيون بالذات ، يقفون من قضية الثورة بكل جدية ، وبدلا من أن يلفظوا الجمل الطنانة يعملون بكدح ساعين الى ايجاد أكثر طرق انتصار الاشتراكية وثوقا ، واكثرها تجاوبا مع ظروف العصر ، ويخوضون النضال العنيد من اجل الاستقلال الوطنى والديموقراطية والاشتراكية .

فلننظر الى آراء الرفاق الصينيين الاساسية فى مسائل الحركة الثورية الراهنة .

فهل يساعد على انتقال البلدان والشعوب الى الاشتراكية المبدأ القائل بوقف النضال من اجل السلام باسم « الثورة العالمية » والتخلى عن سياسة التعايش السلمى والمباراة الاقتصادية السلمية ، وعن النضال فى سبيل مصالح الشغيلة الحيوية ، والتحويلات الديموقراطية فى بلدان الرأسمالية ؟ وهل من الصحيح ان شيوعيى بلدان الاشتراكية ، فى وقوفهم الى جانب

السلام ، وفى ممارستهم سياسة التعايش السلمى ، يفكرون بانفسهم فقط ناسين اخوتهم فى الطبقة فى بلدان الرأسمال ؟

ان كل من فكر فى مغزى النضال الراهن فى سبيل السلام وضد الحرب النووية الحرارية يفهم ان الشيوعيين السوفييتيين والاحزاب الشقيقة فى البلدان الاشتراكية الاخرى يقدمون ، عن طريق سياسة السلام التى يمارسونها مساعدة لا تقدر بثمن للطبقة العاملة والشغيلة فى البلدان الرأسمالية . وليس المقصود هنا فقط أن درء الحرب النووية يعنى انقاذ الطبقة العاملة وشعوب بلدان بكاملها ، وحتى قارات من الهلاك . وان كان هذا وحده يبرر كل سياستنا .

والمقصود ايضا ان هذه السياسة أفضل طريق لمساعدة الحركة العمالية الثورية العالمية فى بلوغ اهدافها الطبقية الاساسية . أليس اسهاما هائلا فى نضال الطبقة العاملة أن تحرز بلدان الاشتراكية فى ظروف السلم الذى ظفرت به بنفسها نجاحات رائعة فى تطوير الاقتصاد ، وتحرز انتصارات أجد فأجد فى العلم والتكنيك ، وتحسن باستمرار ظروف حياة الناس وعملهم ، وتطور وتتقن الديموقراطية الاشتراكية ؟

ان كل عامل فى بلد رأسمالى ، وهو يرى هذه النجاحات والانتصارات لا بد ان يقول : « ان الاشتراكية تبرهن فى الواقع على انها احسن من الرأسمالية ، ومثل هذا النظام يستحق النضال من أجله » . وتكسب الاشتراكية فى الظروف الراهنة قلوب الناس وعقولهم لا عن طريق الكتب فقط ، بل عن طريق اعمالها وقدوتها الحية قبل كل شىء .

ويرى تصريح ١٩٦٠ ان السمة المميزة الرئيسية لعصرنا تتمثل فى ان النظام الاشتراكى العالمى يتحول الى العامل الحاسم لتطور المجتمع

البشرى . وقد أنتهت جميع الاحزاب الشيوعية التى اشتركت فى الاجتماع الى استنتاج مشترك تقف بموجبه الطبقة العاملة العالمية ووليدها نظام الاشتراكية العالمى فى مركز العصر الراهن .

ان حل جميع مهام الحركة الثورية الأخرى يتوقف بقدر هائل على توطيد نظام الاشتراكية العالمى . ولهذا السبب تعهدت الاحزاب الشيوعية والعمالية على « ان تعزز بلا كلل الرابطة الاشتراكية الكبرى للشعوب ، هذه الرابطة التى يزداد دورها العالمى وتأثيرها فى سير الاحداث العالمية سنة بعد أخرى » . ويرى حزبنا واجبه الأممى الاسمى فى تحقيق هذه المهمة ذات الاهمية القصوى .

ولقد علم لينين « . . . اننا نؤثر فى الثورة العالمية تأثيرنا الرئيسى بسياستنا الاقتصادية . . . وقد نقل الى هذا الميدان النضال على الصعيد العالمى . واذا حللنا هذه المهمة انتصرنا فى النطاق العالمى حتما وبشكل نهائى » (المؤلفات ، المجلد ٣٢ ، ص ٤١٣) .

والشيوعيون السوفييتيون قد استوعبوا برسوخ وصية لينين العظيم ويتبعها شيوعيو البلدان الاشتراكية الاخرى . ولكن هناك ، كما يظهر ، رفاق قرروا أن لينين على غير حق .

فاى شيء هذا ؟ أهو عدم الوثوق بقدرة بلدان الاشتراكية فى الانتصار على الرأسمالية فى المباراة الاقتصادية ؟ أم هو موقف الذين اصطدموا بصعوبات بناء الاشتراكية ، ومنوا بخيبة ، وهم لا يرون امكانية احداث التأثير الرئيسى فى الحركة الثورية العالمية بفضل نجاحاتهم الاقتصادية ، وبضربهم المثال على بناء الاشتراكية الناجح فى بلدانهم ؟ فهم يريدون

بلوغ الثورة أسرع بطرق أخرى هى ، كما يخيل لهم ، طرق أقصر . غير أن الثورة الظافرة لا يمكنها أن توطد نجاحاتها وتطورها ، ولا يمكنها ان تبرهن على مزايا الاشتراكية على الرأسمالية بغير كدح الشعب ، وبالكدح وحده . صحيح أن ذلك غير سهل خاصة اذا قامت الثورات فى بلدان ورثت من الماضى اقتصادا ضعيف التطور . ولكن مثال الاتحاد السوفييتى ، وكثرة من البلدان الاشتراكية الاخرى يظهر باقناع أن فى هذه الظروف ايضا يمكن تحقيق نجاحات هائلة ، واظهار مزايا الاشتراكية ازاء الرأسمالية لكل العالم ، وذلك اذا وجدت القيادة الصحيحة .

ومن ثم فاى ظروف أكثر فائدة لنضال الطبقة العاملة الثورى فى البلدان الرأسمالية : ظروف السلام والتعايش السلمى ام ظروف التوتر الدولى الدائم و« الحرب الباردة » ؟

ان الجواب عن هذا السؤال لا يثير اى تردد . فمن ذا الذى لا يعرف أن الاوساط الحاكمة فى الدول الاستعمارية تستغل ظروف « الحرب الباردة » لتأجيج الشوفينية والهيستريا الحربية والعداء المنفلت للشيوعية ، ومن أجل الاتيان الى السلطان بأكثر الرجعيين والميالين الى الفاشية مغالاة ، ولالغاء الديموقراطية ، والتنكيل بالاحزاب السياسية والنقابات وغيرها من المنظمات الجماهيرية للطبقة العاملة .

ونضال الشيوعيين فى سبيل السلام يعزز بصورة هائلة صلاتهم مع الجماهير ، ويوطد مكانهم وتأثيرهم ، وذلك يعنى أنه يساعد فى ايجاد ما يسمى بجيش الثورة السياسى .

ولا يعيق مطلقا النضال فى سبيل السلام والتعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، ولا يطيل النضال فى سبيل بلوغ

الاهداف النهائية للطبقة العاملة العالمية ، بل بالعكس ، انه يمكن من تطوير هذا النضال التطوير الكامل .

ويصعب على المرء أن يصدق أن الرفاق الصينيين ، وهم المحنكون الذين قاموا انفسهم بثورة ، لا يفهمون الشيء الاساسى : ان الثورة العالمية تسير اليوم عن طريق توطيد نظام الاشتراكية العالمى ، وعن طريق نضال العمال الطبقى الثورى فى البلدان الرأسمالية ، وعن طريق النضال من أجل حركة التحرر الوطنى ، وتعزيز الاستقلال السياسى وعدم التبعية الاقتصادية للبلدان المتحررة فى آسيا وافريقيا ، وعن طريق النضال من اجل السلم ، وضد الحروب العدوانية ، وعن طريق نضال الجماهير الشعبية ضد الاحتكارات على السواء ، وعن طرق أخرى كثيرة يجب أن لا تعارض احداها بأخرى ، بل أن توحّد وتوجه الى هدف واحد هو الاطاحة بسيطرة الاستعمار .

ويتهم الرفاق الصينيون بمباهاة وبشكل مهين الاحزاب الشيوعية فى فرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الاميركية وغيرها من البلدان بالانتهازية والاصلاحية و« البلاهة البرلمانية » وحتى بالانزلاق « الى الاشتراكية البرجوازية » ، بكل ذلك لا اكثر ولا اقل . فعلى اى اساس ؟ على اساس ان هذه الاحزاب الشيوعية لا ترفع شعار الثورة البروليتارية الفورية ، مع انه يجب على القادة الصينيين ايضا ان يفهموا أن هذا لا يمكن فعله بدون وجود وضع ثورى .

وكل ماركسى ـ لينينى متعلم يعرف ان رفع شعار الانتفاضة المسلحة قبل اوانه حين ينعدم الوضع الثورى فى البلد ، يعنى الحكم على الطبقة العاملة بالهزيمة . ومن المعلوم باى جد بالغ عالج لينين هذه القضية ،

وبأى تبصر سياسى والمام بالظروف الملموسة وقف من مسألة اختيار لحظة البدء بالثورة . وقد اشار لينين فى عشية ثورة اكتوبر ذاتها الى أن الرابع والعشرين من اكتوبر هو موعد مبكر ، والسادس والعشرين موعد متأخر لأن من المحتمل فقدان كل شىء فيه ، وبالتالى فلا بد من أخذ السلطة فى الخامس والعشرين حتما . فمن الذى يحدد درجة حدة التناقضات الطبقية ، ووجود الوضع الثورى ويختار لحظة البدء ؟ لا يمكن ان يقوم بذلك الا الطبقة العاملة فى كل بلد ، وطليعتها الحزب الماركسى ـ اللينينى .

ان تاريخ الحركة العمالية العالمية يظهر ان الحزب الذى يسمى نفسه حزبا عماليا ولا ينصرف الا الى المسائل الاقتصادية ، ولا يربى الطبقة العاملة بروح ثورية ، ولا يعدها للنضال السياسى وللاستيلاء على السلطة انما هو حزب سيىء . وفى هذه الحال ينزلق حتما الى مواقع الاصلاحية . ولكن الحزب الذى يضع مهمات النضال السياسى بمعزل عن النضال من أجل تحسين وضع الطبقة العاملة والفلاحين وجميع الشغيلة الاقتصادى هو الآخر حزب سيىء ايضا . فمثل هذا الحزب ينفصل لا محالة عن الجماهير . ولا يمكن للحزب ان يصبح حزبا ثوريا حقا ، حزبا ماركسيا ـ لينينيا ، وزعيما للجماهير ، ولا يمكن له أن يقود الطبقة العاملة بنجاح الى الهجوم على الرأسمال ، والى الاستيلاء على السلطة الا اذا استغل جميع اشكال النضال الطبقى الاستغلال الصحيح ، والا اذا جمع بينها بمهارة .

ويرى القادة الصينيون أن الخطيئة المميتة التى تقترفها الكثير من الاحزاب الشيوعية فى البلدان الرأسمالية المتطورة هى فى كون هذه الاحزاب

ترى مهامها المباشرة فى النضال من اجل مصالح الشغيلة الاقتصادية والاجتماعية ومن اجل الاصلاحات الديموقراطية التى يمكن تحقيقها فى نفس ظل الرأسمالية ، والتى تسهل الظروف الحياتية للطبقة العاملة والفلاحين وفئات البرجوازية الصغيرة من السكان والتى تسهم فى انشاء جبهة واسعة مضادة للاحتكارات تكون اساسا للنضال اللاحق فى سبيل انتصار الثورة الاشتراكية ، اى تنصرف بالضبط الى ما سجل فى تصريح موسكو عام ١٩٦٠ .

ان الرفاق الصينيين فى وقوفهم ضد كل ما تنهمك فيه الاحزاب الشيوعية فى بلدان الرأسمالية المتطورة فى الوقت الحاضر لم يبدوا ابسط شعور التضامن مع الشيوعيين المكافحين ضد الرأسمال فى الصف الاول من النضال الطبقى ، ولا تفهما للظروف الملموسة فى هذه البلدان ، وللطرق الخاصة التى تسير عليها الحركة الثورية للطبقة العاملة . وهم يرفضون « باسم الثورة » ، فى حقيقة الامر ، تلك الطرق بالضبط ، التى تؤدى الى الثورة ، ويفرضون نهجا من شأنه ان يؤدى بالاحزاب الشيوعية الى انعزال عن الجماهير ، والى ان تفقد الطبقة العاملة حلفاءها فى النضال ضد سيطرة الاحتكارات ، ضد الرأسمالية .

كما اختلف الرفاق الصينيون مع الحركة الشيوعية العالمية فى مسألة اشكال انتقال البلدان المختلفة الى الاشتراكية .

ومن المعلوم أن الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الماركسية ـ اللينينية تنطلق ، كما جاء بوضوح فى وثائق اجتماعات موسكو ، وفى برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، من امكانية الانتقال السلمى وغير السلمى الى الاشتراكية . ورغم ذلك

ينسب الرفاق الصينيون بعناد الى حزبنا والاحزاب الشقيقة الاخرى انها لا تعترف الا بالسبيل السلمى وحده .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى قد عرضت مرة اخرى فى رسالتها المؤرخة فى ٣٠ آذار (مارس) ١٩٦٣ موقفها من هذه المسألة :

« ان الطبقة العاملة وطليعتها الاحزاب الماركسية ـ اللينينية تسعى الى تحقيق الثورة الاشتراكية عن طريق سلمى ، بدون حرب أهلية . وتنفيذ هذه الامكانية يتماشى ومصالح الطبقة العاملة والشعب بأسره ، والمصالح الوطنية العامة للبلد . ومع ذلك فان اختيار طرق تطور الثورة لا يتعلق بالطبقة العاملة وحدها . فاذا التجأت الطبقات المستثمرة الى العنف على الشعب اضطرت الطبقة العاملة الى استخدام الطريق غير السلمى للظفر بالسلطة . وكل شىء متعلق على الظروف الملموسة وتوزع القوى الطبقية داخل البلد وعلى المسرح العالمى .

وطبيعى أنه مهما كان شكل الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية فانه غير ممكن الا عن طريق الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا بمختلف اشكالها . ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، فى تقديره اسمى التقدير النضال المتفانى الذى تخوضه الطبقة العاملة ، وعلى رأسها الشيوعيون فى بلدان الرأسمال ، يرى من واجبه تقديم كل مساعدة وتأييد لها » .

وقد شرحنا مرات كثيرة وجهة نظرنا ، ولا حاجة الى عرضها هنا بشكل أكثر تفصيلا .

فما هو موقف الرفاق الصينيين من هذه المسألة ؟ انه يمر كخط

أحمر خلال كل تصريحاتهم وكتاباتهم وخلال رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى المؤرخة فى ١٤ حزيران (يونيو) .

ويعتبر الرفاق الصينيون المعيار الاساسى للثورية الاعتراف بالانتفاضة المسلحة على الدوام ، وفى كل أمر ، وفى كل مكان . وبالتالى ينكر الرفاق الصينيون عمليا امكانيات استخدام الاشكال السلمية للنضال من اجل انتصار الثورة الاشتراكية بينما تعلم الماركسية ـ اللينينية أنه ينبغى على الشيوعيين استيعاب جميع اشكال النضال الطبقى الثورى العنيفة منها وغير العنيفة .

وثمة مسألة مهمة أخرى هى مسألة الصلة بين نضال الطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطنى لشعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

ان الحركة العمالية الثورية العالمية الممثلة اليوم فى نظام الاشتراكية العالمى ، والاحزاب الشيوعية فى البلدان الرأسمالية على السواء ، وحركة التحرر الوطنى لشعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية انما هما قوتان عظيمتان للعصر الراهن . وتؤلف العلاقات المتبادلة الصحيحة بينهما شرطا من اهم شروط الانتصار على الاستعمار .

فكيف يحل الرفاق الصينيون هذه المسألة ؟ ان هذا يبدو من « نظريتهم » الجديدة القائلة أن تناقض عصرنا الاساسى هو ، كما يظهر ، ليس التناقض بين الاشتراكية والاستعمار بل بين حركة التحرر الوطنى والاستعمار . ويرى الرفاق الصينيون أن القوة الحاسمة فى النضال ضد الاستعمار ليست هى نظام الاشتراكية العالمى ولا نضال الطبقة العاملة العالمية بل حركة التحرر الوطنى فى هذه المرة أيضا .

وبذلك يريد الرفاق الصينيون ، كما يبدو ، أن يظفروا ، فى أسهل

الطرق ، بشعبية بين شعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية . ولكن حذار من ان ينخدع أحد بهذه « النظرية » . ومغزى هذه النظرية الحقيقى ، أراد النظريون الصينيون ذلك أم ابوا ، هو عزل حركة التحرر الوطنى عن الطبقة العاملة العالمية ووليدها نظام الاشتراكية العالمى . ولكن فى ذلك يكمن خطر جسيم لحركة التحرر الوطنى ذاتها .

وبالفعل هل كان فى امكان الكثير من شعوب آسيا ، رغم كل بسالتها ونكران الذات ، ان تنتصر ، لو لم تزعزع ثورة اكتوبر ، ومن ثم انشاء نظام الاشتراكية العالمى الاستعمار من اساسه ، ولو لم تقوضا قوى المستعمرين ؟

ألا ترى الشعوب المتحررة اليوم وقد دخلت مرحلة جديدة من نضالها ، مركزة جهودها فى تعزيز المكتسبات السياسية والاستقلال الاقتصادى ، أن حل هذه المهام كان اصعب بما لا يقاس بل من المستحيل تماما لولا مساعدة الدول الاشتراكية ؟

ان الماركسيين ـ اللينينيين يشيرون على الدوام الى ما لحركة التحرر الوطنى ولمستقبلها العظيم من اهمية تاريخية عالمية . ولكنهم يعتبرون شرطا من الشروط الرئيسية لانتصاراتها اللاحقة التحالف الوطيد والتعاون مع بلدان نظام الاشتراكية العالمى بوصفها القوة الرئيسية فى النضال ضد الاستعمار والتحالف الوطيد مع الحركة العمالية فى البلدان الرأسمالية . وهذا الموقف حدده تصريح ١٩٦٠ وهو يرتكز على الفكرة اللينينية القائلة بقيادة (زعامة) الطبقة العاملة كشرط للانتصار فى النضال ضد الاستعمار . ولن تكتسب هذه الحركة فى آخر المطاف طابعا اشتراكيا حقا ، ولن تنتهى الى الانتقال الى طريق الثورة الاشتراكية الا بشرط

مثل هذه الزعامة .

وقد أختبرت فكرة لينين هذه بتجربة ثورة اكتوبر وبتجربة البلدان الأخرى ، وهى لا تثير الشك عند أحد . ولكن ظهر أن الرفاق الصينيين يريدون « تصحيح » لينين وأن يبرهنوا على أن البرجوازية الصغيرة او البرجوازية الوطنية ، أو حتى « بعض الملوك والامراء والارستقراطيين من ذوى الميول الوطنية » ، لا الطبقة العاملة ، يجب ان يكونوا الزعيم فى النضال العالمى ضد الاستعمار . وتعظ قيادة الحزب الشيوعى الصينى ، بعد كل هذا ، الحركة الشيوعية العالمية بان من غير الممكن فقدان الموقف الطبقى البروليتارى أبدا ، ولا فى اى ظروف كانت !

ان ضمان الانتصارات المقبلة للطبقة العالمية وحركة التحرر الوطنى على السواء رهن بالتحالف الوطيد والتعاون بينهما ، ونضالهما المشترك ضد الاستعمار ، هذا النضال الذى تمليه المصالح المشتركة والذى تكتسب الطبقة العاملة فيه بتفانيها وخدمتها لمصالح جميع الشعوب بنكران الذات ، الاعتراف بدورها القيادى ، وتقنع حلفاءها ان قيادتها ضمان موثوق به لانتصارها وانتصار حلفائها على حد سواء .

وينظر حزبنا اللينينى الى حركة التحرر الوطنى نظراته الى جزء من الاجزاء التى تكون المجرى الثورى العالمى ، نظراته الى قوة جبارة تقف ضد الاستعمار . وقد أصبح النداء العظيم لمؤسسى الشيوعية العلمية ، ماركس وانجلس ، « يا عمال العالم أتحدوا ! » راية كفاحية للبروليتاريا العالمية . وقد أشار مواصل قضية ماركس وأنجلس فلاديمير ايليتش لينين بشكل خاص فى ظروف تاريخية جديدة نشأت بعد انتصار ثورة اكتوبر العظمى الى الصلة التى لا تنفصم بين الثورة الاشتراكية وحركة

التحرر الوطنى .

ان شعار « يا عمال العالم اتحدوا ! » كان ولا يزال الشعار الرئيسى للنضال من اجل انتصار الثورة العالمية . وفى الظروف الجديدة اتسع مضمون هذا الشعار . ان لينين ، كما هو معلوم ، قد صادق على شعار « يا عمال العالم والشعوب المظلومة اتحدوا ! » . ويشير هذا الشعار الى دور البروليتاريا القيادى ، والى تنامى اهمية حركة التحرر الوطنى . ويتقيد حزبنا فى كل نشاطه بدقة بهذا المبدأ الاممى الماركسى - اللينينى .

ويبرز سؤال : بماذا تفسر المبادئ غير الصحيحة لقيادة الحزب الشيوعى الصينى فى قضايا العصر الراهن الجذرية ؟ اما بانفصال الرفاق الصينيين عن الواقع الفعلى انفصالا تاما ، وموقف الجمود العقائدى الكتبى من قضايا الحرب والسلام والثورة ، وعدم فهم الظروف الملموسة فى العصر الراهن . واما بوجود اهداف اخرى لا تمت بصلة الى الثورة وراء الضجة المصمة حول « الثورة العالمية » ، تلك الضجة التى اثارها الرفاق الصينيون .

ويظهر من كل هذا خطأ وضرر النهج الذى تفرضه قيادة الحزب الشيوعى الصينى على الحركة الشيوعية العالمية . ان ما يقترحه القادة الصينيون « كخط عام » ما هو الا تعداد لأعم مهام الطبقة العاملة دون ان يحسب حساب للزمن وتناسب القوى الطبقية الفعلى ، ودون ان يحسب حساب لخصائص المرحلة التاريخية الراهنة . أن الرفاق الصينيين لا يلحظون ، أو لا يريدون ان يلحظوا كيف يتغير شكل مهام حركتنا فى ظروف العصر الراهن . انهم فى حصرهم الخط العام فى مهام عامة تحافظ على مفعوليتها فى كل مراحل الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يجردونه عن طابعه

الواقعي ووحدة اهدافه ، وفعاليته الحقيقية :

ان الاحزاب الشقيقة فى صياغة نهجها الراهن حللت ، بصورة ملموسة ، توزع القوى الطبقية سواء فى بلدان منفردة او على الصعيد العالمى ، وخصائص تطور النظامين المتعارضين وتطور حركة التحرر الوطنى فى المرحلة الراهنة .

ان التحليل الدقيق للتغيرات فى الوضع العالمى قد مكن الاحزاب الشقيقة فى العالم أجمع من صياغة تعريف ماركسى - لينينى للعصر : « ان عصرنا ومضمونه الاساسى الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية الذى بدأته ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، هو عصر النضال بين النظامين الاجتماعيين المتضادين ، عصر الثورات الاشتراكية والثورات الوطنية التحررية ، عصر انهيار الاستعمار ، وتصفية نظام المستعمرات ، عصر انتقال شعوب جديدة وجديدة الى طريق الاشتراكية ، عصر انتصار الاشتراكية والشيوعية فى نطاق العالم كله » .

وقد جاء تعريف العصر الراهن أساسا للموقف الصحيح عند وضع ستراتيجية الحركة الشيوعية العالمية وتاكتيكها .

وحددت الاحزاب الماركسية - اللينينية خطها المشترك الذى تنحصر مبادئه الاساسية فيما يلى :

– ان طابع المجرى الثورى العالمى ، ومحتواه فى العصر الراهن يحددهما امتزاج نضال الشعوب التى تبنى الاشتراكية والشيوعية ضد الاستعمار ، والحركة الثورية للطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية ، والنضال التحررى الوطنى للشعوب المظلومة ، والحركات الديموقراطية

العامة فى سيل واحد ؛ ويعود الدور الحاسم فى تحالف القوى الثورية المناهضة للاستعمار الى الطبقة العاملة العالمية ووليدها الرئيسى ، نظام الاشتراكية العالمى ، الذى يمارس تأثيره الرئيسى فى تطور الثورة الاشتراكية العالمية بقوة المثال ، وببنائه الاقتصادى ؛

— نظرا للاوضاع التاريخية الموضوعية الناشئة (زيادة عدوانية الاستعمار الى آخر حد ، وظهور سلاح ذى قوة تدميرية هائلة وما الى ذلك) فان النضال من اجل درء الحرب النووية الحرارية يحتل الصدارة بين جميع المهام التى تواجه القوى المناهضة للاستعمار فى العصر الراهن . ان المهمة الاولية للاحزاب الشيوعية هى رص جميع القوى المحبة للسلام للدفاع عن السلم ، وانقاذ البشرية من كارثة نووية ؛

— تتحقق الثورة الاشتراكية نتيجة للتطور الداخلى للنضال الطبقى فى كل بلد ، وتحدد اشكالها وطرقها وفق الظروف الملموسة فى البلد المعنى . ان الاطاحة بسلطة الرأسمال عن طريق ثورى ، واقامة ديكتاتورية البروليتاريا فى هذا الشكل او ذاك انما هما قانون عام . وتتلخص مهمة الطبقة العاملة والاحزاب الشيوعية فى ان تستخدم ، الى اقصى حد ، الامكانيات المتوفرة اليوم للطريق السلمى غير المرتبط بحرب اهلية للثورة الاشتراكية ، وان تكون فى نفس الوقت مستعدة للطريق غير السلمى ، لقمع مقاومة البرجوازية المسلح ؛ والنضال الديموقراطى العام هو جزء لا بد منه من الاجزاء المكونة للنضال من اجل الاشتراكية ؛

— تتلخص اهداف الطبقة العاملة والاحزاب الشيوعية فى حركة التحرر الوطنى فى السير حتى النهاية بمهام الثورة الديموقراطية المناهضة

للاستعمار ، وفى تطوير وتوطيد الجبهة الوطنية القائمة على التحالف مع الفلاحين والبرجوازية الوطنية ذات النزعات الوطنية ، وفى تحضير الظروف من اجل انشاء دولة الديموقراطية الوطنية ، والانتقال الى الطريق غير الرأسمالى للتطور ؛

– ان علاقات التعاون والتعاضد بين البلدان الاشتراكية ، ولحمة ووحدة الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ، والاخلاص للمواقف والتقديرات التى تم وضعها بصورة مشتركة ، وللمبادئ اللينينية لحياة الحزب والعلاقات المتبادلة بينها ، كل هذا يؤلف الشروط الضرورية لحل المهام التاريخية التى تواجه الشيوعيين حلا ناجحا .

هذه هى الطرق الاساسية لتطور المجرى الثورى العالمى فى العصر الراهن ، هذه هى المبادئ الاساسية للخط العام فى الحركة الشيوعية العالمية فى المرحلة الراهنة . ان النضال فى سبيل السلام والديموقراطية والاستقلال الوطنى والاشتراكية هو بايجاز جوهر هذا الخط العام . وتطبيق هذا الخط التطبيق المنسجم ضمان نجاحات الحركة الشيوعية العالمية .

ان جميع هذه الموضوعات المبدئية الفائقة الاهمية للحركة الشيوعية العلمية فى الظروف الراهنة والتى وضعتها الاحزاب الشيوعية و العمالية الشقيقة بصورة جماعية فى البيان والتصريح قد انعكست فى البرنامج الجديد للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، هذا البرنامج الذى يقوم بكليته على استخلاص ماركسى - لينينى للتجربة الثورية فى بلدنا ، وفى الصعيد العالمى على السواء .

ان آراء قادة الحزب الشيوعى الصينى الخاطئة فى المسائل السياسية والنظرية الجذرية للعصر الراهن مرتبطة بصورة لا تنفصم بنشاطهم العملى الموجه الى تقويض وحدة المعسكر الاشتراكى العالمى ، والحركة الشيوعية العالمية .

ويعترف الرفاق الصينيون بالقول بان وحدة الاتحاد السوفييتى وجمهورية الصين الشعبية هى سند كل الرابطة الاشتراكية ، ولكنهم بالفعل يقوضون الصلات مع حزبنا وبلدنا فى جميع الاتجاهات .

وكثيرا ما تتحدث قيادة الحزب الشيوعى الصينى عن اخلاصها لرابطة البلدان الاشتراكية ، غير ان موقف الرفاق الصينيين من هذه الرابطة يفند تصريحاتهم الطنانة .

ويبين الاحصاء ان جمهورية الصين الشعبية خفضت فى بحر السنوات الثلاث الاخيرة حجم التجارة مع بلدان الرابطة الاشتراكية الى اقل من النصف . وقد شعرت بعض البلدان الاشتراكية بصورة حادة على نحو خاص بنتائج اتجاه الرفاق الصينيين هذا .

ان اعمال القيادة الصينية فى تناقض صارخ لا مع مبادئ العلاقات بين البلدان الاشتراكية فحسب ، بل فى بعض الاحوال مع القواعد والاصول المعترف بها من قبل الجميع ، والتى يجب ان تتمسك بها جميع الدول ايضا .

ان انتهاك الاتفاقات الموقعة سابقا قد الحق خسارة جدية بالاقتصاد الوطنى فى بعض الدول الاشتراكية . ومن المفهوم تماما ان خسارة غير

صغيرة يتحملها كذلك اقتصاد الصين ذاتها من جراء تقليص العلاقات الاقتصادية .

ان قيادة الحزب الشيوعى الصينى فى سعيها الى تبرير اعمالها فى عيون الجماهير الشعبية قد تقدمت منذ وقت قصير بنظرية « الاستناد الى القوى الخاصة » . ان القيام ببناء الاشتراكية فى كل بلد بالاستناد الى جهود الشعب الخاصة قبل كل شىء وباستخدام الموارد الداخلية للبلد على احسن صورة ، انما هو بوجه عام طريق صحيح لانشاء القاعدة المادية والتكنيكية للاشتراكية . ان قضية بناء الاشتراكية فى كل بلد هى قبل كل شىء قضية تخص شعب هذا البلد ، وطبقته العاملة ، والحزب الشيوعى .

ولقد اضطر الاتحاد السوفييتى الذى كان اول بلد اشتراكى الى بناء الاشتراكية استنادا الى قواه الخاصة وحدها ، واستخداما للموارد الداخلية. ومع انه يوجد اليوم نظام البلدان الاشتراكية الا ان هذا لا يعنى اطلاقا ان شعبا فى بلد ما بامكانه ان يجلس مكتوف اليدين معللا نفسه بعون البلدان الاشتراكية الاخرى وحده . ويعتبر الحزب الشيوعى فى كل بلد اشتراكى من واجبه تعبئة جميع الموارد الداخلية من اجل البناء الاقتصادى الناجح . ولذا فان المعنى المباشر لتصريح اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى حول تحقيق بناء الاشتراكية بالقوى الخاصة بصورة رئيسية ما كان يثير الاعتراضات .

ولكن هذه الموضوعة ، كما يتبين من كل نص رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، والتصريحات الكثيرة فى الصحافة الصينية ، تتضمن من الناحية الفعلية محتوى ليس من الممكن مطلقا

الموافقة عليه .

ويخفى وراء صيغة « بناء الاشتراكية بالقوى الخاصة بصورة رئيسية» مفهوم انشاء اقتصادات وطنية مكتفية ذاتيا تنحصر العلاقات الاقتصادية بالنسبة لها مع البلدان الاخرى فى التجارة وحدها . ويسعى الرفاق الصينيون الى فرض هذا الموقف على البلدان الاشتراكية الاخرى .

ان اعلان نهج « الاستناد الى القوى الخاصة » قد احتاجت اليه ، على ما يبدو ، قيادة الحزب الشيوعى الصينى من اجل اضعاف عرى الصداقة الوثيقة بين البلدان الاشتراكية . ولا تمت هذه السياسة بالطبع باية صلة الى مبادئ الاممية الاشتراكية . ولا يمكن تقديرها الا بوصفها محاولة لتقويض وحدة الرابطة الاشتراكية .

وقد قامت قيادة الحزب الشيوعى الصينى الى جانب نهج تقليص العلاقات الاقتصادية بجملة من التدابير الموجهة الى توتير العلاقات مع الاتحاد السوفييتى .

ان القادة الصينيين لا يقوضون لحمة المعسكر الاشتراكى وحده بل والحركة الشيوعية العالمية كلها واطئين على مبادئ الاممية البروليتارية ، ومخلين بفظاظة باصول العلاقات المتبادلة بين الاحزاب الشقيقة .

وتنظم قيادة الحزب الشيوعى الصينى وتؤيد مختلف الفرق المعادية للحزب من المنبوذين ، التى تقوم ضد الاحزاب الشيوعية فى الولايات المتحدة الاميركية والبرازيل وايطاليا وبلجيكا واوستراليا والهند . ففى بلجيكا مثلا تقدم قيادة الحزب الشيوعى الصينى تأييدا لفرقة « غريب » المطرودة من الحزب فى المؤتمر الاخير ، وفى الولايات المتحدة يحظى بالتأييد النشاط التخريبى لتكتل « المطرقة والفولاذ » الانتهازى اليسارى

الذى جعل هدفه الرئيسى النضال ضد الحزب الشيوعى فى الولايات المتحدة الاميركية . وتحظى فى البرازيل بتأييد الرفاق الصينيين فرق تكتلية طردت من صفوف الحزب (كفريق امازوناس — غرابويس) .

وفى اوستراليا حاولت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى تنظيم نشاط انشقاقى ضد الحزب الشيوعى وقيادته بمساعدة « هيل » احد الاعضاء السابقين فى القيادة . ان « هيل » عندما زار فى حينه جمهورية الصين الشعبية وقف علانية ضد الحزب الشيوعى الاوسترالى ، وحاول ان يكتل حوله شركاءه بالفكر . وبعد ان طرد الحزب الشيوعى الاوسترالى « هيل » من قوام اللجنة المركزية للحزب توجه الى بيكين بشكل يلفت الانظار .

وفى ايطاليا يشجع الممثلون الصينيون نشاط فريق المشتغلين السابقين فى اتحاد بادوا للحزب الشيوعى الذين اصدروا المناشير الحاوية على نداء استفزازى للانتفاضة « الثورية » .

ويبذل الرفاق من الحزب الشيوعى الصينى جهدهم بصورة خاصة للقيام بعمل تخريبى فى الاحزاب الشيوعية والعمالية فى بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

ان القادة الصينيين اذ يرفعون الى الذرى المنبوذين والمرتدين الذين وجدوا انفسهم خارج صفوف الحركة الشيوعية يعيدون فى صحفهم ومجلاتهم نشر مقالات افترائية مستقاة من نشرات هذه الفرق المرتدة وموجهة ضد سياسة الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، وضد خط الحركة الشيوعية العالمية كلها .

ويقيم الممثلون الصينيون فى سيلان صلة وثيقة مع فريق ساماراكودى

الذى هو اداة « الاممية الرابعة » التروتسكية .

ان التروتسكيين من « الاممية الرابعة » يحاولون استخدام موقف الرفاق الصينيين فى اهدافهم بل وقد توجهوا برسالة مفتوحة الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى يعلنون فيها بصراحة « ان الاممية الرابعة التى تقوم منذ يوم نشوئها . . . بنضال ضد الافكار التى تخرجون عليها اليوم تقف الى جانبكم . . . وترحب الامانة الدولية للاممية الرابعة بهذا النقاش الذى بدأتموه فى مجموع الحركة الشيوعية . وهى تدعوكم الى تطويره » .

ويقوم القادة الصينيون بهجمات حادة على الاحزاب الشيوعية الشقيقة وقادتها الذين لا يريدون التنازل عن الخط العام للحركة الشيوعية العالمية . فقد نشروا ووزعوا بلغات كثيرة المقالات التى تشهر باعمال الاحزاب الشيوعية فى الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وايطاليا والهند . فاى من تعابير السباب لا يستعملها اصحاب هذه المقالات بحق زعماء الاحزاب الشقيقة المشهورين ! ومن ذلك « الرياء » و« الانتهازية اليمينية » و« التحريفية » و« عدم التماشى مع اصول الاخلاق الشيوعية و« الانتكاس الاشتراكى - الديموقراطى » و« خور العزيمة » و« عدم المسؤولية » و« الببغائية » و« الكبرياء والازدراء حيال الشعوب الثورية فى بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية » .

ويتهم القادة الصينيون الاحزاب الشيوعية فى الولايات المتحدة الاميركية وفى اوروبا الغربية بانها تعمل « سوية مع اشد الاستعماريين الاميركان مغامرة » . ولا تسمى قيادة الحزب الشيوعى فى الهند الا بـ « زمرة » . وتوجه الى قادة الاحزاب الشيوعية فى فرنسا وايطاليا والهند

والولايات المتحدة الاميركية التهمة الفظيعة ، تهمة « العناية بمصائر الاستعمار وجميع الرجعيين » . اما فى الرسالة المؤرخة فى ١٤ حزيران (يونيو) فتتردى قيادة الحزب الشيوعى الصينى الى درك الافتراءات الزاعمة بان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ايضا « يقوم بدور مساعد الاستعمار » . وما من احد من غير التروتسكيين قد تجرأ حتى الآن على توجيه مثل هذه الاتهامات الافترائية الى حزب لينين العظيم لبطلانها الظاهر !

فهل من داع للعجب اذا كانت الدعاية الاستعمارية تبهجها اعمال الرفاق الصينيين هذه ؟ وليس من باب الصدفة ان الصحافة البرجوازية مرارا وتكرارا تصرخ عن « ازمة » الحركة الشيوعية العالمية ، وتدعو الحكومات الاستعمارية الى الاستفادة لمصالحها من الخلافات التى سببها موقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى .

وقد خرج ممثلو الحزب الشيوعى الصينى من قوام هيئة تحرير مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » ، وهى صحيفة نظرية واخبارية جماعية للاحزاب الشيوعية والعمالية ، وكفوا عن اصدار هذه المجلة باللغة الصينية ساعين على هذا النحو الى حرمان الشيوعيين الصينيين من مصدر الاخبار الموضوعى عن نشاط الحركة الشيوعية العالمية .

ان نشاط القيادة الصينية الانشقاقى فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية يثير سخطا مشروعا وصدا من جانب الاحزاب الماركسية ـ اللينينية الشقيقة .

ولقد جاء فى رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى انه « لا يجوز » لحزب واحد فى العلاقات مع الاحزاب الشيوعية الشقيقة

« ان يضع نفسه فوق الاحزاب الشقيقة الاخرى ، لا يجوز ان يتدخل فى شؤون الاحزاب الشقيقة الداخلية . . . » . وهذا تصريح ليس بسيئ . ولكن الرفاق الصينيين ذاتهم يلجأون هم انفسهم الى هذه الاعمال غير المسموح بها . انهم فى دوسهم على مصالح الحركة الشيوعية العالمية يعملون خلاف الاصول والمبادئ المعروضة فى البيان والتصريح ، ويحاولونا خضاع الاحزاب الشقيقة الاخرى لتأثيرهم ولرقابتهم .

ان موقف قيادة الحزب الشيوعى الصينى من المسألة الالبانية هو مثل من الامثلة الصريحة على خطها الخاص فى المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية العالمية . ان القادة الالبان ، كما هو معروف ، تقدموا على المكشوف فى النصف الثانى من ١٩٦٠ بنهج انتهازى يسارى فى مسائل العصر الراهن الاساسية ، وبدأوا بانتهاج سياسة العداء حيال الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والاحزاب الشقيقة الاخرى . ونظمت القيادة الالبانية ووسعت فى البلد حملة معادية للاتحاد السوفييتى ادت الى قطع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع الاتحاد السوفييتى .

ان الاغلبية الساحقة من الاحزاب الشيوعية والعمالية قد شجبت بحزم هذا النشاط المعادى للينينية الذى يقوم به القادة الالبان . اما قادة الحزب الشيوعى الصينى فقد وقفوا موقفا مختلفا اطلاقا وقاموا بكل شيء لكى يستخدموا القادة الالبان كبوق لهم . ومن المعروف الآن ان الرفاق الصينيين دفعوهم بصورة مباشرة الى طريق النضال السافر ضد الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى والاحزاب الشقيقة .

ان قادة الحزب الشيوعى الصينى فى هجماتهم على الحزب الشيوعى

فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الماركسية - اللينينية يضعون للمسألة اليوغوسلافية مكانا خاصا ، ويحاولون تصوير الامر وكأن المصاعب فى الحركة الشيوعية قد سببها تحسن علاقات الاتحاد السوفييتى وغيره من البلدان الاشتراكية مع يوغوسلافيا . وخلافا للوقائع يؤكدون باصرار وكأن يوغوسلافيا ليست بلدا اشتراكيا .

وكما هو معروف ، ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى قد ابدى مع غيره من الاحزاب الشقيقة ، فى عام ١٩٥٥ ، مبادرة فى قضية اعادة العلاقات مع يوغوسلافيا الى حالتها الطبيعية من اجل تذليل النزاع الطويل الامد الذى يتحمل ستالين القسم الرئيسى من جريرته . وفى تلك المرحلة لم تبرز عند قادة الحزب الشيوعى الصينى اية شكوك بصدد طابع النظام الاشتراكى فى يوغوسلافيا . فلاحظت جريدة « جينمين جيباو » مثلا ان « يوغوسلافيا قد احرزت نجاحات هامة فى بناء الاشتراكية ».

والتحليل الموضوعى للتطورات الاجتماعية الاقتصادية فى يوغوسلافيا يبين ان مواقع الاشتراكية فيها قد تعززت فى السنوات التالية . واذا كان القطاع الاشتراكى فى الصناعة عام ١٩٥٨ يؤلف ١٠٠ بالمئة ، وفى الزراعة ٦ بالمئة وفى التجارة ٩٧ بالمئة فان القطاع الاشتراكى يؤلف اليوم فى الصناعة ١٠٠ بالمئة ، وفى الزراعة ١٥ بالمئة وفى التجارة ١٠٠ بالمئة . وخلال الفترة التى اعقبت بداية اعادة العلاقات الى وضعها الطبيعى تقاربت مواقف يوغوسلافيا من مواقف الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى فى مسائل السياسة الخارجية .

فلماذا غير القادة الصينيون بهذه السرعة موقفهم من القضية اليوغوسلافية؟ يصعب على المرء ان يعطى لهذا تفسيرا آخر سوى انهم رأوا فى هذا حجة

من الحجج المفيدة ، حسب رأيهم ، للطعن بسياسة الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وغيره من الاحزاب الماركسية ـ اللينينية .

ان الشيوعيين السوفييتيين يعرفون انه ما زالت هناك بين الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى واتحاد الشيوعيين اليوغوسلافيين خلافات فى جملة من المسائل الايديولوجية المبدئية . واننا قد صرحنا وما نزال نصرح مباشرة للقادة اليوغوسلافيين عن ذلك . ولكن سيكون من غير الصائب « حرم » يوغوسلافيا على هذا الاساس من الاشتراكية ، وبترها من البلدان الاشتراكية ودفعها الى معسكر الاستعمار ، كما يفعل ذلك قادة الحزب الشيوعى الصينى . وهذا ما يريده الاستعماريون بالضبط .

وفى العالم اليوم اربعة عشر بلدا اشتراكيا . ونحن على اقتناع عميق بأن عددها سيكون فى المستقبل غير البعيد اكثر بكثير . ان دائرة المسائل التى تواجه الاحزاب الشقيقة التى تمسك دفة قيادة الدولة تتسع ، مع العلم ان كل حزب من الاحزاب الشقيقة يعمل فى ظروف مختلفة . ولا غرو ان فى مثل هذه الاوضاع قد تبرز عند الاحزاب الشقيقة مواقف مختلفة من حل هذه المسائل او تلك . فما هى الطريقة التى يجب على الماركسيين ـ اللينينيين اتباعها فى مثل هذه الحالات ؟ هل يصرحون بان هذا او ذاك من البلدان الاشتراكية الذى لا يتفق قادته معهم قد كف عن أن يكون بلدا اشتراكيا ؟ ان ذلك سيكون اظهارا لتعسف ما بعده من تعسف . ولا يمت مثل هذا الاسلوب الى الماركسية ـ اللينينية بصلة .

واذا حذونا حذو القادة الصينيين كان علينا منذ زمن بعيد اعلان البانيا بلدا غير اشتراكى ، وذلك بحكم خلافاتنا الجدية مع زعماء حزب

العمل الالبانى . ولكن ذلك سيكون موقفا ذاتيا غير صحيح من المسألة . والشيوعيون السوفييتيون ، بالرغم من الخلافات مع القيادة الالبانية ، يعتبرون البانيا بلدا اشتراكيا ، ويقومون من جانبهم بتدابير من اجل الحيلولة دون فصل البانيا عن الرابطة الاشتراكية .

اننا نراقب بأسف كيف يقوض قادة الحزب الشيوعى الصينى الصداقة السوفييتية الصينية التقليدية ، ويضعفون وحدة البلدان الاشتراكية .

ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى يعمل وسيعمل من اجل وحدة ولحمة الرابطة الاشتراكية ومجموع الحركة الشيوعية العالمية .

— ٦ —

فلنستخلص بعض الاستنتاجات .

ان الزمن الذى مر بعد المصادقة على تصريح ١٩٦٠ قد اكد بصورة كاملة صحة البرنامج الماركسى - اللينينى للحركة الشيوعية والعمالية العالمية . ان نجاحات الاتحاد السوفييتى فى بناء الشيوعية ، ونجاحات البناء الاشتراكى فى غيره من بلدان الاشتراكية تؤثر اكثر فأكثر تأثيرا ثوريا فى عقول الناس فى العالم اجمع . وقد اشعلت كوبا الثورية منار الاشتراكية فى النصف الغربى من الكرة الارضية . وسددت الضربات الحاسمة بنظام الحكم الاستعمارى الذى اصبح قريبا من الزوال النهائى . واحرزت الطبقة العاملة فى البلدان الاستعمارية انتصارات جديدة . وتسير الحركة الثورية العالمية بدأب وسداد الى الامام .

ويبين كل ذلك ان تصريح ١٩٦٠ رسم الخط العام للحركة الشيوعية العالمية الرسم الصحيح . وتتلخص المهمة الآن فى العمل والنشاط بموجب

هذا الخط العام وتطويره وتدقيقه مطبقا على ظروف كل حزب شيوعى . ولذلك فان كل محاولة لفرض خط عام جديد على الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ، كما يجرى ذلك فى رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى المؤرخة فى ١٤ حزيران (يونيو) ، باطلة ومضرة . ان قبول هذا « الخط العام » يعنى الابتعاد عن تصريح ١٩٦٠ ، والموافقة على المبادئ البرنامجية المخالفة لهذا التصريح الذى اتخذته الاحزاب الـ ٨١ . ان حزبنا لن يسلك هذا الطريق .

ان حزبنا اللينينى المجيد خاض طوال كل تاريخه نضالا لا هوادة فيه ضد الانتهازية اليمينية واليسارية ، وضد التروتسكية والتحريفية ، وضد الجمود العقائدى والانعزالية ، وضد التعصب القومى والشوفينية فى جميع مظاهرها ، سواء داخل البلاد او على الصعيد العالمى . وفى هذا النضال من اجل نقاوة الماركسية ـ اللينينية تمرس حزبنا وقوى ، فلا تخيفه اية حملة يقوم بها الانشقاقيون والانتهازيون المعاصرون مهما كان مصدرها .

وتبين الحياة ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى بعد ان اصبح منظمة سياسية للشعب بأسره قد قوى صلاته مع الجماهير واكتسب قوة اكبر ايضا ، وهو يتميز بضبط اعلى ايضا . وقد اصبحت ايديولوجية الطبقة العاملة ، الماركسية ـ اللينينية ، مع انتصار الاشتراكية ايديولوجية الشعب بأسره ، ايديولوجية قسمه الطليعى . واصبح هدف الطبقة العاملة ، بناء الشيوعية ، هدفا للشعب بأسره . ولا يمكن ، بالطبع ، للماركسيين ـ اللينينيين الا ان يبتهجوا لهذا التعاظم لتأثير الايديولوجية الشيوعية . ويمكننا ان نقول ان حزبنا لم يكن قط ، بعد وفاة لينين ، بمثل هذه القوة والقدرة

على حل اجرأ المهام المرتبطة ببناء العالم الجديد .

واليوم وقد انتصرت الاشتراكية فى بلادنا الانتصار التام والنهائى ، ونحن نشيد حجرا بعد حجر صرح الشيوعية الرائع ، يوقن حزبنا والشعب السوفييتى كله ايقانا اكبر بان الافكار العظيمة للماركسية ـ اللينينية ستنتصر فى العالم اجمع .

ان شعوب البلدان الاشتراكية وشغيلة العالم بأسره يشاطروننا فى يقيننا ، ويقدرون اسمى التقدير القسط الكبير الذى يسهم به الاتحاد السوفييتى فى قضبة النضال المشترك من اجل السلام والديموقراطية والحرية الوطنية والاستقلال الوطنى والاشتراكية .

ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى كان ولا يزال يقف الى جانب الصداقة الوثيقة مع الحزب الشيوعى الصينى . ان لنا خلافات جدية مع قادة الحزب الشيوعى الصينى ولكننا نعتبر ان العلاقات بين الحزبين ، وبين شعبينا يجب ان تبنى انطلاقا من ان لنا هدفا مشتركا هو بناء المجتمع الجديد ، الشيوعى ، وان لنا عدوا مشتركا هو الاستعمار . ان البلدين الكبيرين ، الاتحاد السوفييتى وجمهورية الصين الشعبية ، بوسعهما ان يعملا بتضافر جهودهما الكثير من اجل انتصار الشيوعية . وهذا ما يعرفه جيدا اصدقاؤنا واعداؤنا .

ويجرى الآن فى موسكو لقاء وفدى الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والحزب الشيوعى الصينى . ومما يؤسف له ان ممثلى الحزب الشيوعى الصينى يواصلون فى هذا اللقاء تأزيم الوضع . ورغم ذلك فان وفد الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى يبدى الحد الاقصى من الصبر وضبط النفس عاملا على ان تعطى المفاوضات نتائج ايجابية . وسيظهر

المستقبل الاقرب ما اذا كان الرفاق الصينيون يوافقون على بناء علاقاتنا المتبادلة على اساس ما يوحدنا لا ما يفرقنا ، على اساس مبادئ الماركسية ـ اللينينية .

ان اعداءنا يقيمون حساباتهم على تعميق الخلافات بين الحزب الشيوعى الصينى والحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى . وهم الآن ايضا يرصدون ما يمكن اغتنامه . وقد كتبت الجريدة الاميركية « ديلى نيوز » منذ بضعة ايام تقول : « هيا لنستعد احداهما على الاخرى ، روسيا الحمراء والصين الحمراء ، لكى تمزق احداهما الاخرى اربا اربا » . ولا يجوز لنا ، نحن الشيوعيين ، ان ننسى ابدا هذه الحسابات الغادرة للاستعماريين .

ان حزبنا ادراكا منه لمسؤوليته امام الحركة الشيوعية العالمية ، امام شعوب العالم بأسره ، يدعو الرفاق الصينيين ان يسلكوا طريق ازالة الخلافات وتعزيز وحدة حزبينا الحقيقية على مبادئ الماركسية ـ اللينينية والاممية البروليتارية .

وقد ناضل حزبنا اللينينى وما يزال يناضل سوية مع جميع الاحزاب الشقيقة من اجل رص الطبقة العاملة وجميع الشغيلة فى النضال ضد الاستعمار ومن اجل السلم والديموقراطية والاستقلال الوطنى والاشتراكية .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى تصرح امام الحزب ومجموع الشعب السوفييتى بكل مسؤولية اننا قد عملنا وسنعمل كل ما فى وسعنا من اجل تعزيز الوحدة مع الحزب الشيوعى الصينى ، من اجل رص الحركة الشيوعية العالمية تحت راية لينين ، من اجل رص بلدان نظام الاشتراكية العالمى ، من اجل المساعدة الفعالة لجميع الشعوب المناضلة ضد نظام الحكم الاستعمارى ، من اجل تعزيز قضية السلام

وانتصار المثل العليا العظيمة للشيوعية فى الارض قاطبة .

ان جميع شغيلة الاتحاد السوفييتى سيلتفون بمزيد من التلاحم حول حزبهم الشيوعى العزيز ولجنته المركزية اللينينية ، ويوجهون كل طاقتهم الى تحقيق البرنامج الجليل لبناء الشيوعية .

اللجنة المركزية
للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى

关于国际共产主义运动
总路綫的論战

*

外文出版社出版（北京）
1965年第一版
编号：（阿）3050—1119
00290
3—A—578P